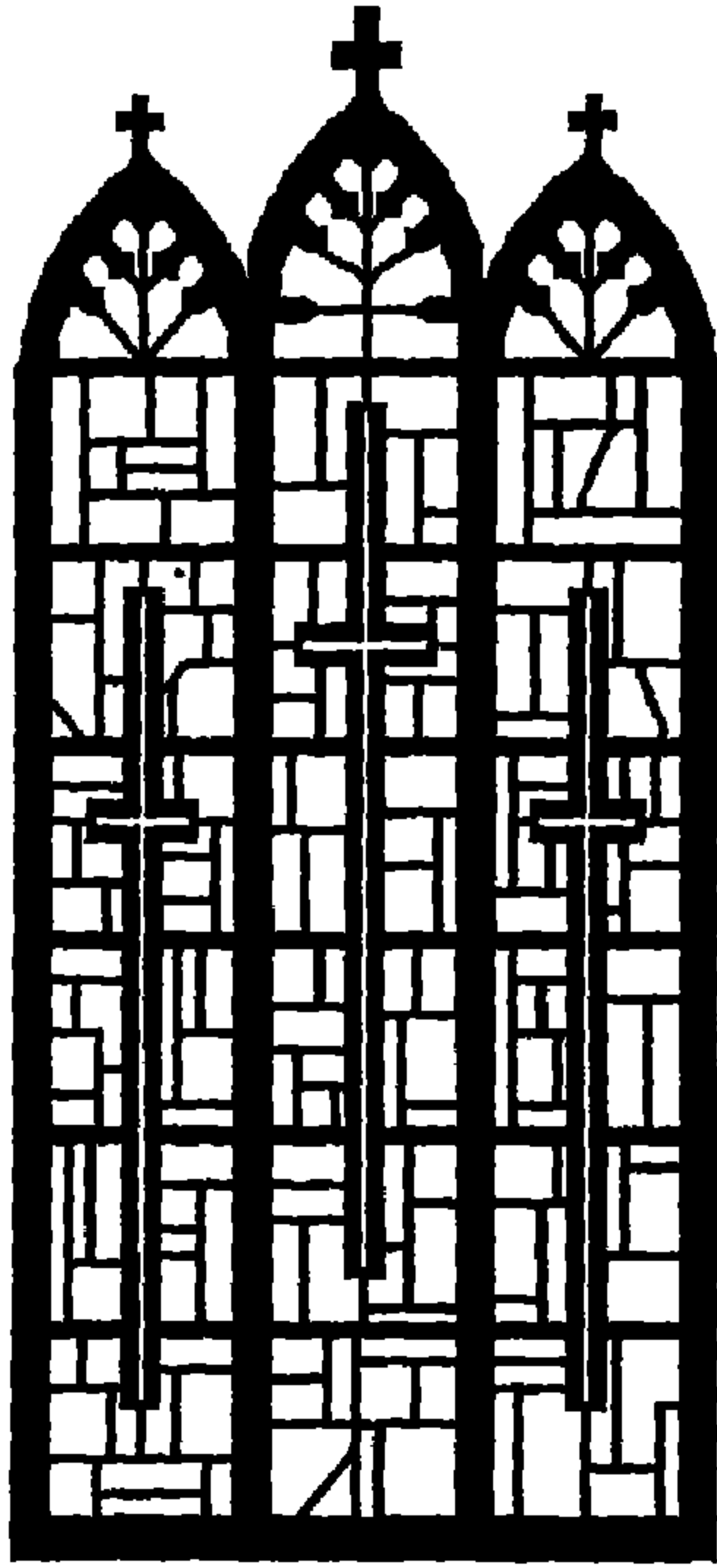


تاريخ الكنيسة

تأليف يوسابيوس القيصري

ترجمة القمص مرقس داود

مكتبة المحبة



تاريخ الكنيسة

تأليف

يوسابيوس القيصري

تعريب

القمص مرقس داود

مكتبة المحيية



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



من أمس ما يحتاجه قراء اللغة العربية في الناحية التاريخية هو تاريخ عام للكنيسة في عصورها الأولى . ولعلهم يجدون - لسد هذا الفراغ - هذا الكتاب الذى وضعه مؤرخ عاش فى تلك العصور الأولى (٢٦٤ - ٣٤٠م)، هو يوسابيوس القيصرى الذى يعتبر من أقدر المؤرخين وأسبقهم، والذى يرجع إليه الكثيرون من المؤرخين قديما وحديثا كحجة فى التاريخ، والذى قد يكون أقدم مؤرخ وصلت إلينا كل كتاباته كاملة .

وبالرغم من مقدرته الفائقة كمؤرخ، كما يشهد بذلك جميع المؤرخين فى كل العصور، إلا أنه تأثر إلى حد كبير بالآراء الأريوسية التى كانت شائعة فى عصره، بل انحرف عن الإيمان المستقيم، الأمر الذى نراه ظاهرا فى كتابه هذا عن تاريخ الكنيسة، ولا سيما عند التحدث عن لاهوت المسيح .

فإنه لما ظهرت بدعة أريوس فى الإسكندرية حوالى سنة ٣١٨م، وجدت لها بعض المؤيدين فى الشرق، وكان على رأس هؤلاء المؤيدين يوسابيوس أسقف نيقوميديا الذى كان رفيقا لأريوس فى التلمذة على لوسيان المعلم فى أنطاكية، والذى نادى بأن الابن مخلوق، وأنه ليس مساويا للآب فى الأزلية .

وكان يوسابيوس أسقف قيصرية (مؤلف هذا الكتاب) معاصرا ليوسابيوس أسقف نيقوميديا، ومعاصرا لأريوس نفسه . ومع أنه لم يكن مؤيدا لآراء أريوس مثل سميّة يوسابيوس النيقوميدي، إلا أنه فى حقيقته كان يعرج بين الأريوسية وبين التعاليم المستقيمة، بل كان أكثر ميلا إلى الأريوسية، حتى حسبته بعض آباء الكنيسة مشايخا بكلية أريوس . قال عنه جيروم : «لقد مدحت يوسابيوس إذ كتب كتابه عن تاريخ الكنيسة وكتبه الأخرى . وهل معنى هذا أننى أريوسى لأن يوسابيوس الذى كتب هذه الكتب أريوسى؟» (انظر مقدمة هذا الكتاب فى ترجمته الإنكليزية، ص ٥٩، المطبوع سنة ١٩٥٢) .

ومن أبرز ما يتسم به هذا المؤلف إشاداته بذكر كنيسة الإسكندرية والتحدث عن الأدوار الهامة التى لعبتها على مسرح التاريخ، سيما عند ذكر المشاكل الكثيرة التى واجهت الكنيسة العامة، فمثلا عند التحدث عن عقد مجمع للنظر فى هرطقة بولس السميساطى يقول إنهم «توسلوا إلى ديونيسيوس

الإسكندري ليحضر المجمع . وأنه لما لم يتمكن من الحضور بسبب تقدمه في السن وضعف جسمه، أعطى رأيه في الموضوع برسالة أرسلها إليهم» (٧ : ٢٧) .

أما عن آباء كنيسة الإسكندرية، فقد تحدث بتوسع لم يراع في أية مناسبة أخرى . فمثلا تراه يكاد يخصص كل الكتاب السادس في الحديث عن أوريجانوس، وكل الكتاب السابع وجزءا من السادس عن ديونيسيوس بابا الإسكندرية الرابع عشر .

كذلك تحدث بإعجاب شديد عن شهداء الأقباط وجرائهم وبسالتهم . استمع إلى أحد أوصافه الكثيرة عنهم :

«وشاهدنا الحماسة العجيبة جدا والنشاط والغيرة التي أبدوها . لأنه حالما كان يصدر الحكم على أول شخص، كان الباقيون يندفعون الواحد تلو الآخر إلى كرسي القضاء ويعترفون بأنهم مسيحيون . وكانوا لا يبالون بأشد أنواع التعذيب فيعترفون بكل جرأة وبسالة بديانة إله الكون . وكانوا يتقبلون حكم الموت النهائي بفرح وضحك وبشاشة . لذلك كانوا يرغمون ويتهللون ويقدمون التسابيح والتشكرات لإله الكون إلى النفس الأخير» (٨ : ٩ : ٥) .

وإنني إذ أقدم هذا السفر النفيس إلى القراء، أرجو أن أكون قد قدمت إليهم خدمة نافعة، وأرجو أن يجدوا في الشخصيات الكثيرة التي دُوِّنت سيرتهم في السفر أمثلة رائعة يُحتذى بها في الإيمان والبسالة والتضحية وإنكار الذات والثبات على المبدأ والدفاع عن الحق، سيما في هذه الأيام التي يسهل على الكثيرين فيها أن يدوسوا على أقدم المبادئ وأسمائها في سبيل مصالحهم الشخصية أو كرامتهم الذاتية أو الخوف من البشر .

بين يديك يا إلهي نضع كل جهودنا ومواهبنا التي جددت بها علينا، ونتوسل إليك أن تعيننا على أن نكون لك خداما أمناء إلى النفس الأخير .

القاهرة في ٢٠ مايو ١٩٦٠

الطبعة الثانية ٢٠ مايو ١٩٧٩

الطبعة الثالثة ١ مارس ١٩٩٨

القمص مرقس داود



الكتاب الأول

الفصل الأول

الغاية من الكتابة

(١) إن غايتي هي كتابة وصف لتاريخ الرسل القديسين، والحقبات التي مضت من أيام مخلصنا إلى أيامنا هذه، وسرد الحوادث الكثيرة الهامة التي حدثت في تاريخ الكنيسة، وذكر أولئك الذين تولوا إدارة ورئاسة الكنيسة في أهم الأبروشيات، والذين أذاعوا الكلمة الإلهية في كل جيل سواء شفويا أو كتابة.

(٢) وغايتي أيضا أن أذكر أسماء وعدد وأزمان أولئك الذين، حبا في ابتداء الجليل، ارتكبوا أشد الأخطاء، والذين، إذ نادوا بأنفسهم أنهم مكتشفو العلم الكاذب الاسم، [١] أتلقوا رعية المسيح بلا رحمة كذئاب مفترسة.

(٣) وعلاوة على هذا، فإن قصدي أيضا وصف المصائب التي حلت عاجلا بكل الأمة اليهودية نتيجة لمؤامراتهم ضد مخلصنا، ووصف الطرق والأوقات التي فيها هوجمت الكلمة الإلهية من الأمم، ووصف أخلاق وصفات من ناضلوا عنها في حقبات مختلفة في وجه الدماء والتعذيب، وكذلك الاعترافات التي قيلت في أيامنا، وأخيرا المساعدات الرحيمة الكريمة التي قدمها مخلصنا لجميعهم.

وطالما كنت أبغى الكتابة عن كل هذه الأمور، فإنني سأبدأ عملي ببداية عهد مخلصنا وربنا يسوع المسيح.

(٤) على أنني في البداية أتمس لعملي معذرة الحكماء، لأنني أعرف بأنه فوق طاقتي أن أقدم تاريخا واقيا كاملا. وطالما كنت أنا أول من يلج هذا الباب، فسأحاول اجتياز هذا الطريق الموحش الذي لم يطره أحد قبلي [٢] وإنني أبتهل إلى الله أن يكون لي مرشدا، وأن تكون قوة الرب عوناً لي، طالما كنت غير قادر أن أتبين حتى مجرد آثار خطوات من سلكوا الطريق قبلي سوى بعض لمحات تاريخية موجزة نقل إلينا فيها البعض بإحدى الطرق، والآخرين بطريقة أخرى، وصفا خاصا للأوقات التي عاشوا فيها. وهؤلاء يرفعون أصواتهم من بعيد كالشاعل، ويصرخون كما من برج عالٍ ظاهر، مقدمين إلينا النصيحة أين نسلك وكيف نوجه طريق عملنا بثبات وأمان.

(١) ١ تي ٦ : ٢٠

(٢) يلقب البعض يوسابيوس «أب التاريخ الكنسي» على أساس أنه لم يسبقه من كتب تاريخا شاملا للكنيسة. ومع ذلك، فقد كتب من قبله الكثيرون عن بعض الحقائق التاريخية التي استخدمها هو في تاريخه كما يخبرنا.

(٥) لذلك، فإذ جمعنا من المواد التي ذكروها هنا وهناك رأينا ضرورة لعملنا الحالي، وإذا اقتطفنا كزهور من حقل بعض الفقرات المناسبة من الكتاب الأقدمين، [٣] فسنحاول أن نجمع الكل في سجل تاريخي، ويكفي الاحتفاظ بذكريات رسل مخلصنا، إن لم يكن جميعهم، فعلى الأقل أشهرهم في أشهر الكنائس التي لا تزال إلى الوقت الحاضر محتفظة بمجدها.

(٦) ويبدو لي أن لهذا العمل أهمية خاصة، لأنني لا أعرف كاتباً كنسياً تخصص في هذا الموضوع، وأرجو أن يبدو نافعا جدا للشغوفين بالأبحاث التاريخية.

(٧) لقد سبق أن قدمت خلاصة لهذه الأمور في الأبحاث التاريخية التي كتبتها، على أنني رغم ذلك اعتزمت في هذا الكتاب تدوين تفصيل واف عنها على قدر استطاعتي.

(٨) ويبدأ عملي، كما قدمت، بعهد المخلص المسيح الذي هو أسمى وأجل من الإدراك البشري، وبحث عن لاهوته.

(٩) طالما كنا نستمع حتى اسمنا من المسيح، فمن الضروري لكل من يشرع في كتابة تاريخه عن الكنيسة أن يبدأ بأصل عهد المسيح، العهد الذي هو أكثر روحانية مما يظن الكثيرون.



(٣) مما يجعل لتاريخ يوسابيوس أهميته العظمى اقتباساته من المؤرخين الكنسيين السابقين. لقد ضاعت كتابات الكثيرين منهم ولا نعرف منها شيئا سوى ما اقتبسه يوسابيوس. وهذه الحقيقة وحدها كافية بأن تعطي لتاريخه أهمية عظمى.

الفصل الثاني

خلاصة لفكرة لاهوتية مخلصنا وربنا يسوع المسيح وأزليته

(١) طالما كانت في المسيح طبيعة مزدوجة، [١] الواحدة تمثله - على أساس أنه إله - كرأس الجسد، والأخرى يمكن تشييدها بالقدمين، باعتبار أنه من أجل خلاصنا أخذ طبيعة بشرية وصار تحت الآلام مثلنا. لذلك، فإن هذا السفر التاريخي لا يصير كاملاً إلا إذا بدأناه بأهم حوادث تاريخه. وبهذه الطريقة تتبين أقدمية وروحانية المسيحية لمن يفترضون أنها حديثة العهد وأنها من أصل غريب، ويتوهمون أنها لم تظهر سوى بالأمس.

(٢) ولا يمكن أن توجد لغة كافية للتعبير عن أصل المسيح وقيمته، وعن كيانه وطبيعته. لهذا يقول الروح القدس في النبوات: «وجيله من يخبر به» [٢]. لأنه: «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن، ولا أحد يعرف الابن معرفة كاملة إلا الآب وحده الذي ولده» [٣].

(٣) لأنه من غير الآب يستطيع أن يفهم بوضوح ذلك النور الذي كان قبل العالم، والحكمة الأساسية العقلية-الكائنة قبل الدهور، والكلمة الحى الكائن مع الآب من البدء الذي هو الله، المولود الأول والوحيد من الله الكائن قبل كل خليفة، قبل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة، قائد الجند السماويين العاقلين الخالدين، رسول المشورة العظمى، متمم إرادة الآب غير المنطوق بها، خالق كل الأشياء مع الآب، باعث كل الكون بعد الآب، ابن الله الوحيد بالحق، رب وإله وملك كل المخلوقات، الذى قبل من الآب سلطاناً وقوة مع اللاهوت نفسه، وقبل أيضاً قدرة وكرامة. كما قيل عنه فى الفقرات الغامضة من الكتاب المقدس التى تتحدث عن لاهوته: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» [٤] «كل شيء به كان ويغيره لم يكن شيء مما كان» [٥].

(٤) هذا أيضاً ما نادى به موسى العظيم عندما وصف - كأقدم جميع الأنبياء - يالهام الروح القدس خلقه الكون وترتيبه، فإنه يعلن أن بارئ العالم وخالق جميع الأشياء سلم أمر خلقه الأشياء الأدنى [٦] للمسيح نفسه، لا لشخص آخر سوى كلمته الإلهى الوحيد، وتشاور معه عن خلقه الإنسان، إذ يقول (أى موسى): «لأن الله قال نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» [٧].

(١) لقد كان يوسابيوس متأثراً بالهرطقة الأريوسية الخاصة بطبيعة المسيح. انظر المقدمة. (٢) إش ٥٣ : ٨

(٣) مت ١١ : ٢٧ (٤) يو ١ : ١ (٥) يو ١ : ٣ (٦) انظر المقدمة (٧) تك ١ : ٢٦

(٥) وأيد هذا القول نبي آخر إذ تحدث عن الله في مزاميره قائلا : «لأنه قال فكان . هو أمر فصار» [٨]

وهو هنا يبين أن الآب الخالق هو مدبر الكل، يأمر بمجرد إشارة ملكية، وأن الكلمة الإلهي ثانية، ليس سوى ما نعلته نحن، منفذا أوامر الآب [٩]

(٦) وكل الذين قيل عنهم بأنهم سموا في البر والتقوى منذ خلقه الإنسان، أي موسى الخادم العظيم، وقبله في المكان الأول إبراهيم وبنوه، والكثيرون من الأبرار والأنبياء الذين ظهرتوا فيما بعد - هؤلاء جميعا تطلعوا إليه بعيون الذهن النقية، واعترفوا بأنه هو ابن الله، وقدموا إليه العبادة اللاتقة به كابن الله .

(٧) أما هو - فإذ لم يغفل التوقير الواجب للآب - فقد أقيم لتعليم معرفة الآب لهم جميعا . فمثلا، قيل أن الرب الإله ظهر كإنسان عادي لإبراهيم إذ كان جالسا عند بلوطة عمرا [١٠] . على أنه خرّ على وجهه في الحال، رغم أنه لم ير بعينه سوى إنسان وسجد له كإله، وذبح له كربّ، واعترف له بأنه لا يجهل شخصيته، وذلك عندما نطق بهذه الكلمات : «أيها الرب ديان كل الأرض ألا تصنع عدلا» [١١]

(٨) لأنه إن لم يكن معقولا الافتراض بأنه جوهر الله الكلي القدرة، غير المولود، وغير المتغير، قد تغير إلى هيئة إنسان، أو أنه خدع عيون الناظرين بالظهور في شكل مخلوق، وإن كان غير معقول من الناحية الأخرى الافتراض بأن الكتاب قد ابتدع أو لفق أمورا كهله عندما رأى في شكل إنسان ذلك الإله والرب ديان كل الأرض ومُجَرِّ الدينونة، فمن ذا الذي يمكن أن يُدعى مبدع كل الأشياء سوى كلمته [١٢] الكائن منذ الأزل لو لم يكن شرعيا أن يُدعى كذلك . من ذا الذي قيل عنه في المزامير : «أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكتهم» [١٣]

(٩) وموسى يعلن بكل وضوح أنه رب ثان بعد الآب [١٤] حين يقول : «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب» [١٥] والكتب الإلهية تدعوه أيضا إلها عندما ظهر ثانية ليعقوب في هيئة إنسان وقال ليعقوب : «لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت

(٨) مز ٣٣ : ٩ ، أو «فإنه قال فكان الخلق وأمر فوجد» حسب ترجمة اليسوعيين، أو «إنه قال فصارت، وأمر فخلقت»

حسب الترجمة السبعينية . (٩) انظر المقدمة (١٠) تك ١٨ : ١ إلخ (١١) تك ١٨ : ٢٥

(١٢) يسلم يوسابيوس بأن ظهور الله للإنسان في العهد القديم كان في ظهور المسيح، أي ظهور الأتوم الثاني في الثلاث .

وقد ظهر رأى آخر قال بأن الأسفار المقدسة نفسها تعلم بأن الذي ظهر في العهد القديم في مناسبات مختلفة لم يكن

هو الكلمة بل ملاك . (١٣) مز ١٠٧ : ٢٠ (١٤) انظر المقدمة (١٥) تك ١٩ : ٢٤

مع الله وقدرت» [١٦] من أجل هذا أيضا دعا يعقوب ذلك المكان «رؤية الله» [١٧] قائلا : «لأننى نظرت الله وجها لوجه ونَجِّيتَ نفسى» .

(١٠) كذلك لا يُقبل الافتراض بأن الظهورات الإلهية كانت ظهورات ملائكة خاضعة أو خدام الله، لأنه فى كل مرة ظهر أحد هؤلاء للبشر لم يخف الكتاب المقدس الحقيقة، بل دعاهم بالاسم، فلم يدع أحد منهم إلها أو ربا، بل ملائكة، كما يسهل البرهان على ذلك بشهادات لا حصر لها .

(١١) ويشوع أيضا، خلف موسى، يدعو قائدا للملائكة السماوية ورؤساء الملائكة والقوات العلوية، ووكيل الأب أعطيت له الدرجة الثانية [١٨] من السلطة على الكل «رئيس جند الرب»، مع أنه لم يره إلا فى شكل ومظهر إنسان .

(١٢) لأنه مكتوب [١٩] «وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالة سيفه مسلول بيده . فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا فقال له : كرئيس جند الرب الآن أتيت . فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وقال له : يارب بماذا تأمر عبدك . فقال رئيس جند الرب ليشوع : اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس» .

(١٣) ومن هذه الكلمات ترون أيضا أن هذا لم يكن سوى ذاك الذى تكلم مع موسى [٢٠] لأن الكتاب يقول فى نفس الكلمات مشيرا إلى نفس الشخص : فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الرب من وسط العليقة وقال له : موسى موسى . فقال : هاأنا . فقال : لا تقترب إلى هنا . اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال له : أنا إله أبائك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب» [٢١]

(١٤) أما عن وجود شخصية معينة كانت عائشة وكائنة قبل العالم، وكانت تخدم الأب [٢٢] وإله الكون لتكوين كل المخلوقات، وهى التى تُدعى كلمة الله وحكمته، فيمكن إقامة براهين أخرى عليها علاوة على ما سبق اقتباسه، ويمكن أن نتعلم ذلك من فم «الحكمة» نفسها التى تعلن بكل وضوح - على لسان سليمان - الأسرار التالية عن نفسها : «أنا الحكمة سكنت مع الذكاء والمعرفة، وقد بعثت فهما . بى تملك الملوك وتقضى العظماء عدلا . بى يتعالى العظماء، وبى يملك الملوك الأرض» [٢٣] .

(١٦) تك ٣٢ : ٢٨ (١٧) «دعا يعقوب اسم المكان فينيثيل» (تك ٣٢ : ٣٠)، ومعنى فينيثيل «وجه الله» .

(١٨) انظر المقدمة (١٩) يش ٥ : ١٣ - ١٥

(٢٠) يتفق يوسابيوس مع غيره من الآباء السابقين، سيما يوستينوس الشهيد وأوريجانوس، فى الاعتقاد بأن من ظهر ليشوع

هو نفسه الذى ظهر لموسى، على أساس أن نفس الكلمات استعملت فى كل من المناسبتين . على أن الكثيرين من

الآباء الذين أتوا بعد ذلك يعتقدون بأن من ظهر ليشوع هو رئيس الملائكة ميخائيل الذى وصفه دانيال (١٠ : ٢١ ،

١٢ : ١) بأنه يدافع عن شعب الله . (٢١) خر ٣ : ٤-٦ (٢٢) انظر المقدمة (٢٣) أم ٧ : ١٢ و ١٥ و ١٦

(١٥) وإلى ذلك تضيف : «الرب قناني أول طريقه من أجل أعماله . قبل العالم أنشأني . منذ البدء . قبل أن خلق الأرض . قبل أن خلق القمر . قبل أن تقرر الجبال . قبل التلال ولدني . لما أعد السموات كنت حاضرا معه . ولما وضع أساسات البقاع تحت السماء كنت عنده صانعا . كنت لذته . كل يوم فرحت قدامه كل الأوقات لما فرح بإكمال العالم» [٢٤]

(١٦) وهكذا يتبين بإيجاز أن الكلمة الإلهي كائن منذ الأزل، وظهر للبعض إن لم يكن للجميع .
(١٧) أما لماذا لم يُكرَّر بالإنجيل في العصور القديمة لجميع البشر ولجميع الأمم، كما هو الحال الآن، فسوف يتضح من التأملات التالية .

(١٨) فإن حياة القدماء لم تكن من النوع الذي يسمح لهم بقبول تعاليم المسيح كلية الحكمة وكلية الفضيلة . لأن الإنسان الأول في البدء مباشرة، بعد حياته الأصلية حياة البركة، احتقر وصية الله، وتردَّى إلى هله الحالة الفانية البائسة، واستبدل نعيمه الأول المعطى من الله بهذه الأرض المثقلة باللعنة . وإذا ملأت ذريته أرضنا برهنوا على أنهم أردأ جدا، سوى واحد هنا وآخر هناك، وعاشوا حياة وحشية لا تطاق .

(١٩) ولم يفكروا في مدينة أو مملكة، لا في الفنون ولا في العلوم . وجعلوا حتى مسجدا اسم القوانين أو العدالة أو الفضيلة أو الفلسفة، وقضوا حياتهم في البراري كالبعدو، وكالحيوانات البرية المفترسة أبادوا العقل الطبيعي في الإنسان، وبذور التفكير والتربية المغروسة في النفس البشرية، وذلك بتماديهم في الشر الاختياري . وأسلموا أنفسهم كلية لجميع أنواع النجاسة، فكانوا أحيانا يهتكون أعراض بعضهم بعضا، وأحيانا يقتلون بعضهم بعضا، وأحيانا يأكلون اللحم البشرية، وأحيانا يتجاسرون على إشهار الحرب مع الآلهة والاشترار في مواقع الجبايرة الحربية التي يمارسها الجميع، وأحيانا يحاولون تحصين الأرض ضد السماء، وفي جنون الكبرياء الجامح يعدّون هجوما على إله الجميع نفسه [٢٥]

(٢٠) وبسبب هذه الأمور، عندما سلكوا هذا السيل، أنزل عليهم الله، المطلع على كل الأشياء، طوفانات ونيرانا، كأنها على غابة برية منتشرة على كل الأرض . وحصلهم بالمجاعات والأوبئة والحروب المستمرة والصواعق من السماء، كأنه قد أراد صد بعض أمراض النفوس المروعة المستعصية بتأديبات أشد قسوة .

(٢٥) يبدو أنه يشير هنا إلى برج بابل (تك ١١ : ١ - ٩) .

(٢٤) أم ٨ : ٢٢-٢٥ و ٢٨ و ٣٠ و ٣١

(٢١) وبعد هذا، عندما كاد التماذى فى الشر يسود كل الجنس البشرى كنبوة سكرٍ شديدة، وغيم على عقول البشر وأظلمها، فإن حكمة الله، بكر كل خليفة، الكلمة نفسه الكائن منذ الأزل، من فرط حبه للبشر، ظهر لعبيده، أحيانا فى صورة ملائكة، وأحيانا أخرى ظهر بشخصه - كقوة الله المخلصة - لهذا أو ذاك من أولئك الأقدمين الذين تمتعوا بنعمة الله . وعلى أى حال، فإنه لم يظهر إلا فى هيئة إنسان، إذ كان مستحيلا ظهوره بأية طريقة أخرى .

(٢٢) وكما أنه بواسطتهم غُرِست بذور التقوى بين عدد وفير من البشر، وبين الأمة بأكملها المنحدرة من العبرانيين، والذين كرسوا أنفسهم بصفة مستمرة لعبادة الله، فإنه قدّم إليهم بواسطة النبي موسى - كما إلى جماعات لا تزال ملنسة بممارساتها القديمة - صورا ورموزا عن السبب الرمزي وعن الختان، وأمورا أولية عن مبادئ روحية أخرى، ولكنه لم يعطهم معرفة كاملة عن الأسرار نفسها .

(٢٣) وعندما انتشر ناموسهم، وذاع - كرائحة طيبة - بين كل البشر، لانت طباع أغلبية الوثنيين نتيجة لتأثيرهم، وذلك بواسطة المشرعين والفلاسفة الذين قاموا فى كل ناحية، وتبدلت وحشيتهم العنيفة القاسية إلى وداعة، حتى أنهم تمتعوا بالسلام العميق والصدقة والمعاملات الاجتماعية [٢٦] . وأخيرا، عند بدء تكوين الإمبراطورية الرومانية، ظهر مرة أخرى لكل الناس والأمم فى كل العالم الذى كان قد قُدمت إليه المساعدة من قبل، والذى كان وقتئذ قد تهيأ لتلقى معرفة الآب، نفس معلم الفضيلة، خادم الآب فى كل الصالحات، كلمة الله السماوى، فى جسد بشرى لا يختلف فى مادته بأى حال عن جسدنا . وقد تم وتحمل الأمور السابق التنبؤ عنها . لأنه سبق التنبؤ بأنه ينبغي أن يأتى ويسكن فى العالم شخص هو إنسان وإله فى وقت واحد، ويتم أعمالا عجيبة، ويظهر نفسه معلما لكل الأمم عن صلاح الآب . وقد تنبأ أيضا عن طبيعة ميلاده العجيبة، وعن تعليمه الجديد، وعن أعماله العجيبة، وكذا عن كيفية موته، وقيامته من الأموات، وأخيرا عن صعوده الإلهى إلى السماء .

(٢٤) فمثلا إذ رأى دانيال النبي - تحت تأثير روح الله - ملكوته فى نهاية الزمن، أوحى إليه أن يصف الرؤيا الإلهية فى لغة خليفة بالفهم البشرى . فهو يقول : «لأننى رأيت حتى وُضعت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة . نهر نار قاض من قدامه . ألوف ألوف خلعت ريبات وريبات وقفت قدامه . فحدد دينونة وفتحت الأسفار» [٢٧]

(٢٦) كان من رأى يوسابيوس، بالاشتراك مع أغلب الآباء، أن فلاسفة اليونان والمشرعين والشعراء استمدوا حكمتهم من قدماء العبرانيين . وقد تمسك الكثيرون بهذه الحقيقة للبرهان على أقدمية المسيحية، سيما فى حالة أفلاطون وفيثاغورس اللذين قيل عنهما أنهما درسا كتب العبرانيين لدى رحلتهم إلى مصر .

(٢٥) وأيضا يقول : « نظرت ورأيت وإذا مثل ابن إنسان أتى مع سحب السماء وأسرع إلى القديم الأيام فأحضر في حضرته . فأعطى السلطان والمجد والملكوت . وتتعبد له كل الشعوب والقبائل والألسنة . سلطانه سلطان أبدي لن يزول وملكوته لا ينقرض » [٢٨]

(٢٦) وواضح أن هذه الكلمات لا يمكن أن تشير إلا إلى مخلصنا، الله الكلمة الذي على البدء كان عند الله، والذي دُعيَ ابن الإنسان بسبب ظهوره الأخير في الجسد .

(٢٧) ولكن طالما كنا قد جمعنا في كتب مستقلة مختارات من الأنبياء تتعلق بمخلصنا يسوع المسيح، وربنا في شكل منطقي تلك الأمور التي أُعلنت عنه، فإن ما قيل يكفي في الوقت الحاضر .



الفصل الثالث

كان الاسم «يسوع» ، والاسم «المسيح» معروفين من البدء ، ومكرمين من الأنبياء الملهمين

(١) وهذا هو الآن الموضع المناسب لنبين أن الاسم «يسوع» ، وأيضا الاسم «المسيح» كانا مكرمين من الأنبياء الأقدمين محبوبى الله .

(٢) فموسى كان أول من عرفنا باسم المسيح كاسم جليل مجيد، إذ عندما سلم رموزا ورسوما عن السماويات، وصورا سرية، وفقا للأقوال الحية التى قالت له : «انظر لكى تصنع كل الأشياء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل» [١] فإنه كرّس إنسانا رئيس كهنة لله، حسبما كان ذلك ممكنا، وهذا دعاه مسيحا [٢] . فلهذا المقام الرفيع، مقام رئاسة الكهنوت، الذى بحسب رأيه فاق أجل المراكز بين البشر، أضاف اسم المسيح من أجل المجد والكرامة .

(٣) وتيقن أنه كانت هنالك ناحية إلهية فى المسيح . ونفس هذا الشخص، إذ سبق فرأى بتأثير روح الله اسم يسوع عظمه أيضا بامتياز مميز خاص . لأن اسم يسوع الذى لم يُنطق به قط بين البشر قبل عصر موسى، طبقه أولا وأخيرا على الشخص الذى عرف أنه مزعم أن يتسلم القيادة العليا بعد موته كرمز ومثال أيضا .

(٤) لذلك دعا خلفه باسم يسوع، [٣] خالعا عليه هذا الاسم كمنحة كريمة أسمى جدا من أى تاج ملكى، مع أنه إلى ذلك الوقت لم يكن يحمل اسم يسوع، بل كان يُدعى باسم آخر «هوشع» أطلقه عليه أبواه . لأن يسوع نفسه ابن نون كان يحمل رمزا لمخلصنا على أساس أنه هو وحده، بعد موسى وبعد إكمال العبادة الرمزية التى أعطيت على يديه، سلمت إليه إدارة الديانة الحقيقية النقية .

(٥) وهكذا منح موسى اسم مخلصنا، يسوع المسيح - علامة على أسمى كرامة - للرجلين اللذين فاقا فى عصرهما سائر الشعب فى الفضيلة والمجد، أى لرئيس الكهنة وخلفه فى الإدارة .

(٦) ثم أن الأنبياء الذين جاءوا بعده أيضا تنبأوا بوضوح عن المسيح بالاسم، متبئين فى نفس الوقت عن المؤامرات التى كان الشعب اليهودى سوف يحييها له، وعن دعوة الأمم بواسطته . فمثلا، يتحدث إرميا هكذا : «قد أخذ الروح، المسيح الرب، من أمام وجهنا لخرابهم، الذى قلنا عنه فى ظله نعيش بين الأمم» [٤] ويقول داود فى حيرة : «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه» [٥] ثم يضيف إلى ذلك على لسان المسيح نفسه :

(١) خر ٢٥ : ٤٠ (٢) كان ماثلا فى ذهن يوسايبوس هنا ما ورد فى لا ٤ : ٥ و ١٦ ، ٦ : ٢٢ حيث وردت هذه العبارة «الكاهن المسروح» . (٣) عد ١٣ : ١٦ (٤) مراثى ٤ : ٢٠ (٥) مز ١ : ٢ و ٢

«الرب قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأمم ملكا لك» [٦].

(٧) ولم يتوج باسم المسيح بين العبرانيين أولئك فقط الذين تشرفوا برتبة رئاسة الكهنوت، والذين من أجل الرمز كانوا يُمسحون بزيت معد إعدادا خاصا لهذا الغرض، بل الملوك الذين كان الأنبياء يمسحونهم تحت تأثير روح الله، وكأنهم مسحاء مثاليين . لأنهم هم أيضا حملوا فى أشخاصهم رموزا عن السلطة الملكية السامية التى للمسيح الحقيقى الواحد، الكلمة الإلهى ملتبس الكل .

(٨) وقيل لنا أيضا بأن أنبياء معينين صاروا هم أنفسهم، بفعل المسحة، مسحاء رمزيين . وهكذا كان جميع هؤلاء يشيرون إلى المسيح الحقيقى الكلمة الإلهى السماوى، الذى هو رئيس كهنة الجميع الوحيد، والمملك الوحيد على كل خليقته، ونبي الأنبياء العظيم الوحيد الذى للآب .

(٩) والدليل على ذلك أنه لم يوجد أى واحد من هؤلاء الذين مُسحوا فى القديم مسحة رمزية، سواء كانوا كهنة أو ملوكا أو أنبياء، من كانت له سلطة عظيمة لِبَثِّ الفضيلة كما ظهر فى مخلصنا وربنا يسوع المسيح الحقيقى الوحيد .

(١٠) لم يوجد واحد فيهم على الأقل، مهما سمت رفعتهم وكرامتهم أجيالا عديدة بين شعبهم، من أعطى أتباعه اسم المسيحيين نسبة لاسم المسيح الذى تسموا به، ولا أعطيت كرامة إلهية لأى واحد منهم من رعيته . ولا وُجد أتباعهم بعد موتهم مستعدين للموت من أجل من كرموه . ولا قامت ثورة بين كل أمم الأرض إجلالا لأى واحد فى ذلك العصر . لأن مجرد الرمز لم يكن ممكنا أن يعمل بينهم بمثل تلك القدرة مثل الحق نفسه الذى ظهر فى مخلصنا .

(١١) أما هو، فرغما عن أنه لم يستلم أية رموز أو أمثلة لرئاسة الكهنوت من أى شخص، ورغم أنه لم يولد من جنس كهنوتى، ورغم أنه لم يُرَفَّع إلى المُلْك بحراس حربيين، ورغم أنه لم يكن نبيا كأنبياء القَدَم، ورغم أنه لم ينل كرامة أو رفعة بين اليهود، ورغم كل ذلك، فإنه كُتِّل من الآب بكل شىء، وإن لم يكن قد كُتِّل بالرموز فقد كُتِّل بالحق نفسه .

(١٢) بالرغم من أنه لم ينل كرامة بين أولئك السابق ذكرهم، فقد دُعِيَ مسيحا أكثر منهم جميعا . وكمسيح الله الحقيقى الوحيد ملأ كل الأرض بذلك الاسم السامى المقدس الجليل الشان «مسيحيين»، ولم يعد يعطى أتباعه مجرد رموز وأمثلة، بل الفضائل الجليلة نفسها، وحياة سماوية فى نفس تعاليم الحق .

(١٣) ولم يُمسَحْ بزيت معد من مواد مادية، بل بروح الله نفسه، كما يليق باللاهوت، وذلك بالاشتراك في لاهوت الآب غير المولود، وهذا ما نادى به أيضا إشعياء، الذي يصرخ كما بلسان المسيح نفسه : «روح الرب عليّ، لذلك مسحني . أرسلني لأكرز بالإنجيل للمساكين لأنادي للمساكين بالعتق وللعمى بالبصر» [٧].

(١٤) وليس إشعياء فقط، بل هو ذا داود أيضا يخاطبه قائلا : «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلكك . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفائك» [٨] وهنا يدعو الكتاب إلها في الآية الأولى، وفي الثانية يكرمه بقضيب ملكي .

(١٥) وبعد ذلك بقليل، بعد السلطة الإلهية والملكية، يمثله ثالثة بأنه أصبح مسيحا إذ مُسَحَ، لا بزيت مصنوع من مواد مادية، بل بدهن الابتهاج الإلهي . وهكذا يوضح كرامته الخاصة التي تسمو جدا وتختلف عن كرامة أولئك الذين، كرموز، مسحوا قديما بطريقة مادية .

(١٦) وفي موضع آخر يتحدث عنه نفس الكتاب كما يلي : «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك» [٩] وأيضا : «من الرحم قبل كوكب الصبح ولدتك أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» [١٠].

(١٧) أما ملكي صادق هذا فقد برز في الكتب المقدسة ككاهن الله العليّ، [١١] لم يُمسَحْ بأي زيت معد إعدادا خاصا، ولا يتصل في نسبه بكهنوت اليهود . لذلك فعلى رتبته، لا على رتبة الآخرين الذين نالوا الأمثلة والرموز، نودي بمخلصنا باسم مسيحا وكاهنا .

(١٨) والتاريخ لا يروى لنا أن اليهود مسحوه بطريقة مادية منظورة، أو أنه كان من سلالة الكهنة . بل إنه أتى إلى الوجود من قِبَلِ الله نفسه، كوكب الصبح، أي قبل تكوين العالم، وأنه نال كهنوتا لا يفنى ولا يضمحل إلى الأجيال الدهرية .

(٧) إش ٦١ : ١ ، يتبع يوساييوس كعادته الترجمة السبعينية التي تختلف اختلافا بسيطا في هذه الآية عن الترجمات العادية .

(٨) مز ٤٥ : ٦ و ٧ (٩) مز ١١٠ : ١ (١٠) مز ١١٠ : ٣ و ٤

(١١) انظر تك ١٤ : ٨ ؛ عب ٥ : ٦ و ١٠ ، ٦ : ٢٠ ؛ قض ٧

(١٩) وإنه لُبُرْهان قوى مقنع على مسحته الإلهية غير المنظورة أنه هو وحده من جميع الذين وُجدوا الذى لا يزال إلى اليوم يُدعى مسيحا بواسطة جميع البشر فى كل العالم، ويعترف ويشهد له بهذا الاسم، ويحيى ذكره كل من اليونانيين والبرابرة، وإلى اليوم يكرم كملك بواسطة أتباعه فى كل العالم، ويُعجَب به كأفضل من نبي، ويُسجَد كرئيس كهنة الله الحقيقى الوحيد، [١٢] وفضلا عن كل هذا، فقد نال كرامة سامية جدا من الآب ككلمة الله الأزلى الوجود، الكائن قبل كل الدهور، وهو يُعبد كإله.

(٢٠) والأعجب من كل هذا أننا نحن الذين كرسنا ذواتنا له نكرمه، ليس فقط بأصواتنا وبالكلام، بل أيضا بسمو الروح الكامل، حتى إننا نفضل الشهادة له عن الاحتفاظ بحياتنا . .

(٢١) كان لزاما على التمهيد لتأريخى بهذه الأمور لكى لا يتوهم أحد - من مجرد الحكم على تاريخ تجسده - أن مخلصنا وربنا يسوع المسيح، لم يأت إلى الوجود إلا حديثا .



الفصل الرابع

لم تكن الديانة التي نادى بها لكل الأمم جديدة أو غريبة

(١) ولكى لا يتوهم أحد أن تعاليمه جديدة أو غريبة، كأنها من صنع إنسان نشأ حديثا ولا يختلف عن سائر البشر، فلتأمل بإيجاز فى هذه النقطة أيضا .

(٢) من المسلم به أنه فى الأزمنة الحديثة، لما أصبح ظهور مخلصنا يسوع المسيح معروفا لكل البشر، ظهرت فى الحال أمة جديدة، أمة نعتز أنها ليست صغيرة، ولا تعيش فى زاوية مجهولة من الأرض، بل أوفر كل الأمم عددا وأشد تقوى، غير قابلة للفناء، ولا يمكن أن تُقهر، لأنها تنال العون دوما من الله . وهذه الأمة التى ظهرت هكذا بغتة فى الوقت المحدد بمشورة الله غير المفحوصة، هى التى يكرمها الجميع باسم المسيح .

(٣) وعندما رأى مقدما أحد الأنبياء، بعين روح الله، ما كان ينبغى أن يكون، ذُهل منه حتى أنه صرخ : «من سمع مثل هذا . من تكلم مثل هذا . هل وُلدت الأرض فى يوم واحد . أو تولد أمة دفعة واحدة» [١] . ونفس النبی يعطى فكرة أيضا عن الاسم الذى كان ينبغى أن تسمى به الأمة عندما يقول : «ويسمى عبيدى اسما جديدا سيكون مباركا على الأرض» [٢] .

(٤) وبالرغم من أنه واضح أننا حديثون، وأن هذا الاسم الجديد للمسيحيين لم يُعرف فعلا بين كل الأمم إلا حديثا، فإن حياتنا وتصرفاتنا وتعاليم ديانتنا لم تُخترع حديثا بواسطة، بل أُسست منذ أول خلق الإنسان بالذهن الطبيعى الذى لرجال القَدَم محبوبى الله . وسنبين حقيقة هذا الأمر بالطرق التالية .

(٥) من المعروف للجميع أن أمة العبرانيين ليست جديدة، بل هى مكرمة من الجميع على أساس قَدَمِها . فكتب وكتابات هذا الشعب تتضمن أوصافا عن قدماء البشر . صحيح أنهم نادرون وقليلو العدد، ولكنهم رغم ذلك يتميزون بالتقوى والبر وكل فضيلة أخرى . من هؤلاء عاش بعض الأفاضل قبل الطوفان، وغيرهم من أبناء وذرية نوح عاشوا بعد الطوفان، من ضمنهم إبراهيم الذى يعترف به العبرانيون بأنه مؤسسهم وجلهم .

(٦) إن أكد أحد بأن كل الذين تمتعوا بشهادة البر - من إبراهيم نفسه فصاعدا إلى الإنسان الأول - كانوا مسيحيين بالفعل إن لم يكن بالاسم فإنه لا يكون قد تعدى الحقيقة [٣] .

(١) إش ٦٦ : ٨ (٢) إش ٦٥ : ١٥ و ١٦ (٣) قارن ذلك بما ورد فى احتجاجات يوستينوس الشهيد ٥٠ : ٤٦

(٧) لأن مدلول الاسم أن المسيح، بسبب معرفة وتعليم المسيح، يتميز بالاعتدال والبر، بالصبر في الحياة وفضيلة الرجولة، ويتقوى الواحد الوحيد إله الكل - كل هذا مارسوه بغيرة ليست أقل منا.

(٨) فإنهم لم يهتموا بختان الجسد، كذلك نحن أيضا. ولم يهتموا بحفظ السبت، كذلك نحن أيضا. ولم يتجنبوا أنواعا معينة من الطعام، ولا راعوا الحواجز الأخرى التي سلمها موسى أولا لذريتهم لحفظها كرموز، كذلك لا يبالى مسيحيو اليوم الحاضر بمثل هذه الأمور. ثم إنهم أيضا عرفوا بوضوح المسيح الله ذاته، لأنه قد تبين فعلا أنه لإبراهيم، وأعلن لإسحق رؤى، وتحدث مع يعقوب، وناجى موسى وتكلم مع الأنبياء الذين جاءوا بعده.

(٩) من ثم ترون أن أولئك الأشخاص محبوبى الله قد أكرموا باسم المسيح طبقا للفقرة التي تقول عنهم : «لا تمسوا مسحاتى ولا تؤذوا أنبيائى» [٤].

(١٠) من ذلك يتضح أنه من الضرورى أن نفهم بأن الديانة التي كُرِّز بها أخيرا لكل الأمم بتعاليم المسيح هي أول وأقدم كل الديانات، وهي التي اكتشفها أولئك الرجال محبوبو الله في عصر إبراهيم.

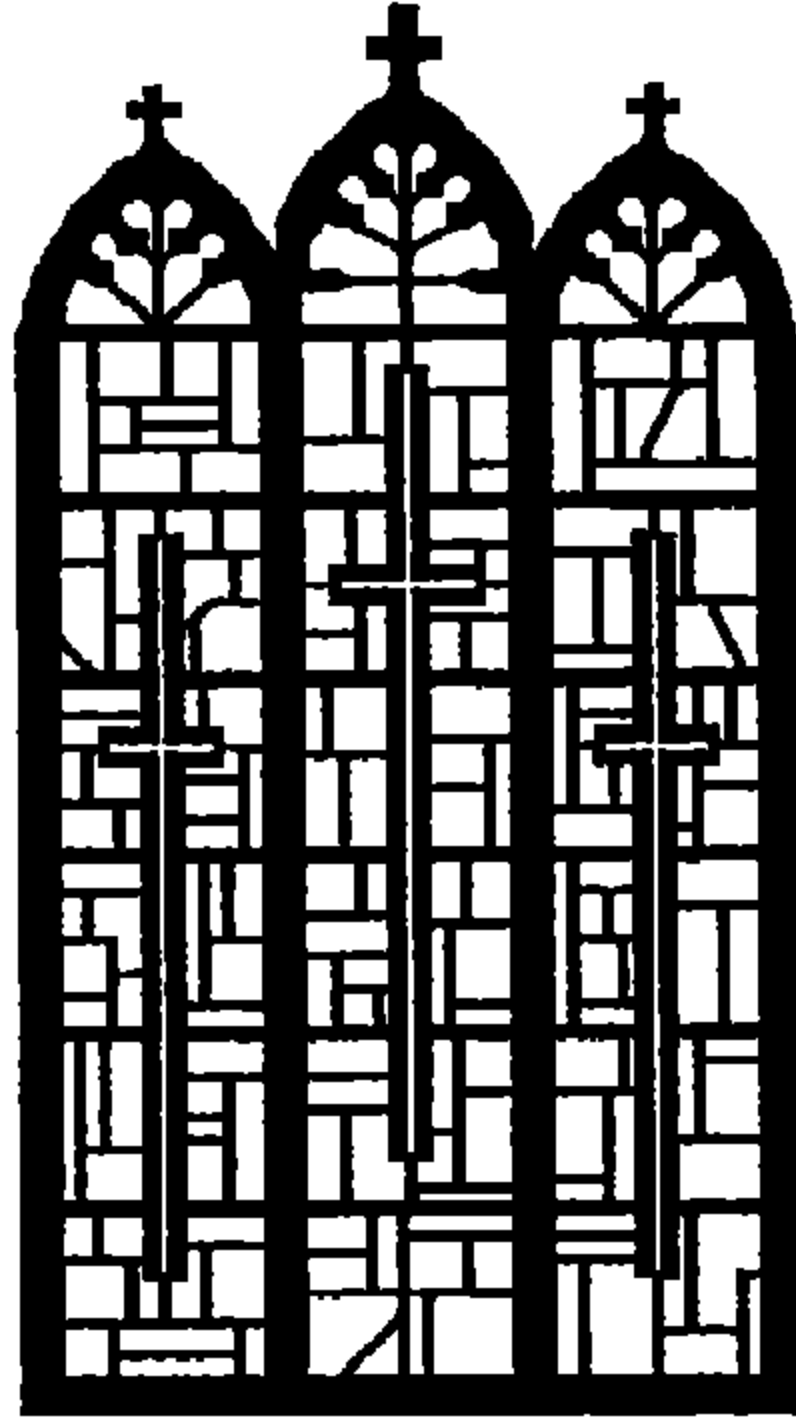
(١١) فإن قيل بأن إبراهيم بعد ذلك بحقبة طويلة قد أُعْطِيَ وصية الختان، أجبنا بأنه بالرغم من هذا قد أعلن من قبل بأنه نال شهادة التبرير بالإيمان، كما تقول الكلمة الإلهية : «قآمن إبراهيم بالله فحسب له برا» [٥].

(١٢) والواقع أن الله (المسيح ذاته كلمة الله) الذي أعلن ذاته لإبراهيم، الذي كان قبل ختانه مُبرِّرا، أعطاه نبوة عن الذين يتبررون في العصور التالية بنفس الطريقة التي تبرر بها هو. وكانت النبوة في هذه الكلمات : «وتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [٦]. وأيضا : يكون أمة عظيمة وكثيرة العدد. وتبارك به جميع أمم الأرض» [٧].

(١٣) ويحق لنا أن نفهم بأن هذه تمت فينا. لأنه إذ ترك خرافات آبائه، وغلطة حياته السابقة، واعترف بإله الكل الواحد، وعبدته بأعمال الفضيلة لا بخدمة الناموس الذي أُعْطِيَ فيما بعد على يد موسى، فإنه تبرر بالإيمان بالمسيح كلمة الله الذي ظهر له؛ إذ قيل لمن اتشح بهذه الصفات أن فيه تبارك جميع قبائل وأمم الأرض.

(١٤) على أن نفس ديانة إبراهيم هذه ظهرت مرة أخرى في العصر الحاضر، متممة بالأعمال، وهي أكثر فاعلية من الكلام، بواسطة المسيحيين وحدهم في كل العالم.

(١٥) فما الذى يمنعنا إذن من الاعتراف بأننا، نحن الذين للمسيح، نحيا نفس حياة رجال القِدَم محبوبى الله ونحتفظ بنفس دياتهم؟ ومن ذلك يتضح بأن الديانة الكاملة المسلّمة إلينا بتعاليم المسيح ليست جديدة ولا غريبة، بل - إن كان لابد من إظهار الحق - هي الديانة الأولى الحقيقية. ولعل في هذا القدر الكفاية في هذا الصدد.



الفصل الخامس

وقت ظهوره بين البشر

(١) والآن، وبعد هذه المقدمة الضرورية لمؤلفنا التاريخي، الذي شرعنا في كتابته عن الكنيسة، نستطيع البدء في رحلتنا، مبتدئين بظهور مخلصنا في الجسد. ونحن نلجأ إلى الله، أبي الكلمة، وإلى من كنا نتحدث عنه، يسوع المسيح نفسه مخلصنا وربنا، كلمة الله السماوي، كمعين لنا وعامل معنا في سرد الحق.

(٢) كان في السنة الثانية والأربعين من حكم أوغسطس، [١] وفي السنة الثانية والعشرين، بعد إخضاع مصر وموت أنطونيوس وكليوباترا، اللذين انتهت بموتهما أسرة البطالسة في مصر، أن مخلصنا وربنا يسوع المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، وفقا للنبيات التي تحدثت عنه [٢] وقد تمت ولادته أثناء الإحصائية الأولى، إذ كان كيرينيوس واليا على سورية [٣].

(٣) ويذكر أيضا فلافيوس يوسيفوس - أشهر المؤرخين العبرانيين - هذه الإحصائية التي تمت مدة حكم كيرينيوس. وفي نفس المناسبة، يعطى وصفا لثورة الجليليين التي حدثت في ذلك الوقت،

(١) يفترض يوسايبوس هنا أن حكم أوغسطس بدأ بموت يوليوس قيصر كما يقرر يوسيفوس في فصل ٩ : ١ من هذا الكتاب. لذا فهو يحدد تاريخ ميلاد المسيح في سنة ٧٥٢ لبناء مدينة رومية (أي سنة ٢ ق.م.)، وهذا يتفق مع ما قرره أكليمندس الإسكندري الذي قال بأن المسيح ولد بعد غزو مصر بثمانية وعشرين سنة، ومع ايبفانيوس أيضا. أما إيرينائوس وترتليانوس فيقرران بأن المسيح ولد في سنة ٧٥١ لبناء رومية (أي سنة ٣ ق.م.) وعلى أي حال، فقد كثر النزاع حول تحديد تاريخ ميلاد المسيح. ولكنه لا بد أن يكون قبل موت هيرودس الذي حدث في ربيع سنة ٧٥٠ لبناء رومية (أي سنة ٤ ق.م.) ويرجح البعض أنه ولد سنة ٧ ق.م.

ويحدد بعض مؤرخي الكنيسة القبطية يسوم الميلاد بأنه تم في يوم ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) الموافق ٢٨ كيهك (الخريفة النفيسة، ص ١٦).

(٢) مي ٥ : ٢

(٣) لو ٢ : ٢ - يظن البعض أن في رواية لوقا صعوبة تاريخية على أساس أن كيرينيوس أقيم واليا على سورية سنة ٦١م، وفي عهده أجرى إحصاء ذكره يوسيفوس (١٧ : ١٣ و ١٨ : ١). وهذا الإحصاء أو الاكتتاب هو المشار إليه في (اع ٥ : ٣٧)، وهو الذي تم بعد ولادة المسيح بنحو عشر سنوات، وأنه ليس هو الذي أشار إليه لوقا في إنجيله (٢ : ٢). على أن العالمين «زومبت» Zumpt و «مومسين» Mommsen أثبتا أنه قد وُلِّيَ الحكم على سورية واليان باسم كيرينيوس الأول في خريف سنة ٤ ق.م. حتى سنة ١ ق.م.

والتي يرويها أيضا من كتابنا لوقا في سفر الأعمال في الكلمات التالية : «بعد هذا الرجل قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتساب وأزاع وراءه شعبا غفيرا . فذلك أيضا هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا» [٤]

(٤) أما المؤلف المشار إليه بعاليه فإنه، في الكتاب الثامن عشر من «الآثار القديمة»، يضيف العبارة التالية التي تتفق تماما مع ما تقدم، والتي نثبتها هنا بدقة : «إن كيرينيوس، وهو عضو مجلس الشيوخ، وتقلد مناصب أخرى حتى وصل إلى وظيفة القنصلية، وهو أيضا رجل جليل القدر من نواح أخرى، هذا جاء إلى سورية مع حاشية قليلة إذ أرسله قيصر ليكون قاضيا للأمة وليعمل تقديرا لأملاكهم» [٥]

(٥) وبعد قليل يقول : «ولكن يهوذا الجولوني» [٦] وكان من مدينة تدعى جمالا (Gamala)، إذ أخذ معه صادوخوس الفريسي - حرض الشعب على الثورة، وقال كلاهما إن دفع الضرائب لا يعنى إلا العبودية الصريحة، حاثين الأمة للدفاع عن الحرية» .

(٦) وفي كتابه الثاني عن «تاريخ حرب اليهود»، كتب ما يلي عن نفس الشخص : «في هذا الوقت قام شخص جليلي يدعى يهوذا، وأقنعه شعبه ليثوروا، معلنا بأنهم إن قبلوا دفع الجزية للرومانيين، وإن احتملوا أسيادا فانيين من دون الله دلوا على أنهم جبنة» . هذا ما دونه يوسيفوس [٧]



(٤) أع ٥ : ٣٧

(٥) يوسيفوس : آثار : ١٨ : ١ : ١ . انظر كتاب ٣ فصل ٩ من هذا الكتاب لتعرف أكثر عن يوسيفوس وكتابات .
(٦) Gaulonite دعى «يهوذا الجليلي» في (أع ٥ : ٣٧) ويوسيفوس «حروب اليهود» ٢ : ٨ : ١ ، أما هنا فيلقبه يوسيفوس بلقبه الكامل . وكانت جولونيا Gaulonitis تقع شرق الأردن تجاه الجليل، وكان الاسم الذي اشتهر به هو «يهوذا الجليلي»، إما لأن الثورة التي قام بها نشأت في الجليل، أو لأن القسم الشمالي من المملكة كان يطلق عليه اسم «الجليل» . وكان شخصية فلة التف حوله عدد غفير، وقد أعلن باسم الدين رفضه دفع الجزية إلى روما، كما رفض كل خضوع لأي نير أجنبي . وانتشرت الثورة بكل سرعة، وسادت الفوضى كل البلاد، ولكن الرومانيين كانوا أقوى منه فهلك، والذين انقادوا إليه تشتتوا . ولقد كان تأثير يهوذا قويا جدا واستمر طويلا حتى أن يوسيفوس دعا نزعتة «فلسفة اليهود الرابعة» بعد تعاليم الفريسيين والصدوقيين والإسينيين . وكان يميز هذه النزعة حب الحرية .

(٧) «حروب اليهود» ٢ : ٨ : ١ .

الفصل السادس

**حوالى عصر المسيح بطل عهد الحكام الذين حكموا الأمة اليهودية
بالتتابع منذ القدم، وذلك وفقا للنبوة . وملك هيرودس،
وهو أول أجنبي**

(١) لما ملك هيرودس، [١] وهو أول حاكم من دم أجنبي، تمت نبوة موسى، التى بموجبها «لا يتعلم رئيس من يهوذا ولا حاكم من بين رجليه حتى يأتى ذاك الذى قد حفظ له» [٢] . ويبين أيضا أن هذا الأخير كان هو انتظار الأمم .

(٢) بقيت هذه النبوة بغير إتمام طالما كان مسموحا لهم بأن يعيشوا تحت حكم ولاية من أمتهم، أى من وقت موسى إلى حكم أوغسطس . وتحت حكم الأخير أعطى لهيرودس، أول أجنبي حكم مملكة اليهود من قبل الرومانيين، وقد كان، كما يروى يوسفوس، أدوميا [٣] من جهة أبيه، وعربيا من جهة أمه . ولكن أفريكانوس، [٤] الذى كان أيضا كاتباً ممتازاً، يقول إن الذين كانت لديهم عنه معلومات أدق يقررون بأنه كان ابن أنتيباتر، وهذا الأخير هو ابن شخص يدعى هيرودس من أهالى أشقلون [٥] وأحد المدعوين خلداما فى هيكل أبولو .

(١) هيرودس العظيم ابن انتيباتر، وهو أدرمى . وقد عُيِّن والياً على اليهودية من قبل قيصر سنة ٤٧ ق.م . وفى سنة ٤٠ ق.م . عينه مجلس الشيوخ حاكماً على الجليل وملكاً على اليهودية .

(٢) تك ٤٩ : ١٠ وهنا تختلف الترجمة السبعينية، التى يقتبس منها يوسابيوس كعادته، عن سائر الترجمات .

(٣) الأدوميون هم سلالة عيسر، وسكنوا شبه جزيرة سيناء جنوب البحر الميت . وكانت أهم وأقوى مدينة لهم هى المدينة الصخرية «پترا» . وكانوا أعداء لليهود بصفة مستمرة . فقد رفضوا أن يسمحوا لهم باجتياز أرضهم (عد ٢٠ : ٢٠) وتغلب عليهم شاول وداود، ولكنهم استردوا استقلالهم إلى أن أخضعوا خضوعاً كاملاً نهائياً بواسطة يوحنا هيركانوس الذى ترك لهم امتلاك أرضهم ولكنه اضطرهم أن يختنوا ويقبلوا الناموس اليهودى . انظر يوسفوس «آثار» ١٣ : ٩ : ١ ، ١٥ ؛ ٧ : ٩ ، «تاريخ حروب اليهود» ٤ : ٥ .

(٤) بخصوص أفريكانوس : انظر كتاب ٦ فصل ٣١ من هذا الكتاب . وقد ورد هذا الوصف فى رسالة أفريكانوس إلى اريستيدس واقتبسه يوسابيوس فى الفصل التالى .

(٥) إحدى مدن الفلسطينيين الخمسة، وطالما ذكرت فى العهد القديم، وتقع على البحر الأبيض المتوسط بين غزة ويافا . وقد جعلها هيرودس رغم أنها لم تكن تابعة له، وبعد موته صارت مقراً لاخته سالوما .

(٣) أما أنتيباتر هذا فإنه لما كان ولدا أسره بعض لصوص أدوميين وعاش معهم، لأن أباه عجز عن دفع فدية عنه لفقره. وإذ شب على عوائدهم، صار فيما بعد صديقا لهيركانوس [٦] رئيس كهنة اليهود، وكان هيرودس هذا - الذى عاش فى أيام مخلصنا - ابنا له.

(٤) ولما آلت مملكة اليهود إلى شخص كهذا، كان رجاء الأمم قد اقترب وفقا للنبوة. لأنه بملكه وضع حدا لرؤسائهم وحكامهم الذين حكموا بتتابع مستمر منذ أيام موسى.

(٥) فإنهم قبل سبيهم ونقلهم إلى بابل، كان يحكمهم شاول أولا ثم داود، وقبل الملوك كان يحكمهم قادة يدعون قضاة، وهم الذين أتوا بعد موسى ويشوع خلفه.

(٦) وبعد عودتهم من السبي استمروا محتفظين بلا انقطاع بنوع أرستقراطية من الحكم مع حكم الأعيان، لأن الكهنة كانوا يديرون الشؤون حتى احتل بومبي القائد الرومانى أورشليم بالقوة، ودنس الأماكن المقدسة بدخوله قدس أقداس الهيكل الداخلى [٧] وأرسل أرستوبولس - الذى بحسب حق الخلافة القديمة كان إلى ذلك الوقت ملكا ورئيس كهنة مع أولاده إلى رومية فى سلاسل، وأعطى هيركانوس أخ أرستوبولس رئاسة الكهنوت، بينما صارت كل أمة اليهود تحت حكم الرومانيين منذ ذلك الوقت [٨].

(٧) على أن هيركانوس، الذى كان آخر سلالة رؤساء الكهنة الشرعيين، سرعان ما أسره بعد ذلك البرثيون، [٩] وصار هيرودس - أول أجنبي كما قدمت - ملكا على الأمة اليهودية بواسطة مجلس الشيوخ وبواسطة أوغسطس.

(٦) هيركانوس الثانى، الابن الأكبر للملك إسكندريانوس من عائلة المكابيين، صار رئيس كهنة لدى موت أبيه سنة ٧٨ ق.م. وعند موت أمه سنة ٦٩ ق.م. اعتلى العرش. ولكنه تنازل عن الملك لأخيه الأصغر أرستوبولس سنة ٦٦ ق.م. وبتأثير أنتيباتر الأدومى حاول استرداده، وبعد حرب طويلة مع أخيه أقامه بومبيوس فى سنة ٦٣ ق.م. كرئيس كهنة ووال لا كملك. وقد احتفظ بمركزه حتى سنة ٤٠ ق.م. حيث طرده ابن اخته أنتيجونس. وفى سنة ٣٠ ق.م. قُتل بأمر هيرودس الكبير الذى تزوج حفيده مريم. وقد كان رجلا ضعيفا، ظل تحت نفوذ خادمه أنتيباتر طول مدة حكمه.

(٧) سنة ٦٣ ق.م. حينما دفع حب الاستطلاع بومبي للتهجم على قلنس الأقداس. وقد أثرت فيه جدا بساطته، وخرج دون أن يمس نقائسه، متعجبا من تلك الديانة التى ليس لها إله منظور.

(٨) بطل فعلا الاستقلال الحقيقى لليهود فى ذلك الوقت، ولم تصر أورشليم مستقلة عن روما إلا ثلاث سنوات (٤٠-٣٧ ق.م.) ولكن سرعان ما استعادها هيرودس الكبير، فصارت من ذلك الوقت فى خضوع تام للرومانيين.

(٩) أى فى سنة ٤٠ ق.م. عندما أخذ أنتيجونس أورشليم بمساعدة البرثيين وأقام نفسه ملكا عليها إلى أن قهره هيرودس سنة ٣٧ ق.م. وقد عاد هيركانوس إلى أورشليم سنة ٣٦ ق.م. ولكنه لم يبق بعد رئيس كهنة.

(٨) فى عهدده ظهر المسيح فى شكل جسدى، وتبع ذلك خلاص الأمم المنتظر ودعوتها وفقا للنبوة [١٠] من ذلك الوقت انتهى زمن رؤساء وحكام يهوذا، أعنى الأمة اليهودية، وكنتيجة طبيعية تسربت الفوضى [١١] فى الحال إلى وظيفة رئاسة الكهنوت التى استمرت فى خلافة متتابعة بكل انتظام من جيل إلى جيل منذ القديم.

(٩) يشهد بهذا أيضا يوسيفوس، الذى يبين بأنه عندما أقام الرومانيون هيرودس ملكا لم يعد بعد يعين رؤساء الكهنة من السلالة القديمة، بل أعطى الوظيفة لبعض أشخاص حاملى الذكر، وقد سار على تقليد هيرودس فى تعيين الكهنة ابنه أرخيلالوس [١٢] والرومانيون من بعده الذين تولوا الحكم [١٣].

(١٠) ويبين نفس الكاتب أن هيرودس كان أول من أغلق على رداء رئيس الكهنة بختمه، ولم يسمح لرؤساء الكهنة أن يحتفظوا به لأنفسهم. ونفس التقليد اتبعه أرخيلالوس من بعده، ويعد أرخيلالوس الرومانيون.

(١١) هذه الأمور سجلناها لنبين أنه بظهور مخلصنا يسوع المسيح تمت نبوة أخرى، لأن الكتاب المقدس فى سفر دانيال [١٤] بعد أن ذكر بصراحة عددا معينا من الأسابيع حتى مجيء المسيح، الأمر الذى عاجلناه فى كتب أخرى، تنبأ بكل وضوح أنه بعد إكمال هذه الأسابيع تتلاشى المسحة بين اليهود نهائيا. وقد بينا بوضوح تام أن هذا ما تم وقت ولادة مخلصنا يسوع المسيح.

وكان لزاما علينا أن نأتى بهذه المقدمة المنطقية كبرهان على صحة الأرمنة.



(١٠) (انظر اش ٩ : ٢ : ٤٢ : ٦ : ٤٩ : ٦ : الخ).

(١١) إن ما قرره يوسايبوس صحيح جدا. فإن رئاسة الكهنوت ظلت محفوظة بدقة تسلسلها حتى هيركانوس الثانى، وهو آخر واحد فى السلسلة الشرعية. وبعد ذلك أصبح رئيس الكهنة يعين حسبما كان يحسن فى نظر الولاة. وقد بدأ هيرودس الكبير بعادة عزل رئيس الكهنة فى حياته، وفى مدته عين ما لا يقل عن ستة رؤساء كهنة.

(١٢) أرخيلالوس هو ابن هيرودس الكبير من مالتاكة امرأة سامرية، والاخ الأصغر لهيرودس انتيباس. وعند موت أبيه سنة ٤ ق.م. ولى حكم أدومية والسامرة واليهودية.

(١٣) بعد موت أرخيلالوس سنة ٧م أصبحت اليهودية ولاية رومانية يحكمها حاكم فرعى إلى أن جاء هيرودس أغريباس الأول سنة ٣٧م، انظر الكتاب التالى فصل ٤ فيما يلى. وكان تغيير رؤساء الكهنة فى هذه الفترة سريعا جدا. حتى لقد أقيم ١٩ رئيس كهنة على الأقل بين موت أرخيلالوس وسقوط أورشليم.

(١٤) دا ٩ : ٢٦.

الفصل السابع

التناقض المزعوم فى الأناجيل بصدد نسب المسيح

(١) لقد أعطانا متى ولوقا فى إنجيليَّهما نسب المسيح، كل منهما بطريقة مختلفة، ويتوهم الكثيرون أنهما يتناقضان مع بعضهما. وحيث أنه نتج عن ذلك أن كل مؤمن، وهو يجهل الحق، قد تحمس لابتداع تفسير يوفق بين الروايتين، فاسمحوا لنا أن نذيل الوصف الذى وصل إلينا والذى قدمه أفريكانوس، السابق ذكره فيما تقدم، فى رسالته إلى أريستيديس [١] حيث يبين توافق سلسلتى النسب الواردتين فى الإنجيلين. وبعد دحض آراء الآخرين كأراء مزورة ومضللة، يقدم الوصف الذى تلقاه من التقليد [٢] فى هذه الكلمات :

(٢) «ونظرا لأن أسماء الأنساب كانت تراعى فى إسرائيل إما وفقا للطبيعة، أو وفقا للناموس - وفقا للطبيعة بتعاقب الذرية الشرعية، ووفقا للناموس كلما أقام شخص آخر نسلا لاسم أخيه الذى مات بلا نسل [٣] لأنه إذ لم يكن قد أُعطيَ بعد رجاء واضح عن قيامة الأموات، فقد مثلوا وعد المستقبل بنوع من القيامة البشرية لكى يستمر اسم الشخص المائت.

(٣) «ونظرا لأن بعض الذين أُدرجوا فى قائمة النسب هذه تسلسلوا بحسب النسل الطبيعى، الابن من الأب، أما الآخرون فبالرغم من ولادتهم من أب معين قد نُسبوا إلى غيره، فقد ذكر هذا وذاك، ذكر الآباء الفعلين كما ذكر الآباء الاسميون.

(٢) بخصوص أفريكانوس: انظر كتاب ٦ فصل ٣١. ولعل محاولة أفريكانوس كانت هى أول مجهود للتوفيق بين نسبى المسيح. وفى اعتقاده أن النسيين هما ليوسف، وكان هذا هو رأى السائد على جميع الآباء فى القديم، ولو أن التناقض الظاهري أمكن إيجاد أسبابه كما يقول. أما السبب الذى قدمه أفريكانوس فهو ناشئ عن ناموس الزواج بزوجة الأخ بعد موته.

وإن صبح ان كلا النسيين يتصلان بيوسف، فإن أحسن تعليل لهذا هو أن السلسلة التى ذكرها متى تمثل السلالة للخلفاء الشرعيين لعرش داود، أما لوقا فيبين سلسلة التناسل الفعلى، وهناك رأى آخر هو أن لوقا يبين نسب مريم. ولزيادة الإيضاح يمكن الرجوع إلى التفاسير المختلفة عن نسب المسيح.

(٢) لعل يوسابيوس أخطأ فى قوله أن أفريكانوس تلقى التفسير التالى من التقليد. لأن أفريكانوس نفسه يقول صراحة فى الفقرة (١٥) التالية أن تفسيره لا تدعمه الشهادة.

(٣) هذا الناموس مفصل فى (تث ٢٥ : ٥ النخ).

(٤) «لذلك لا يمكن نسبة أى خطأ لأحد الإنجيليين، لأن الواحد نظر إلى التناسل بالطبيعة والآخر بالناموس . فسلسلة التناسل من سليمان وسلسلة التناسل من ناثان[٤] مشتبكتان فى بعضهما بسبب إقامة نسل لمن لا نسل له وبسبب الزيجة الثانية حتى أن نفس الأشخاص يعتبرون بحق تابعين لواحد فى أحد الأوقات وللآخر فى وقت آخر، أى فى أحد الأوقات للأباء الاسمين وفى وقت آخر للأباء الفعليين .

ولذلك فإن كلتا هاتين الروايتين صحيحتان جدا، وتتصلان بيوسف وان كان فيهما شيء من التعقيد فعلا إلا أنهما فى منتهى الدقة .

(٥) «ولتوضيح ما قلته سأفسر تغاقب الأجيال . إذا أحصينا الأجيال من داود عن طريق سليمان وجدنا الثالث قبل الأخير هو متان الذى ولد يعقوب أبا يوسف . أما إذا أحصيناها مع لوقا من ناثان بن داود وجدنا أيضا الثالث قبل الأخير هو ملكى[٥] الذى كان ابنه هالى أبا يوسف . لأن يوسف هو ابن هالى بن ملكى .

(٦) «ولأن يوسف هو العنصر الرئيسى أماننا وجب أن نوضح كيف دون أن كلا منهما أبوه، أى يعقوب الذى تناسل من سليمان، وهالى الذى تناسل من ناثان، أولا كيف كان هذان الاثنان يعقوب وهالى أخين، وثانيا كيف كان أبواهما متان وملكى جدين ليوسف وإن كانا من عشيرتين مختلفتين .

(٧) «فإن متان وملكى إذ تزوجا امرأة واحدة على التعاقب ولدا ولدين كانا أخوين من جهة الأم . لأن الناموس لم يحرم على الأرملة - سواء كانت أرملة بالطلاق أو بموت بعلمها - التزوج بآخر .

(٨) «أذن فمن أستا[٦] (لأن هذا هو اسم المرأة وفقا للتقليد) ولد متان (وهو من سلالة سليمان) أولا يعقوب . وعندما مات متان فإن ملكى (الذى من سلالة ناثان) إذ كان من نفس السبط، ولكن من عشيرة أخرى، تزوجها كما قيل من قبل، وولد ابنا هو هالى .

(٤) ناثان ابن لداود وبشبع . ولذا فهو أخ شقيق لسليمان (٢ صم ٥ : ١٤ ، ١ أى ٣ ، ٥ ، ١٤ : ٤) .

(٥) ملكى هذا هو الخامس من الآخر فى النسخة التى بين أيدنا لأنجيل لوقا ٣ : ٢٤ . ويتوسط مثات ولاوى بين ملكى وهالى - والأرجح أن النسخة التى رجع إليها أفريكانوس حذفت اسمى مثات ولاوى .

(٦) Estha لا نعرف عنها شيئا أكثر من هذا - والأرجح أن أفريكانوس يشير إلى التقليد الذى وصل من أقرباء المسيح الذين كما يقول احتفظوا بسلسلة النسب التى تنفق مع ما ورد فى الإنجيليين . وهو يميز هنا بين ما وصل إليه من التقليد وبين تفسيره الخاص للخلافات الواردة بين الإنجيليين .

(٩) «وهكذا نرى أن الاثنين (يعقوب وهالي) من أم واحدة، وإن كانا من عشيرتين مختلفتين . وهذان عندما توفي أحدهما، هالي، بلا نسل تزوج يعقوب أخوه امرأته وولد منها ابنا هو يوسف ابنه بحسب الطبيعة وبالتالي بحسب المنطق . لذلك أيضا كتب «ويعقوب ولد يوسف [٧]» . أما بحسب الناموس فقد كان ابن هالي، لأن يعقوب إذ كان أخا للأخير أقام له نسلا .

(١٠) «وذلك لكي لا تعتبر باطلة سلسلة النسل منه التي يذكرها متى الإنجيلي هكذا «ويعقوب ولد يوسف» . أما لوقا فإنه من الناحية الأخرى يقول «وهو على ما كان يظن (وهذه العبارة يضيفها من أجل هذا الغرض) ابن يوسف بن هالي بن ملكي، لأنه لم يستطع أن يذكر النسب حسب الناموس بصراحة أوفر . ثم إنه حذف هذه الكلمة «ولد» في قائمته إلى النهاية، ووصل بالنسب إلى آدم ابن الله .

(١١) أما هذا التعليل فليس مما يتعذر معه إقامة الدليل، ولا هو مجرد تخمين وهمي . لأن أقرباء ربنا حسب الجسد قد سلموا الرواية التالية، وسواء كان ذلك للرغبة في الافتخار أو لمجرد الرغبة في ذكر الأمر الواقع، فإنهم في كلتا الحالتين صادقون . أما الرواية المذكورة فهي كما يلي : إن بعض اللصوص الأدوميين سطوا على اشقلون، وهني مدينة في فلسطين، وحملوا من هيكل أبولو، القائم بجانب الأسوار، عدا الغنائم الأخرى، أنتياتر ابن أحد خدام الهيكل اسمه هيرودس، ولأن الكاهن لم يستطع أن يدفع فدية عن ابنه حمل أنتياتر إلى جمارك الأدوميين، وبعد ذلك صادقه هيركانوس رئيس كهنة اليهود .

(١٢) «وإذ أرسله هيركانوس في مهمة إلى بومبي، وإذ أعاد إليه المملكة التي كان قد غزاها أخوه أرسطوبولس، فقد أسعده الحظ أن يدعى واليا على فلسطين [٨] . ولكن إذ قتل أنتياتر بواسطة من حسدوه من أجل حظة الطيب فقد خلفه ابنه هيرودس الذي صار فيما بعد ملك اليهود أيام أنطونيوس وأوغسطس، وذلك بناء على قرار أصدره مجلس الأعيان . أما أولاده فكانوا هيرودس وبقية الولاة الأربعة [٩] . وهذه الرواية تتفق أيضا مع رواية اليونانيين .

(١٣) ولكن لأنه كانت قد حفظت في السجلات إلى ذلك الوقت أنساب العبرانيين، وكذا أنساب الدخلاء أمثال أخيور [١٠] العموني وراعوث المؤابية، الذين اختلطوا بالإسرائيليين وخرجوا من مصر معهم، فإن هيرودس إذ رأى أن أنساب الإسرائيليين لا يوجد فيها شيء في مصلحته، ولأنه كان

(٧) (مت ١ : ٦) . (٨) كأمريوليوس قيصر في سنة ٤٧ ق . م . انظر الملاحظة (١) صفحة ٣٠ .

(٩) أرخيلائوس وهيرودس انتياس وهيرودس فيلبس الثاني .

(١٠) كان قائدا عموميا (يهوديت ٥ : ٥) في جيش هولوفرنس الذي بحسب سفر يهوديت كان قائدا لنبوخذ نصر ملك

الأشوريين وقتله البطلة اليهودية يهوديت . وقد انضم فيما بعد إلى شعب اليهود وأصبح دخيلا يهوديا (يهوديت ١٤ :

دائما تنغصه نخساسة أصله، فقد حرق كل سجلات الأنساب، ظنا منه بأنه قد يبدو من أصل شريف إن لم يوجد غيره من يستطيع أن يثبت من السجلات العامة أنه كان ينتمى للآباء البطارقة الأولين أو الدخلاء أو الذين اختلطوا بهم الذين كانوا يسمون «جورى» [١١] .

(١٤) «ومع ذلك فإن عددا قليلا من الحريصين، إذ حصلوا على سجلات خاصة ملك لهم، إما بتذكر الأسماء أو بالحصول عليها بطريقة أخرى من السجلات، فإنهم يفخرون بحفظ تذكارات أصلهم النبل ومن ضمنهم أولئك السابق ذكرهم الذين يسمون «دسبوسينى» [١٢] بسبب علاقتهم بعائلة المخلص، استقوا سلسلة النسب هذه من الذاكرة، ومن سفر السجلات اليومية، بمنتهى ما يمكن من الأمانة .

(١٥) «وفى اعتقادى، وفى اعتقاد كل مخلص أمين، يوجد تفسير أوضح لبيان صحة هذا الموقف . ولنكتف بهذا القدر، لأننا وإن كنا لا نستطيع أن نبرر أية شهادة لتدعيمه [١٣] فإننا ليس لدينا شيء أفضل أو أصح لتقديمه . وعلى أى الحالات فإن الإنجيل يقرر الحق» .

(١٦) وفى نهاية نفس الرسالة يضيف هذه الكلمات «ومتان، الذى انحدر من سليمان، ولد يعقوب . وعندما مات يعقوب فإن ملكى، الذى انحدر من ناثان، ولد هالى من نفس المرأة . وهكذا كان هالى ويعقوب اخوين من أم واحدة . وإذ مات هالى بلا نسل أقام له يعقوب نسلا وولد يوسف ابنه بالطبيعة، ولكن ابن هالى بالناموس . وهكذا كان يوسف ابنا لكليهما» . إلى هنا انتهت أقوال أفريكانوس .

(١٧) وإذ تتبعنا نسب يوسف هكذا فإنه يتبين فعلا أن مريم أيضا من نفس سبطه، لأنه، طبقا لناموس موسى، لم يكن مسموحا الزواج من سبط آخر [١٤] ، فالأمر الصادر هو أن يتزوج المرء من نفس العشيرة ومن نفس السلالة، لكى لا ينتقل الميراث من سبط إلى سبط . ولعل فى هذا الكفاية الآن .

(١١) وردت هذه الكلمة فى (خر ١٢ : ١٩) «الغريب» وترجمت فى ترجمة اليسوعيين «الدخيل»، وترجمت فى الترجمة السبعينية «محتل الأرض»، ويشير أفريكانوس هنا إلى الخارجين من مصر مع الأسرائيليين سواء كانوا من المصريين الوطنيين أو الغرباء المقيمين بمصر . ويحدثنا الكتاب فى (خر ١٢ : ٣٨) أنه صعد مع بنى إسرائيل «لفيف كثير» (أى خليط) .

(١٢) Desposyni هم السابق تسميتهم فى الفقرة ١١ من هذا الفصل أقرباء المخلص حسب الجسد، أما الكلمة اليونانية فمعناها «متصل بسيد» .

(١٣) قارن هذا بما ورد فى الملاحظة (٢) صفحة (٣٤) . هنا يقرر أفريكانوس صراحة بأنه لا يستند فى تفسيره لنسب المسيح إلى شهادة أقرباء المسيح بل كان التفسير نتيجة دراسته للكتاب .

(١٤) الناموس الذى يشير إليه يوسايبوس هو الوارد فى (عد ٣٦ : ٦ و ٧) . ولكن التحريم الوارد به لم يكن مطلقا بل كان يخص الوارثات اللاتى لم يكن مسموحا لهن الزواج من غير أسباطهن لئلا يخسرن ميراثهن . وعلى أى حال فقد جرى العرف العام بين اليهود أن لا يتم الزواج إلا أن كان من نفس السبط .

الفصل الثامن

قسوة هيرودس نحو الأطفال ، وكيفية موته

(١) لما ولد المسيح في بيت لحم اليهودية، وفقا للنبوءات، في الوقت السابق توضيحه، اشتد انزعاج هيرودس بسبب سؤال المجوس الذين أتوا من المشرق سائلين أين هو المولود ملك اليهود. لأنهم رأوا نجمة، وكان هذا هو الدافع لهم للقيام برحلة طويلة كهذه، إذ كانوا متحمسين للسجود للطفل كاله. توهم هيرودس أن مملكته ستتعرض للخطر، لذلك سأل علماء الناموس في الأمة اليهودية أين توقعوا أن يولد المسيح؟ وعندما علم أن نبوة ميخا [١] أعلنت بأن بيت لحم كان يجب أن تكون محل ميلاده أصدر مرسوما بقتل جميع أطفال بيت لحم وما حولها الذكور من ابن ستين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس، ظنا منه بأن يسوع - كما كان محتملا فعلا - سوف يشترك مع سائر الأطفال الذين في سنه في نفس المصير.

(٢) ولكن الطفل نجا من الفخ إذ حمله أبواه إلى مصر بعد أن أعلمهما، بما كان مزمعا أن يحدث، ملاك ظهر لهما. وهذه الأمور سجلها الكتاب المقدس في الإنجيل [٢].

(٣) وما هو جدير بالذكر فضلا عن هذا أن نلاحظ الجزاء الذي لقيه هيرودس بسبب جريمته التي تجاسر على ارتكابها ضد المسيح وسائر الأطفال من نفس السن. لأن الانتقام الإلهي حل به مباشرة. ومن دون أقل أبطاء، بينما كان لا يزال حيا، وجعله يتذوق مقدما ما كان مزمعا أن يلقاه بعد الموت.

(٤) ولا يمكن أن نروى هنا كيف إنه عثم هناة حكمه المزعومة بالمصائب المتتالية في عائلته، بقتله زوجته وأطفاله، وغيرهم من أقرب أقربائه وأعز أصدقائه. أما الوصف الذي يغطي على كل الفواجع الأخرى فتراه مدونا بالتفصيل في تواريخ يوسفوس.

(١) مت ٢

(٢) كان حكم هيرودس ناجحا وموفقا جدا ولم ترعجه الحوادث الخارجية في معظم الأوقات، ولكن حياته العائلية كانت مريرة بسبب الفواجع المستمرة التي نتجت عن غير زوجاته العشر وأولادهن. وفي أوائل حكمه قتل هيركانوس جد أحب زوجاته مريم بسبب شكه في التآمر عليه وبعد ذلك بقليل قتل مريم نفسها. وفي سنة ٦ ق. م. قتل ابنها اسكتند وارسطوبولس.

وفي سنة ٤ ق. م. قتل أنثياتر ابنه الأكبر. وقد اقترنت حوادث القتل هذه أيضا بقتل الكثيرين من الأصدقاء والأقارب الذين كان يتهمهم بالخيانة.

(٥) وأما كيف دفعه قصاص الله إلى الموت بعد جريمته ضد مخلصنا وسائر الأبطال مباشرة فيمكن أن نراه بأكثر تفصيل في كلمات ذلك المؤرخ الذي كتب ما يلي عن نهايته في الكتاب السابع عشر من تاريخه عن اليهود:

(٦) «على أن مرض هيرودس ازداد شناعة لأن الله أوقع عليه القصاص بسبب جرائمه . لأن نارا بطيئة اشتعلت في داخله لم تظهر لمن كان يلمسه، بل رادت أحزانه الداخلية . إذ كانت له رغبة ملحة للطعام لم يكن ممكنا له مقاومتها . وأصيب أيضا بقروح في الأمعاء، وأصيب بصفة خاصة بآلام في القولون، كما أصيب بأورام مائية في قدميه .

(٧) «وكان يشكو أيضا من تعب مائل في بطنه . والأكثر من هذا ان عضوه السرى تحجر وكانت تخرج منه الديدان . وكان أيضا يجد صعوبة شديدة في التنفس، بل كان نفسه كريها بسبب الرائحة الكريهة وسرعة التنفس . وأصيب أيضا بتقلص في كل أطرافه، الأمر الذي أدى إلى عدم تمالك قواه .

(٨) «وقد قال فعلا أولئك الذين أعطيت إليهم قوة العرافة والحكمة لتفسير مثل هذه الحوادث أن الله أوقع هذا القصاص على الملك بسبب شره المستطير وعدم تقواه» .

(٩) هذا ما رواه الكاتب المذكور في الكتاب المشار إليه . وفي الكتاب الثاني من تاريخه يعطى وصفا مشابها عن نفس الشخص (هيرودس) كما يلي:

«وعندئذ استحكم المرض في كل جسمه، وسبب له آلاما متنوعة . لأنه أصيب بحمى بطيئة، وكان جرب الجلد في كل جسمه لا يطاق . وكان يشكو أيضا من آلام مستمرة في القولون، وكانت هناك أورام في قدميه كتلك التي تحمل بشخص مصاب بمرض الاستسقاء . أما بطنه فكانت ملتهبة، وتحجر عضوه السرى وكانت تخرج منه الديدان . وعلاوة على هذا فلم يكن ممكنا له أن يتنفس إلا إن كان مستقيما، وفي هذه الحالة كان لا يتنفس إلا بصعوبة، وتقلصت جميع أطرافه، حتى قال العرافون إن أمراضه كانت قصاصا .

(١٠) «ورغم صراعه ضد الام كهذه فإنه تشبث بالحياة، وكان يرجو السلامة، ودبر خططا للشفاء . فمثلا إذ كان يعبر الأردن كان يستعمل الحمامات الساخنة في كاليرو[٣] التي كانت تفيض في بحيرة الأسفلت[٤]، ولكنها في حد ذاتها كانت عذبة للشرب .

(٣) مدينة كانت شرق البحر الميت .

(٤) هذا هو الاسم الذي طالما أطلقه يوسفوس على البحر الميت .

(١١) «وهنا ظن أطباؤه أنهم يستطيعون تدفئة كل جسمه بالزيت الدافئ ولكنهم عندما وضعوه في برميل مملوء بالزيت ضعفت عيناه وارتفعتا إلى فوق كعيني شخص ميت . وعندما رفع خدامه أصواتهم صارخين أفاق بسبب الصوت . وإذ يشأ أخيرا من الشفاء أمر بتوزيع خمسين درهما على الجند، واعطاء مبالغ كبيرة لقواده وأصدقائه .

(١٢) «وبعد ذلك إذ رجع أتى إلى أريحا حيث تملكته حالة نفسية سويداوية، فدبر ارتكاب عمل فاحش كأنه أراد تحدى الموت نفسه . لأنه جمع من كل مدينة أبرز رجال كل اليهودية، وأمر بأن يغلق عليهم فى المكان المسمى بسباق الخيل .

(١٣) «ثم استدعى سالومة [٥] أخته والأسكندر [٦] زوجها وقال: أنا أعلم أن اليهود سيفرحون بموتى . ولكن قد يتحجب على الآخرون ويقام لى جناز رائع إن كنتما مستعدين لإتمام أوامرى . عندما أموت فأمرأ بأن يحوط الجند بأسرع ما يمكن هؤلاء الرجال المحفوظين الآن تحت الحراسة، واقتلاهم لكى تبكى على كل اليهودية وكل بيت حتى رغم أرادتهم . [٧]

(١٤) وبعد قليل قال يوسيفوس «ثم إنه كان معذبا بسبب طلبه المستمر للطعام، ومن سعال تشنجى، لدرجة أنه إذ يش من آلامه فكر فى التعجيل على مصيره المحتم وإذ أخذ تفاحة طلب أيضا سكينا، لأنه كان متعودا تقطيع التفاح وأكله . ثم تلفت حوله ليتأكد من عدم وجود شخص يمنعه، ورفع يمينه كأنه يريد أن يطعن نفسه» . [٨]

(١٥) وعلاوة على هذه الأمور يخبرنا نفس الكاتب إنه قتل ابنا آخر [٩] من أبنائه قبل موته . وقتل الثالث بناء على أمره، وبعد ذلك مباشرة لفظ أنفاسه الأخيرة بآلام مبرحة .

(٥) أخت هيرودس الكبير وكانت زوجة على التوالى لكل من يوسف وكوستاباروس والكساس . وكانت فى متهى القسوة مثل أخيها، وسببت أغلب الفواجع التى حدثت فى عائلته وذلك بعامل غيرتها وحسدها .

(٦) زوج سالومة الثالث وكان يوسيفوس يدعوه «الكساس» دوما .

(٧) هذه الرواية على عهدة يوسيفوس إذ لم يروها أحد سواه . وعلى أى حال فأنها ليست مستبعدة على هيرودس، على أن

أوامر هيرودس لم تتم إذ أطلقت سالومة سراح أولئك الرجال بعد موت هيرودس .

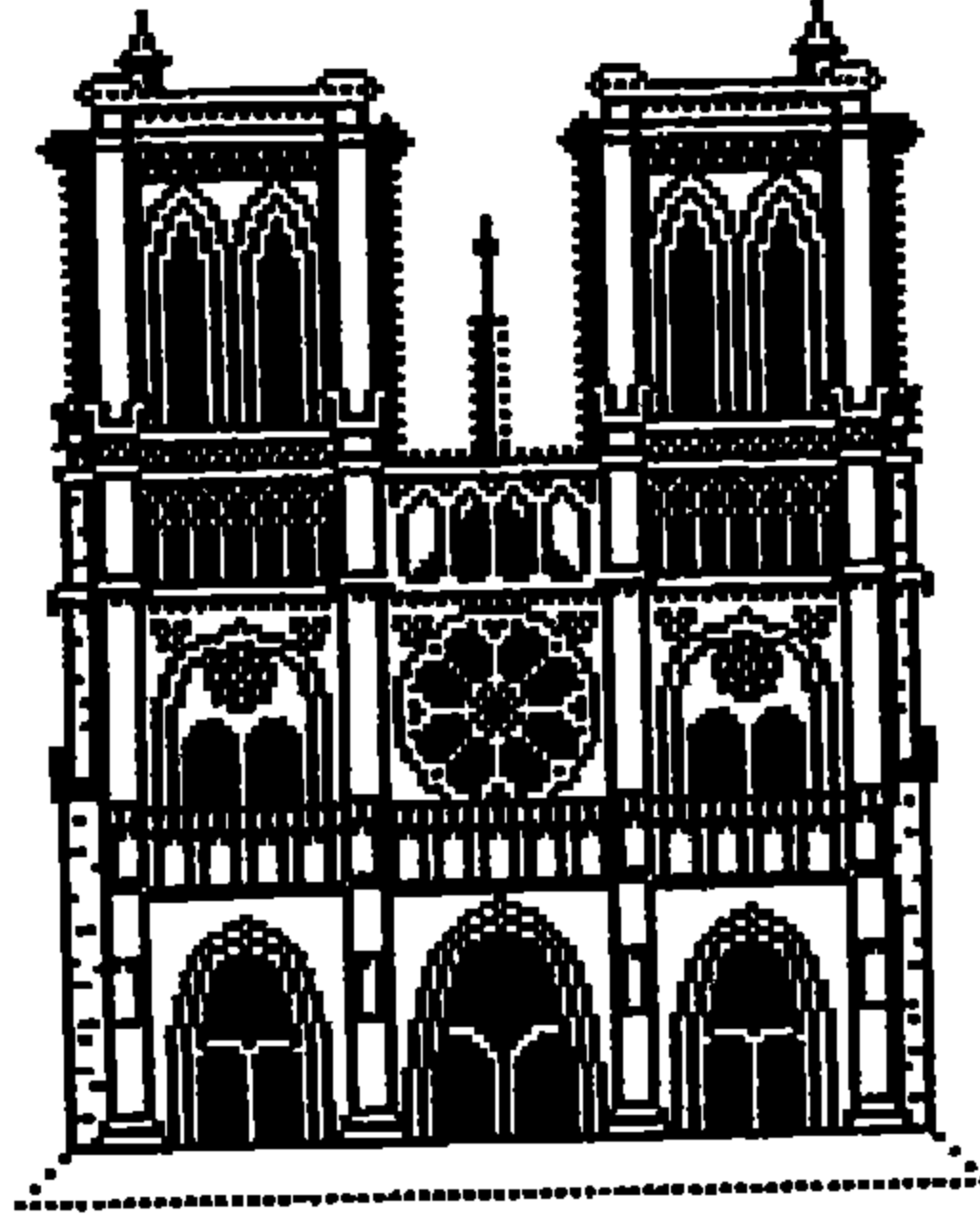
(٨) أن محاولة هيرودس الانتحار قد أحبطها ابن عمه أخيابوس كما يخبرنا يوسيفوس فى نفس المناسبة .

(٩) كان هيرودس قد اعتزم أن يخلفه فى الملك أنتيباتر ابنه من زوجته الأولى دوريس ولكنه قطع رأسه قبل موت هيرودس

بخمسة أيام للتأمر على أبيه . وقد استحق جزاءه بعدل .

(١٦) هكذا كانت نهاية هيرودس الذى نال قصاصا عادلا بسبب قتله أطفال بيت لحم [١٠] الأمر الذى نتج من مؤامراته على مخلصنا .

(١٧) بعد هذا ظهر ملاك فى حلم إلى يوسف فى مصر وأمره بالذهاب إلى اليهودية مع الطفل وأمه، معلنا أن الذين كانوا يطلبون نفس الطيبى قد ماتوا [١١] وإلى هذا يضيف الإنجيلى هذه الكلمات «ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك . ولكن إذ حذره الله فى حلم انصرف إلى نواحي الجليل» [١٢] .



(١٠) يبين يوسايبوس هنا تعليقه لآلام هيرودس بحسب عرف الكنيسة . أما يوسيفوس فلم يتعرض مطلقا لذكر جريمة ذبح الاطفال الأبرياء . ولا نعلم أن كان ذلك لأنه كان يجهلها أو لعدم أهمية هذه الفاجعة بالنسبة للجرائم الوحشية التى اتسم بها عهد هيرودس .

(١١) انظر (مت ٢ : ١٩ و ٢٠) .

(١٢) (مت ٢ : ٢٣) .

الفصل التاسع

عصر پيلاطس

(١) يتفق المؤرخ السابق ذكره مع الإنجيل فيما يتعلق بأن أرخيلالوس [١] تولى الحكم بعد هيرودس . وقد روى الطريقة التي حصل بها على مملكة اليهود بوصية أبيه هيرودس وأمر أوغسطس قيصر، وكيف أنه بعد أن حكم عشر سنوات أضاع ملكه . أما أخواه فيلبس [٢] وهيرودس الأصغر [٣] مع ليسانيوس [٤] فقد استمروا في حكم ولايتهم . ويقول نفس الكاتب في كتابه الثامن عشر من «الآثار» أنه حوالي السنة الثانية عشر من ملك طيباريوس [٥] الذي اعتلى الأمبراطورية بعد أن حكم أوغسطس سبعا وخمسين سنة [٦] عهد إلى پيلاطس البنطى حكم اليهودية، فلبث فيها عشر سنوات كاملة حتى موت طيباريوس تقريبا .

(١) كان أرخيلالوس ابنا لهيرودس الكبير وأخا شقيقا لهيرودس انتيباس الذى تربى معه فى روما . وبعد موت أنتيباتر مباشرة أوصى أبوه بأن يخلفه فى الحكم وأيد أوغسطس الوصية ولكنه أعطاه فقط لقب وال . وكان حكمه يشمل أدمية واليهودية والسامرة ومدن الشاطيء ، أى نصف مملكة أبيه . أما النصف الآخر فقد قسم بين هيرودس انتيباس وفيلبس . وقد كان قاسيا جلا ومكروها من أغلب رعاياه . وفى السنة العاشرة من حكمه شكاه اخوته ورعاياه بسبب قسوته فنفى إلى فينا حيث يرجع أنه مات هناك . وبعد خلع أرخيلالوس أصبحت اليهودية ولاية رومانية وألحقت بسورية وأرسل كورنيوس أول وال عليها .

(٢) ابن هيرودس الكبير من زوجته كليوباترة . وكان واليا على باتانيا وتراخونيتس وأورينيتس الخ من سنة ٤ ق . م . إلى سنة ٣٤م . وقد تميز بالعدل والاعتدال . ولم يذكر فى العهد الجديد سوى مرة واحدة (لو ٣ : ١) كرئيس ربح (وال) على الابلية .

(٣) هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير من زوجته ملثاكا . وكان واليا على الجليل وبيرية من سنة ٤ ق . م . إلى سنة ٣٩م . وهو الذى قطع رأس المعمدان ، وهو أيضا الذى أرسل إليه الرب يسوع بواسطة پيلاطس . وفى العهد الجديد ما يكفى لأظهار أخلاقه .

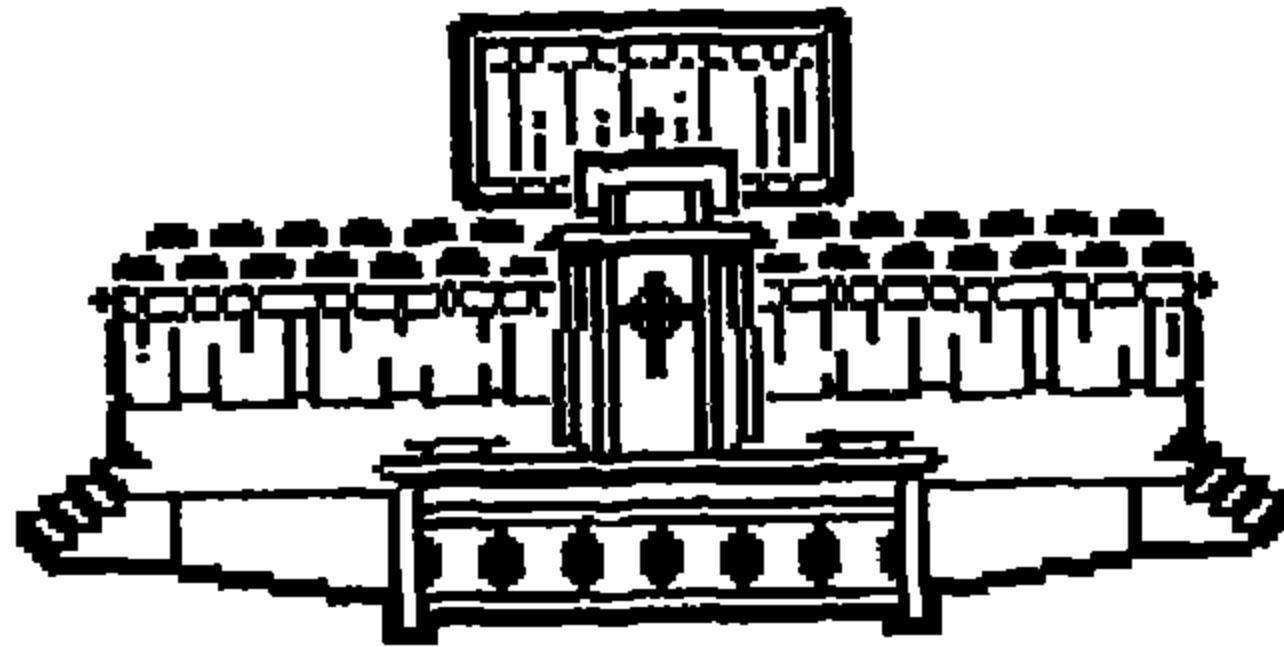
(٤) ذكر ليسانيوس هذا فى (لو ٣ : ١) كرئيس ربح (وال) على الابلية .

(٥) أى من موت أوغسطس سنة ٤١ م حيث صار طيباريوس الامبراطور الوحيد . وقد عين پيلاطس واليا سنة ٢٦م وسحب سنة ٣٦م .

(٦) يعبتر يوسيفوس أن حكم أوغسطس بدأ من موت يوليوس قيصر كما يعتقد يوسايبوس أيضا (٥ : ٢) ويدعوه الامبراطور الثانى . ولكن أوغسطس لم يصير امبراطورا إلا فى سنة ٣١ ق . م . بعد موقعة اكيوم .

(٢) من ذلك يتضح جليا كذب من أشاعوا أخيرا أعمالا ضد مخلصنا [٧] لأن التاريخ الذى تتضمنه يبين ضلال مخترعيها .

(٣) فالأمور التى تجرأوا على ذكرها عن آلام المخلص نسبوها إلى القنصلية الرابعة لطيطاريوس التى تمت فى السنة السابعة من ملكه، وواضح أن يلاطس لم يكن يحكم اليهودية بعد فى ذلك الوقت، إن قبلت شهادة يوسيفوس الذى بين بكل وضوح فيما تقدم أن يلاطس أقامه طيطاريوس واليا على اليهودية فى السنة الثانية عشرة من ملكه .



(٧) إن يوسايوس لا يشير هنا إلى «أعمال يلاطس» التى كتبها بعض المسيحيين والتى لا يزال الكثير منها باقيا إلى الآن بل إلى التى زورها الأعداء بموافقة الأمبراطور مكسيمانوس (أنظر كتاب ٩ فصل ٥) .

الفصل العاشر

رؤساء كهنة اليهود الذين عاصروا المسيح

(١) في السنة الخامسة عشر من حكم طيباريوس، وفقا لما قرره الإنجيلي، [١] والسنة الرابعة من ولاية بيلاطس البنطى، إذ كان هيرودس وليسانتيوس وفيلبس يحكمون باقى اليهودية، [٢] أتى مخلصنا وربنا يسوع، المسيح الله - إذ كان ابن نحو ثلاثين سنة - إلى يوحنا المعمدان، وبدأ ينشر الإنجيل .

(٢) وعلاوة على هذا يقول الكتاب المقدس الإلهي أنه قضى كل وقت خدمته فى عهد رئيسي الكهنة حنان وقيافا، [٣] مينا أنه فى وقت كهنوت هذين الشخصين تمت كل فترة تعليمه . وطالما كان قد بدأ عمله فى عهد كهنوت حنان، وعلم حتى تولى المركز قيافا، فان المدة كلها لا تستغرق أربع سنوات .

(٣) لأن طقوس الناموس إذ كانت قد بطلت منذ ذلك الوقت فان العادات التى كانت مرعية فيما يتعلق بعبادة الله، والتى بمقتضاها كان رئيس الكهنة يحصل على وظيفته بالوراثة وشغلها طول الحياة، بطلت أيضا، فصار الولاة الرومانيون يعينون لرئاسة الكهنوت واحدا الآن . وبعد ذلك آخر، وكان الواحد لا يستمر فى وظيفته أكثر من سنة واحدة . [٤]

(٤) ويقرر يوسيفوس إنه كان هنالك أربعة رؤساء كهنة بالتتابع من حنان إلى قيافا . ففي نفس كتاب الآثار كتب الآتى :

«إن فاليريوس حراتوس [٥] إذ وضع حدا لكهنوت حنان [٦] عين اسماعيل بن قابى رئيسا للكهنة، وبعد قليل عزله وعين اليعازر [٧] بن حنان رئيس الكهنة فى نفس الوظيفة ثم عزله أيضا بعد سنة وأعطى

(١) لو ٣ : ١ (٢) انظر الفصل السابق (٣) لو ٣ : ٢ بالمقارنة مع يو ١١ : ٤٩ و ٥١ ، ١٨ : ١٣

(٤) صحيح أن رؤساء الكهنة كانوا دائمي التغيير فى عهد الولاة الرومانيين (انظر ما تقدم فصل ٦ ملاحظة ٤ صفحة ٣٩) ولكنه لم تكن هنالك مدة محددة، وقد لبث البعض عدة سنوات فمثلا استمر قيافا أكثر من عشر سنوات .

(٥) عينه طيباريوس واليا بعد اعتلائه العرش مباشرة، وحكم نحو احدى عشرة سنة خلفه بعدها بيلاطس سنة ٢٦م .

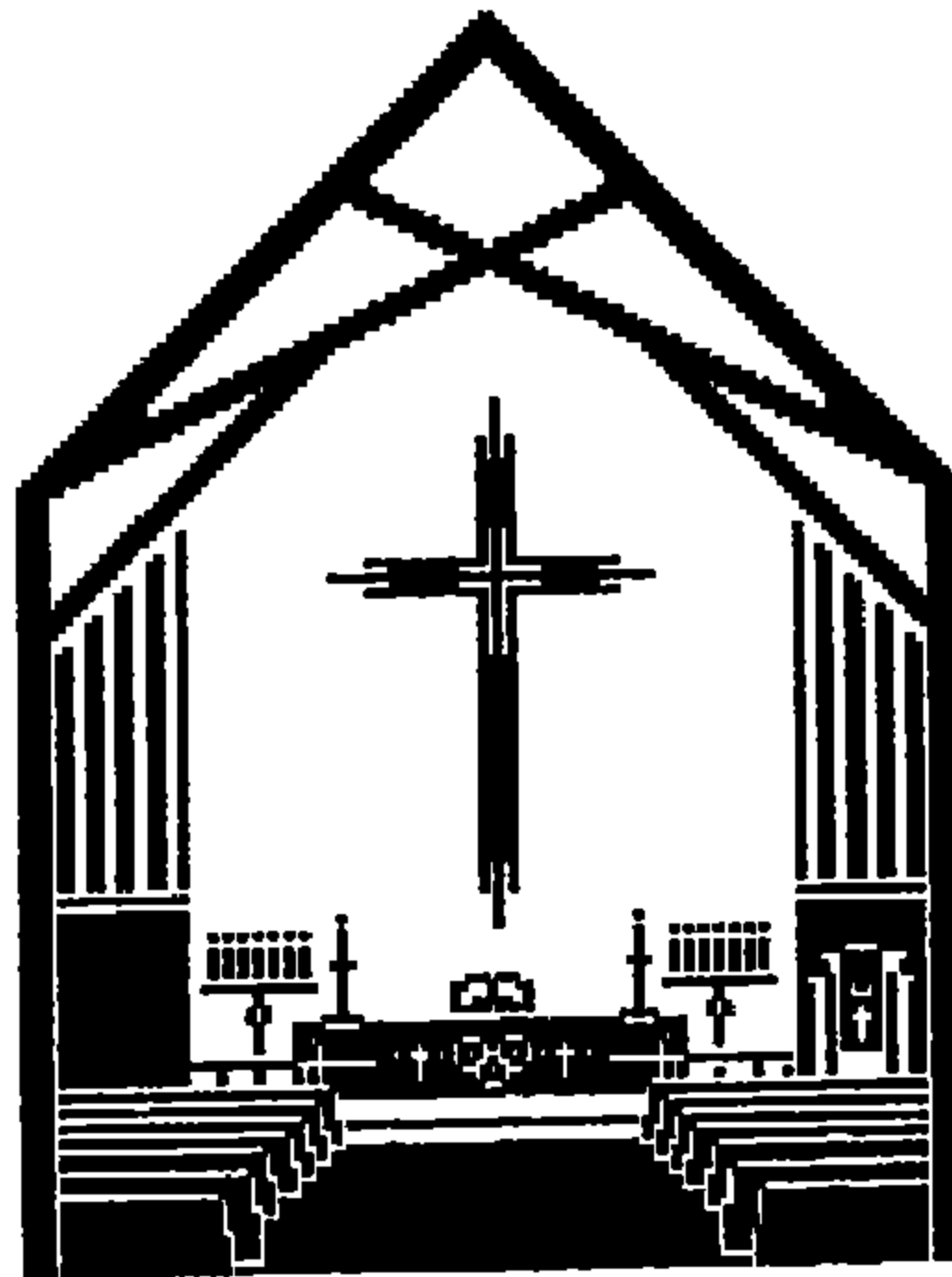
(٦) عين حنان رئيسا للكهنة بمعرفة كيرينيوس والى سوريا سنة ٦ أو ٧ م وبقي فى مركزه حتى سنة ١٤ أو ١٥م حيث عزله فالترئوس جراتوس .

(٧) ذكر يوسيفوس (آثار ٢٠ : ٩ : ١) أن خمسة من أبناء حنان أقيموا رؤساء كهنة .

رئاسة الكهنوت لسمعان بن كميثوس . ولكن هذا أيضا لم يحظ بهذا الشرف أكثر من سنة، حيث خلفه يوسفوس الذى يدعى أيضا قيافا^[٨].

من هذا يتضح أن كل فترة خدمة مخلصنا لا تبلغ أربع سنوات كاملة، إذ أن أربعة رؤساء كهنة - من حنان إلى تعيين قيافا - تولوا المنصب، وكانت مدة كل منهم سنة . أذن فقد كان صحيحا ما قرره الإنجيل من أن قيافا هو رئيس الكهنة الذى تألم المخلص فى عهده . ومن ذلك ترى أيضا أن وقت خدمة مخلصنا لا يتناقض مع البحث السابق .

(٥) وقد دعا مخلصنا وربنا الرسل الاثنى عشر^[٩] بعد بدء خدمته بقليل، وهؤلاء وحدهم - دون جميع تلاميذه - دعاهم رسلا . كإكرام خاص، ثم عين أيضا سبعين آخرين أرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل موضع ومدينة حيث كان هو مزمعا أن يأتى^[١٠].



(٨) ان يوسف قيافا زوج ابنة حنان شخصية معروفة فى الكتاب .

(٩) انظر (مت ١٠ : ١ - ٤ ، مر ٣ : ١٤ - ١٩ ، لو ٦ : ١٣ - ١٦) .

(١٠) لو ١٠ : ١ .

الفصل الحادي عشر

شهادات عن يوحنا المعمدان والمسيح

(١) بعد هذا بقليل قطع هيرودس الأصغر [١] رأس يوحنا المعمدان كما هو مدون في الأناجيل [٢] وقد دون يوسفوس أيضا نفس الحادث، [٣] ذاكرا هيروديا [٤] بالاسم، ومقررا بأنها، وإن كانت زوجة أخيه، فإنه (هيرودس) اتخذها لنفسه زوجة بعد أن طلق زوجته السابقة الشرعية ابنة أريتاس [٥] ملك بتر، وفصل هيروديا عن زوجها وهو لا يزال حيا.

(٢) وبسببها أيضا قتل يوحنا، وأشهر حربا على أريتاس بسبب العار الذي لحق بابنة الأخير. ويروي يوسفوس إنه في هذه الحرب لما اشتبكوا معا باد جيش هيرودس عن آخره، [٦] وحلت به هذه النكبة بسبب جريمته ضد يوحنا.

(٣) ويشهد نفس يوسفوس في هذه المناسبة أن يوحنا المعمدان كان رجلا بارا لدرجة فائقة الحد، وهذا يتفق مع ما دون عنه في الأناجيل. وشهد أيضا أن هيرودس أضاع ملكه بسبب هيروديا هذه، وأنه نفى معها، وحكم عليه أن يعيش في فينا ببلاد الغال.

(٤) هذه الأمور رواها في الكتاب الثامن عشر من «الآثار» حيث كتب عن يوحنا الكلمات التالية «بدا لبعض اليهود أن جيش هيرودس أباده الله الذي انتقم بعدل ليوحنا المدعو المعمدان».

-
- (١) هيرودس انتياس . (٢) (مت ١٤ : ١ - ١٢ . مر ٦ : ١٧ الخ) . (٣) يوسفوس (آثار ١٨ : ٥ : ٢)
- (٤) هيروديا ابنة أرسطوبولس وحفيذة هيرودس الكبير . تزوجت أولا هيرودس فيلبس (الذي يدعوه يوسفوس هيرودس وتدعوه الأناجيل فيلبس) أن هيرودس الكبير وبالتالي عمها . وبعد ذلك إذ تركته أثناء حياته تزوجت عما آخر هو هيرودس انتياس رئيس الريع . ولما نفى زوجها انتياس إلى بلاد الغال شاركته في نفيه اختيارا وماتت هناك . أما أخلافها فواضحة مما دون عنها في الأناجيل .
- (٥) هو نفس اريتاس (وترجم في ترجمة بيروت «والى الحارث» ولكنه في الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين «اريتاس») الوارد ذكره في ٢ كو ١١ : ٣٢ .
- (٦) وفي هذه المناسبة لجأ هيرودس إلى طياريوس الذي كان يعزه، فأصدر الإمبراطور أمره إلى فيتيليوس والى سوريا باسعافه ولكن حال دون ذلك موت طياريوس . وفي عهد كاليجولا صار أريتاس صديقا للرومانيين .

(٥) «لأن هيرودس قتله، وقد كان رجلا صالحا، نصح لليهود أن يأتوا وينالوا المعمودية، ويتدربوا على الفضيلة، ويمارسوا البر والعدل نحو بعضهم بعضا ونحو الله، لأن المعمودية تبدو مقبولة في نظر الله إن استخدموها، لا لمغفرة خطايا معينة، بل لتطهير الجسد كما تطهرت النفس فعلا بالبر».

(٦) «وعندما حوله آخرون - إذ وجدوا سرورا عظيما في الإصغاء لكلماته - خشى هيرودس أن يؤدي نفوذه العظيم إلى فتنة، لأنهم أظهروا استعدادهم ليفعلوا كل ما ينصح به. ولذا وجد إنه من الأفضل أن يسبق فيقتله قبل أن يجد أى شيء بتأثير يوحنا، ذلك أولى ما أن يندم بعد حدوث الثورة إذ يجد نفسه وسط المتاعب. وبسبب شكوك هيرودس وهواجسه أرسل يوحنا مقيدا إلى الحصن السابق ذكره (ماكيرا)، [٧] وهناك قتل».

(٧) وبعد أن ذكر هذه الأمور عن يوحنا تحدث عن مخلصنا في نفس الكتاب بالكلمات التالية «وهناك عاش في ذلك الوقت يسوع، إنسان حكيم، إن كان من اللائق حقا أن يدعى إنسانا - لأنه صنع أعمالا عجيبة، وعلم الناس فقبلوا الحق بفرح. وقد ضم إليه الكثيرين من اليهود، والكثيرين من اليونانيين أيضا - كان هو المسيح».

(٨) «وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بسبب اتهام رجالنا المبرزين إياه، ظل يحبه من أحبه من البداية. لأنه ظهر لهم حيا ثانية في اليوم الثالث. وقد سبق أن أنبأ الأنبياء المباركون بهذه الأمور عنه، وبأمور أخرى عجيبة لا حصر لها. وفضلا عن هذا فإن جنس المسيحيين الذين سمو باسمه لا يزالون باقين إلى اليوم الحاضر».

(٩) وإن كان مؤرخ من العبرانيين أنفسهم قد سجل في كتابه هذه الأمور عن يوحنا المعمدان وعن مخلصنا فأى عذر قد بقى لعدم توزيع أولئك الخالين من كل حياء، الذين زوروا الأعمال ضدهما [٨] ولكن ليكف هذا القدر هنا.



(٧) ماكيرا حصن مشهور كان يقع شرقي الطرف الشمالي للبحر الميت. وفيه اعتزلت ابنة اريثاس عندما اعترم هيرودس التروج بهيروديا.

(٨) انظر ف ٩ ملاحظة (٢) صفحة ٥١.

الفصل الثاني عشر

تلاميذ مخلصنا

(١) إن أسماء تلاميذ مخلصنا يمكن لكل واحد معرفتها من الأناجيل. [١] على أنه لا يوجد أى بيان عن أسماء التلاميذ السبعين. [٢] ويقال أن برنابا كان فعلا واحدا منهم. وقد تحدث عنه سفر أعمال الرسل فى عدة مواضع [٣] سيمابولس فى رسالته إلى أهل غلاطية. [٤] ويقولون أيضا أن سوستانيس الذى كتب إلى أهل كورنثوس مع بولس كان واحدا منهم. [٥]

(٢) هذه هى رواية أكليمنضس [٦] فى الكتاب الخامس من مؤلفه «وصف المناظر» الذى فيه يقول أيضا إن «صفا» كان أحد السبعين تلميذا، وهو رجل حمل نفس اسم الرسول بطرس، وهو الذى قال عنه بولس «لما أتى صفا إلى انطاكية قاومته مواجهة». [٧]

(٣) ويقال أيضا إن متياس الذى حُـسِبَ مع الرسل بدلا من يهوذا، وكذا الشخص الذى تشرف بأن يكون مرشحا معه، [٨] حسبنا مستأهلين لنفس الدعوة مع السبعين. ويقولون إن تداوس أيضا كان

-
- (١) انظر (مت ١٠ : ٢ - ٤ ، لو ٦ : ١٣ - ١٦ ، مر ٤ : ١٤ - ١٩) . (٢) انظر (لو ١٠ : ١ - ٢٠) .
(٣) انظر (أع ٤ : ٣٦ ، ١٣ : ١ الخ) . وقد قرر أكليمنضس الأسكندري أن برنابا كان أحد السبعين .
(٤) (غل ٢ : ١ و ٩ و ١٣) .

(٥) ذكر سوستانيس فى (١ كو ١ : ١) . ولا ندرى من أين استقى يوسابيوس هذه الحقيقة . وفى (اع ١٨ : ١٧) ورد ذكر شخص اسمه سوستانيس رئيس مجمع اليهود فى كورنثوس . ويقول البعض أنه هو نفس الشخص الوارد اسمه فى (١ كو ١ : ١) ، على أساس أنه اعتنق المسيحية فيما بعد . وفى هذه الحالة لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون أحد السبعين .

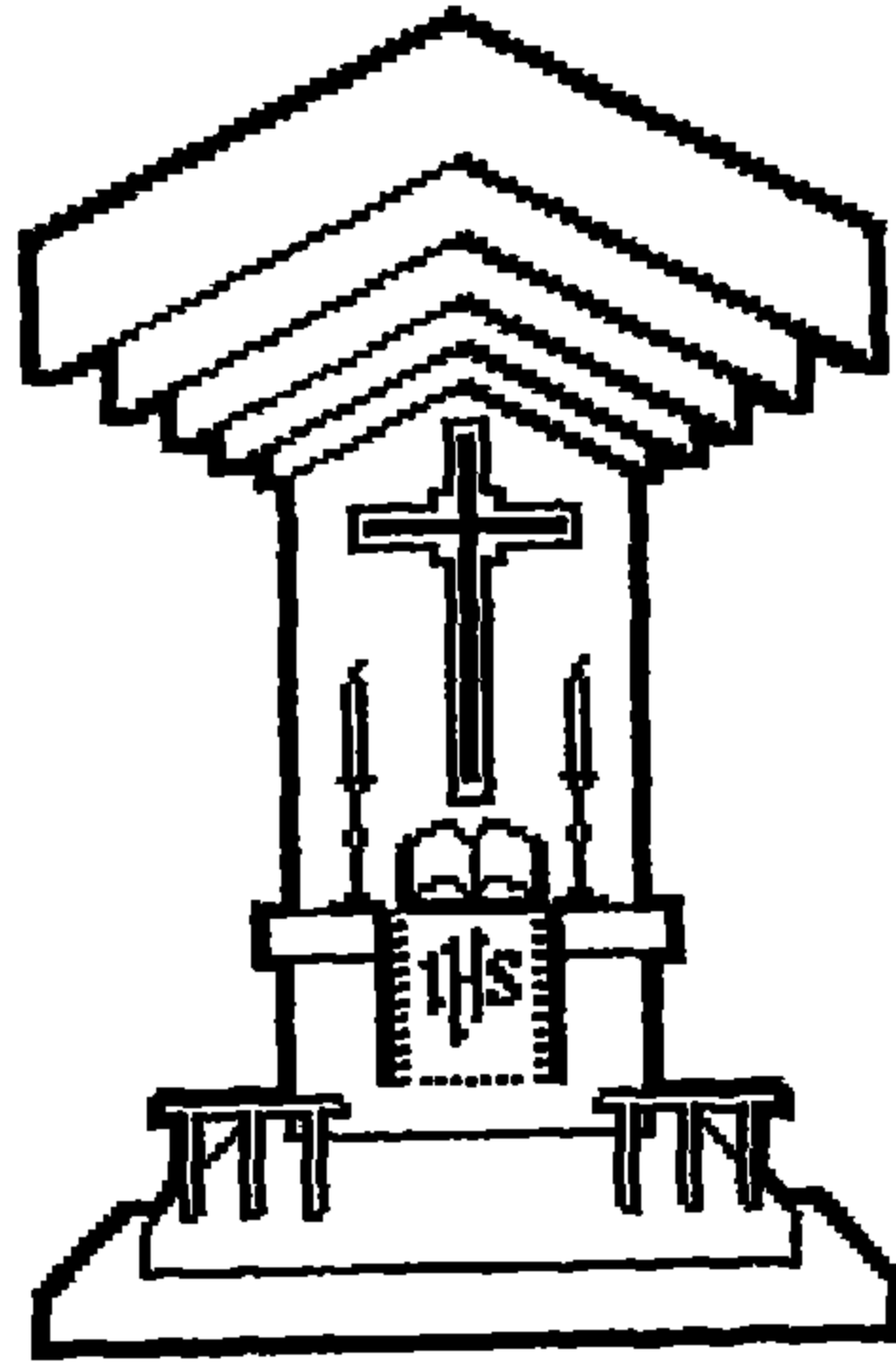
(٦) بخصوص اكليمنضس وكتابات انظر كتاب ٥ فصل ١١ وكتاب ٦ فصل ١٣ .
(٧) (غل ٢ : ١١) وردت هذه العبارة فى ترجمة بيروت «لما أتى بطرس» ولكنها فى ترجمة اليسوعيين وفى الترجمة الأنكليزية المنقحة «لما أتى كيفا (أو صفا)» .

أن اكليمنضس هو أول من زعم بأنه كان بين السبعين من دعى باسم صفا، وأول من زعم بأن الشخص الذى قاومه بولس مواجهة لم يكن هو بطرس الرسول . وغريب أن نرى هذا الرأى بالرغم من اجماع كل الكنائس - وضمنها الكنيسة البابوية - على أن المقصود باللوم هنا هو بطرس الرسول .

(٨) يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس .

واحد منهم وسأقص عنه قريبا رواية وصلت إلينا [٩] ولدى التأمل تجدون أن مخلصنا كان له أكثر من سبعين تلميذا حسب شهادة بولس الذي يقول أنه بعد قيامته من الأموات ظهر أولا لصفا ثم للأثنى عشر، وبعدهم ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ بعضهم قد رقدوا [١٠] ولكن أغلبهم كانوا لا يزالون عاشرين وقت أن كتب .

(٤) وبعد ذلك يقول إنه ظهر ليعقوب أحد الذين قيل عنهم أخوة المخلص . ولكن لأنه كان يوجد، علاوة على هؤلاء، كثيرون آخرون يدعون رسلا كالأثنى عشر مثل بولس نفسه، أضاف العبارة التالية «بعد ذلك ظهر للرسل أجمعين» . إلى هنا نكتفى بالحديث عن هؤلاء الأشخاص . أما الرواية الخاصة بتداوس فهي كما يلي :



(٩) انظر الفصل التالي .

(١٠) انظر (١ كور ١٥ : ٥ - ٧) .

الفصل الثالث عشر

رواية عن ملك الإديسيين

(١) لما ذاعت أنباء لاهوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح في الخارج بين كل البشر بسبب قوته الصانعة العجائب جذب أشخاصا لا حصر لهم من الممالك الأجنبية البعيدة عن اليهودية ممن كانوا يرجون الشفاء من أمراضهم ومن كل أنواع الآلام .

(٢) فمثلا الملك أبجارا [١] - الذي حكم الأمم التي وراء نهر الفرات بمجد عظيم - إذ إصيب بمرض مروع عجزت عن شفائه كل حكمة بشرية، وسمع باسم يسوع ومعجزاته التي شهد بها الجميع بلا استثناء، أرسل إليه رسالة مع مخصص، ورجاه أن يشفيه من مرضه .

(٣) على أنه في ذلك الوقت لم يجبه إلى طلبه، ومع ذلك حسبه مستحقا أن ترسل إليه رسالة شخصية قال فيها إنه سيرسل أحد تلاميذه لشفائه من مرضه، وفي نفس الوقت وعده بالخلاص لنفسه ولكل بيته .

(٤) ولم يمض وقت طويل حتى تحقق وعده . لأنه بعد قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء أرشد الوحي توما [٢] - أحد الرسل الاثني عشر - فأرسل تداوس، الذي كان أيضا ضمن تلاميذ المسيح السبعين، إلى أدسا [٣] ليكرز ويبشر بتعاليم المسيح . وعلى يديه تم كل ما وعد به مخلصنا .

(٥) ولديكم الدليل - المكتوب - على هذه الأمور مستمدا من سجلات أدسا، التي كانت في ذلك الوقت مدينة ملكية، لأنه قد وجدت تلك الأمور محفوظة إلى الوقت الحاضر في السجلات العامة الرسمية المتضمنة بيانات عن العصور الغابرة وعن أعمال أبجارا . وليس شيء أفضل من أن تسمعوا الرسائل نفسها التي أخذناها من السجلات الرسمية، وترجمناها حرفياً من اللغة السريانية على النحو التالي .

(١) ملك أدسا Edessa وكان معاصراً للمسيح . حكم من سنة ١٣ - ٥٠ م . أما «أدسا» فهو الاسم اليوناني لمدينة قديمة شمال غرب ما بين النهرين (انظر الملاحظة ٢ في الصفحة التالية) .

(٢) انظر كتاب ٣ فصل ١ بخصوص التقليد الذي تواتر عن توما . انظر أيضا (٤) صفحة ٥٧ .

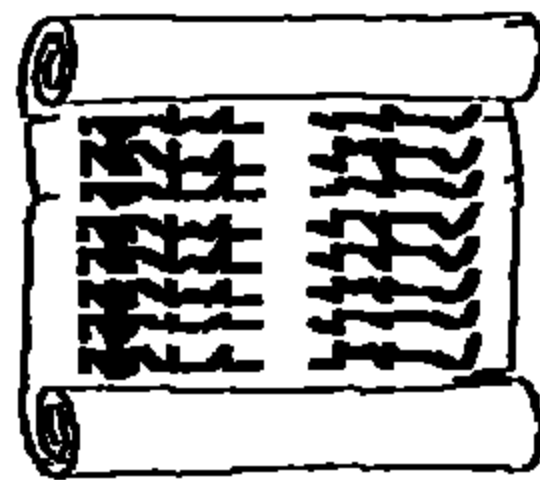
(٣) Edessa عاصمة ملك آيجارا، وكانت مدينة شمال غرب ما بين النهرين قرية من نهر الفرات، ويظن البعض أنها كانت في موقع «أور» الكلدانيين وطن إبراهيم . وقد لعبت دورا هاما في التاريخ المسيحي . وفيها أسس افرام السرياني مدرسة لاهوتية في القرن الرابع غير أنها وقعت في أيدي الأريوسيين بعد موته .

**صورة رسالة كتبها أبجارا الحاكم
إلى يسوع
وأرسلها إليه في أورشليم
على يد حنانيا^(٣) الساعى الخفيف الحركة**

(٦) السلام من أبجارا حاكم أديا إلى يسوع المخلص السامى، الذى ظهر فى مملكة أورشليم .
لقد سمعت أنباءك وأنباء آيات الشفاء التى صنعتها بدون أدوية أو عقاقير . لأنه يقال إنك تجعل العمى
يصرّون والعرج يمشون، وإنك تطهر البرص وتخرج الأرواح النجسة والشياطين، وتشفى المصابين
بأمراض مستعصية وتقيم الموتى .

(٧) «إذ سمعت كل هذه الأمور عنك استتجت إنه لا بد أن يكون أحد الأمرين صحيحا، إما
أن تكون أنت الله، وإذ نزلت من السماء فإنك تصنع هذه الأمور، أو تكون أنت ابن الله إذ تصنع هذه
الأمور .

(٨) «لذلك كتبت إليك لأطلب أن تكلف نفسك مؤونة التعب لتأتى إلى وتشفى من المرض
الذى أعانيه . لأننى سمعت أن اليهود يتذمرون عليك ويتآمرون لا يذكرك . ولكننى لدى مدينة جميلة جدا
مع صغرها، وهى تتسع لكلينا» .



(٣) يقول الناشرون للترجمة الانكليزية أن حنانيا هذا كان فنانا وقد حاول رسم صورة للمسيح ولكن طلعت بهرته، على أن
المسيح إذ غسل وجهه ومسحه بمنشفة انطبعت صورته عليها، فأخذت هذه الصورة إلى أديا وحفظت المدينة من
أعدائها .

إجابة يسوع على الحاكم أبجارا على يد الساعي حنانيا

(٩) «طوباك يا من آمنت بى دون أن ترانى» [٤] لأنه مكتوب عنى أن الذين رأونى لا يؤمنون بى أما الذين لم يرونى فيؤمنون ويخلصون» [٥] أما بخصوص ما كتبت إلى عنه لكى آتى إليك فيلزمنى أن أتم هنا كل الأشياء التى من أجلها أرسلت، وبعد اتمامها أصعد ثانية إلى من أرسلنى . ولكننى بعد صعودى أرسل إليك أحد تلاميذى ليشفيك من مرضك ويعطى حياة لك ولمن لك» .

(١٠) وقد أضيف لهاتين الرسالتين الوصف التالى باللغة السريانية . «وبعد صعود يسوع فإن يهوذا، [٦] الذى يدعى أيضا توما، أرسل إليه تداوس الرسول [٧] أحد السبعين . ولما أتى سكن مع طوبيا [٨] بن طويا - ولما ذاع خبره قيل لأبجارا أن أحد رسل يسوع أتى كما سبق أن كتب إليه .

(١١) «عندئذ بدأ تداوس يشفى كل مرض وكل ضعف بقوة الله، حتى تعجب الجميع . ولما سمع أبجارا بالأعمال العظيمة التى صنعها، وآيات الشفاء التى أجراها، بدأ يشتبه بأنه هو الذى كتب إليه عنه يسوع قائلا: بعد صعودى أرسل إليك أحد تلاميذى ليشفيك» .

(١٢) «لذلك استدعى طويا الذى كان يسكن معه تداوس وقال: قد سمعت أن شخصا ذا سلطان أتى وهو يسكن فى بيتك . أحضره إلى . فأتى طويا إلى تداوس وقال له: استدعانى الحاكم أبجارا وأخبرنى أن آخذك إليه لكى تشفيه . فقال تداوس سأذهب لأننى أرسلت إليه بسلطان» .

(١٣) «ومن ثم قام طويا مبكرا فى اليوم التالى، وأخذ تداوس وأتى إلى أبجارا . ولما أتى كان الأشراف حاضرين وقائمين حول أبجارا . وحالما دخل ظهرت رؤيا عظيمة لأبجارا فى وجه الرسول تداوس . ولما رآها أبجارا انطرح أمام تداوس، بينما تعجب كل الواقفين، لأنهم لم يروا الرؤيا التى ظهرت لأبجارا وحده» .

(١٤) «ثم استعلم من تداوس ان كان هو حقا تلميذا ليسوع ابن الله الذى قال له سأرسل إليك

(٤) انظر (يو ٢٠ : ٢٩) .

(٥) انظر (إش ٦ : ٩ ، آر ٥ : ٢١ ، حز ١٢ : ٢ ، مت ١٣ : ١٤ ، مر ١٢ : ١٢ ، سيماع ٢٨ : ٢٦ - ٢٨ ، رو ١١ : ٧ الخ) .

(٦) لم يعرف توما باسم يهوذا . على أنه قد دعى باسم «يهوذا توما» فى «أعمال توما» وفى كتاب «تعاليم الرسل» السريانى .

(٧) قيل بأنه لم يحصر لقب الرسول فى الاثنى عشر بل كان يستعمل فى مدى أوسع .

(٨) لعله كان يهوديا .

أحد تلاميذى ليشفيك ويعطيك الحياة . فقال تداوس: لأنك آمنت بمن أرسلنى إيماناً قويا فقد أرسلت إليك . وأكثر من هذا إن كنت تؤمن به يمنح لك سؤل قلبك حسب إيمانك .

(١٥) «فقال له أبجارا: لقد آمنت به حتى أننى وددت أن أجرد جيشا وأهلك أولئك اليهود الذين صلبوه لو لم يؤخرنى عن ذلك سلطان الرومانيين . فقال تداوس: لقد تم ربنا ارادة أبيه ، وإذ تمها أصعد إلى أبيه . فأجاب أبجارا: وأنا أيضا آمنت به وبأبيه .

(١٦) «فقال له تداوس: ولذلك أضع يدى عليك باسمه . ولما فعل ذلك شفى أبجارا فى الحال من المرض والآلام كان يعانيتها .

(١٧) «فذهل أبجارا لأنه كما سمع عن يسوع هكذا نال بالفعل على يدى تلميذه تداوس الذى شفاه بدون دواء أو عقاقير ، وليس هو وحده بل أيضا أبدوس بن أبدوس الذى كان مصابا بالنقرس (داء المفاصل) ، والذى أتى هو أيضا إليه وسقط عند قدميه ، فشفى إذ نال البركة بوضع يديه . ولقد شفى تداوس هذا نفسه أيضا الكثيرين من سكان المدينة وصنع عجائب وأعمالا مدهشة وكرز بكلمة الله .

(١٨) «وبعد ذلك قال أبجارا: أنت يا تداوس تصنع هذه الأمور بقوة الله ونحن نتعجب . ولكننى علاوة على هذه أتوسل إليك أن تخبرنى عن مجيء يسوع ، كيف ولد ، وعن قوته ، وبأية قوة كان يجرى تلك الأعمال التى سمعت عنها .

(١٩) «فقال تداوس: الآن سألتزم الصمت فعلا طالما كنت قد أرسلت لإذاعة الكلمة جهارا . ولكن غدا أجمع إلى كل مواطنيك فأكرز فى حضورهم وأغرس بينهم كلمة الله من مجيء يسوع كيف ولد وعن ارساليته ، ولأية غاية أرسل من قبل الآب ، وعن قوة أعماله والأسرار التى أذاعها فى العالم وبأية قوة عمل هذه الأمور ، وعن تعليمه الجسديد وانكاره لذاته وتواضعه ، وكيف تنازل ومات وحجب لاهوته وصلب ونزل إلى الجحيم وحطم المتاريس التى لم تكن قد تحطمت منذ الأزل ، وأقام الموتى ، لأنه نزل وحده ولكنه قام مع كثيرين ، وهكذا صعد إلى أبيه .

(٢٠) «وعلى ذلك أمر أبجارا مواطنيه للاجتماع فى الصباح الباكر لسماع كرازة تداوس ، وبعد ذلك أمر بأن يعطى فضة وذهبا . ولنه رفض قائلا: إن كنا قد تركنا ما هو ملك لنا فكيف نأخذ ما هو لغيرنا؟

«هذه الأمور تمت فى السنة الثلاثمائة والأربعين» [٩]

وقد دونتها هنا فى موضعها المناسب منقولة عن السريانية حرفيا ، وأرجو أن تؤدى خدمة نافعة .

(٩) من بدء تكوين مملكة أدسا التى كان أبجارا ملكا عليها . وقد بدأت سنة ١٧٠٦ من عهد إبراهيم (توافق ٣١٠ ق.م.) ، فتكون السنة ٣٤٠ موافقة ٢٠٤٦ من عهد إبراهيم (أى ٢٣٠ م.) . وبحساب يوسابيوس يكون صلب المسيح قد تم السنة التاسعة عشرة من حكم طياريوس أى سنة ٢٠٤٨ من عهد إبراهيم أو ٣٢٢ م .

الكتاب الثاني

مقدمة

(١) بحثنا فى الكتاب السابق تلك المواضيع فى التاريخ الكنسى التى كان لازما معالجتها كأمر تهيدى وأرفقناها ببراهين وجيزة، وذلك مثل لاهوت الكلمة المخلص، وأقدمية التعاليم التى نعلم بها، وكذلك الحياة التبشيرية التى يحياها المسيحيون، والحوادث التى تمت بمناسبة ظهور المسيح الذى تم حديثا، وبمناسبة آلامه واختيار الرسل.

(٢) وفى هذا الكتاب لنبحث تلك الحوادث التى تمت بعد صعوده، مؤيدين بعضها، من الكتب الألهية، والبعض الآخر من الكتابات التى سنشير إليها من وقت لآخر.

الفصل الأول

الطريق الذى سلكه الرسل بعد صعود المسيح

(١) أذن فأول كل شئ أختير للرسولية -عوضا عن يهوذا الخائن- مقياس [١] الذى كان أيضا أحد السبعين كما بينا [٢] ومن أجل خدمة الشعب عين للشموسية بالصلاة ووضع أيدي الرسل رجال مشهود لهم، عددهم سبعة، كان استفانوس أحدهم. وهو أول من رجم حتى الموت بعد الرب، وذلك فى وقت رسامته وبواسطة قاتلى الرب، كأنه قد رقى لنفس هذا الغرض. وهكذا كان هو أول من نال الأكليل -وفقا لأسمه [٣] الذى يمتلكه شهداء المسيح الذين هم أهل لجزاء النصر.

(٢) وبعد ذلك دون عن يعقوب -الذى لقبه الأقدمون بالباز [٤] بسبب سموه فى الفضيلة- أنه صار أسقفا لكنيسة أورشليم. ويعقوب هذا كان يدعى أخو الرب لأن المعروف عنه أنه كان ابنا ليوسف، كان يظن أن يوسف أبو المسيح، لأن العذراء إذ كانت مخطوبة له قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس كما تبين رواية الأناجيل [٥].

(١) انظر (اع ١ : ٢٣ - ٢٦). (٢) كتاب ١ فصل ١٢ : ٢. (٣) كلمة استفانوس فى اليونانية معناها اكليل. (٤) هذا ما دعى به منذ عصر المسيح بسبب شدة تقواه. وقد عرف بهذا الاسم فى كل التاريخ. (٥) (مت ١ : ١٨).

(٣) ولكن اكليمينضس في الكتاب السادس من مؤلفه «وصف المناظر» [٦] كتب هكذا «ويقال أن بطرس ويعقوب ويوحنا بعد صعود مخلصنا - كأشخاص ميزهم ربنا - لم يسعوا وراء الكرامة بل اختاروا يعقوب البار أسقفا لأورشليم».

(٤) ويروى عنه نفس الكاتب في الكتاب السابع من نفس المؤلف الأمور التالية أيضا «أن الرب بعد قيامته وهب معرفة ليعقوب البار وليوحنا وبطرس، وهؤلاء أعطوها لباقي الرسل، وباقي الرسل أعطوها للسبعين الذين كان برنابا أحدهم» [٧] وقد كان هنالك أثنان باسم يعقوب - أحدهما يدعى البار، وهو الذي طرح من فوق جناح الهيكل، وضربه قصار [٨] حتى الموت بعصى غليظة، والآخر قطع رأسه» [٩] وقد ذكر بولس أيضا يعقوب البار هذا حينما كتب «لكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب» [١٠].

(٥) وفي ذلك الوقت أيضا تحقق وعد مخلصنا لملك الأوسرهونيين [١١] لان توما بارشاد الهى أرسل تداوس إلى أدسا ككارز ومبشر بديانة المسيح، كما سبق أن أوضحنا، قبل ذلك بقليل، من المستندات التي وجدت هناك [١٢].

(٦) ولما أتى إلى ذلك المكان شفى أبجار بكلمة المسيح. وبعد أن نقل بأعماله كل الشعب هناك إلى العقل الراجح، وأرشدتهم لتقدير قوة المسيح، تلمذهم لتعاليم المخلص. ومن ذلك الوقت إلى الآن كرست كل مدينة الأدسين لاسم المسيح، [١٣] مقدمة برهانا غير عادى على احسان مخلصنا نحوهم أيضا.

(٧) ولقد استقيت هذه الأمور من الروايات القديمة. ولكن لنرجع الآن إلى الكتب الإلهية. عندما أثار اليهود أول وأعظم اضطهاد على كنيسة أورشليم على أثر استشهاد استفانوس، وعندما تشتت

(٦) بخصوص هذا المؤلف انظر كتاب ٦ فصل ١٣. (٧) انظر كتاب ١ فصل ١٢ ملاحظة ٣ صفحة ٥٢.

(٨) قصار أى متظف الأقمشة أو مبيضها. ويقول يوسفوس (أثار ٢٠ : ٩ : ٩ : ١) أنه رجم حتى الموت. ولكن رواية اكليمينضس تنفق مع رواية هيجيبوس التي أقتبسها يوسايبوس فيما بعد في الفصل ٢٣.

(٩) هو يعقوب بن زبدي الذى قطع رأسه هيرودس أغرياس الأول سنة ٤٤م. انظر (أع ١٢ : ٢) والفصل التاسع من هذا الكتاب. (١٠) (غل ١ : ١٩).

(١١) Osrhoenians شعب أوسرهونيا وهي مقاطعة شمال غرب ما بين النهرين عاصمتها أدسا Edessa.

(١٢) انظر كتاب ١ فصل ١٣

(١٣) لا يعلم تاريخ دخول المسيحية إلى أدسا (انظر كتاب ١ فصل ١٣) ولكنها كانت مركزا للاسقفية في القرن الثالث، وفي عصر يوسايبوس كانت مكتظة بالكنايس الفخمة والأديرة الكثيرة.

كل التلاميذ -عدا الاثنى عشر- فى كل اليهودية والسامرة، [١٤] ذهب البعض كما تقول الكتب الالهية حتى فينيقية وقبرص وأنطاكية، ولكنهم إلى ذلك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الايمان إلى الأمم، ولذلك كرزوا بها لليهود فقط. [١٥]

(٨) وفى ذلك الوقت كان بولس لا يزال يضطهد الكنيسة، وإذا كان يدخل بيوت المؤمنين فإنه كان يجر الرجال والنساء ويودعهم فى السجن. [١٦]

(٩) وفيلبس أيضا، وهو أحد الذين رسموا شمامسة مع استفانوس، كان ضمن الذين تشتتوا ونزل إلى السامرة. [١٧] وبعد أن امتلأ قوة الهية كرز بالكلمة أولا إلى سكان تلك البلاد. وعملت معه النعمة الالهية بقوة حتى جذبت كلماته سيمون الساحر نفسه وآخرين كثيرين. [١٨]

(١٠) وكان سيمون وقتئذ قد اشتهر جدا، وحصل بشعوذته على نفوذ عظيم على من خدعهم، حتى ظن أنه هو قوة الله العظيمة. [١٩] لكنه فى هذا الوقت إذ بهرته الأعمال العجيبة التى صنعها فيلبس بالقوة الالهية، تظاهر بالايمان وزيفه، وذهب إلى مدى أبعد لدرجة أنه قبل المعمودية.

(١١) والمدهش أن الذين يتبعون هرطقته الدنسة لا يزالون إلى اليوم ينسجون على منواله لأنهم اقتداء بأبيهم ينسلون إلى الكنيسة كمرض وبائى أو برص، وينقلون عدواهم لمن يستطيعون أن ينفثوا فيهم السم المروع القاتل المختفى فيهم. وقد طرد أغلب هؤلاء حالما أخذوا فى شرهم كما نال سيمون نفسه جزاءه العادل لما فضح بطرس أمره.

(١٢) ولما كانت الكرازة بالانجيل المخلص تتقدم كل يوم فأن العناية دفعت من أرض الأثيوبيين ضابطا للملكة تلك البلاد، لأن أثيوبيا لا زالت حتى اليوم تحكمها امرأة حسب عادة الأجداد. فكان هو الأول بين الوثنيين الذى قبل أسرار الكلمة الالهية من فيلبس نتيجة رؤيا، وصار باكورة المؤمنين فى كل العالم. ويقال أنه لدى رجوعه لبلاده كان أول من نادى بمعرفة إله الكون والحلول المحيى لمخلصنا بين البشر. وهكذا تمت بطريقة تمت بالحق تلك النبوة التى تعلن أن «أثيوبيا تبسط يديها إلى الله». [٢٠]

(١٣) وعلاوة على هؤلاء فأن بولس، ذلك «الأثناء المختار» [٢١] لا من الناس ولا بالناس بل باعلان يسوع المسيح نفسه والله الأب الذى أقامه من الأموات [٢٢] عين رسولا، إذ جعل أهلا للدعوة برؤيا وبصوت تكلم بأعلان من السماء. [٢٣]

(١٤) (اع ٨ : ١) (١٥) (اع ١١ : ١٩) (١٦) (اع ٨ : ٣) (١٧) (اع ٨ : ٥)
 (١٨) (اع ٨ : ٥ الخ) . بخصوص سيمون انظر ف ١٣ التالى . (١٩) (اع ٨ : ١٠) (٢٠) (مز ٦٨ : ٣١)
 (٢١) (اع ٩ : ١٥) (٢٢) (غل ١ : ١) (٢٣) انظر (اع ٩ : ٣ الخ)

الفصل الثاني

كيف تأثر طيباريوس لما أعلمه پيلاطس عن المسيح

(١) ولما ذاع في الخارج خبر قيامة مخلصنا العجيبة وصعوده، فإنه جريا على العادة القديمة التي سرت بين حكام المقاطعات نحو إرسال تقرير للأمبراطور عن كل الحوادث الجديدة التي تحدث فيها لكي لا يخفى عليه شيء جريا على هذه العادة بعث ييلاطس البنطي إلى طيباريوس [١] بالأنباء التي ذاعت في الخارج في كل أرجاء فلسطين المتعلقة بقيامة مخلصنا يسوع من الأموات .

(٢) وقد أعطى وصفا أيضا عن عجائب أخرى عرفها منه، وكيف أنه بعد موته إذ قام من الأموات اعتقد الكثيرون أنه إلى . ويقال أن طيباريوس أحال الأمر إلى مجلس الأعيان، ولكنهم رفضوه، وكانت العلة الظاهرة أنهم لم يفحصوه أولا (إذ كان يوجد قانون قديم يقضى بأنه لا يجوز للرومانيين أن يؤلفوا أحدا إلا بعد أخذ رأي وقرار مجلس الأعيان)، ولكن كانت العلة الحقيقية أن التعليم المخلص للأنجيل الألهي لم يكن في حاجة إلى تأييد البشر أو توصيتهم .

(٣) ورغم أن مجلس أعيان الرومانيين رفض الاقتراح المقدم عن مخلصنا فإن طيباريوس بقي متمسكا برأيه الذي سبق أن كونه، ولم يفكر في أية إجراءات عدائية ضد المسيح .

(٤) هذه الأمور دونها ترتوليانوس، [٢] وهو رجل خبير بقوانين الرومانيين، وذو شهرة عظيمة في نواح أخرى، وأحد الرجال الأفاضل في روما، وفي احتجاجه [٣] عن المسيحيين الذي كتبه باللغة اللاتينية وترجم إلى اليونانية كتب ما يلي :

(٥) «ولكي نقدم وصفا عن هذه القوانين من مصدرها نقول أنه كان هنالك أمر عال قديم بأن لا يؤله الأمبراطور أحدا قبل أن يعطى مجلس الأعيان موافقته . هذا ما فعله مرقس أوريليوس بصدد وثن معين يدعى البورنوس . وهذه نقطة في مصلحة تعاليمنا أن الكرامة الألوية لا توهب بينكم إلا بأوامر

(١) قرر ترتوليانوس أيضا أن ييلاطس أرسل إلى طيباريوس تقريرا رسميا .

(٢) ولد ترتوليانوس في قرطاجنة حوالي سنة ١٦٠ م . وكان أبوه قائد مائة رومانيا أما هو فأشتغل كمحام في روما . ولكنه

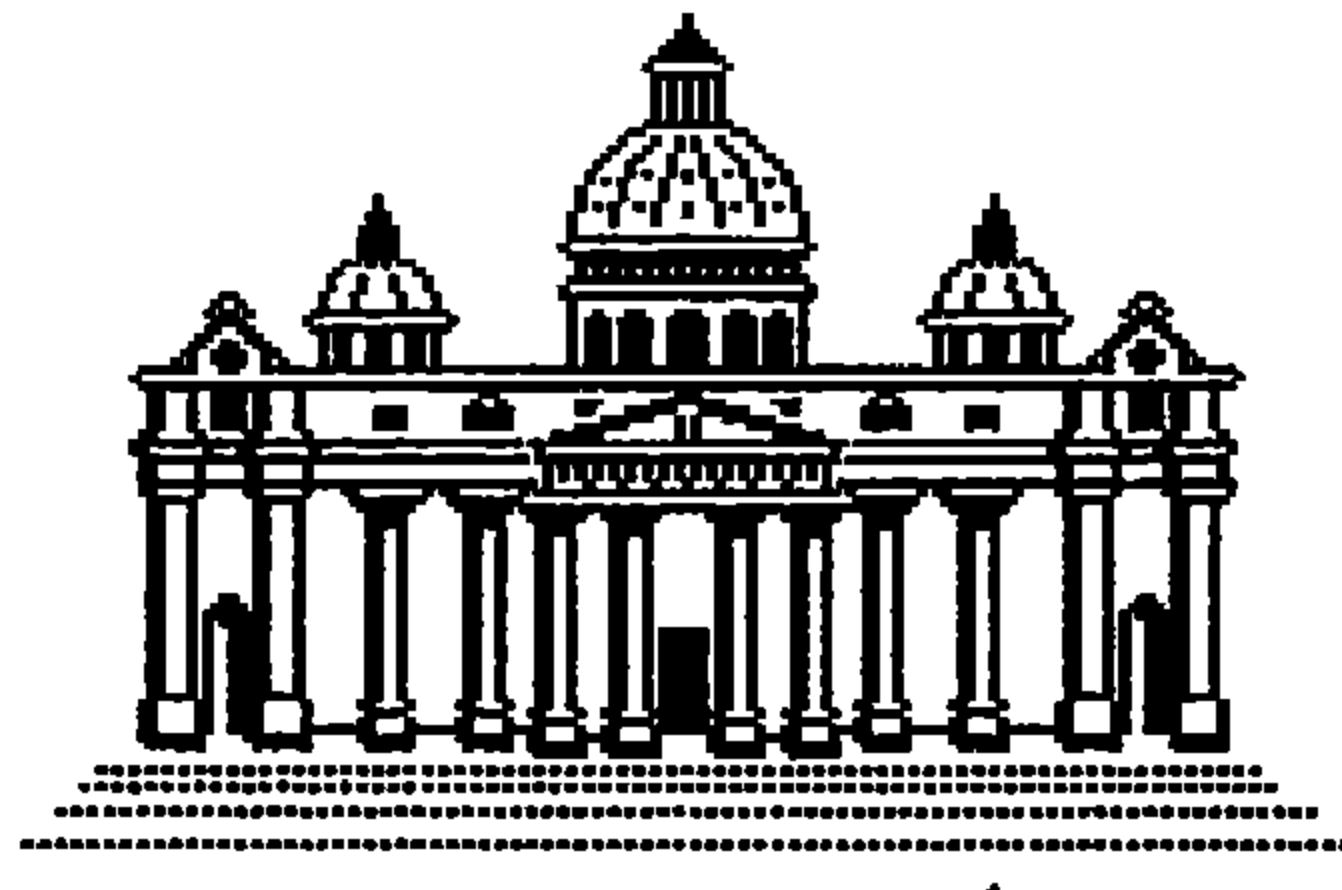
اعتنق المسيحية حوالي سنة ١٨٠ أو ١٩٠ م . وصار قسا حسب رأي جيروم . وقد كتب عدة كتب .

(٣) يعتبر كتاب احتجاجاته من أشهر ما كتب .

عالية بشرية . فأن كان أى إله لا يرضى أنسانا ما فإنه لا يؤله . وهكذا نرى بمقتضى هذه العادة أنه فى الضرورى للأنسان أن يكون كريما من نحو الله .

(٦) لذلك فأن طيباريوس -الذى فى عهده دخل اسم المسيح إلى العالم- عندما وصل إليه هذا التعليم من فلسطين التى بدأ فيها أولا ، اتصل بمجلس الأعيان ، وبين لهم بكل وضوح أعجابه بهذا التعليم . ولكن مجلس الأعيان رفضه لأنه لم يفصح به بنفسه . أما طيباريوس فإنه ظل متمسكا برأيه وهدد بالموت متهمى المسيحيين .

ولقد وضعت العناية السماوية هذا بحكمة فى عقله لكى لا يعاق تعليم الأنجيل فى بداءته بل يتشر فى كل أرجاء العالم .



الفصل الثالث

لقد انتشر تعليم المسيح بسرعة فى كل العالم

(١) وهكذا تحت تأثير القوة السماوية، ويتعاون إلهى، أثار تعليم المخلص كل العالم بسرعة كأشعة الشمس، وللحال خرج صوت الإنجيليين والرسل الملهمين إلى كل الأرض وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. [١]

(٢) وسرعان ما تأسست الكنائس فى كل مدينة وقرية، وامتألت بجماهير الشعب كيبدر ملء بالحنطة. والذين كبلت عقولهم بقيود خرافات مرض الوثنية القديم نتيجة الأخطاء التى تحدثت إليهم من آباؤهم وأجدادهم تحرروا بقوة المسيح العاملة فى تعليم تلاميذه وأعمالهم العجيبة، كأنهم قد تحرروا من أسياى قساة، وأطلق سراحهم من أقسى أنواع العبودية. واستقبحوا كل أنواع العبادة الوثنية الشيطانية القائلة بتعدد الآلهة ووجدوها، واعترفوا بأنه يوجد إله واحد فقط، خالق كل الأشياء، وأكرموه برسوم التقوى الحقيقية بواسطة العبادة الموحى بها المعقولة التى غرسها مخلصنا بين البشر.

(٣) وإذ أنسكبت النعمة الالهية الآن بين سائر الأمم، فإن كرنيليوس الذى من قيصرية فلسطين، قبل أولا الإيمان بالمسيح مع كل بنيه بواسطة رؤيا إلهية وعلى يدى بطرس. [٢] ويعدده جمهور من يونانيين آخرين فى أنطاكية، [٣] بشرهم بالإنجيل أولئك الذين تشتتوا بسبب اضطهاد استفانوس. ولما بدأت كنيسة أنطاكية تزاد وتكاثر، وقدم إليها أنبياء كثيرون من أورشليم، [٤] من بينهم برنابا وبولس، وأخوة كثيرون آخرون، فإن اسم «المسيحيين» بزغ هناك أولا [٥] كما من ينبوع عذب محيى.

(٤) ،نطق أغابىوس -واحد من الأنبياء كان معهم- بنبوة عن المجاعة التى كانت مزمنة أن تحصل، فأرسل بولس وبرنابا لسد احتياجات الأخوة. [٦]



(١) (مز ١٩ : ٤) (٢) (اع ١٠) (٣) (اع ١١ : ٢٠ و ٢١) (٤) انظر (اع ١١ : ٢٢ إلخ)

(٥) (اع ١١ : ٢٦) أطلق هذا الاسم على التلاميذ أولا بواسطة وثنى أنطاكية لا بواسطة اليهود ولا بواسطة الرسل أنفسهم

يرن الكلمة ينذر أن نجدنا فى العهد الجديد. (٦) (اع ١١ : ٢٨ - ٣٠)

الفصل الرابع

بعد موت طيباريوس عين كايوس أغريباس ملكا على اليهود
بعد أن عاقب هيرودس بنفى مؤبد

(١) ومات طيباريوس بعد أن حكم نحو اثنتين وعشرين سنة [١]. وخلفه على الأمبراطورية كايوس [٢]. وللحال أعطى حكم اليهود لأغريباس، [٣] جاعلا أياه ملكا على ولايتي فيلبس وليسانوس، وعلاوة عليهما -بعد ذلك بوقت قصير- منحه ولاية هيرودس، [٤] (الذي تألم المسيح في أيامه [٥] وامراته هيروديا بنفى مؤبد بسبب جرائم متعددة - ويشهد بهذه الحقائق يوسيفوس [٦].

(٢) وفي عهد هذا الأمبراطور اشتهر فيلو، [٧] وهو رجل كان معروفا جدا لا بين الكثيرين من بنى جنسنا فقط بل أيضا بين الكثيرين من العلماء خارج الكنيسة - لقد كان عبرانيا بالمولد، ولكنه لم يكن أدنى عن اعتلوا أسمى المراكز في الأسكندرية - أما كيف تعب كثيرا في الكتب المقدسة وفي دراسات أمته فهذا واضح للجميع من العمل الذي أتمه - وليس من الضروري أن نبين كيف أنه كان خيرا بالفلسفة والدراسات الحرة للأمم الأجنبية طالما عرف عنه أنه فاق كل معاصريه في دراسة الفلسفة الأفلاطونية والفيثاغورية التي كرس لها جهوده بصفة خاصة -



-
- (١) من ٢٩ أغسطس سنة ١٤م إلى ١٦ مارس سنة ٣٧م .
(٢) حكم كايوس من موت طيباريوس إلى ٢٤ يناير سنة ٤١م .
(٣) هيرودس أغريباس الأول، وكان ابن أرسطوبولس وحفيد هيرودس الكبير وقد تعلم في روما وكسب صداقة كايوس الذي حالما ارتقى العرش جعله ملكا على ولايتي فيلبس وإيسانوس . وفي سنة ٣٩م أعطاه ولاية الجليل ويبريه التي كان يحكمها هيرودس انتباس . وبعد موت كايوس عينه كلوديوس خلفه ملكا أيضا على ولاية اليهودية والسامرة الأمر الذي جعله ملكا على كل فلسطين . وهذا ملك مترامي الأطراف كملك هيرودس الكبير . وكان محافظا على الناموس اليهودي ولذا نجح في كسب محبة اليهود . وهو الذي قطع رأس يعقوب الكبير وسجن بطرس اع ١٢ . ومات بمرض مسروع في سنة ٤٤م . انظر الفصل العاشر فيما بعد .
(٤) هيرودس انتباس . (٥) انظر لوقا ٢٣ : ٧ - ١١ . (٦) آثار ١٨ : ٦ و ٧ وتاريخ اليهود ٢ : ٩ ، ٦ .
(٧) كان يهوديا اسكندريا من عائلة رفيعة .

الفصل الخامس

إرسالية فيلو إلى كايوس نيابة عن اليهود

(١) لقد أعطانا فيلو -في خمسة كتب- وصفا عن مصائب اليهود في عهد كايوس . وفي نفس الوقت وصف جنون كايوس: كيف دعا نفسه إلها، وأجرى -كامبراطور- مظالم لا حصر لها . ثم وصف بعد ذلك بلایا اليهود في عهده، وقدم بيانا عن الإرسالية التي أرسل فيها هو نفسه إلى روما نيابة عن شعبه في الإسكندرية، وكيف أنه عندما ظهر أمام كايوس دفاعا عن شرائع آبائه لم يلق إلا الضحك والسخرية، معرضا حياته للخطر .

(٢) ويذكر يوسفوس أيضا هذه الأمور في الكتاب الثامن عشر من مؤلفه «الأثار» في الكلمات التالية . [١]

«إذ قامت فتنة في الإسكندرية بين اليهود الساكنين هناك واليونانيين [٢] أختير ثلاثة مندوبين من كل طرف وذهبوا إلى كايوس .

(٣) كان «أيون» [٣] أحد مندوبي الإسكندرية . وقد تفوه بشتائم كثيرة ضد اليهود، وضمن ما قاله أنهم تغافلوا عن الأكرام الواجب لقيصر . لأنه بينما أقام كل رعايا روما مذابح وهايكل إلى كايوس، وعاملوه في كل النواحي الأخرى معاملة الإلهة، فأنهم وحدهم اعتبروه أمرا مشينا أن يكرموه بأقامة التماثيل ويحلفوا باسمه .

(٤) «وعندما وجه أيون تهما قاسية كثيرة كان يرجو أن يهيج بها كايوس كما كان منتظرا فعلا، فأن فيلو رئيس وفد اليهود، وهو رجل محترم من كل وجه، وأخ اسكندر الأبارك، [٤] ومقتدر في الفلسفة، كان مستعدا للدفاع ردا على تهمة .

(١) آثار ١٨ : ٨ : ١

(٢) بدأت هذه الفتنة سنة ٣٨م بعد اعتلاء كايوس العرش مباشرة .

(٣) رئيس المندوبين اليونانيين، وكان كاتباً قديراً وعالماً يونانياً كما من ألد أعداء اليهود .

(٤) رئيس قضاة اليهود في الإسكندرية، وكان غنياً جداً وذات نفوذ واسع .

(٥) «ولكن كايوس منعه وأمره بمغادرة المكان . وإذ تهيج جدا كان واضحا أنه يفكر في اتخاذ بعض إجراءات قاسية ضدهم . وغادر فيلو المكان تغطية الأمانة، وقال لليهود المرافقين له أن يتشجعوا، لأنه بينما كان كايوس نائرا ضدهم كان هو في الواقع يجاهد مع الله» . إلى هنا تنتهي رواية يوسفوس .

(٦) أما فيلو نفسه، في مؤلفه عن «الأرسالية» الذي كتبه، فإنه يصف بدقة وتفصيل كل ما فعله في ذلك الوقت . ولكنني سأتناهى عن معظم هذا، وأدون فقط تلك الأمور التي توضح بجلاء للقارئ أن مصائب اليهود حلت بهم بعد وقت وحيز من أعمالهم الجريئة ضد المسيح وبسببها .

(٧) ففي بادئ الأمر يروى أنه في روما، وفي وقت حكم طيباريوس، بذل سيجانوس -الذي كان وقتئذ يحظى بنفوذ عظيم لدى الأمبراطور- كل جهد لأبادة الأمة اليهودية عن آخرها . [٥] وفي اليهودية حاول ييلاطس -الذي أرتكبت في عهده الجرائم ضد المخلص- اتخاذ إجراء مخالف للناموس اليهودي من ناحية الهيكل الذي كان لا يزال وقتئذ قائما في أورشليم، مما هيج اليهود وفعلهم لأحداث شغب عظيم . [٦]



(٥) كان اليهود يحظون بعطف أوغسطس قيصر . ولكن طيباريوس ثار ضدهم . ثم طردوا من روما وحلت بهم مظالم كثيرة .

(٦) برهن ييلاطس على قسوة متناهية في اضطهاد اليهود بطرق متنوعة ووسائل شتى في كل مدة حكمه .

الفصل السادس

المصائب التي حلت باليهود بعد وقاحتهم على المسيح

(١) بعد موت طيباريوس سلمت مقاليد الامبراطورية إلى كايوس، وبجانب المظالم التي لا حصر لها التي ارتكبتها ضد شعوب كثيرين، بطش بصفة خاصة بكل أمة اليهود. وهذه أمور نتعلمها بإيجاز من كلمات فيلو الذي كتب ما يلي.

(٢) «كان شذوذ كايوس في تصرفاته نحو الجميع شديدا جدا، سيما نحو أمة اليهود. وقد بلغت كراهيته لهؤلاء الآخرين أشدها، حتى أنه اتخذ لنفسه أماكن عبادتهم في المدن الأخرى وبدأ بالأسكندرية فملأ هذه الأماكن، بتماثيل وصور لشخصه (لأنه إذ سمح للآخرين بأقامتها فكأنه أقامها هو بنفسه). أما الهيكل في المدينة المقدسة، الذي كان لم يمض إلى ذلك الوقت، وكان معتبرا مكانا لا تنتهك حرمة، فإنه غيره وحوله إلى هيكل لنفسه ليدعى إلى هيكل جوبتر «المشتري» المنظور، كايوس الأصغر».

(٣) وفي مؤلف آخر لنفس الكاتب دعاه «الفضائل» دون مصائب أخرى مروعة، لا تحصى ولا يمكن أن توصف، حلت باليهود في الأسكندرية أثناء حكم نفس الامبراطور. ويتفق معه أيضا يوسيفوس الذي يوضح كذلك أن مصائب كل الأمة بدأت في عهد بيلاطس وعقب جرائمهم الجريئة ضد المخلص.

(٤) استمع إلى ما يقوله في الكتاب الثاني من مؤلفه عن «حرب اليهود» حيث يكتب الآتي:

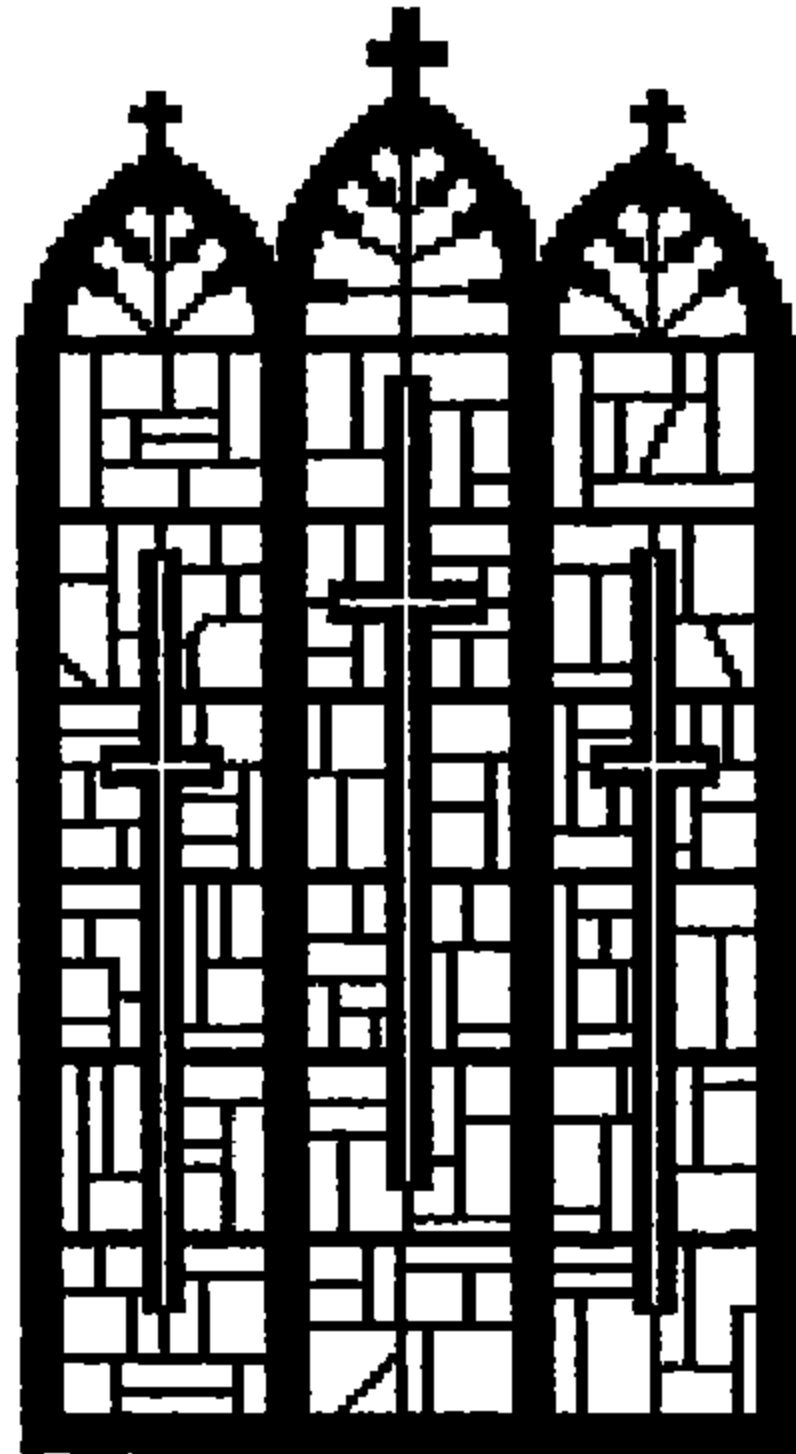
«لما أرسل بيلاطس إلى اليهودية كوال من قبل طيباريوس حمل إلى اورشليم ليلا تماثيل للأميراطور مقنعة، دعيت رموزاً. وفي اليوم التالي أحدث هذا أعظم اضطراب بين اليهود. لأن القريين اضطربوا من المنظر لما رأوا أن نواميسهم تداس بالأقدام. فهم لا يسمحون بأقامة أي تمثال في مدينتهم».

(٥) وبمقارنة هذا بكتابات الانجليين ترى أنه لم يمض وقت طويل حتى حل بهم القصاص من أجل صراخهم في عهد بيلاطس نفسه عندما صرخوا قائلين أنهم ليس لهم ملك إلا قيصر. [١]

(٦) وقرر نفس الكاتب فيما بعد أنه حلت بهم بعد ذلك مصيبة أخرى، فكتب الآتي: «بعد هذا أثار فتنة أخرى باستخدام الأموال المقدسة التي تدعى «قربان» لإنشاء قناة ماء طويلة ثلاثمائة ستاديا. [٢]

(٧) «أما الجماهير فاستأثروا من الأمر جدا . ولما جاء ييلاطس إلى أورشليم أحاطوا عرشه، وقدموا شكواويهم بصوت عال . أما هو فإذ أحس مقدما بالشغب وزع بين الجماهير جنودا مسلحين متخفين في زى مدنيين، ومنعهم من استعمال السيف، بل أمرهم بأن يضربوا بهراوة كل من يرفع صوته صائحا، وعندئذ أعطاهم الإشارة السابق الاتفاق عليها . وإذ ضرب اليهود هلك الكثيرون منهم نتيجة الضرب، بينما ديس آخرون كثيرون تحت أقدام مواطنيهم لدى هربهم، وهكذا قتلوا . على أن الجماهير إذ أشدت خوفهم بسبب ما رأوه من مصير الذين قتلوا خلدوا إلى الهدوء» .

(٨) وعلاوة على هذه سجل نفس الكاتب أخبار فتنات أخرى كثيرة ثارت في أورشليم نفسها، وبين كيف تتابعت بسرعة الفتنات والحروب والمؤامرات الدينية منذ ذلك الوقت، ولم تبطل قط في المدينة وفي كل اليهود إلا بعد أن أطبق عليهم أخيرا حصار فسبسيان . وهكذا نرى أن الانتقام الإلهي حل باليهود بسبب الجرائم التي تجاسروا على ارتكابها ضد المسيح .



الفصل السابع

انتحار پيلاطس

ومما يجدر بالملاحظة أن بيلاطس نفسه، الذي كان حاكما في أيام مخلصنا، قيل عنه أنه حلت به بعض المصائب في عهد كايوس، الذي نتحدث الآن عن عهده، حتى أنه اضطر إلى أن يصير قاتل نفسه ومنتفذ القتل [١٠]. وهكذا لم يبطئ الانتقام الإلهي في الأقتصاص منه. هذا ما رواه المؤرخون اليونانيون الذين كتبوا الأولومبياده ودونوا الحوادث المتتابعة التي حدثت في كل فترة.

الفصل الثامن

المجاعة التي حدثت في عصر كلوديوس

(١) لم يتم كايوس في الحكم أربع سنوات حتى خلفه الإمبراطور كلوديوس [١٠]. وفي عهده حلت بالعالم مجاعة رواها الكتاب الغرباء عن ديانتنا في تواريخهم. وهكذا تمت نبوة أغابوس المدونة في سفر أعمال الرسل [٢] التي كانت تقضى بأه ستحل مجاعة بالعالم كله:

(٢) وبعد أن ذكر لوقا في سفر الأعمال أمر المجاعة في أيام كلوديوس، وروى أن الأخوة في أنطاكية أرسلوا إلى الأخوة في اليهودية بيد برنابا وشاول كل واحد منهم حسب قدرته [٣] أضاف الرواية التالية:

(١) كان سقوط بيلاطس على هذا الوجه: لقد وعد قائد السامريين أن يكشف عن الكنوز المقدسة التي قيل أن موسى أخفاها في جبل جرزيم. فتجمع السامريون من كل الأرجاء. وإذ ظن بيلاطس أن هذا التجمع فتنة جرد جيشا ضدهم فقتل منهم كثيرين. ولما شكوا السامريون إلى فيتيليوس والي سوريا أرسل هذا الوالي بيلاطس إلى روما سنة ٣٦م ليجيب عن التهم الموجهة إليه. ولدى وصوله إلى روما وجد أن طياريوس قد مات وجلس على العرش مكانه كايوس الذي نقاه إلى فينا حيث أنتحر هناك.

(١) ظل كايوس في الحكم من ٣٨ مارس سنة ٣٧م إلى ٢٤ يناير سنة ٤١م حتى خلفه عمه كلوديوس.

(٢) (اع ١١ : ٢٩ و ٣٠)

(٣) (اع ١١ : ٢٨)

الفصل التاسع

استشهاد يعقوب الرسول

- (١) «وفي ذلك الوقت [١] (واضح أنه يشير إلى وقت كلوديوس) مد هيرودس الملك [٢] يديه ليسى إلى أناس من الكنيسة . فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف» .
- (٢) أما بخصوص يعقوب هذا فإن أكليمنضس فى الكتاب السابع من مؤلفه «وصف المناظر» يروى رواية جديرة بالذكر، ناقلا أياها كما وصلت إليه عن عاصروه . فيقول أن الشخص الذى قاد يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رآه حاملا شهادته، واعترف أنه هو أيضا مسيحى .
- (٣) ثم يقول أن كليهما أقيدا معا إلى الخارج، وفى الطريق توصل إلى يعقوب أن يسامحه . أما هو فبعد تفكير قصير قال «سلام معك» وقبله . وهكذا قطعت رأس كليهما فى وقت واحد .
- (٤) ويعد ذلك -حسب رواية الكتب الألهية- إذ رأى هيرودس، بعد موت يعقوب، أن ذلك يرضى اليهود، هجم على بطرس أيضا وأودعه السجن، وأراد قتله لولا أنه أطلق سراحه من وثقه بكيفية عجيبة، وحرر لخدمة الأنجيل، وذلك بعد رؤيا إلهية رأى فيها ملاكا أتاه ليلا . هكذا كانت عناية الله ببطرس .



(١) (اع ١٢ : ١ و ٢)

(٢) هيمودس أغرياس الأول . انظر الفصل الرابع ملاحظة ٦

الفصل الحاشى

إذ اضطهد أغريباس - الذى يدعى أيضا هيرودس - الرسل حل به الانتقام الإلهى فى الحال

(١) لم تتأخر كثيرا نتائج تدبيرات الملك ضد الرسل . ولكن انتقام العدل الألهى حل به بعد مؤامراته ضدهم مباشرة كما يخبرنا سفر الأعمال [١] لأنه لما سافر إلى قيصرية فى أحد الأعياد المشهورة، ولبس حلة فاخرة ملوكية، ألقى خطابا للشعب من كرسى مرتفع أمام القصر . ولما استحسّن كل الجمهور الخطاب، مدعين أن الصوت صوت إله لا صوت إنسان، يروى الكتاب أن ملاك الرب ضربه، وإذ صار يأكله الدود أسلم الروح .

(٢) ونحن لا يسعنا إلا الإعجاب برواية يوسفوس لاتفاقه مع الكتب الألهية بصدد هذا الحادث العجيب . لأنه يشهد للحق بوضوح فى الكتاب التاسع عشر من مؤلفه «الآثار» حيث يتحدث عن هذه الأعجوبة فى الكلمات التالية .

(٣) «ولما أكمل السنة الثالثة من حكمه على كل اليهودية» [٢] جاء إلى قيصرية التى كانت تدعى سابقا حصن ستراتو [٣] وهناك أقام الألعاب اكراما لقيصر، لعلمه أن هذا عيد يحتفل به تذكارا لنجاة قيصر . وفى هذا العيد أحتشد عدد عظيم جدا من الأشراف وأعيان الولاية .

(٤) «وفى اليوم الثانى من الألعاب تقدم إلى المرسح عند بزوغ النهار لابسا حلة كلها من فضة ونسيج فاخر . وهناك تلمعت الفضة بانعكاس أشعة الشمس المبكرة، فأضاءت بكيفية خلافة، وأبرقت وضاءات حتى أحدثت نوعا من الرعب والفرع فى قلوب المتطلعين إليها .

(٥) «وللحال رفع متملقوه أصواتهم، الواحد من هنا والآخر من هناك، بكيفية لم تكن فى مصلحته، داعين إياه إلهًا وقائلين: كن رحيمًا، أن كنا إلى الآن قد خشيناك كأنسان فأنا من الآن نعرف بأنك أسمى من طبيعة البشر الذين يفتنون .

(١) (اع ١٢ : ١٩ النخ)

(٢) سنة ٤٤ م . فإن أغريباس بدأ يحكم كل المملكة سنة ٤١ م انظر ملاحظة ٦ .

(٣) تقع قيصرية على البحر الأبيض المتوسط شمال غرب أورشليم . وفى أيام سترابو كانت هناك مدينة صغيرة تدعى حصن ستراتو . ولكن هيرودس الكبير بنى سنة ١٠ ق م مدينة قيصرية التى سرعان ما أصبحت أهم مدينة رومانية فى فلسطين . وصارت فيما بعد مقرا للمدرسة مسيحية عظيمة، كما لعبت دورا هاما فى تاريخ الكنيسة . وكان يوسابيوس نفسه أسقفا لها .

(٦) «لم يوبخهم الملك، ولا رفض تملقهم الوقح: ولكنه بعد قليل إذ نظر إلى فوق رأى ملاكا جالسا أعلى رأسه، فأدرك في الحال أن هذا سيكون سبب شر كما كان في إحدى المرات سبب حظ طيب، [٤] وضرب بألم نافذ إلى قلبه.

(٧) «وللحال حلت بأمعائه آلام بدأت بمتهى الشدة. وإذ تطلع إلى أصدقائه قال: لقد صدر الأمر الآن لى أنا إلهكم لمغادرة هذه الحياة، شاء القدر أن يكذب كلمات الخداع التى نطقتم بها عنى الآن. فأن من دعوتوه خالدا يساق الآن إلى الموت. ولكننا يجب أن نقبل مصيرنا كما حدده الله. لأننا لم نقض حياتنا قط فى هوان بل فى مجد، فى تلك العظمة التى يدعونها سعادة.

(٨) «ولما قال هذا تلوى فى آلام مبرحة. فحمل عاجلا إلى القصر، وانتشرت الأخبار بين الجميع بأن الملك سيموت سريعا لا محالة. أما الجماهير فأنهم مع زوجاتهم وأولادهم جلسوا على المسرح كعادة آبائهم، وتضرعوا إلى الله من أجل الملك، وامتلأ كل مكان بالعويل والدموع. [٥] وإذ كان الملك مضطجعا فى غرفة عالية ورآهم فى أسفل، منبطحين على الأرض، لم يتمالك نفسه من البكاء.

(٩) «وبعد أن ظل خمسة أيام بلا انقطاع يعانى آلاما شديدة فى أمعائه، فارق الحياة فى الرابعة والخمسين من عمره، وفى السابعة من ملكه. [٦] وقد حكم أربع سنوات فى عهد الإمبراطور كايوس. ثلاثا منها على ولاية فيلبس التى أضيفت إليها ولاية هيرودس [٧] فى السنة الرابعة، وثلاث سنوات فى عهد الإمبراطور كلوديوس.

(١٠) وأنتى لا تعجب أشد العجب كيف أن يوسيفوس فى هذه الأمور، كما فى غيرها، يتفق تماما مع الكتب الألهية. أما إذا بدا لأى واحد أى اختلاف من جهة اسم الملك، فأن التواريخ والحوادث على الأقل تبين أن نفس الشخص هو المقصود بالذات، سواء حدث تغيير الاسم لسبب خطأ الناسخ أو لأنه كان كالكثيرين يحمل اسمين. [٨]

(٤) وردت هذه الفقرة فى تاريخ يوسيفوس هكذا «ولكنه إذ نظر إلى فوق بعد ذلك مباشرة رأى بومة جالسة على جبل أعلى رأسه فأدرك فى الحال أن هذا الطائر نذير بالأخبار السيئة كما كان فى إحدى المرات بشيرا له بالأخبار الطيبة». ويعلل بعض المؤرخين هذا الاختلاف باختلافات فى نسخ تاريخ يوسيفوس.

(٥) هذا يبين مقدار نجاح اغرياس فى استمالة قلوب اليهود، بعكس ما ظهر عند موت جده هيرودس الكبير.

(٦) ولد سنة ١٠ ق.م. وبدأ يحكم خلفا لفيلبس وليسانئوس فى سنة ٣٧. انظر ملاحظة ٣ ص ٧١.

(٧) هيرودس انتيباس.

(٨) كان لوقا يطلق على الملك دواما اسم هيرودس وهو اسم العائلة، أما يوسيفوس فيدعوه باسمه اغرياس. وهو المعروف لنا باسم هيرودس اغرياس الأول.

الفصل الحادى عشر

ثوداس المحتال وأتباعه

(١) يحدثنا لوقا فى سفر الأعمال أن غملائيل قال، فى المشاورة التى تمت بخصوص الرسل، أنه فى الوقت المشار إليه «قام ثوداس مفتخرا بنفسه أنه شىء . الذى قتل . وجميع الذين اتقادوا إليه تبددوا» [١] والآن دعنا نضيف رواية يوسيفوس عن هذا الرجل . فإنه دون فى مؤلفه المشار إليه الظروف التالية :

(٢) «لما كان فادوس [٢] واليا على اليهودية قام شخص مسحتال يدعى ثوداس وأقنع جمهورا كبيرا جدا بأن يأخذوا ممتلكاتهم ويتبعوه إلى نهر الأردن . لأنه قال أنه نبي وأن النهر سينشق بناء على أمره ويهد لهم معبرا سهلا . وبهذه الكلمات خدع الكثيرين .

(٣) «غير أن فادوس لم يسمح لهم بالتمادى فى حماقاتهم، بل أرسل فرقة من الخيالة ضدهم، فوقعوا بهم على غير انتظار وقتلوا منهم كثيرين، وألقوا القبض على كثيرين آخرين أحياء، بينما أخذوا ثوداس نفسه أسيرا، وقطعوا رأسه وحملوها إلى أورشليم» .

وعلاوة على هذا يذكر أيضا المجاعة التى حدثت فى أيام كلوديوس بالكلمات التالية .



(١) (اع ٥ : ٣٦) .

(٢) Fadus حوالى سنة ٤٤ م .

الفصل الثاني عشر

هيلانة ملكة الأوسراهيفيين^[١]

- (١) [٢] وفى هذا الوقت (٣) حدثت فى اليهودية المجاعة العظيمة التى فى أثنائها اشترت الملكة هيلانة (٤) قمحا من مصر بمبالغ طائلة ووزعته على المحتاجين .
- (٢) وهذه الحقيقة تجدها أيضا متفقة مع سفر أعمال الرسل ، حيث قيل أن التلاميذ فى أنطاكية «احتفوا حسبما تيسر لكل منهم أن يرسلوا مساعدة إلى الأخوة الساكنين فى اليهودية . الأمر الذى فعلوه أيضا مرسلين إلى المشايخ بأيدى برنابا وبولس» (٥) .
- (٣) على أنه لا تزال هنالك آثار عظيمة فى ضواحي المدينة التى تدعى الآن إليا (٦) لهيلانة هذه التى ذكرها المؤرخ . ولكن يقال أنها كانت ملكة الأديابينيين .



-
- (١) انظر الملاحظة ٧ صفحة ٦٥ .
- (٢) يوسيفوس (آثار ٢٠ : ٥ : ٢) .
- (٣) فى عهد الروالين كوسيوس فادوس وطياروس اسكندر .
- (٤) كانت زوجة للملك مونابازوس Monabazus ملك اديابين Adiabene وأما لايزاتس Lzates الذى خلفه . وقد اعتنقت هذه الملكة هى وابنها الديانة اليهودية وقدمتا خدمات جليلة لليهود حتى أنهما بعد موتهما نقلت جثتهما إلى أورشليم ودفنا جانب الأسوار مباشرة من الخارج حيث كانت هيلانة قد بنت ثلاثة أهرامات (آثار ٢٠ : ٤ : ٣) .
- (٥) (اع ١١ : ٢٩ و ٣٠) .
- (٦) Aelia كانت هى المدينة الوثنية التى بناها هادريان مكان أورشليم (انظر فيما يلى كتاب ٤ فصل ٦) .

الفصل الثالث عشر

سيمون الساحر

(١) إذ ذاع الآن الايمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح بين كل البشر دبر عدو خلاص الانسان خطة للاستيلاء على المدينة الامبراطورية . لذلك دفع سيمون السابق ذكره وساعده في فنونه المضللة، وضلل الكثيرين من سكان روما، وهكذا جعلهم في سلطانه .

(٢) هذا ما قرره يوستينوس، وهو أحد كتابنا البارزين، عاش بعد عصر الرسل بوقت قصير . وسأحدث عنه في المكان المناسب (١) . خذ اقرأ كتابة هذا الرجل الذي في احتجاجه الأول (٢) الذي ألقاه أمام انطونين دفاعا عن ديانتنا كتب ما يلي (٣) .

(٣) «وبعد صعود الرب إلى السماء دفعت الشياطين رجلا معينين قالوا أنهم آلهة، ولم يسمحوا لهم فقط بأن يظلوا غير مضطهدين، بل اعتبروا أيضا مستحقين الإكرام . كان أحدهم سيمون، وهو سامري من قرية جتو (٤) . وفي عهد كلوديوس قيصر أجرى في مدينتك الامبراطورية بعض أعمال السحر العجيبة بفضل الشياطين التي كانت تعمل فيه، واعتبر إلها، وكاله أكرمه بتمثال أقيم في نهر التير (٥) بين القنطرتين، ونقشت عليه هذه الكتابة باللاتينية Simoni Des Sancto أى (إلى سيمون الإله القدوس) .

(٤) «وصار كل السامريين تقريبا، وقليلون حتى من الأمم الأخرى، يعترفون به ويعبدونه كالاله الأول . وحالت معه في ذلك الوقت امرأة تدعى هيلانة (٦) ، كانت سابقا عاهرة في مدينة صور من أعمال فينيقية، وهم يدعونها الفكرة الأولى التي برزت منه» .

(١) كتاب ٤ فصل ٨ و ١١ و ١٦ - ١٨ .

(٢) بخصوص احتجاج يوستينوس اقرأ فيما بعد ك ٤ ف ١٨ .

(٣) احتجاجات يوستينوس ١ : ٢٦ .

(٤) Gitto إحدى قرى السامرة .

(٥) أى في الجزيرة القائمة وسط نهر التير، وهي تحت الفاتيكان بمسافة قصيرة .

(٦) تحدث عنها بتس المعنى كل من آيناوس وهيوليتس وترتليانوس وايفانيوس إلخ .

(٥) وقد روى هذه الأمور يوستينوس، وأتفق أيضا إيريناوس في الكتاب الأول من مؤلفه «ضد الهرطقات»، حيث تحدث عن هذا الرجل وعن تعاليمه الفاسدة. ويعتبر من باب تحصيل الحاصل سرد روايته هنا، لأنه من السهل لمن يريد معرفة أصل المهرطقين الذين اتبعوه وحياتهم وتعاليمهم الكاذبة، ومعرفة العوائد التي مارسوها كلهم، أن يجدها مفصلة في مؤلف إيريناوس السابق الإشارة إليه.

(٦) ونحن نعلم أن سيمون هو منشئ كل بدعة. ومنذ عصره إلى الوقت الحاضر نرى أن كل الذين اتبعوا هرطقته قد تظاهروا بفلسفة المسيحيين الوقورة المتزنة، المعروفة للجميع بسبب طهارة الحياة التي تنادى بها. على أنهم مع ذلك رجعوا ثانية لخرافات الأوثان التي تظاهروا بأنهم قد نبذوها وصاروا يخرون أمام صور وتماثيل سيمون نفسه، وهيلانة السابق ذكرها التي رافقته، ويتجاسرون على عبادتها بالبخور والذبائح والسكائب.

(٧) على أن تلك الأمور التي يحتفظون بسريتها أكثر من هذه، والتي يقولون عنها أن المرء لدى سماعه عنها لأول مرة يندهش، بل «يرتبك» (حسب العبارات المسجلة كتابة المألوفة بينهم)، هي في الحقيقة مليئة بالمدهشات، وبالجنون والحماسة، لأنها من النوع الذي يستحيل أيضا على أناس محتشمين مجرد التلفظ بها بشفاههم بسبب انحطاطها المتناهي وفجورها المتزايد.

(٨) لأنه أية سفالة يمكن تصورها أدنى من أسفل السفائل، تلك التي برز فيها أولئك السفلة الذين يلهون ويعبثون بالنساء التعسفات اللاتي تغلبن من كل أنواع الرذائل.



الفصل الرابع عشر

كرازة بطرس الرسول في روما

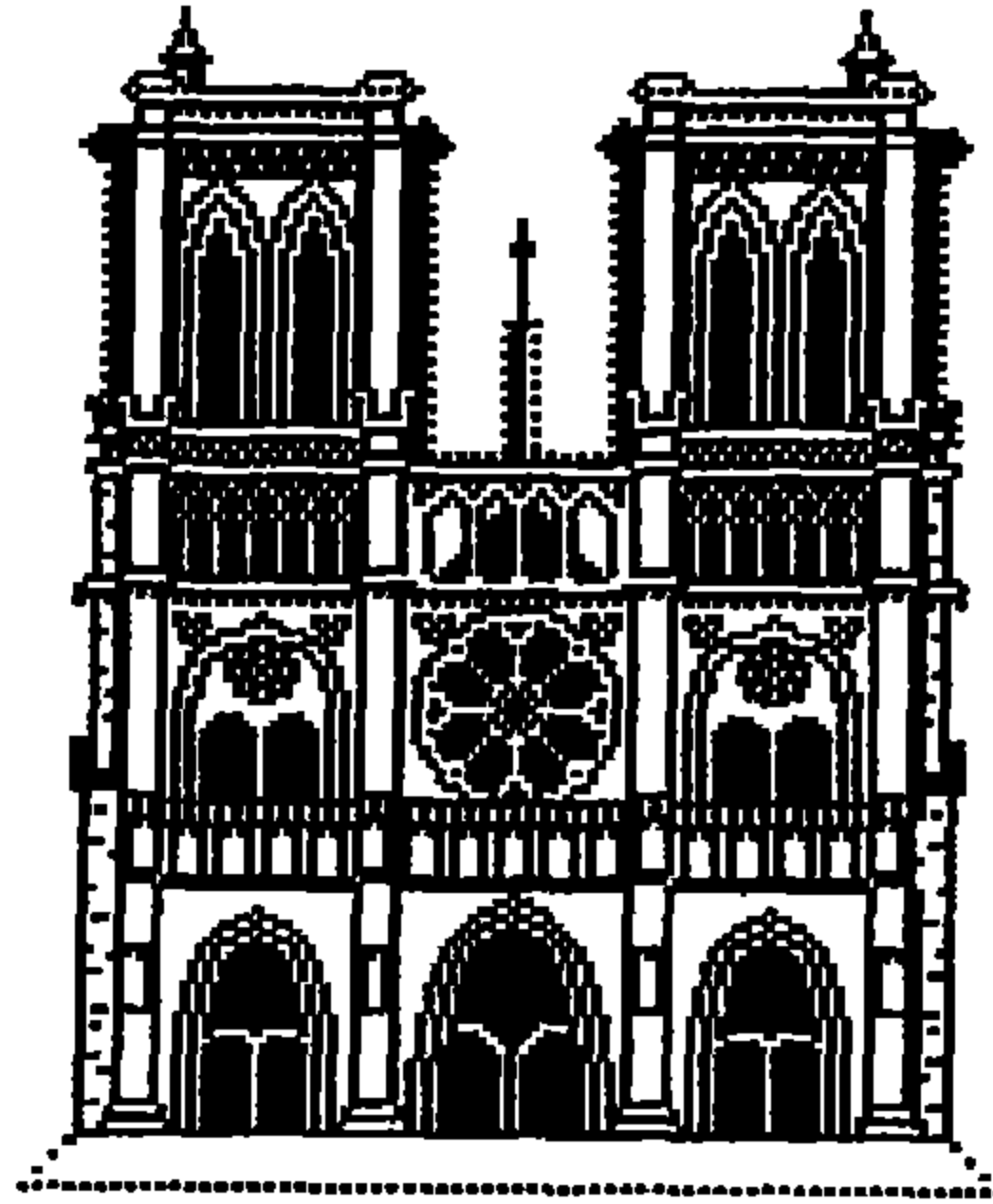
- (١) إن الشرير الذى يبغض كل خير، ويتآمر على خلاص البشر، جعل من سيمون وقتئذ أبا ومنشأ لهذا الشر، كأنه أراد أن يقيم عدوا شديدا للبأس ضد رسل مخلصنا العظماء الموحى إليهم.
- (٢) أما تلك النعمة السماوية الإلهية، التى تتعاون مع خدامها، فسرعان ما أطفأت لهب الشرير المشتعلة وبواسطتهم أذلت وهدمت «كل علو يرتفع ضد معرفة الله» [١].
- (٣) لذلك لم تقلح مؤامرات سيمون أو غيره ممن قاموا فى ذلك الوقت بأن تعمل شيئا فى العصر الرسولى. لأن كل شيء قد قهر وأخضع أمام جلال الحق، وأمام الكلمة الإلهية نفسها، التى بدأت مؤخرا تشرق من السماء على البشر، والتى كانت وقتئذ مزدهرة على الأرض، وحالة فى الرسل أنفسهم.
- (٤) وللحال ضرب المحتال السابق ذكره فى عينى ذهنه بريق إلهى، معجزى، وبعد أن كشف بطرس الرسول فى أول الأمر فى اليهودية الأعمال الشريرة التى عملها هرب وقام بسياحة عظيمة عبر البحر من الشرق إلى الغرب، ظانا بأنه يستطيع أن يعيش حسب هواه بهذه الطريقة وحدها.
- (٥) وإذ أتى إلى مدينة روما استطاع، بالتعاون مع الشرير الذى كان فى انتظاره هناك، أن ينجح فى تدابيرهِ فى وقت قصير، حتى أن الساكنين هناك أكرموا كاله بإقامة تمثال له.
- (٦) على أن هذا لم يستمر طويلا. لأنه فى الحال، فى عهد كلوديوس، ارشدت العناية الإلهية - كلية الصلاح والرحمة الساهرة على كل الأمور - بطرس، أقوى الرسل وأعظمهم، والذى بسبب فضيلته كان يتكلم نائبا عن الباقين، أرشدته إلى روما [٢] ضد هذا المفسد العظيم. أما هو فكقائد نبيل لله متشح

(١) (٢ كور ١٠ : ٥).

(٢) قال ناشر الطبعة الانكليزية ما يلى:

«مع أننا نستطيع أن نسلم بزيارة بطرس لروما واستشهاده فيها إلا أنه من المؤكد عدم وصوله هناك قبل أواخر حكم نيرون. أما زعم الكنيسة الباباوية بأنه ظل أسقفا على روما ٢٥ سنة وأنه كان فيها فى عصر كلوديوس فلا يتفق مطلقا =

بأسلحه إلهية، نقل من الشرق إلى سكان الغرب بضاعة نور الذهن النفيسة، معلنا النور نفسه، والكلمة التي تأتي بالخلاص إلى النفوس، وكارزا بملكوت الله.



= مع ما نعرفه عن حياة بطرس من العهد الجديد ومن الكتاب الأوائل . لأنه في سنة ٤٤م كان في أورشليم (وفقا لما ورد في إغ ١٢ : ٣) . وفي سنة ٥١ كان هناك أيضا (وفقا لما هو وارد في إغ ١٥)، وبعد ذلك في انطاكية (غل ١ : ١١ إلخ) . وعلاوة على هذا فقد خدم في مقاطعات كثيرة من آسيا الصغرى كما نرى ذلك من رسالته الأولى، التي كتبها على الأرجح من بابل التي على نهر الفرات (انظر ف ١٥ ملاحظة ٣ صفحة ٨٥) . وعلى أي حال فلا يمكن القول أنه كان في روما عندما كتب بولس رسالته إلى أهلها حوالي سنة ٥٧ أو ٥٨، لأنه لم يرد أي ذكر لاسمه بين الأخوة الذين بعث إليهم تحياته ولا كان هناك لما كتب بولس من روما أثناء حبسه (من سنة ٦١ أو ٦٢ إلى سنة ٦٣ أو ٦٤) . والواقع أننا لا نجد له أي أثر في روما إلا ما رواه التقليد من أنه استشهد فيها ولهذا فأننا نستنتج أنه لم يذهب إليها إلا قبيل استشهاده . ونظرا لأن أغلب المؤرخين يقررون أن سيمون لم يذهب إلى روما إلا في حكم نيرون، فإنهم يقررون أيضا أنه ذهب وراء بطرس إليها .

الفصل الخامس عشر

إنجيل مرقس

(١) وهكذا عندما ذات الكلمة الإلهية بينهم [١] انطفأت قوة سيمون وتلاشت كما تلاشى الشخص نفسه . وأضاء جلال التقوى عقول سامعى بطرس للدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مرة واحدة فقط ، ولم يقنعوا بتعاليم الإنجيل الإلهى غير المكتوبة ، بل توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس ، أحد تابعى بطرس ، والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا ، لكى يترك لهم أثرا مكتوبا عن التعاليم التى سبق أن وصلتهم شفويا . ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل ، وهكذا منحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذى يحمل اسم مرقس .

(٢) ويقولون أن بطرس عندما علم ، بوحى من الروح بما حدث ، سرته غيرة هؤلاء الناس ، ونال السفر موافقته لاستعماله فى الكنائس . [٢] وقد أيد هذه الرواية اكليمينضس فى الكتاب الثامن من مؤلفه «وصف المناظر» ، وأتفق معه أيضا أسقف هيرابوليس المسمى بابياس . [٣] ثم اتنا نرى بطرس يذكر مرقس فى رسالته الأولى التى يقال أنه كتبها فى روما نفسها ، كما يوضح هو عندما يدعو المدينة رمزيا «بابل» فى الكلمات التالية «تسلم عليكم الكنيسة التى فى بابل المختارة معكم ، ومرقس ابنى» . [٤]

(١) وقال أيضا ناشر الترجمة الانكليزية ما يلى :

«أن منشأ الكنيسة فى روما يحفه الغموض . فيوساييوس ينقل العقيدة السائدة على الكنيسة الكاثوليكية أى أن المسيحية دخلت روما على يد بطرس الذى ذهب إليها فى أيام كلوديوس . ولكن هذه العقيدة يكذبها التاريخ . فإن منشأ الكنيسة يعزى لأشخاص مجهولين ، ولو اتنا نستطيع أن نستتج بأنه كان من ضمنهم أندرونكوس ويونياس . . المشهوران بين الرسل» (رو ١٦ : ٧) .

(٢) قال ناشر الترجمة الانكليزية أن ذكر سرور بطرس وموافقته بصدد إنجيل مرقس لا يتفق مع رواية اكليمينضس الذى يلجأ إليه يوساييوس هنا كحجة . ففى ك ٦ ف ١٤ يقتبس منه هذه العبارة «الأمر الذى لما علم به بطرس لم يعترض عليه ولا شجعه» .

(٣) ك ٣ : ٣٩ : ١٥ .

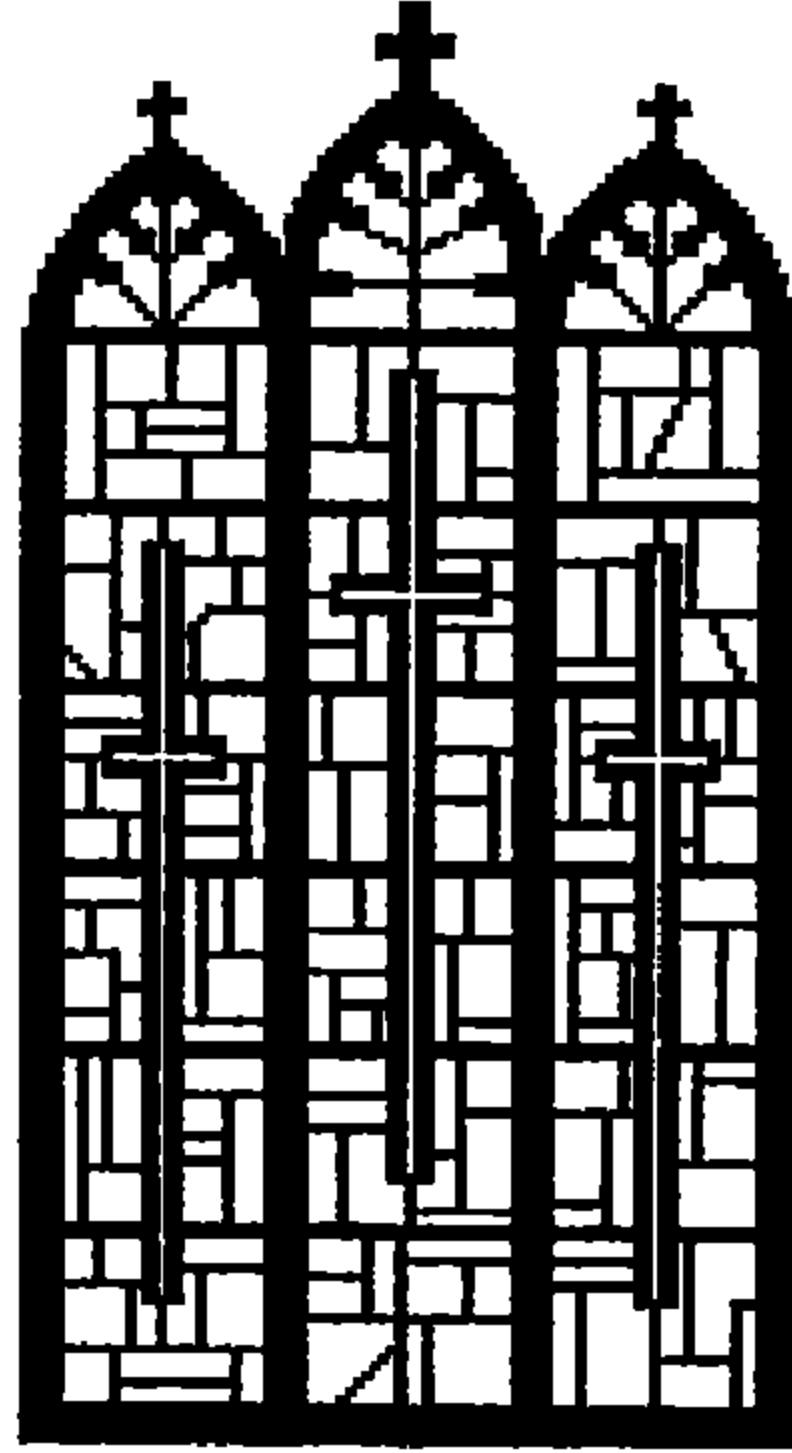
(٤) (١ بط ٥ : ١٣) اختلف المفسرون فيما يختص بمكان كتابة الرسالة . بينما يزعم الكاثوليك أنها كتبت فى روما يفند الكثيرون هذا الرأى ويقولون أن أكبر دليل على عدم صحة هذا الزعم هو ذكر «بابل» .

الفصل السادس عشر

لقد نادى مرقس بالمسيحية أولا لسكان مصر

(١) ويقولون أن مرقس هذا كان أول من أرسل إلى مصر، وأنه نادى بالإنجيل الذي كتبه، وأسس الكنائس في الأسكندرية أولا.

(٢) وكان جمهور المؤمنين رجالا ونساء، الذين اجتمعوا هناك في البداية، وعاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة، كثيرين جدا، حتى أن فيلو وجده أمرا جديدا بالأهتمام أن يصف جهادهم وأجتماعاتهم وتسلياتهم وكل طرق معيشتهم. [١]



الفصل السابع عشر

وصف فيلو لنساک مصر

- (١) ويقال أيضا أن فيلو فى عهد كلوديوس تعرف فى روما ببطرس الذى كان يكرز هناك وقتئذ . وهذا ليس بالأمر المستبعد الحصول ، لأن الكتاب الذى سبق أن تحدثنا عنه ، والذى ألفه بعد ذلك بضع سنوات يتضمن بوضوح قوانين الكنيسة المرعية إلى اليوم بيتنا .
- (٢) ومن حيث أنه يصف بالتدقيق على قدر الاستطاعة حياة نساكنا فواضح أنه لم يعرف فقط رجال زمانه الرسوليين بل كان راضيا عنهم واحترمهم وبجلهم . ويبدو أنهم كانوا من أصل عبرانى ، ولذلك كانوا يراعون معظم عوائد الأقدمين حسب طريقة اليهود .
- (٣) وفى مؤلفه ، الذى سماه «فى حياة التأمل» أو «فى المتضرعين» ، يعد أن أكد بادئ ذى بدء أنه لن يضيف إلى هذه الأشياء التى سوف يسردها أمرا يتناقض مع الحق أو شيئا من اختراعه ، قال أن هؤلاء الرجال كانوا يدعون أطباء ، وأن النساء المرافقات لهم تدعين طبيبات [١] بعد ذلك أضاف أسباب تسمية كهذه ، مفسرا أياها من هذه الحقيقة أنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس الذين كانوا يأتون إليهم ، يأسعافهم - كأطباء وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة ، أو من هذه الحقيقة أنهم كانوا يعبدون الله ويخدمونه بطهارة وأخلاص .
- (٤) وسواء كان فيلو نفسه هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم ، مستعملا لقبا يتفق مع طريقة حياتهم ، أو أن أول شخص بينهم هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم فى البداية لأن اسم «المسيحيين» لم يكن معروفا فى كل مكان ، فلا داعى لاطالة الجدل فى هذا الموضوع هنا .
- (٥) وعلى أى حال فهو يشهد أنهم أول كل شيء قد تركوا ممتلكاتهم . ويقول أنهم عندما يبدأون طريقة الحياة الفلسفية يتنازلون عن كل ممتلكاتهم لأقاربهم ، وبعد أن ينبذوا كل اهتمامات الحياة يخرجون من المدن ، ويقطنون الحقول الموحشة والحدائق ، عالين تماما أن الاختلاط بمن يختلفون عنهم فى المشارب عديم الجدوى ومضر . والمرجح أنهم فعلوا هذا فى ذلك الوقت تحت تأثير إيمان ملتهب مقتدين بسيرة الأنبياء .

(١) يحمل الأصل اليونانى لكلمتى «أطباء وطبيبات» معنى العبادة أو الطب .

(٦) لأنه في سفر أعمال الرسل، وهو سفر معترف بصحته من الجميع، دون أن جميع رفقاء الرسل باعوا أملاكهم ومقتنياتهم ووزعوا على الجميع كما يكون لكل واحد احتياج، وهكذا لم يوجد بينهم أى واحد معتازا لأى شيء. فتقول الرواية أن «كل الذين كانوا أصحاب حقوق أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات، ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج» [٢].

(٧) ويشهد فيلو بحقائق تشبه تماما تلك المدونة هنا، وبعد ذلك يضيف الوصف التالي: «وفى كل مكان فى العالم يوجد هذا الجنس» [٣] لأنه كان لأثقا أن يشترك اليونانيون والبرابرة فيما هو خير محض. على أن هذا الجنس يكثر فى مصر بنوع أخص، فى كل من مديرياتها، [٤] لا سيما نواحي الاسكندرية.

(٨) «أصبح أفاضل الناس من كل ناحية يهاجرون كما إلى مستعمرة الأطباء، إلى موقع مناسب جدا يشرف على بحيرة مريوط، فوق تل منخفض ممتاز الموقع بسبب توفر الأمن فيه وجودة مناخه».

(٩) وبعد ذلك بقليل، بعد أن يصف نوع بيوتهم، يتحدث كما يلي عن كنائسهم التى كانت متشرة هنا وهناك «وفى كل بيت يوجد مكان مقدس يدعى قدسا وديرا، وحيث يؤدون أسرار الحياة الدينية فى عزلة تامة، وهم لا يدخلون إليه أى شيء، لا طعام ولا شراب، ولا أى شيء يتصل بحاجيات الجسد، بل الشرائع فقط وأقوال الأنبياء الحية والترانيم وغيرها مما يساعد على كمال معرفتهم وتقواهم».

(١٠) وبعد وصف بعض أمور أخرى يقول «وكل الفترة من الصباح إلى المساء هى وقت رياضة لهم. لأنهم يقرأون الكتب المقدسة ويفسرون فلسفة آبائهم بطريقة رمزية، معتبرين الكلمات المكتوبة رموزا لحقائق خفية أعطيت فى صور غامضة».

(١١) «ولديهم أيضا كتابات من القدماء مؤسسى جماعتهم الذين تركوا آثارا كثيرة رمزية. وهؤلاء يتخذونهم قدوة لهم ويقلدون مبادئهم».

(١٢) ويبدو أن هذه الأمور قد رواها شخص سمعهم يفسرون كتاباتهم المقدسة. ولكن المرجح جدا أن مؤلفات القدماء - التى يقول انها كانت عندهم - هى الأناجيل وكتابات الرسل وربما تفسير بعض النبوات القديمة، كما تتضمنه الرسالة إلى العبرانيين والكثير من رسائل بولس.

(٢) (اع ٤ : ٣٤ و ٣٥). (٣) أى «الأطباء».

(٤) كانت مصر علامديتى الاسكندرية وتولاييس تنقسم إلى ٣٦ مديرية (محافظة).

(١٣) وأيضا يكتب كما يأتى عن المزامير الجديدة التى صنفوها .

«وهكذا لا يقضون وقتهم فى التأملات فحسب بل أيضا يؤلفون الأغاني والتراتيم لله بكل أنواع الأوزان والألحان، ولو أنهم يقسمونها بطبيعة الحال إلى مقاييس مختلفة» .

(١٤) ويتضمن نفس الكتاب وصفا لأشياء أخرى كثيرة، ولكننا رأينا أنه من الضرورى اختيار تلك الحقائق التى توضح مميزات الحياة الكنسية .

(١٥) ولكن أن ظن أحد أن ما قيل لا تنفرد به سياسة الأنجيل بل يمكن تطبيقها على آخرين غير من ذكرنا، فليقتنع من كلمات نفس المؤلف التالية، التى فيها يجد - أن كان غير متحيز - شهادة عن هذا الموضوع غير قابلة للمناقشة . وهذه هى كلمات فيلو:

(١٦) «وإذ وضعوا الاعتدال كنوع من الأساس فى النفس فأنهم يبنون الفضائل الأخرى فوقه، فلا يتناول أحدهم طعاما أو شرابا قبل غروب الشمس لأنهم يعتبرون التفلسف كعمل خلىق بالنور، أما الاهتمام بحاجيات الجسد فلا يتفق إلا مع الظلام، ولذلك يخصصون النهار للأول، أما للثانى فيخصصون جزءا قليلا من الليل .

(١٧) «على أنه يوجد بعض - تتقد فيهم رغبة نحو المعرفة - ينسون أن يأخذوا طعاما مدة ثلاثة أيام . وهناك آخرون يتلذذون بالحكمة ويلتهمونها التهاما، تلك الحكمة المفعمة بالتعاليم بلا حد، حتى أنهم يحجمون عن الطعام ضعف هذه المدة، وقد تعودوا أن لا يتناولوا إلا الكفاف من الطعام بعد ستة أيام» .

ونحن نعتبر أن هذه الحقائق التى يرويها فيلو تشير بوضوح وبلا نزاع إلى أبناء شركتنا .

(١٨) أما أن كان بعد هذه الأيضاحات لا يزال يوجد من يصر على أنكار هذه الإشارة فلينبذ شكوكه وليقتنع بأمثلة أقوى لا يمكن أن توجد إلا فى ديانة المسيحيين الأنجيلية .

(١٩) لأنهم يقولون أنه كانت توجد أيضا نساء مع من نتحدث عنهم، وأن أغلبهن كن عذارى متقدمات فى السن حفظن عقافهن، لا عن اضطرار كبعض الكاهنات [٥] بين اليونانيين، بل بالحرى باختيارهن مدفوعات بالغيرة والرغبة فى الحكمة . وفى رغبتهن الملحة للتمسك بالحكمة كرفيق لهن لم يوجهن أى اهتمام للمذات الجسد، طالبات لا النسل الفانى بل غير الفانى الذى تستطيع النفس التقية وحدها حمله من تلقاء ذاتها .

(٥) كانت هنالك بعض الديانات بين اليونانيين والرومانين تتطلب البتولية من الكهنة والكاهنات .

(٢٠) وبعد قليل يضيف الآتى بتشديد أكثر: «وهم يفسرون الكتب المقدسة رمزياً بواسطة استعارات . لأن كل الناموس يبدو لهؤلاء الناس كأنه مجموعة أعضاء حية تكون الجسم فيها الكلمات المقولة، أما المعنى المختبىء والمكتنز فى الكلمات فإنه يكون النفس . وهذا المعنى المختبىء قد درسه أولاً بصفة خاصة هذه الطائفة التى ترى جمال الأفكار الفائق كما فى مرآة من الأسماء» .

(٢١) وهل من الضرورى أن نضيف إلى هذه الأمور أجماعاتهم، وتصرفات الرجال والنساء أثناء هذه الأجماعات، والعادات التى لا تزال نراعيتها إلى اليوم، سيما تلك التى نجريها فى عيد آلام المخلص، مع الصوم وسهر الليل ودرس الكلمة الإلهية .

(٢٢) هذه الأمور رواها المؤلف المشار إليه فى كتابه، مبوضحاً نوع الحياة التى لا زلنا وحدنا نحافظ عليها اليوم، ومدونا بصفة خاصة سهرات الليل التى يمارسونها بمناسبة العيد العظيم، والرياضة التى كانت تمارس خلال تلك السهرات، والترانيم التى اعتدنا تلاوتها، ومبيناً كيف أنه عندما كان الواحد يرزم فى الوقت المحدد كان الأنخرون يصغون فى صمت ولا يشتركون فى الترانيم إلا فى آخرها، وكيف أنهم فى الأيام المشار إليها كانوا ينامون على الأرض على فراش من قش، وحسب تعبيره، لا يذوقون الخمر على الإطلاق ولا اللحم، بل الماء شرابهم الوحيد، وأطابيحهم مع الخبز الملح والأعشاب» .

(٢٣) وعلاوة على هذا يصف فيلو رتب الشرق الكاثنة بين الذين يمارسون خدمات الكنيسة، ذاكراً رتبة الشماسية ورتبة الأسقفية التى تتقدم على كل ما عداها، وعلى من يريد وصفاً أدق لهذه الأمور أن يرجع إلى التاريخ السابق ذكره .

(٢٤) أما أن فيلو عندما كتب هذه الأمور كان واضعاً نصب عينيه سفراء الأنجيل الأوائل والعوائد المسلمة منذ البدء من الرسل فهذا أمر واضح لكل واحد .



الفصل الثامن عشر

كُتَابَات فيلو التى وصلت إلينا

(١) لقد أخرج فيلو تفسير متعددة للأسفار المقدسة بلغته الفياضة، وتفكيره العميق، ورائه السامية عن الكتاب الالهي . فمن الناحية الواحدة يفسر بالترتيب تلك الحوادث المدونة فى سفر التكوين فى الكتب التى أطلق عليها اسم «المجاز فى النواميس المقدسة» . ومن الناحية الأخرى يقسم اصحابات الكتاب المعرّضة للبحث إلى أقسام متتابعة، ثم يقيم الاعتراضات وحلولها، وذلك فى الكتاب التى أطلق عليها هذه التسمية المناسبة «أسئلة وأجوبة عن سفرى التكوين والخروج» .

(٢) وعدا هذه توجد مؤلفات أخرى كتبها عن مواضيع معينة، كالكتابين اللذين كتبهما عن «الزراعة»، والكتابين الآخرين عن «تعاطى المسكرات»، وكتب أخرى تتميز بعناوين مختلفة تتمشى مع محتويات كل منها مثلا: «الأمور التى يتوق إليها العقل الراجح وبمقتها»، «ببليلة الألسنة»، «الهروب والاستقصاء»، «الاجتماع من أجل التعليم»، «من هو وارث للالهيات؟»، «تقسيم الأشياء إلى متساوية وغير متساوية» . وكذلك أيضا «الفضائل الثلاثة التى وصفها موسى مع غيرها» .

(٣) وعلاوة على هذه كتب أيضا عن «الذين تغيرت أسماؤهم ولماذا تغيرت» . ويقول فيه أنه كتب أيضا كتابين عن «العهد» .

(٤) وله أيضا كتاب عن «التغرب» . وكتاب عن حياة العاقل الذى تكمل فى البر، أو «النواميس غير المكتوبة» . ثم كتاب آخر عن «الجبابرة»، أو «عدم تغير الله»، ثم كتاب أول وثان وثالث ورابع وخامس عن «الافتراض بأن الأحلام مرسله من قبل الله كزعم موسى» . هذه هى الكتب التى وصلتنا عن سفر التكوين .

(٥) أما عن سفر الخروج فنحن نعرف الكتاب الأول والثانى والثالث والرابع والخامس عن «أسئلة وأجوبة»، وكذا كتاب «خيمة الاجتماع»، وكتاب «الوصايا العشر»، والكتب الأربعة عن «النواميس التى تشير بصفة خاصة إلى الأقسام الرئيسية فى الوصايا العشر»، وكتاب آخر عن «الحيوانات المخصصة للذبائح»، وآخر عن «أنواع الذبائح»، وآخر عن الجزاء الذى حدده الناموس للصالحين والقصاصات واللعنات التى حددها للأشرار» .

(٦) وعلاوة على كل هذه لا يزال يوجد إلى اليوم بعض كتب في مجلد واحد من تأليفه، مثلا كتاب «العناية الإلهية»، والكتاب الذي ألفه عن «اليهود» وآخر عن «الرجل الإداري المحنك»، ثم كتاب آخر عن «الأسكندر» أو «وجود عقل للحيوانات غير العاقلة». وفضلا عن هذه يوجد كتاب «الأقتراض بأن كل شرير عبد». وقد ألحق به كتاب عن «الأقتراض بأن كل صالح حر».

(٧) وبعد هذه ألف كتابا عن «الحياة المتبصرة» أو «المتضرعون». ومنه استقينا الحقائق عن حياة الرسلين. [١] وقيل أنه نتيجة دراساته كتب أيضا «تفسير الأسماء العبرية في الناموس والأنبياء».

(٨). ويقال أنه قرأ في حضرة جميع أعضاء مجلس أعيان الرومانيين في عهد كلوديوس الكتاب الذي كتبه عندما وصل رومية في عهد كايوس عن بغض كايوس للآلهة، والذي أعطاه اسما تهكميا إذ دعاه «الفضائل». ولقد كان الأعجاب بمؤلفاته شديدا جدا حتى اعتبرت جديرة بأفساح مجال لها في المكتبات.

(٩) في هذا الوقت، عندما كان بولس يكمل رحلته «من أورشليم وما حولها إلى الليريكون»، [٢] طرد كلوديوس اليهود من روما. وإذا ترك أكيلاً وبريسكلا روما مع غيرهما من اليهود أتيا إلى أسيا وأقاما هناك مع بولس الرسول الذي كان يثبت الكنائس في تلك المنطقة التي كان قد وضع أساساتها حديثا. وينبئنا أيضا عن هذه الأمور السفر المقدس لأعمال الرسل. [٣]



(١) لعله يقصد الرسل.

(٢) (رو ١٥ : ١٩).

(٣) انظر (اع ١٨ : ٢ و ١٨ و ١٩ إلخ).

الفصل التاسع عشر

المصيبة التي حلت باليهود في أورشليم يوم الفصح

(١) لما كان كلوديوس لا يزال امبراطورا حدثت فتنة شديدة واضطراب عظيم في أورشليم يوم عيد الفصح، حتى هلك ثلاثون ألفا من اليهود وحدهم، الذين اضطروا للتجمع معا عند باب الهيكل إذ داس كل واحد الآخر تحت الأقدام [١] وهكذا صار العيد فرصة للحزن من كل الأمة، وكان هناك بكاء في كل بيت. وقد روى هذه الأمور يوسيفوس حرقيا.

(٢) لكن كلوديوس أقام أغريباس [٢] بن أغريباس ملكا على اليهود، وأرسل فيلكس [٣] واليا على كل بلاد السامرة والجليل والأرض التي تدعى ييرية وبعد أن ملك ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر [٤] مات وخلفه على الإمباطورية نيرون.



(١) حدث هذا الاضطراب (الذي تكلم عنه يوسيفوس) سنة ٤٨م لما كان كومانوس واليا على اليهودية. ففي عيد الفصح أحضر الوالي إلى أورشليم فرقا من الجند أزيد كعادته خشية حصول أي اضطراب. ولما أهان أحد الجنود اليهود ثاروا جدا فاضطر الوالي لجمع كل الجنود على الجبل المقام عليه الهيكل. وإذا رأى اليهود ذلك ذعروا وحاولوا الفرار فصاروا يردسون بعضهم بعضا.

(٢) هيرودمس اغريباس الثاني بن هيرودمس الأول. عند موت أبيه سنة ٤٤م كان عمره ١٧ سنة الأمر الذي اضطر كلوديوس إلى تأخير تعيينه حتى سنة ٤٩م.

(٣) خلف كومانوس كوال على اليهودية سنة ٥٢م.

(٤) حكم كلوديوس من ٢٤ يناير سنة ٤١م إلى ١٣ أكتوبر سنة ٥٤م.

الفصل العشرون

الحوادث التي حدثت في أورشليم أثناء حكم نيرون

- (١) ثم إن يوسفوس أيضا في الكتاب العشرين من مؤلفه عن «الآثار» يتحدث عن النزاع الذي قام بين الكهنة أثناء حكم نيرون إذ كان فيلكس واليا على اليهودية . وهاك كلماته [١]
- (٢) «لقد قام نزاع بين رؤساء الكهنة من ناحية والكهنة وقادة شعب أورشليم من الناحية الأخرى» [٢] وجمع كل من الطرفين حوله جماعة من أجراً الرجال وأشدّهم بأساً، وتزعمت كل جماعة شعبها، وكلما التقوا رشقوا بعضهم بعضاً بالسباب والحجارة . ولم يشأ أحد أن يتدخل بينهما، بل حدثت هذه الأمور كما أرادوا، كأنها حدثت في مدينة بلا حاكم .
- (٣) «وبلغت وقاحة رؤساء الكهنة وجراتهم حداً بعيداً حتى أنهم تجاسروا على إرسال خدمهم إلى اليبادر لأغتصاب العشور المستحقة للكهنة . وهكذا صار الفقراء من الكهنة يتضورون جوعاً . وبهذه الطريقة تغلب الظلم على كل عدل» .
- (٤) ويروي نفس المؤلف أيضاً أنه حوالى نفس هذا الوقت ظهر في أورشليم نوع معين من اللصوص كانوا، كما يقول، «يقتلون كل من لقوه نهارا وفي وسط المدينة» .
- (٥) لأنهم كانوا يختلطون بالجماهير، سيما في الأعياد، ويطعنون أعظم الناس بسيف قصيرة كانوا يخفونها تحت ملابسهم . فإذا ماسقوا صار القتل أنفسهم وسط الذين يظهرون استياءهم . فلا يفتضح أمرهم بسبب الثقة التي نالوها من الجميع .
- (٦) وكان أول من قتلوه هو يونانان رئيس الكهنة . وبعده كان يقتل الكثيرون كل يوم، حتى أصبح الفرع أشد هولا من الشر نفسه، وكان كل واحد يتوقع الموت كل ساعة كأنه في وسط ساحة الوغى .



(١) آثار ٢٠ : ٨ : ٨ لقد أظهر فيلكس نفسه في كل مدة حكمه بأنه نجس قاس، وتميز حكمه بالاضطرابات المستمرة .

(٢) قام هذا النزاع أثناء رئاسة كهنوت اسماعيل، ولا يبين يوسفوس أية علة له .

الفصل الحادى والعشرون

المصرى الذى ذكر أيضا فى سفر أعمال الرسل

(١) ويعد ذكر أمور أخرى يروى ما يلى:

«على أن اليهود أصيبوا من النبى المصرى الكذاب [١] بضربات أشد من هذه . لأنه ظهر فى الأرض محتال أوحى إلى الناس أن يؤمنوا به كنى، وجمع نحو ثلاثين ألفا ممن خدعهم، واقتادهم من البرية إلى جبل الزيتون الذى تأهب منه للدخول إلى اورشليم عنوة وتحطيم الحامية الرومانية، والاستيلاء على حكم الشعب، مستخدما من اشتركوا معه فى الهجوم كحرس .

(٢) «ولكن فيلكس سبق فعلم بهجومه، وخرج لملاقاته بالفيالق الرومانية، واشترك فى الدفاع كل الشعب، حتى أن المصرى هرب مع قليل من أتباعه لما نشبت المعركة ولكن الأغلبية هلكت أو أخذت أسرى» .

(٣) ويروى يوسيفوس هذه الحوادث فى الكتاب الثانى من تاريخه . ولكن بما يستحق الذكر مقارنة الوصف المذكور هنا عن المصرى بما ورد فى سفر أعمال الرسل . ففي عصر فيلكس قال قائد المئة فى اورشليم لبولس لما أثار جمهور اليهود فتنة ضد الرسل «أفلمت أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة؟» [٢] . هذه هى الحوادث التى حصلت فى أيام فيلكس .



(١) هو يهودى مصرى، وهو واحد من السحرة الكثيرين، والأنبياء الكذبة الذين قاموا فى ذلك العصر . وقد تنبأ بأن اورشليم التى جعلت نفسها مدينة وثنية سييدها الله، ويهدم أسوارها كما فعل بأسوار أريحا، وعندئذ تصير النصره له ولأتباعه على الظالمين، ويحكمون العالم . ولأجل هذا الغرض جمع أتباعه على جبل الزيتون لكي يشهدوا منه سقوط الأسوار ويبدأوا الهجوم .

(٢) (اع ٢١ : ٣٨) .

الفصل الثاني والعشرون

لما أُرسِلَ بولس موثقا من اليهودية إلى روما
قدم دفاعه وبرّاه من كل تهمة

- (١) لقد أرسل فسستوس من قبل نيرون ليكون خليفة لفيلكس . وفي عهده أرسل بولس موثقا إلى روما بعد أن قدم دفاعه [١٠] وكان معه ارسترخس الذي دعاه بطبيعة الحال في رسائله المأسورة معي [٢٠] وبعد أن ذكر لوقا - كاتب سفر أعمال الرسل [٣] - أن بولس أقام مستين كاملتين في روما، كأسير مطلق السراح كارزا بكلمة الله بلا مانع، ختم حديثه عن تاريخ حياته عند هذه النقطة [٤].
- (٢) ويقال إنه بعد أن قدم الرسول دفاعه أرسل ثانية لخدمة الكرازة، [٥] وأنه لدى مجيئه لنفس المدينة استشهد [٦] وفي هذا الحبس كتب رسالته الثانية إلى ثيموثاوس التي يذكر فيها دفاعه الأول وأقتراب موته .
- (٣) لكن استمع إلى شهادته عن هذه الأمور «في احتياجي الأول لم يقف أحد معي بل الجميع تركوني . وابتهل إلى الله أن لا يحسب هذا عليهم . ولكن الرب وقف معي وقواني لكي تعرف تماما بي الكرازة ويسمع جميع الأمم . فأنقذت من فم الأسد [٧]
- (٤) في هذه الكلمات يبين بصراحة أنه في المناسبة السابقة أنقذ من فم الأسد لكي تكمل به الكرازة، مشيرا بهذا التعبير إلى نيرون بسبب قسوته . ولذلك فإنه فيما بعد لم يصف نفس التعبير «وسينقذني من فم الأسد» لأنه رأى بالروح أن نهايته لن تتأخر طويلا .

(١) (اع ٢٥ الخ) . (٢) (كو ٤ : ١٠) . (٣) انظر فيما يلي ك ٣ ف ٤ . (٤) (اع ٢٨ : ٢٠ و ٣١) .

(٥) أن يوسايبوس هو أول من سجل اطلاق سراح بولس من الحبس الأول في روما واستشهاده في الحبس الثاني في روما أيضا . وما يلاحظ أن يوسايبوس يكثر من كلمة (يقال) مما يدل على أنه استقى معلوماته من التقاليد الشفوية . ولكن الأرجح أنه لم يستق معلوماته هنا من التقاليد الشفوية بل من رسائل بولس التي استتج منها أنه لابد أن يكون قد سجن مرة أخرى . وقد قرر يوسايبوس أن موت بولس تم في سنة ٦٧ م ويؤيده في هذا الرأي الكثيرون من المؤرخين .

(٦) انظر فيما يلي فصل ٢٥ . (٧) (٢ تي ٤ : ١٦ و ١٧) .

(٥) من أجل هذا أضاف لعبارة «وأُنقِذْنِي مِنْ فَمِ الْأَسَدِ» هذه الكلمات «وسينقِذْنِي الرَّبُّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ رَدِيٍّ وَيَحْفَظْنِي لِلْمَكُوتَةِ السَّمَاوِيَّةِ» [٨] مينا سرعة اقتراب استشهاده، الذي تنبأ عنه بأكثر وضوح في نفس الرسالة عندما كتب قائلا «فأني أنا الآن وشيك أن أقرب ووقت أرتحالي اقترَب» [٩].

(٦) وفي رسالته الثانية إلى تيموثاوس يبين أيضا أن لوقا كان معه عند كتابتها [١٠] أما دفاعه الأول فلم يكن معه أحد حتى هو [١١] ولذا فالأرجح أن لوقا كتب سفر أعمال الرسل في ذلك الوقت مدونا تاريخه إلى الفترة التي كان فيها مع بولس [١٢].

(٧) وقد أوردنا هذه الأمور لنبين أن استشهاد بولس لم يحدث أثناء أقامته في روما التي يتحدث عنها لوقا.

(٨) والمرجح فعلا أن دفاع بولس عن تعاليمه قبل بسهولة نظراً لأن نيرون كان أكثر ميلا إلى اللطف في بدء الأمر. ولكنه إذ ازداد جرأة على ارتكاب المظالم جعل الرسل وغيرهم الهدف في هجومه.



(٨) (٢ تي ٤ : ١٨). (٩) (٢ تي ٤ : ٦). (١٠) (٢ تي ٤ : ١١). (١١) (٢ تي ٤ : ١٦).

(١٢) هذا هو الرأي الذي يسلم به المفسرون الذين يرون أن هذه هي العلة التي من أجلها لا يذكر لوقا شيئا عن اضطهاد نيرون وموت بولس.

الفصل الثالث والحشرون

استشهاد يعقوب الذي كان يدعى أخا الرب

- (١) وبعد أن أرسل فستوس بولس إلى روما نتيجة التجائه إلى قيصر، ووجد اليهود أنهم فشلوا في اصطیاده في الفخاخ التي أقاموها له، تحولوا إلى يعقوب أخى الرب الذى أوكل إليه الرسل كرسى أسقفية اورشليم . وأتخذوا ضده الإجراءات الشنيعة التالية .
- (٢) فأنهم اقتادوه في وسطهم وطلبوا منه أن ينكر الإيمان بالمسيح أمام كل الشعب . ولكنه، بعكس ما توقعه الجميع، رفع صوته، وبجراحة أشد مما انتظروا، تكلم أمام كل الجمهور معترفا بأن مخلصنا وربنا يسوع هو ابن الله . ولكنهم لم يطيقوا شهادة ذلك الرجل الذى، بسبب سموه في الحياة التقشفية والتقوى التي أظهرها في حياته، كان معتبرا من الجميع بأنه أعظم بار بين البشر، ولذا قتلوه . وقد تهيأت الفرصة لهذا التعسف بسبب الفوضى التي سادت بوفاة فستوس وقتل في اليهودية، وبترك الولاية بلا وال أو رأس .
- (٣) أما كيفية وفاة يعقوب فقد سبق أيضاها في كلمات اكليمينضس السابق إيرادها، إذ قرر أنه قد طرح من فوق جناح الهيكل وضرب بعصى حتى مات . أما هيجسبوس، [١] الذى عاش بعد الرسل مباشرة، فإنه أعطى وصفا أدق في الكتاب الخامس من مؤلفه عن «سير الأبطال» . فقد دون ما يلي :
- (٤) «لقد تسلم يعقوب أخو الرب من الرسل ادارة الكنيسة . ولقد لقبه الجميع «بالبار» من وقت مخلصنا إلى اليوم الحالى . لأنه كان يوجد كثيرون يحملون اسم يعقوب .
- (٥) «وقد كان مقدسا من بطن أمه . ولم يشرب خمرًا ولا مسكرا، ولا أكل لحما، ولم يعمل رأسه موسى، ولم يدهن نفسه بالزيت، ولم يستحم .
- (٦) «وكان مسموحا له وحده بدخول القدس، لأنه لم يلبس ملابس صوفية بلوى كتانية . وكان من عادته دخول الهيكل وحده، وكثيرا ما كان يوجد جاثيا على ركبتيه طالبا الصفح عن الشعب، حتى صارت ركبته خشتين كركب الجمل نتيجة انحنائهما المستمر في عبادة الله لطلب الصفح عن الشعب .
- (٧) «وبسبب بره الزائد دعى «البار» و «أويلياس» ومعناها في اليونانية «حصن الشعب» و «العدل» وفق ما صرح به الأنبياء [٢] عنه .

(١) Hegesippus انظر فيما يلي ك ٤ ف ٢٢ .

(٢) لا يعلم إلى أية فقرة يشير ميجنبوس . ولعله يشير إلى قول أشعياء «قولوا للصديق خيرا» (اش ٣ : ١٠) .

(٨) وقد سأله بعض الشيع السبع، التي كانت موجودة بين الشعب، والتي ذكرتها في كتاب «سير الأبطال» قائلين: ما هو باب يسوع. فأجاب بأنه هو المخلص ذاته.

(٩) «ويسبب هذه الكلمات آمن البعض أن يسوع هو المسيح. على أن الشيع السابق ذكرها لم تؤمن لا بالقيامة ولا بمجيء واحد يعطى كل أنسان حسب أعماله. ولكن الكثيرين الذين آمنوا كان يعزى إيمانهم إلى يعقوب.

(١٠) «ولذلك فعندما آمن الكثيرون، حتى من الحكام، صار اضطراب بين اليهود والكتبة والفريسيين، الذين قالوا أن هنالك خطرا أن يلتف جميع الشعب حول يسوع على أساس أنه المسيح. ولذلك أتوا إلى يعقوب كتلة واحدة، وقالوا: نتوسل إليك أن تصد الشعب لأنهم ضلوا بصدد يسوع كأنه هو المسيح. نتوسل إليك أن تقنع كل الذين أتوا إلى عيد الفصح من جهة يسوع، لأننا جميعا نثق فيك. فنحن نشهد لك، كما يشهد كل الشعب، أنك بار ولا تحابي بالوجوه.

(١١) «فأقنع اذن الجماهير بأن لا يضلوا من جهة يسوع. لأن كل الشعب، وجميعنا أيضا، يثقون فيك. قف أذن فوق جناح الهيكل لكي يراك جميع الشعب من ذلك المكان المرتفع ويسمعوا كلماتك. لأن كل الأسباط مع الأمم أيضا أتت بسبب عيد الفصح.

(١٢) «لهذا وضع الكتبة والفريسيون السابق ذكرهم يعقوب فسوق جناح الهيكل وخرجوا إليه قائلين: أيها البار الذي يجب أن نثق فيك أجمعين، من حيث أن الشعب ضل وراء يسوع المصلوب بين لنا ما هو باب يسوع.

(١٣) «فأجاب بصوت مرتفع: لماذا تسألوننى عن يسوع ابن الأنسان؟ أنه هو نفسه يجلس فى السماء عن يمين القوة وسوف يأتي على سحاب السماء» [٣]

(١٤) «ولما أقنع الكثيرون اقتناعا كليا وافتخروا بشهادة يعقوب وقالوا: أوصنا لابن داود، قال أولئك الكتبة والفريسيون ثانية بعضهم لبعض: لقد أسأنا التصرف إذ مهدنا لشهادة كهذه ليسوع. ولكن لنصعد ونطرحه إلى أسفل لكي يخافوا أن يصدقوه.

(١٥) «فصرخوا قائلين: آه آه لقد انحرف البار أيضا. وهكذا تموا الكتاب القائل فى أشعيا: لنقطع البار لأنه مزعج لنا. لذلك يأكلون ثمر أعمالهم» [٤]

(١٦) «فصعدوا وطرحوا البار إلى أسفل وقالوا كل واحد للآخر: لنرجم يعقوب البار» فبدأوا يرمونه لأنه لم يمت بسبب سقوطه . أما هو فالتفت وجثا على ركبتيه وقال: أتوسل إليك أيها الرب الإله أبونا أن تغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون . [٥]

(١٧) «وفيما هم يرمونه صرخ واحد من الكهنة، من أبناء ركاب ابن الركابيين الذين ذكرهم ارميا [٦] النبي، وقال: كفوا، ماذا تعملون، أن البار يصلى من أجلكم .

(١٨) «وللحال تقدم أحدهم، وكان قصارا، وضرب البار على رأسه بالعصا التي كان يضرب بها الملابس . وهكذا استشهد . فدفنوه في الحال بجانب الهيكل، ولا يزال قبره بجوار الهيكل . فصار شهادة صادقة لكل من اليهود واليونانيين بأن يسوع هو المسيح . وللحال حاصروهم فاسبسيان» .

(١٩) وقد روى هذه الأمور بالتفصيل هيجيسبوس الذي اتفقت روايته مع رواية اكليمنضس .

لقد كان يعقوب شخصا عجيبا جدا، اشتهر بين الجميع بيره، حتى اعتقد الكثيرون من العقلاء، حتى من بين اليهود، أن هذه كانت علة حصار أورشليم الذي حل بهم بعد استشهاده مباشرة لا لسبب آخر سوى عملهم الشنيع الذي ارتكبوه ضده .

(٢٠) ولم يتردد يوسيفوس على الأقل عن الشهادة لهذا في كتاباته حيث يقول «لقد حلت هذه الأمور باليهود انتقاما لدماء يعقوب البار الذي كان أخا ليسوع الذي يدعى المسيح لأن اليهود قتلوه رغم أنه كان شخصا بارا جدا» .

(٢١) وقد دون نفس الكاتب أمر موته في السفر العشرين من مؤلفه عن الآثار في هذه الكلمات .

«لما علم الأمبراطور بموت فستوس أرسل الينوس واليا على اليهودية . على أن حنانوس [٧] الصغير، الذي حصل على رئاسة الكهنوت كما قدمنا، كان في غاية الجرأة عديم الاكثراث . وفضلا عن هذا فقد كان ينتمى إلى طائفة الصدوقين الذين هم أقسى اليهود في تنفيذ الأحكام كما بينا سابقا .

(٦) (ار ٣٥) .

(٥) (لو ٢٣ : ٢٤) .

(٧) هو الأبن الخامس لحنان رئيس الكهنة المذكور في العهد الجديد . وقد كان أبوه وأخوته الأربعة رؤساء كهنة من قبله كما يخبرنا يوسيفوس في نفس هذه الفقرة . وقد أقامه أي أغرياس الثاني .

(٢٢) «وإذ كانت هذه هي صفات حنانوس، وإذا رأى أن الفرصة مواتية له لأن فستوس كان قد مات، وكان ألبينوس لا يزال في الطريق، فإنه جمع السنهالريم ودعا أمامه يعقوب أخا يسوع المدعو المسيح، مع آخرين، وأتهمهم بنقض الناموس، وحكم عليهم بالرجم.

(٢٣) «على أن المعتدلين في المدينة الخبيرين بالناموس غضبوا جدا من هذا وأرسلوا إلى الملك سرا طالبين منه يأمر حنانوس بالكف عن هذه التصرفات. لأنه لم يكن عادلا حتى في هذا التصرف الأول. وذهب جماعة منهم أيضا لمقابلة البينوس الذي كان قادما من الأسكندرية، وذكروه بأنه ليس من حق حنان، استدعاء السنهالريم دون علمه.

(٢٤) «أما البينوس فاقتنع بما عرضوه عليه، وكتب بغضب إلى حنانوس مهددا أياه بالقصاص. ونتيجة لهذا حرمه الملك أغرياس من رئاسة الكهنوت التي كان قد تولاها ثلاثة أشهر، وأقام بدلا عنه يسوع بن دامينوس».

(٢٥) هذا ما دون عن يعقوب كاتب أول رسالة في الرسائل الجامعة. وبما تجدر ملاحظته أن هذه الرسالة متنازع عليها، أو على الأقل أن الكثيرين من الأقدمين لم يذكروها في كتاباتهم، كما هو الحال أيضا في أمر الرسالة التي تحمل اسم يهوذا، التي هي أيضا إحدى الرسائل الجامعة السبعة. ومع ذلك، فنحن نعلم أن هاتين الرسالتين قرئتا علنا مع سائر الأسفار في كنائس كثيرة جدا.



الفصل الرابع والعشرون

إنيانوس

أول أسقف لكنيسة الإسكندرية بعد مرقس الرسول

فى السنة الثامنة من ملك نيرون سلمت إلى أنيانوس إدارة أبروشية الاسكندرية خلفا لمرقس الأنجيلى .

الفصل الخامس والعشرون

الاضطهاد الذى تم فى حكم نيرون والذى أُكْرِمَ فيه بولس وبطرس بالاستشهاد فى روما من أجل المسيحية

(١) ولما تثبت حكم نيرون بدأ سلسلة إجراءات قاسية، وتجنّد لمحاربة ديانة آله الكون .
(٢) ولا يتسع المجال لوصف شناعة فساد، ونظرا لأن الكثيرين قد وصفوا تاريخه بأسهاب فيمكن لكل من أراد أن يرجع إلى كتاباتهم ليعرف فظاظة الرجل وشذوذه وجنونه، وكيف أنه بعد أن أباد ربوات كثيرة من الأنفس بلا سبب ارتكب جرائم كثيرة لدرجة أنه لم يشفق حتى على أقرب أقربائه وأعز أصدقائه، بل قتل أمه وإخوته وزوجته مع آخرين كثيرين جدا من عائلته، كما قتل أعداءه الخفيين والظاهرين بمئات مختلفة .

(٣) وعلاوة على كل هذه الجرائم فقد كان أول امبراطور أعلن العداء للديانة الآلهية .

(٤) يشهد بهذا ترتوليانوس الرومانى أيضا . فقد كتب يقول : «افحصوا سجلاتكم . وفيها تجدون أن نيرون هو أول من قاوم هذه التعاليم . سيما وأنه بعد أن أخضع كل الشرق بدأ ينفث سموم قسوته فى جميع من بروما . وانا لنفتخر أن يكون تعذيبنا على يدى شخص كهذا . لأن كل من يعرفه يستطيع أن يدرك أن نيرون لم يشجب أى شىء إلا إذا كان ساميا جدا» .

(٥) وهكذا إذ أعلن جهارا أنه أول أعداء الله الرئيسيين تقدم إلى قتل الرسل . لذلك دون بأن بولس قطعت رأسه في روما نفسها، وأن بطرس أيضا صلب في عهد نيرون . وبما يؤيد هذه الرواية عن بطرس وبولس أن أسميهما لا يزالان باقين إلى الآن على المقابر في ذلك المكان .

(٦) يؤيدها أيضا كايوس، أحد أعضاء الكنيسة، الذي قام في عهد زفيرينوس [١] أسقف روما . فانه في مساجلة مع بروكلوس [٢] مبتدع الهرطقة الفريجية [٣] يذكر ما يأتي عن المواضع المقدسة التي أودعت فيها جثتا الرسولين السابق ذكرهما .

(٧) «ولكنني أستطيع أن أبين آثار الرسولين . لأنك أن ذهبت إلى الفاتيكان [٤] أو إلى طريق لوستيان [٥] وجدت آثار هذين اللذين وضعنا أساس هذه الكنيسة» . [٦]

(٨) أما أنهما استشهدا في وقت واحد فيقرر ذلك ديونيسيوس أسقف كورنثوس في رسالته إلى أهل روما في الكلمات التالية :

«انكم بمثل هذه النصائح قد ربطتم معا ما غرسه بطرس وبولس في روما وكورنثوس . لأن كليهما غرسا وعلمانا في مدينتا كورنثوس . وكذلك علما أيضا في ايطاليا واستشهدا في وقت واحد» .
وقد اقتبست هذه الأقوال لزيادة تأييد الحقائق التاريخية .



(٢) Proclus .

(١) انظر كتاب ٥ فصل ٢٨ : ٧ .

(٣) انظر ما ورد عن هذه الهرطقة في كتاب ٤ ف ٢٧ وينوع خاص في كتاب ٥ ف ١٦ إلخ .

(٤) يروى التاريخ أن بطرس صلب على جبل بقرب الفاتيكان تقوم عليه الآن كنيسة القديس بطرس . ولا تزال باقية النقرة التي ركن فيها الصليب .

(٥) قطعت رأس بولس على طريق أوستيان في المكان الذي يقوم عليه الآن دير الثلاثة يناييع . ولا تزال الثلاثة يناييع التي تفجرت إذ اصطدمت رأس بولس بالأرض ثلاث مرات بعد قطعها . ولا يزال باقيا أيضا العمود الذي قيل أنه ربط عليه .

(٦) قال الناشر للترجمة الانكليزية : لا يمكن القول بأن بولس أو بطرس أسسا روما، لأن رسالة بولس إلى روما تين أنه كان هنالك جماعة من المؤمنين فيها قبل زيارته لها . أما بطرس فلم يصل إليها إلا بعد وصول بولس بمدة طويلة .

الفصل السادس والحشرون

بعد أن حلت على اليهود شرور لا تحصى
شنوا الحرب الأخيرة على الرومانيين

- (١) وبعد أن روى يوسيفوس تفاصيل كثيرة عن المصيبة التي حلت بكل الأمة اليهودية دون-
بالإضافة إلى ظروف أخرى كثيرة - أن الكثيرين من أشرف اليهود جلدتهم فلورس في أورشليم نفسها،
ثم صلبهم وقد كان واليا على اليهودية عندما بدأت نيران الحرب تشتعل في السنة الثانية عشرة لنيرون .
- (٢) ويقول يوسيفوس أنه في ذلك الوقت ثارت فتنة مروعة في كل أرجاء سورية نتيجة لثورة
اليهود، وأن هؤلاء أبادهم سكان المدن في كل مكان بلا رحمة كأعداء «حتى كان المرء يرى المدن مليئة
بالجثث التي لم تدفن، وانتشرت جثث الشيوخ مع جثث الأطفال، ولم تجد جثث النساء من يستر
عورتها، وامتأل القطر كله بمصائب لا توصف، وكان الخوف مما هددوا به أشد من الآلام نفسها التي
عانوها في كل مكان» .
- هذه هي رواية يوسيفوس ، وهكذا كانت حال اليهود وقتئذ .



الكتاب الثالث

الفصل الأول

أرجاء العالم التي بشر فيها الرسل بالمسيح

(١) هكذا كانت حال اليهود . وفي نفس الوقت تشتت تلاميذ مخلصنا ورسله القديسون في كل أرجاء العالم . فخصصت بارثيا [١] لتوما كحقل يعمل فيه كما يقول التقليد، وسيكيشيا [٢] لأندراوس، [٣] واسيا [٤] ليوحنا الذي بعد أن عاش فيها وقتا ما مات في أفسس . ويبدو أن بطرس كرز في بنطس وغلاطية ويثينية وكبدوكية وآسيا [٥] لليهود الذين في الشتات . وإذا أتى أخيرا إلى روما صلب منكس الرأس، لأنه طلب أن يتألم بهذه الطريقة . وماذا نقول عن بولس الذي بشر بإنجيل المسيح من أورشليم إلى الليريكون، [٦] واستشهد بعد ذلك في روما في عهد نيرون . ولقد روى أوريجانوس هذه الحقائق في المجلد الثالث من تفسيره لسفر التكوين .

الفصل الثاني

أول رئيس على كنيسة روما

بعد استشهاد بولس وبطرس كان لينس أول من نال أسقفية كنيسة روما . وقد ذكره بولس عند الكتابة إلى تيموثاوس من روما في التحية الواردة في نهاية الرسالة . [٧]

(١) Parthia وكانت مملكة مستقلة في عصر الرسل . امتدت من الهند إلى نهر الفرات ومن بحر قزوين إلى خليج العجم .

(٢) Scythia المنطقة الواقعة شمال بحر قزوين والبحر الأسود .

(٣) ولهذا يقول الروس أنه شفيهم . ويقول اليونانيون أنه شفيهم إذ صلب في بلادهم .

(٤) كانت ولاية آسيا تشمل فقط شريطا ضيقا من آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وتشمل ميسيا وليدية وكاريا .

(٥) خمس ولايات من آسيا الصغرى ذكرت في (١ بط ١ : ١) .

(٦) انظر رو ١٥ : ١٩ وكانت الليريكون اقليما رومانيا واقعا على الشاطئ الشرقي لبحر الأدرياتيك .

(٧) ٢ تي ٤ : ٢١ .

الفصل الثالث

رسائل الرسل

(١) أن رسالة بطرس الأول معترف بصحتها . وقد استعملها الشيوخ الأقدمون في كتابتهم كسفر لا يقبل أى نزاع . على أننا علمنا بأن رسالته الثانية الموجودة بين أيدينا الآن ليست ضمن الأسفار القانونية، [١] ولكنها مع ذلك إذ اتضحت نافعة للكثيرين فقد استعملت مع باقى الأسفار .

(٢) أما ما يسمى «أعمال بطرس» و«الأنجيل» الذى يحمل اسمه و«الكرازة» و«الرؤيا» - كما سميت - فأننا نعلم أنها لم تقبل من الجميع لأنه لم يقتبس منها أى كاتب حديث أو قديم .

(٣) على أننى سأحرص أن أبين فى مؤلفى التاريخى - علاوة على التسلسل الرسمى [٢] ما اعتاد كتاب الكنيسة اقتباسه من وقت لآخر من الأسفار المتنازع عليها، وما قالوه عن الأسفار القانونية المقبولة، وعن غيرها .

(٤) أما الأسفار التى تحمل أسم بطرس فالذى أعرفه هو أن رسالة واحدة فقط قانونية ومعترف بها من الشيوخ الأقدمين .

(٥) وأما رسائل بولس الأربع عشرة فهى معروفة ولا نزاع عليها، وليس من الأمانة التغاضى عن هذه الحقيقة وهى أن البعض رفضوا رسالة العبرانيين قائلين أن كنيسة روما تشككت فيها على أساس أن بولس لم يكتبها . أما ما قاله الذين سبقونا عن هذه الرسالة فسأفرد له مكانا خاصا فى الموضع المناسب . [٣] وأما عن «أعمال بولس» فلم أجده بين الأسفار غير المتنازع عليها .

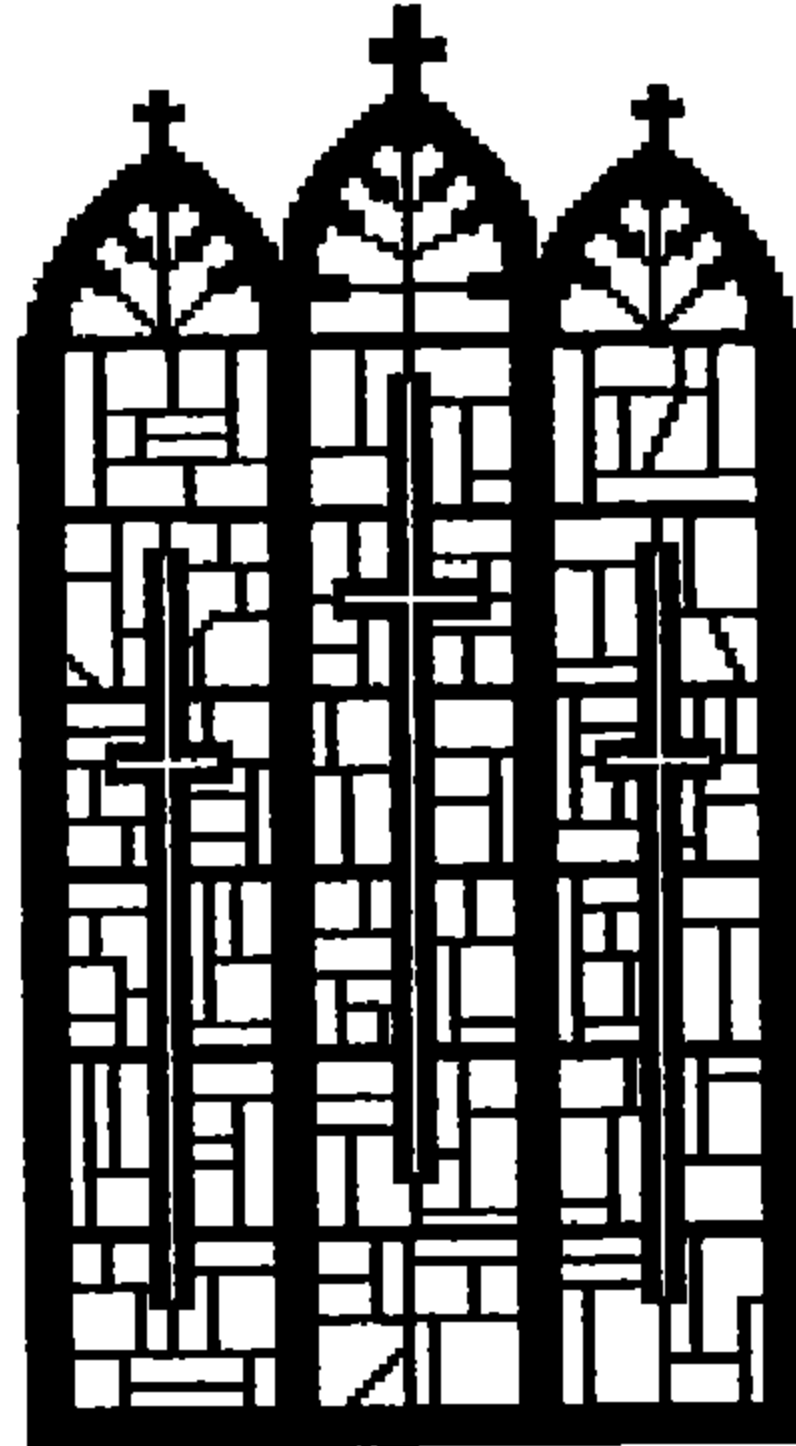
(١) لقد أجمعت كل الكنائس على قانونية هذه الرسالة وقد أشار إليها فرمليان أسقف قيصرية كبدوكية فى القرن الثالث، واكليمنضس الأسكندرى وكثيرون غيرهما .

(٢) أى التسلسل القانونى للأسفار المذكورة .

(٣) انظر كتاب ٦ ف ١٤ و ٢٠ و ٢٥ .

(٦) ولكن نظرا لأن نفس الرسول في تحيته الواردة بآخر رسالة رومية [٤] ذكر - ضمن من ذكرهم - هرماس الذى ينسب إليه السفر المسمى الراعى [٥] فيجب ملاحظة أن هذا السفر أيضا متنازع عليه ولا يمكن وضعه ضمن الأسفار المعترف بها، مع أن البعض يعتبرونه لا غنى عنه سيما عند من يريدون تعلم مبادئ الإيمان . وعلى أن حال فنحن نعرف أنه يقرأ فى الكنائس ، كما تبين أن البعض من أقدم الكتاب اقتبسوا منه .

(٧) وهذا يكفى لايضاح الأسفار غير المتنازع عليها والأسفار غير المعترف بها من الجميع .



(٤) انظر (رو ١٦ : ١٤) .

(٥) ظهر فى النصف الثانى من القرن الثانى وأشار إليه ايريناوس واكليمنطس الاسكندري وأوريجانوس . وفى فصل ٢٥ من هذا الكتاب يذكر يوسابيوس أنه غير قانونى .

الفصل الرابع

خلفاء الرسل الأولون

- (١) واضح مما كتبه بولس [١] - وما دونه لوقا في سفر الأعمال [٢] - أنه (أى بولس) بشر الأمم (أى الوثنيين) ووضع أساسا للكنائس «من اورشليم وما حولها إلى الليريكون».
- (٢) أما عدد الأقطار التى كرز فيها بطرس بالمسيح ونادى بتعاليم العهد الجديد بين أهل الختان فواضح من رسالته السابق التحدث عنها بأنها غير متنازع عليها. فى هذه الرسالة يكتب عن العبرانيين المتغربين من شتات بتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبشينة [٣].
- (٣) وأما عدد وأسماء الذين أصبحوا من بين هؤلاء أتباعا مخلصين وغيورين للرسل واعتبروا مستحقين للعناية بالكنائس التى أسسوها فليس من السهل حصرهم سوى من ذكرهم بولس فى كتاباته.
- (٤) لأنه كاله زملاء فى العمل لا حصر لهم، وزملاء «متجندون معه» كما دعاهم، [٤] وقد أكرم معظمهم بذكريات لا تمحى، لأنه سجل لهم فى كتاباته شهادات دائمة.
- (٥) وتحدث لوقا أيضا عن أصدقائه فى سفر الأعمال وذكرهم بالاسم [٥].
- (٦) وكما هو مدون كان تيموثاوس أول من قبل الأسقفية على أبروشية أفسس، وتيطس على كنائس كريت.

- (٧) أما لوقا، الذى كان من أبوين أنطاكيين، والذى كان يمتحن الطب [٦] والذى كان صديقا حميما لبولس ومعروفا من سائر الرسل، فقد ترك لنا فى سفرين قانونيين براهين على موهبة الشفاء

(١) (رو ١٥ : ١٩) . (٢) من ص ٩ فصاعدا . (٣) (١ بط ١ : ١) . (٤) (فى ٢ : ٢٥ . فل ٢) . (٥) (اع ٦ : ٥) ويوحنا الملقب مرقس (١٢ : ٢٥ ، ١٣ : ١٣ ، ١٥ : ٣٧) وسيلا (١٥ : ٤٠) وتيموثاوس (١٦ : ١ إلخ) وأكيلا وبريسكلا (١٨) وإيسطوس (١٩ : ٢٢) وغايس واسترخس المكدونيين (١٩ : ٢٩) إلخ . (٦) (كو ٤ : ١٤) .

الروحي التي تعلمها منهم . أما أحد هذين السفرين فهو الإنجيل الذي يشهد بأنه كتبه كما سلمه إليه الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة ، والذين قد تتبعهم من الأول بالتدقيق كما يقول [٧] . وأما السفر الثاني فهو أعمال الرسل الذي كتبه ، لا بناء على رواية الآخرين ، بل بناء على ما رآه هو بنفسه .

(٨) ويقال أن بولس كلما قال «بحسب أنجيل ٨» إنما كان يشير إلى أنجيل لوقا كأنه يتحدث

عن أنجيله هو .

(٩) أما عن باقي أتباع بولس فإنه يشهد بأن كريشكيس قد أرسل إلى بلاد الغال [٩] أما لينس

الذي يذكره في رسالته الثانية إلى تيموثاوس [١٠] كرفيقه في روما فقد خلف بطرس في أسقفية الكنيسة

هناك [١١] كما سبق أن بينا .

(١٠) وكان اكلمنضس [١٢] - الذي أقيم ثالث أسقف على كنيسة روما - زميلا لبولس في

العمل ومتجندا معه كما يشهد بولس نفسه .

(١١) وعلاوة على هؤلاء فإن ذلك الأريوباغي ، المسمى ديونيسيوس ، الذي كان أول من آمن

بعد خطاب بولس للآثينيين في أريوس باغوس ، (كما دونه لوقا في سفر الأعمال [١٣] فقد ورد ذكره في

كتابات شخص آخر يسمى ديونيسيوس كان كاتباً قديماً وراعياً لأبروشية كورنثوس [١٤] قائلاً عنه أنه أول

أسقف لكنيسة أثينا .

(١٢) أما الحوادث المتعلقة بالخلافة الرسولية فستحدث عنها في الوقت المناسب ، وفي نفس

الوقت لتابع مجرى تاريخنا .



(٨) (رو ٢ : ١٦ ، ١٦ : ١٦ ، ٢٥ : ٢ ، ٢ : ٨) .

(٧) (لو ١ : ٢ و ٣) .

(٩) (٢ : ٤) وفي هذه الآية لم يذكر بأنه «أرسل» بل «ذهب» ، ولم يذكر بأنه ذهب إلى بلاد الغال بل إلى غلاطية .

(١٠) (٢ : ٤) . (١١) انظر ف ٢ . (١٢) (في ٤ : ٣) . (١٣) (أع ١٧ : ٣٤) .

(١٤) انظر ما ورد في كتاب ٤ ف ٢٣ .

الفصل الخامس

حصار اليهود الأخير بعد المسيح

(١) بعد أن ملك نيرون ثلاث عشرة سنة، [١] وجالبا وأثو [٢] سنة وستة أشهر نودى بفلسبسيان (الذي اشتهر بحملاته على اليهود) ملكا على اليهودية، ونال لقب امبراطور من الجيوش الحالة هناك . وإذ قصد على الفور إلى روما أوكل أمر الحرب ضد اليهود لابنه تيطس . [٣]

(٢) لأن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده بل دبوا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم . ففي أول الأمر رجموا استفانوس، [٤] وبعده قطعوا رأس يعقوب [٥] بن زبدي أخى يوحنا، وأخيرا مات يعقوب (أول أسقف على كرسي أورشليم بعد صعود مخلصنا) بالطريقة السابق شرحها [٦] أما سائر الرسل الذين استمرت المؤامرات ضدهم بقصد أبادتهم، وطوردوا من أرض اليهودية، فقد ذهبوا إلى كل الأمم ليكرزوا بالإنجيل معتمدين على قوة المسيح الذي قال لهم «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمي» . [٧]

(٣) أما شعب الكنيسة في أورشليم فقد صدر لهم الأمر في رؤيا (ظهرت لأشخاص موثوق بهم هناك قبل الحرب) بأن يتركوا المدينة ويسكنوا في من مقاطعة بيريه تدعى «بلا»، [٨] وإذ جاء هؤلاء المؤمنون بالمسيح من أورشليم إلى هناك بدا كأن مدينة اليهود الملكية وكل أرض اليهودية قد أقفرت من الرجال المباركين، وحل غضب الله بشدة على من ثاروا ضد المسيح ورسله، فأباد نهائيا ذلك الجيل الشرير .

(٤) على أن عدد المصائب التي حلت بتلك الأمة في كل مكان، والنكبات الشديدة جدا التي نكب بها سكان اليهودية بصفة خاصة، وآلاف الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا بالسيف وبالمجاعات وألوان أخرى من الموت لا حصر لها - كل هذه الأمور والحصارات الكثيرة التي حصلت بمدن اليهودية،

(١) ملك نيرون من ١٦ أكتوبر سنة ٥٤م إلى ٩ يونية سنة ٦٨م . (٢) Galbà Otho

(٣) قام تيطس بمحاربة اليهود بعد ارتحال أبيه، وأنهى حصار أورشليم في ٨ سبتمبر سنة ٧٠م . (٤) (اع ٧ : ٨ إلخ) .

(٥) (اع ١٢ : ٢٠) . (٦) انظر ك ٢ ف ٢٣ . (٧) (مت ٢٨ : ١٩) .

(٨) Pella مدينة شرق الأردن تقع في شمال Perea بيريه وكانت تحت سلطة هيرودس أغريباس الثاني .

والآلام المفرطة التي عاناها من هربوا إلى اورشليم نفهسا كأنها مدينة أمينة، وأخيرا التيار العام للحرب كلها، وكذا أحداثها تفصيلا، وكيف وقفت أخيرا رجسة الخراب - التي تنبأ عنها الأنبياء [٩] - في هيكل الله نفسه الذي ذاعت شهرته منذ القديم، الهيكل الذي كان يتظر حينذاك خرابه النهائي الكامل بالنار . . . كل هذه يجد وصفها بدقة كل من أراد في التاريخ الذي كتبه يوسفوس .

(٥) ولكنه من الضروري اثبات أن هذا الكاتب سجل بأن جماهير الذين تجمعوا من كل اليهودية وقت الفصح، والذين وصل عددهم إلى ثلاثة ملايين نفس، أغلق عليهم في اورشليم «كأنهم في سجن» حسب تعبيره .

(٦) لأنه كان عدلا في نفس الأيام [١٠] التي سبوا فيها الآلام للمخلص، المحسن للجميع، مسيح الله، يغلق عليهم «كأنهم في سجن»، ويلقوا الهلاك من يد العدل الألهي .

(٧) وإذا ما تجاوزت عن المصائب الخاصة التي عانوها من الهجوم عليهم بالسيف وبغيره، أراه من الضروري التحدث فقط عن المصائب التي سببها المجاعة، لكي يعرف قارئو كتابي هذا أن الله لم يبطئ في الانتقام منهم بسبب شرهم ضد مسيح الله .



الفصل السادس

المجاعة التي نُكِبوا بها

(١) وإذا ما تصفحنا السفر الخامس من تاريخ يوسيفوس ثانية وجدنا الفواقع التي حدثت وقتئذٍ - [١] فإنه يقول:

(٢) «أما عن الأثرياء فقد كان خطرا أيضا أن يبقوا . لأنهم وقد تظاهروا بالرغبة في هجر الناس فقد قتلوا بسبب ثروتهم . أما جنون الثورة فقد زادت المجاعة . وهكذا ازدادت حدة البؤس والشقاء يوما بعد يوم .

(٣) «ولم يعد الطعام يُرى . وإذا كان الناس يقتحمون المنازل كانوا يفتشونها بدقة، وكلما وجدوا فيها شيئا يؤكل عذبوا أصحابها على أساس أنهم أنكروا أن عندهم شيئا . وأن لم يجدوا فيها شيئا عذبوهم على أساس أنهم خبأوه بمتهى الدقة والحرص .

(٤) «أما الدليل على أنهم يمتلكون طعاما أو لا يمتلكون فكان يوجد في أجسام هؤلاء المساكين . فمن كانت مناظرهم حسنة اعتبروا بأنهم يحصلون على كمية كافية من الطعام . أما من كانت مناظرهم هزيلة فقد كانوا يتجاوزون عنهم على أساس أنه من السخافة قتل من هم على وشك الهلاك بسبب الفاقة .

(٥) «ولقد باع الكثيرون ممتلكاتهم سرا للحصول على كمية من الحنطة أن كانوا من طبقة الأغنياء، أو من الشعير أن كانوا فقراء . وإذا كانوا يختبئون في مخبئات منازلهم كان البعض يأكلون الحبوب نيئة بسبب شدة حاجتهم، والبعض يطبخونها حسبما كانت تملئ عليهم ظروف الحاجة والخوف .

(٦) «لم تعد الموائد تبسط في أى مكان، بل كانوا يخطفون الطعام قبل أن ينضج وينهشونه .

«وبالشناعة المنظر إذ كان المرء يرى الأقوياء يحصلون على نصيب وافر، أما الضعفاء فكانوا يتضورون جوعا .

(١) أى في وقت الفصح .

(٢) يوسيفوس ك ٥ ف

(٧) «يقينا أن المجاعات أشد الشرور . وهي لا تطيح بشيء أكثر من الحياء . لأن ما يستحق الاحترام في ظروف أخرى يحتقر في ظروف المجاعة . فالنساء كن يخطفن الطعام من أفواه أزواجهن وأولادهن، ومن آبائهن، والأشر من كل ذلك كانت الأمهات يخطفن من أطفالهن . وبينما كانت تذوى حياة فلذات أكبادهن بين أفرعهن كن لا يخجلن من خطف آخر نقطة تسد رمقهن .

(٨) «وحتى عندما يأكلون بهذه الطريقة كان لابد من اقتضاح أمرهم . فالناهبون كانوا يظهرون في كل مكان لسلبهم حتى من هذه الكميات الضئيلة من الطعام . لأنهم كلما رأوا منزلا مغلقا اعتبروا ذلك علامة على أن الذين بالداخل يأكلون . وللحال كانوا يقتحمون الأبواب ويندفعون ويخطفون ما كانوا يأكلون، وفي كثير من الحالات كانوا يتزعمونه من حلقهم .

(٩) «أما المتقدمون في السن الذين كانوا يتشبثون بطعامهم فكانوا يضربون . وأن خبائث النسوة في أيديهن تفت شعورهن بسبب هذا التصرف . ولم تعد هنالك رافة لا بالشيوخ ولا بالأطفال، بل كانوا يرفعون الأطفال المتشبثين بلقمة الطعام ويلقون بهم إلى الأرض . أما الذين يحسون بدخولهم ويبلغون ما كانوا يزمعون اختطافه فكانوا يعاملون بنفسوة أشد كأنهم قد أساءوا إليهم .

(١٠) «وكانوا يجرون أقصى أنواع التعذيب ليكتشفوا الطعام، فكانوا يتقدمون إلى التعماء المساكن فيغلزون فتحات أجسامهم السرية بالأعشاب المرة، ويثقبون مقاعدهم بقضبان حادة . وكان الناس يعانون ألما تنقذ منها الأسماع، وذلك لإلزامهم على الاعتراف بأنهم يملكون ولو رغيفا واحدا، أو لأظهار ولو درهم واحد من الشعر خبأوه .

(١١) «على أن المعذبين أنفسهم لم يكونوا يعانون مرارة الجوع . وكان يمكن أن تبدو تصرفاتهم أقل وحشية لو أنهم قد دفعتهم إليها الحاجة . ولكنهم لجأوا إليها بسبب جنونهم، ولتزويد أنفسهم بالمؤونة التي تلزم للمستقبل .

(١٢) «وأن تسلل أحد من المدينة ليلا ووصل إلى حرس الحدود الرومانيين لجمع بعض الحشائش أو الأعشاب البرية ذهبوا إليه لمقابلته، وبينما يظن أنه قد نجا من العدو يأخذون منه ما قد أتى به، ورغم توسلاته إليهم وحلفه باسم الله العظيم المهبوب، وتذللته إليهم ليعطوه جزءا مما خاطر بحياته في سبيل الحصول عليه، فقد كانوا لا يعيدون إليه شيئا . وكان من حسن حظ الشخص أن لا يقتل بعد أن ينهب» .

(١٣) وبعد أن ذكر يوسيفوس أمور أخرى، يضيف إلى هذا الوصف ما يأتي: [٣] «وإذ وضع حد لامكانية الخروج من المدينة» [٤] تبدد من أمام اليهود كل أمل للنجاة. واشتدت المجاعة فالتهمت بيوتا وعائلات، وامتلات الغرف بجثث النساء والأولاد، وطرقات المدينة بجثث المشايخ.

(١٤) «وكان الأولاد والشباب - وقد برحت بهم المجاعة - يتجولون في الأسواق كأشباح، ويسقطون حيثما باغتهم الموت. وكان المرضى لا يقوون على دفن أقاربهم، أما من كانوا يقوون فقد كانوا يترددون بسبب كثرة الموتى وبسبب شكهم في مصيرهم. فالكثيرون كانوا يموتون فعلا وهم يدفنون غيرهم، والكثيرون كانوا يعمدون إلى قبورهم قبل أن يأتيهم الموت.

(١٥) «ولم يكن هناك بكاء أو نحيب في هذه المصائب. لأن المجاعة قست العواطف الطبيعية. وكان الذين يموتون بطيئا ينظرون بعين الحسرة إلى من انتقلوا إلى راحتهم قبلهم. وكان يغمر المدينة صمت رهيب وليل مخيف.

(١٦) «أما اللصوص فقد كانوا أشد رعبا من هذه الأهوال، لأنهم كانوا يقتحمون البيوت التي كانت وقتئذ مجرد قبور، وينهبون الموتى ويجردون أجسامهم من أغطيتها، وينصرفون ضاحكين. وكانوا يجربون أطراف سيوفهم في الجثث، كما كانوا ينخسون الأجسام الملقاة إلى الأرض التي لا تزال حية ليجربوا أسلحتهم. أما الذين كانوا يتوسلون بأن يسمح لهم باستعمال ذراعهم اليمين متقلدين سيوفهم فقد كانوا يتركونهم باحتقار لتفنيهم المجاعة. وكان كل واحد من هؤلاء يموت مثبت عينيه في الهيكل. كما كانوا يتركون الثاثرين أحياء.

(١٧) «وفي بداية الأمر أعطى هؤلاء الأوامر لدفن الموتى على حساب الخزانة العامة، لأنهم لم يحتملوا الروائح الكريهة. ولكنهم لما عجزوا عن ذلك فيما بعد كانوا يطرحون الجثث من فوق الأسوار إلى الخنادق.

(١٨) «وإذ دار تيطس حول المدينة، ورأى الخنادق مليئة بالموتى، والدم المتجمد طافح من الجثث المتعفنة، تصاعد أتيته، وإذ رفع يديه دعا الله ليشهد بأن هذا لم يكن من صنعه».

(٣) نفس الكتاب ف ١٢ : ٣ و ٤.

(٤) كان تيطس وقتئذ قد أكمل بناء سور حول المدينة استحال معه الهروب منها. وقد وصف يوسيفوس هذا السور في الفصل السابق مباشرة.

(١٩) وبعد أن تحدث يوسفوس عن أمور أخرى استأنف حديثه قائلاً [٥] «أننى لا أتردد فى التعبير عما أشعر به . فأعتقد بأنه لو تأخر الرومانيون فى الهجوم على هؤلاء المجرمين الأشقياء لابتلعت المدينة هوة سحيقة، أو دهمها فيضان، أو دمرتها صاعقة كتلك التى دمرت سدوم . لأنها أخرجت جيلا من البشر أشر ممن عانوا ذلك التأديب . والواقع أنه بسبب جنونهم أييد كل الشعب» .

(٢٠) وفى الكتاب السادس بدون ما يلى: [٦]

«أن من ماتوا من هؤلاء فى المدينة بسبب المجاعة لا يحصى عددهم، والمصائب التى عانوها لا يمكن وصفها . لأنه أن ظهر ولو شبح الطعام فى أى بيت نشبت فيه الحرب، واشتبك أعز الأصدقاء فى الحروب بعضهم مع بعض، وخطفوا من بعضهم أود الحياة مهما كان ضئيلا .

(٢١) «وأبوا أن يصدقوا أنه حتى الذين فى الترع الأخير كانوا بدون طعام، بل كان اللصوص يفتشونهم وهم يلفظون النسمات الأخيرة لئلا يكون هنالك من يدعى الموت وهو يخفى الطعام فى حضنه . وكانوا يتعشرون ككلاب سحرانة وأفواهم مفتوحة من انعدام الطعام، ويضربون الأبواب كأنهم سكارى، وفى وثنهم وضعفهم كانوا يهجمون على البيت الواحد مرتين أو ثلاث مرات فى ساعة واحدة .

(٢٢) «واضطرتهم الحاجة لأكل أى شىء يجدونه . وكانوا يجمعون أشياء لا تليق بأقذر البهائم غير العاقلة ويلتهمونها . وأخيرا لم يتعففوا حتى عن مناطقهم وأحذيتهم، وكانوا يجردون دروعهم من جلودها ويلتهمونها . وأتخذ البعض من القش القديم طعاما، وجمع الآخرون أعقاب الحنطة المتروكة فى الأرض وباعوا أقل كمية بأربعة دراهم .

(٢٣) «ولماذا أتحدث عن المخازى التى تجلت أثناء المجاعة نحو الأشياء غير العاقلة؟ لأننى سأروى حقيقة لم تدون عن اليونانيين أو البرابرة، أروع من أن تروى، وأشنع من أن تصدق . وكان يسرنى أن أتجنب ذكر هذه المصيبة لئلا يظن الأعقاب أننى أروى قصصا خيالية خرافية لولا أننى لدى شهود لا يحصى عددهم معاصرون لى . وفضلا عن ذلك فإن خدمتى لبلادى تعتبر ناقصة أن أنا أحجمت عن وصف الآلام التى تحملتها (بلادى) .

(٢٤) «كانت هنالك امرأة تدعى مريم سكنت بعد نهر الأردن، يدعى أبوها اليعازر من قرية يتزور (ومعناها بيت الزوفا) . وكانت هذه المرأة ذات شخصية بارزة بسبب أسرتها وثروتها، وقد هربت مع بقية الجماهير إلى أورشليم، وأغلق عليها معهم أثناء الحصار .

(٢٥) «أما الطغاة فقد سلبوها من بقية أمتعتها التي أحضرتها معها إلى المدينة من بيرية وكان الحرس يهجمون عليها يوميا لخطف بقية ممتلكاتها وكل ما يمكن أن يرى من الطعام . وقد سبب هذا خنق المرأة، ولذا قاتها بتوبيخاتها المستمرة ولعناتها أهاجت غيظ هؤلاء الأوغاد وحنقهم عليها .

(٢٦) «ولكن لم يشأ أحد أن يقتلها وذلك أما لباعث الأشفاق عليها أو السخط عليها وقد تعبت من أيجاد الطعام للآخرين ليأكلوا . وأصبحت مهمة البحث عن الطعام شاقة جدا في كل مكان وكانت المجاعة تعض أمعاءها وأحشاءها . وكانت ثورة الحنق أشد قسوة من المجاعة نفسها . وإذا أتخذت من الغضب والفاقة والحاجة مشيرين لها اعتزمت أن تفعل أمرا شاذا جدا .

(٢٧) «فأمسكت طفلها - وكان ولدا يرضع ثديها - وقالت: ما أشقاك أيها الطفل في الحرب والمجاعة والفتنة، لماذا أبقي عليك؟ لابد أن يستعبدنا الرومانيون حتى لو سمحوا لنا بأن نعيش . وحتى العبودية سبقتها المجاعة، أما الثوار فأنهم أقسى من الاثنين . تعالى وكن لي طعاما، وسخطا [٧] على هؤلاء الثوار، وسخرية للعالم، لأن هذا كل ما بقى لتكملة مصائب اليهود .

(٢٨) «وإذا قالت هذا قتلت ابنها . ولما طبخته أكلت نصفه وغطت النصف الباقي وحفظته وللحال ظهر الثوار، ولما شموا الرائحة الكريهة هددوها بالقتل في الحال أن لم تقدم إليهم ما طبخته . فأجابت بأنها حفظت لهم نصيبا وافرا، وعند ذلك كشفت ما تبقى من الطفل .

(٢٩) «وللحال أخذتهم الدهشة والرعب والفرع، ووقفوا مذهولين أمام المنظر . ولكنها قالت . الطفل طفلى، وأنا الذى فعلت به هذا . كلوا لأنى أنا أيضا أكلت . لا تكونوا أكثر شفقة من المرأة ولا أكثر حنوا من الأم . أما أن بلغت بكم التقوى إلى الحد فيه تحجمون على ضحيتى فقد أكلت أنا منها، واتركوا لى الباقي .

(٣٠) «وإذا قالت هذه الكلمات خرج الرجال مرتعدين، وانزعجوا من هذا الحادث ولكنهم بصعوبة سلموا هذا الطعام للأم . ومن ثم ذاعت أنباء هذه الجريمة المروعة فى كل المدينة، وإذا صور الجميع هذا العمل الوحشى أمام أعينهم انزعجوا كأنهم هم الذين ارتكبوه .

(٣١) «وتمنى الموت كل من كانوا يعانون آلام المجاعة، وطوبى لمن ماتوا قبل أن يسمعوا أو يروا أمثال هذه الفواجع» .

(٣٢) هكذا كان جزاء اليهود من أجل شرهم وأجرامهم ضد مسيح الله .

(٧) كانت عقيدة القوم وقتئذ أن نفوس المقتولين تعذب قاتليها .

الفصل السابع

نبوات المسيح

(١) وهنا يليق بنا أن نضيف إلى هذا الوصف نبوة مخلصنا الصادقة التي تنبأ عن هذه

الحوادث بالذات [١].

(٢) وهذه هي كلماته:

«ويل للحبالي والمرضعات في تلك الأيام . وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت،
لأنه يكون حيثئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكن» .

(٣) وإذا أحصى المؤرخ جميع عدد القتلى قال أن مليون ومائة ألف هلكوا من المجاعة والسيوف،
وأن بقية الثوار واللصوص قتلوا إذ خان أحدهم الآخر بعد أخذ المدينة واستبقى أطول الشبان وأجملهم
كعلامة على الانتصار . أما باقي الجماهير فأن من رادت أعمارهم على سبعة عشرة سنة أرسلوا كاسرى
ليعملوا في أعمال مصر، [٢] وتشتت غيرهم أكثر منهم في الأقطار المختلفة ليلقوا حتفهم في المشاهد
العامة بالسيف والوحوش الكاسرة . أما من كانت تقل أعمارهم عن سبعة عشر سنة فقد اقتيدوا ليباعوا
كعبيد، وهؤلاء وحدهم بلغ عددهم تسعين ألفا .

(٤) وقد حدثت هذه الأمور على هذا النحو في السنة الثانية من ملك فاسبسيان [٣] وفقا لنبوات
ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي سبق أن رآها بقوة لاهوته كأنها كانت ماثلة أمام عينيه، ويكي وأكتأب
كما يقرر الإنجيليون الذين نقلوا إلينا نفس الكلمات التي نطق بها كأنه يخاطب أورشليم نفسها: [٤]

(٥) «أنك لو علمت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك . ولكن الآن قد أخفى عن
عينيك، فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بتمرس . ويحذقون بك ويحاصرونك من كل جهة .
ويهدمونك إلى الأرض أنت وبنيك» .

(١) (مت ٢٤ : ١٩ - ٢١) .

(٢) المقصود بهذه الأعمال المحاجر حيث كانت تؤخذ منها أحجار رخامية جميلة تستعمل في المباني .

(٣) يقرر يوسيفوس (ك ٦ ف ٨ : ٥ ، ف ١٠ : ١) أن الحصار تم في ٨ سبتمبر وفي الفقرة الثانية يقول أنه تم في

السنة الثانية من ملك فاسبسيان . ولما كان هذا قد نودى به أمبراطورا في أول يولية سنة ٦٩م لذلك يكون الحصار قد تم

(٤) (لر ١٩ : ٤٢ - ٤٤) .

في ٨ سبتمبر سنة ٧٠م .

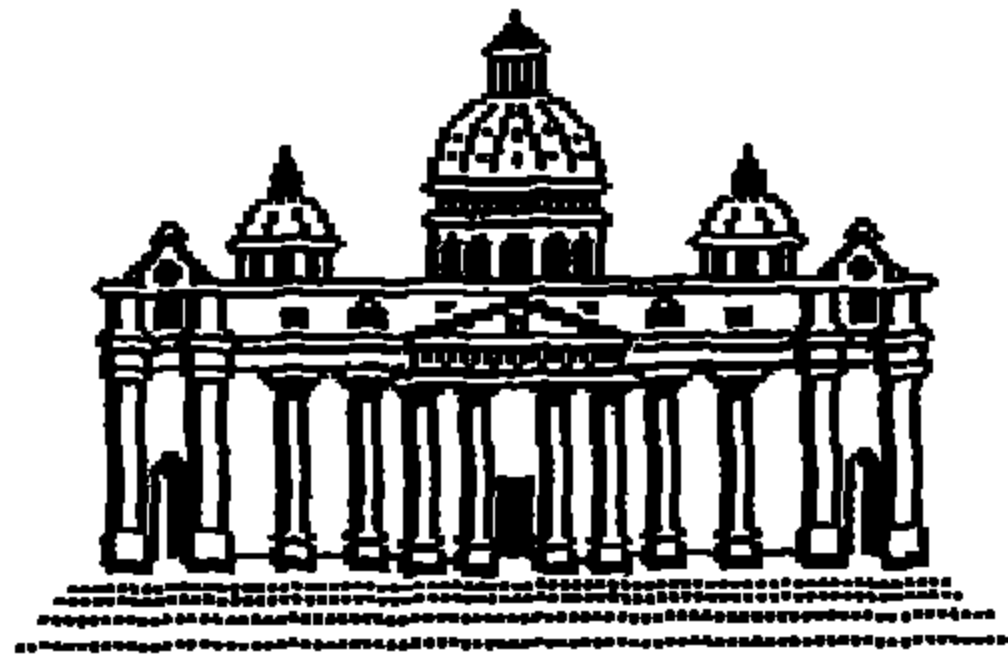
(٦) وبعد ذلك يقول كأنه يتحدث عن الشعب [٥] «لأنه يكون ضيق عظيم في الأرض وسخط على هذا الشعب . ويقعون بقم السيف ويسبون إلى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمته الأمم» . وأيضا [٦] «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحيثذا اعلموا أنه قد اقترب خرابها» .

(٧) فإن قارن أحد كلمات مخلصنا بالوصف الآخر الذي دونه ذلك المؤرخ عن الحرب كلها فيكف لا يتعجب معترفا بأن سبق علم مخلصنا ونبواته كانت إلهية حقا وعجبية جدا .

(٨) أما عن تلك المصائب التي حلت بكل الأمة اليهودية بعد آلام المخلص، وبعد الكلمات التي نطق بها جمهور اليهود عندما طلبوا إطلاق اللص القاتل ورفع رئيس الحياة من وسطهم [٧] فلا يحتاج الأمر لإضافة شيء لرواية المؤرخ .

(٩) ولكن قد يكون من المناسب أن نذكر أيضا تلك الحوادث التي وضحت رحمة العناية الإلهية الكلية الصلاح التي أرجأت خرابهم أربعين سنة كاملة بعد جريمتهم ضد المسيح . وفي هذه المدة كان لا يزال الكثيرون من الرسل والتلاميذ ويعقوب نفسه أول أسقف هناك، الذي كان يدعى أخا الرب، أحياء، ومقيمين في أورشليم نفسها كأضمن حصن للمكان . وهكذا برهنت العناية الإلهية على طول أناتها من نحوهم، لكي ترى أن كانوا بالندامة على ما ارتكبوه والتوبة ينالون الصفح والخلاص . وعلاوة على طول أناة العناية الإلهية فأنها قدمت علامات لما كان مزمعا أن يحل بهم أن لم يتوبوا .

(١٠) وطالما كان المؤرخ السابق الإشارة إليه قد رأى بأن هذه الأمور جديرة بالذكر فأننا لن نفعل شيئا أفضل من اقتباسها لمنفعة قراء هذا المؤلف .



(٦) (ع ٢٠) .

(٥) (لو ٢١ : ٢٣ و ٢٤) .

(٧) (ع ٣ : ١٤ ، مت ١٧ : ٢٠ ، مر ١٥ : ١١ ، لو ٢٢ : ١٨) .

الفصل الثامن

العلامات التى سبقت الحرب

(١) وإن رجعت إلى كتاب هذا المؤلف قرأت الآتى فى السفر السادس من تاريخه . وهاك كلماته [١] .

«هكذا كان هذا الشعب البائس فى هذا الوقت فريسة للدجالين والأنبياء الكذبة . ولكنهم لم يصغوا ولم يصدقوا تلك الرؤى والعلامات التى كانت تنبئ باقتراب الخراب، بل بالعكس استخفوا بالأعلانات الالهية كأن البرق قد بهر عيونهم، أو كأنهم قد أصبحوا بلا عقول وبلا فهم .

(٢) «فى وقت واحد وقف فوق المدينة نجم فى شكل سيف، ومذنب دام ستة كاملة . ثم أنه قبل الثورة، وقبل القلاقل التى أدت إلى الحرب، عندما أجمع الشعب للاحتفاظ بعيد الفطير [٢] فى الثامن من شهر ذاتيكوس، [٣] وفى الساعة التاسعة من الليل، أضاء نور عظيم فى المذبح والهيكل حتى بدا كأنه نهار منير . ودامت هذه الحالة نصف ساعة . وقد كانت تبدو لرجل الشارع علامة طيبة، أما الكتبة فقد رأوا فيها نذيرا بتلك الحوادث التى حلت بهم بعد ذلك مباشرة .

(٣) «وفى نفس العيد كان رئيس الكهنة يقود بقرة لتقديمها ذبيحة فولدت خروفا فى وسط الهيكل» .

(٤) «أما البوابة الشرقية للهيكل الداخلى، وكانت سميكة جدا ومصنوعة من البرونز، وكان يغلقها بصعوبة عشرون رجلا فى المساء، وكانت ترتكز على قضبان حديدية، ومثبتة فى الأرض بعوارض قوية، فقد وجدت تنفتح من تلقاء ذاتها فى الساعة السادسة من الليل .

(٥) «وبعد العيد بأيام قليلة، فى الحادى والعشرين من شهر أرتيميوس [٤] بدت رؤيا عجيبة تفوق التصديق . كان يمكن القول عن هذه الأعجوبة أنها خرافة لولا أنها قد رواها من رأوها، ولو لم تكن المصائب التى تلتها تستحق علامات كهذه . لأنه قبل غروب الشمس ظهرت فى وسط الجو فى كل تلك المنطقة عربات وفرق مسلحة تلف فى السحب وتحيط بالمدن .

(٣) يقابل شهر أبريل .

(٢) أى عيد الفصح .

(١) يوسفوس ك ٦ ف ٥ : ٣ .

(٤) يقابل أواخر مارس وأوائل ابريل .

(٦) «وفي العيد الذي يدعى عيد الخمسين، عندما دخل الكهنة الهيكل ليلا كعادتهم لتأدية الخدمة، قالوا أنهم في بداية الأمر أحسوا بحركة وجلبة، وبعد ذلك سمعوا صوتا كأنه صوت جموع كبيرة قائلا: فلنغادر هذا المكان.

(٧) «على أن ما يأتي أشد رعبا، لأن شخصا يدعى يسوع بن حنايا، وهو شخص قروى عادى، أتى - قبل الحرب بأربع سنوات إذ كانت المدينة في سلام - إلى العيد، [٥] وكانت عادة الجميع أن يقيموا مظالا في الهيكل اكراما لله، وبدأ يصرخ فجأة: صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الأربعة الرياح، صوت ضد أورشليم والهيكل، صوت ضد العريس وضد العروس، صوت ضد كل الشعب:

(٨) «وكان يجول في كل الطرقات يصرخ كهذا نهارا وليلا - ولكن بعض أعيان المدينة أغتاطوا من هذه النداءات المنتدرة بالشؤم، وألقوا القبض عليه، وضربوه بجلدات كثيرة - ولكنه دون أن ينطق بأية كلمة دفاعا عن نفسه، أو يقول شيئا خاصا للحاضرين، استمر يصرخ بنفس الكلمات كالسابق.

(٩) «أما الحكام فإذ ظنوا - وكانوا صادقين في ظنهم - أن الرجل تحفزه قوة علوية، قدموه أمام الوالى الرومانى [٦] ورغم أنه جلد جلدا مبرحا وصل إلى العظام فإنه لم يتوسل بأن يعفى من الجلد، ولا ذرف دمعة، ولكنه غير لهجة صوته إلى لهجة أسيفة جده وكان بعد كل جلدة يقول: ويل، ويل لأورشليم.

(١٠) ويسجل نفس المؤرخ حادثة أشد غرابة من هذه - إذ يقول أن قولا وجد في كتاباتهم المقدسة معلنا بأن شخصا معيناً يخرج من بلادهم في ذلك الوقت ليحكم العالم - وقد ظن المؤرخ أن هذا تم في فسبسيان.

(١١) على أن فسبسيان لم يحكم كل العالم، بل الجزء الذى كان خاضعا للرومانيين - ولذا فالاجدر تطبيقه على المسيح الذى قيل له من الأب «اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك» [٧] فى ذلك الوقت بالذات خرج فعلا صوت رسله القديسين إلى كل الأرض، وإلى اقضاء العالم كلماتهم [٨]

الفصل التاسع

يوسيفوس والمؤلفات التي تركها

- (١) بعد هذا يجدر بنا أن نعرف شيئا عن أصل وعائلة يوسيفوس الذي ساعدنا كثيرا جدا في كتابة هذا المؤلف . ولقد قدم لنا هو نفسه المعلومات اللازمة بهذا الصدد في الكلمات التالية:
- «يوسيفوس بن متاثياس كاهن في اورشليم، حارب هو نفسه ضد الرومانيين في البداية، واضطر أن يشهد ما حدث فيما بعد» .
- (٢) وكان أشهر كل اليهود في ذلك الوقت، ليس فقط بين شعبه بل أيضا بين الرومانيين، ولذلك أكرم باقامة تمثال له في روما، واعتبرت مؤلفاته خليفة بتخصيص مكان لها في المكتبة .
- (٣) وقد كتب كل آثار اليهود [١] في عشرين كتابا، وتاريخا للحرب مع الرومانيين [٢] - التي حدثت في أيامه - في سبعة كتب . وشهد هو نفسه بأن هذا المؤلف الأخير لم يكتب باللغة اليونانية فقط بل ترجمه هو نفسه إلى اللغة الوطنية . وهو خليف بأن نصدقه هنا بسبب أمانته في المواضيع الأخرى .
- (٤) ولا يزال موجودا إلى الآن أيضا كتابان آخران له خليفان بالقراءة، وهما يبحثان عن أقدمية اليهود، [٣] وفيهما يرد على أبيون اللغوي الذي كان قد كتب وقتئذ كتابا ضد اليهود، وعلى آخرين حاولوا أن يفتروا على فرائض الشعب اليهودي القديمة العهد .
- (٥) في الكتاب الأول يبين عدد الأسفار القانونية للعهد القديم . وإذا استقى معلوماته من التقليد القديم يبين الأسفار التي قبلها العبرانيون دون أي نزاع . وهاك كلماته .

(١) Antiquitates Judaicae كتاب كامل لليهود من ابراهيم إلى بدء الحرب مع روما .

(٢) De Bello Judaico أدق ما كتب عن هذه الحرب . وقد وصف الكثير من الحوادث بناء على معلوماته الشخصية .

(٣) العنوان الكامل للكتاب .

Apology of Flavius Josphus on the Antiquities of the Jews against Apion

وهو جزءان ويتضمن دفاعا عن اليهودية .

الفصل العاشر

الطريقة التي يذكر بها يوسفوس الأسفار الإلهية

- (١) «لذلك فليست لدينا أسفار كثيرة تختلف مع بعضها وتتناقص - بل لدينا فقط اثنان وعشرون سفرا، [١] تتضمن تاريخ كل العصور - والمسلم به بحق أنها أسفار إلهية -
- (٢) «من هذه خمسة أسفار كتبها موسى، تتضمن الناموس ورواية أصل الإنسان ويستمر التاريخ إلى موته - وتشتمل هذه الحقبة نحو ثلاثة آلاف سنة -
- (٣) «ومن موت موسى إلى موت ارتخشستا، الذي خلف اكزرسيس على عرش فارس، كتب الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى تاريخ عصورهم في ثلاثة عشر سفرا [٢] أما الأسفار الأربعة الأخرى فتتضمن تساييح لله ووصايا لتقويم حياة البشر -

(١) لم يدونها يوسفوس بالتفصيل ولكنها على الأرجح كانت هكذا:

١ - ٥ أسفار موسى	١١ عزرا ونحميا	١٧ الأنبياء الصغار الاثنا عشر
٦ يشوع ١٥	١٢ استير	١٨ أيوب
٧ القضاة وراعوث	١٣ أشعيا	١٩ مزامير
٨ صموئيل	١٤ ارميا ومراثي ارميا	٢٠ أمثال
٩ الملوك ١٨	١٥ حزقيال	٢١ الجامعة
١٠ أخبار الأيام	١٦ دانيال	٢٢ نشيد الأنشاد

ويقرر أوريجانوس في ك ٦ ف ٢٥ من هذا التاريخ أن عدد الأسفار ٢٢ كما يلي :

١ - ٥ أسفار موسى	١١ عزرا الأول والثاني	١٧ أشعيا
٦ يشوع	١٢ - المزامير	١٨ ارميا ومراثيه ورسالته
٧ قضاة وراعوث	١٣ أمثال	١٩ دانيال
٨ صموئيل	١٤ الجامعة	٢٠ حزقيال
٩ الملوك	١٥ نشيد الأنشاد	٢١ أيوب
١٠ أخبار الأيام	١٦ الأنبياء الصغار حسب رأي روفينوس	٢٢ استير

١ (٤) «ومن أيام ارتحشستا إلى يومنا هذا دونت كل الحوادث . ولكننا لا نستطيع أن نضع فيما دون نفس الثقة التي نضعها في التواريخ السابقة، لأنه لم تكن هنالك سلسلة متعاقبة من الأنبياء أثناء هذه الفترة» [٣]

(٥) «أما مقدار تمسكنا بكتاباتنا فيضح تماما من موقفنا بازائها . لأنه رغما عن انقضاء فترة طويلة عليها فلم يتجاسر أحد أن يضيف إليها أو يحذف منها شيئا . لأن كل اليهود جبلوا منذ ولادتهم على اعتبارها تعاليم الله، والتمسك بها، والموت من أجلها بسرور أن لزم الأمر» .

هذه الملاحظات التي دونها المؤرخ رأيت من النافع اثباتها في هذه المناسبة .

(٦) ولنفس الكاتب مؤلف آخر عظيم الأهمية عن «سمو العقل» [٤] دعاه البعض «المكابين» لأنه يتضمن وصفا للكفاح الذي أبداه العبرانيون بشهامة من أجل الديانة الحقّة، مماثلا لما هو مدون في سفرى المكابين .

(٧) ويصرح يوسفوس نفسه في نهاية الكتاب العشرين من مؤلفه عن الآثار [٥] أنه قصد كتابة مؤلف في أربعة كتب عن الله ووجوده حسب آراء اليهود التقليدية، وأيضا عن الشرائع ولماذا تبيح أموراً وتحرم أخرى . ويذكر نفس المؤلف في مؤلفاته كتباً أخرى كتبها هو .

= وعلا على هذه يوجد أيضا سفرى المكابين .

والغريب هنا أغفاله لأسفار الأنبياء الصغار واثباته لرسالة ارميا . ويرجع الجميع أن إغفال أسفار الأنبياء الاثنى عشر كان مجرد خطأ في النسخ بدليل أنه كتب عنها تفسيراً كما قد أضاف سفرى المكابين، إلا أنه بدون شك لا يدخل ضمن الاثنى عشرين سفرى (أنظر ك ٦ ف ٢٥) .

(٢) هي :

١ يشوع	٥ أخبار الأيام	٩ ارميا ومراثيه
٢ القضاة وراعوث	٦ عزرا ونحميا	١٠ حزقيال
٣ صموئيل	٧ استير	١١ دانيال
٤ الملوك	٨ أشعيا	١٢ الأنبياء الصغار الاثنا عشر
		١٣ أيوب

(٣) أن ارتحشستا المشار إليه هنا هو ارتحشستا لونغيمانوس الذى ملك من سنة ٤٦٤ - ٤٢٥ ق.م وفى أيامه قام كل من عزرا ونحميا بمهمته، وتنبأ الأنبياء الآخرون . وفى أواخر أيامه أو أوائل أيامه داريوس تنبأ ملاخى الذى هو آخر الأنبياء . وكان الشائع بين اليهود أن روح النبوة انتهت بانتهاء نبوات حجبى وزكريا وملاخى .

(٤) De Maccabaeis, Sen de rations imperio liber ، وكثيرا ما عرف بـ «سفر المكابين الرابع» .

(٥) ك ٢٠ ف ١١ : ٣ .

(٨) وعلاوة على هذه فمن المناسب أن نقتبس أيضا الكلمات التي وجدت في ختام مؤلفه عن «الآثار» تأييدا للشهادة التي استقينها من روايته . في ذلك المكان يهاجم يوسفوس الذي من طبرية، [٦] الذي حاول مثله أن يكتب تاريخا للحوادث المعاصرة على أساس أنه لم يكتب بأمانة . وإذا وجه إليه تهما أخرى كثيرة أكمل حديثه بالكلمات الآتية:

(٩) «الواقع أنني لم أكن خائفا بصدد كتاباتي كما كنت أنت . بل بالعكس لقد قدمت كتيبي للباطرة أنفسهم إذ كانت أغلب الحوادث لا تزال ماثلة أمام أعين الناس . لأنني كنت واثقا من أنني كنت متوخيا الصدق في كتابتي . ولذلك فلم يخب ظني في توقع شهادتهم على صدق ما كتبت .

(١٠) «وقدمت تاريخي أيضا لآخرين كثيرين كان بعضهم معاصرين للحرب مثل الملك أغريباس وبعض أقاربه .

(١١) «لأن الامبراطور تيطس أبدى رغبته الشديدة في أن لا تنقل الحوادث للناس إلا عن طريق كتيبي، ولهذا وقع على الكتب بنفسه وأمر بنشرها . وكتب الملك أغريباس اثنتين وستين رسالة شاهدا فيها بصدق روايتي» .

(١٢) وقد أضاف يوسفوس ملحقا لاثنتين من هذه الرسائل . على أن هذا يكفي فيما يختص به . والآن لننتقل إلى تاريخنا .



(٦) كان قائدا لإحدى الثورات التي نشبت في تلك المدينة قبل نشوب الحرب إذ كان يوسفوس واليا في الجليل، وقد سبب له متاعب كثيرة كمنافس له . وقد كتب تاريخا لليهود انصب بصفة خاصة على حرب اليهود، وهاجم يوسفوس فيه بعنف .

الفصل الحادي عشر

سمعان يتولى إدارة كنيسة أورشليم بعد يعقوب

- (١) بعد استشهاد يعقوب [١] وغزو أورشليم، الذي تم بعد ذلك مباشرة، يقال أن بقية رسل الرب وتلاميذه الذين كانوا لا يزالون أحياء تجمعوا فيها معا من كل الأقطار مع أقرباء الرب حسب الجسد. (لأن أغلبهم أيضا كانوا لا يزالون أحياء) ليتشاوروا فيمن يحق له أن يخلف يعقوب.
- (٢) وقد أجمع الكل على أن سمعان [٢] بن كلوبا. الوارد ذكره أيضا في الإنجيل [٣] خليف بأن تسند إليه أسقفية تلك الإبروشية. وقد كان ابن عم المخلص كما يقولون. لأن هيجيسبوس يقرر بأن كلوبا كان أخا ليوسف. [٤]

الفصل الثاني عشر

فاسبسيان يأمر بالبحث عن نسل داود

- ويقول أيضا أن فاسبسيان بعد غزو أورشليم أمر بأن جميع من يتمنون للذرية داود يجب البحث عنهم لكي لا يترك أحد من النسل الملكي بين اليهود. ونتيجة لهذا حل باليهود اضطهاد عنيف آخر.

(١) حوالي سنة ٦١ أو ٦٢ م.

(٢) يجب التفرقة بين سمعان هذا وسمعان القانوى.

(٣) (يو ١٩ : ٢٥).

(٤) يقول Hegesippus كما نرى فيما بعد (ك ٤ ف ٢٢) أن كلوبا كان عم الرب.

الفصل الثالث عشر

إنكليتس ثانی أسقف على روما

بعد أن حكم فاسبسيان عشر سنوات خلفه تيطس ابنه [١]٠ وفي السنة الثانية من حكمه تنازل لينس، الذي ظل أسقفا على روما اثنتي عشرة سنة، عن الأسقفية إلى إنكليتس [٢]٠ على أن تيطس خلفه أخوه دوميتانوس بعد أن حكم ستين وشهرين.

الفصل الرابع عشر

أبيليوس [١] ثانی أسقف على الإسكندرية

وفي السنة الرابعة لحكم دوميتانوس مات أنيانوس أول أسقف لأبروشية الإسكندرية بعد أن لبث في منصبه اثنتين وعشرين سنة، وخلفه أبيليوس ثانی أسقف.

الفصل الخامس عشر

أكليمنضس ثالث أسقف على روما

وفي السنة الثانية عشرة لحكم نفس الامبراطور تولى أكليمنضس أسقفية كنيسة روما خلفا لإنكليتس الذي ظل فيها اثنتي عشرة سنة. ويخبرنا الرسول (بولس) في رسالته إلى أهل فيلبى أن أكليمنضس هذا كان عاملا معه [١]٠ وهاك كلماته «مع أكليمنضس أيضا وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة».

(٢) Anencletus .

(١) حكم فاسبسيان من أول يولية سنة ٦٩ إلى ٢٤ يولية سنة ٧٩م.

(١) Abilius أو ميليرس حسب تاريخ الكنيسة القبطية .

الفصل السادس عشر

رسالة أكليمينضس

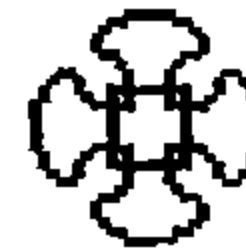
وتوجد بين أيدينا رسالة لأكليمينضس [١] هذا، معترف بصحتها، وهي طويلة جدا وهامة جدا .
وقد كتبها باسم كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس عندما قامت فتنة في هذه الكنيسة الأخيرة . ونحن نعلم
أن هذه الرسالة كانت تستعمل في كنائس كثيرة في العصور الماضية ولا زالت . أما عن قيام فتنة في
كنيسة كورنثوس في الوقت المشار إليه فشهد بذلك هيجيبوس ، Hegesippus وشهادته صادقة .



الفصل السابع عشر

الاضطهاد الذي حدث أيام دومتيانوس

وإذ أظهر دومتيانوس قسوة شديدة نحو الكثيرين، وقتل ظلما عدد ليس بالقليل من السادة
والأشراف في روما، ونفى كثيرين آخرين من الرجال البارزين بلا مبرر، وصادر ممتلكاتهم، صار أخيرا
خليفة لنيرون في بغضه وعداوته لله . والواقع أنه كان ثانی من آثار اضطهادا ضدنا، ولو أن أباه فاسبسيان
لم يصدر منه أى شيء يسىء إلينا .



(١) لا تزال هذه الرسالة موجودة وتتضمن ٥٩ فصلا . والمفهوم أنها كتبت من كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس ولكنها لا
تحمل اسم مؤلفها، ولكن الأجماع انعقد على أن كاتبها هو أكليمينضس . وقد كتبت في آخر القرن الأول .

الفصل الثامن عشر

الرسول يوحنا وسفر الرؤيا

- (١) ويقال أنه في هذا الأضطهاد حكم على الرسول يوحنا الإنجيلي، الذي كان لا يزال حيا، بالسكن في جزيرة بطمس بسبب شهادته للكلمة الإلهية.
- (٢) ويتحدث إيريناوس في الكتاب الخامس من مؤلفه «ضد الهرطقات» حيث يبحث في عدد اسم ضد المسيح [١] الوارد ذكره في السفر المسمى سفر الرؤيا ليوحنا، يتحدث عنه كما يأتي:
- (٣) «لو كان من الضروري إذاعة اسمه في الوقت الحاضر لكان قد صرح به ذاك الذي رأى الرؤيا لأنها لم تعلن إليه منذ وقت بعيد، بل تكاد تكون في جيلنا، في نهاية حكم دومتيانوس».
- (٤) إلى هذا الحد انتشرت تعاليم ديانتنا في ذلك الوقت، لدرجة أنه لم يتردد حتى الكتاب البعيدون عن ديانتنا أن يذكروا في تواريخهم الأضطهاد والأستشهادات التي تمت أثناءه.
- (٥) والواقع أنهم عينوا الوقت بدقة. لأنهم سجلوا بأنه في السنة الخامسة عشر من حكم دومتيانوس نفيت فلافيا دوميتيلا، ابنة أخت فلافيوس اكليمنضس، الذي كان في ذلك الوقت أحد قناصل روما، نفيت مع كثيرات غيرها إلى جزيرة بنطس بسبب شهادتها للمسيح.

الفصل التاسع عشر

دومتيانوس يصدر أمرا بقتل ذرية داود

وتقول إحدى الروايات القديمة أنه لما أصدر دومتيانوس هذا نفسه أمرا بقتل ذرية داود قدم بعض الهرطقة تهمة ضد ذرية يهوذا (الذي يقال أنه أخو المخلص حسب الجسد) على أساس أنهم من سلالة داود وأقرباء للمسيح نفسه. ويروي هيجسيوس هذه الحقائق في الكلمات التالية:

الفصل العشرون

أقرباء مخلصنا

- (١) «أما فى أقرباء الرب فكان لا يزال حيا حفيدا يهوذا الذى يقال بأنه أخو الرب حسب الجسد .
- (٢) وقد دلت المعلومات التى وصلت إلينا على أنهما كانا من أسرة داود، فقدمهما الجنود إلى الإمبراطور دومتيانوس . لأن دومتيانوس كان يخشى مجىء المسيح، كما خشيه من قبله هيرودس أيضا . فسالهما عما إذا كانا من ذرية داود، فاعترفا بأنهما كذلك .
- (٣) «عندئذ سالهما عن مقدار ممتلكاتهما، ومقدار الأموال التى يمتلكانها . فاعترفا كل منهما بأنهما يملكان فقط تسعة آلاف دينار مناصفة .
- (٤) «وهذه الثروة ليست عبارة عن فضة بل قطعة أرض تبلغ فقط تسعة وثلاثين فدانا كانا يحصلان منها على الضرائب اللازمة، ويعولان نفسيهما من كدهما» .
- (٥) وبعد ذلك مدا أيديهما لبيينا خشونة جسيديهما والخشونة التى سببها العمل بأيديهما دليلا على كدهما .
- (٦) وعندما سئلا عن المسيح ومملكته، ومن أى نوع هى، وأين ومتى يجب أن تظهر، أجابا بأنها ليست زمنية أو أرضية، بل سماوية ملائكية، سوف تظهر فى نهاية العالم عندما يأتى فى المجد ليدين الأحياء والأموات، ويعطى كل واحد حسب أعماله .
- (٧) وإذا سمع دومتيانوس هذا لم يصدر عليهما أى حكم، بل أخلى سبيلهما، محتقرا أيهما كشخصين عديمي الأهمية، وأصدر أمرا بوضع حد لاضطهاد الكنيسة .
- (٨) ولما أخلى سبيلهما توليا إدارة الكنائس إذ كانا ضمن الشهود، [١] وكانا أيضا من أقرباء الرب . وإذا عم السلام عاشا حتى عصر تراجان . هذا ما رواه هيجيسبوس .
- (٩) أما ترتوليانوس فقد ذكر أيضا دومتيانوس فى الكلمات التالية «وقد حاول أيضا دومتيانوس - الذى شارك نيرون فى قسوته - أن يفعل مرة ما فعله نيرون . ولكن لأنه، على ما أظن كان فيه شيء من الذكاء، كف فى الحال، بل أعاد من كان قد نفاهم» .

(١) كان لقب «الشهود» يطلق فى بداية الأمر على من يشهدون للمسيح، سيما فى وقت الاضطهاد ولو لم يشهدوا . وبعد ذلك أطلق على الشهداء .

- (١٠) ولكن بعد أن حكم دومتيانوس خمس عشرة سنة، وارتقى عرش الامبراطورية نرفا، قرر مجلس الأعيان الروماني (وفق ما قرره مؤرخو ذلك العصر) إلغاء الامتيازات التي سبق أن منحها دومتيانوس، كما قرر أن جميع الذين نفوا ظلما يجب أن يعودوا إلى بيوتهم وتعاد إليهم ممتلكاتهم.
- (١١) وفي هذا الوقت عاد الرسول يوحنا من نفيه في الجزيرة، وأقام في أفسس حسب رواية مسيحية قديمة.

الفصل الحادي والعشرون

كردونوس ثالث من يتولى إدارة كنيسة الإسكندرية

- (١) بعد أن حكم نرفا ما يزيد قليلا على سنة خلفه تراجان. وفي السنة الأولى من حكمه تولى كردونوس إدارة كنيسة الاسكندرية خلفا لأيليوس الذي رأسها ثلاث عشرة سنة.
- (٢) وكان ثالث رئيس لتلك الكنيسة بعد أنيانوس الذي كان هو الأول. وفي ذلك الوقت كان اكليمنضس لا يزال يرأس كنيسة روما، الذي كان هو أيضا ثالث أسقف عليها بعد بولس وبطرس.
- (٣) كان لينس هو الأول، وبعده جاء انكليتس.

الفصل الثاني والعشرون

أغناطيوس ثاني أسقف على أنطاكية

- وفي ذلك الوقت كان أغناطيوس [١] هو ثاني أسقف على انطاكية، إذ كان ايفوديوس [٢] هو الأول. وكان سمعان وقتئذ ثاني أسقف على كنيسة اورشليم، إذ كان أخو مخلصنا هو الأول.

(١) انظر ف ٣٦ الوارد فيما بعد.

(٢) Evodius ويظن البعض أن أغناطيوس هو أول أسقف ولكن الأكثرين يرجحون أنه كان الثاني.

الفصل الثالث والمشروع

بعض أنباء عن يوحنا الرسول

- (١) وفى ذلك الوقت كان يوحنا الرسول والإنجيلي، الذى كان يسوع يحبه، لا يزال حيا فى آسيا، يدير كنائس ذلك الأقليم، إذ كان قد عاد من متفاه فى الجزيرة بعد موت دومتيانوس.
- (٢) أما أنه كان لا يزال حيا فى ذلك الوقت [١] فيمكن اثباته بشهادة شاهدين: ولا شك فى أن هذين اللذين حافظا على استقامة تعليم [٢] الكنيسة يجب أن يوثق بهما، وهذان هما ايريناوس واكليمنضس الاسكندري.
- (٣) أما الأول فقد كتب ما يلى فى الكتاب الثانى من مؤلفه «ضد الهرطقات»: «وكل المشايخ الذين رافقوا يوحنا تلميذ الرب فى آسيا يشهدون بأن يوحنا سلمها إليهم. لأنه بقى بينهم حتى عصر تراجان».
- (٤) وفى الكتاب الثالث من نفس المؤلف يشهد نفس الشهادة فى الكلمات التالية:
- «على أن كنيسة أفسس أيضا التى أسسها بولس، والتى ظل فيها يوحنا حتى عصر تراجان، خير شاهد على التقليد الرسولى».
- (٥) ثم إن اكليمنضس أيضا فى كتابه المعنون «كيف يتسنى للغنى أن يخلص» يحدد الوقت، ويضيف فقرة تروق جدا لكل من يتشوق أن يسمع ما هو جميل ونافع. خذوا واقرأ الوصف التالى:
- (٦) «استمع إلى قصة، ليست هى مجرد قصة بل هى حديث عن يوحنا الرسول، وصل إلينا واكتنزه الذاكرة. لأنه إذ عاد من جزيرة بطمس إلى أفسس بعد موت الطاغية، تجول - بناء على دعوتهم - فى الأقطار الوثنية المجاورة، لأقامة أساقفة فى بعض الأماكن، ولإعادة النظام فى الكنائس فى أماكن أخرى، أو لأختيار البعض للخدمة ممن أرشد إليهم الروح».

(٢) أو «أرثوذكسية» حسب التعبير الانكليزى.

(١) أى فى بدء حكم تراجان.

(٧) «وإذ وصل إلى مدينة ليست بعيدة (ذكر البعض اسمها)، [٣] وعزى الأخوة في مواضع أخرى، التفت أخيرا إلى الأسقف الذي كان قد سيم، وإذ رأى شابا قوى العضلات، جميل الطلعة، ممتلئا غيرة، قال: اننى بكل قوتى استودعكم هذا أمام الكنيسة ومشهدا المسيح. وعندما قبل الأسقف هذه الأمانة، وأعطى الوعود اللازمة، كرر نفس الوصية مشهدا نفس الشهود، وبعد ذلك رحل إلى أفسس.

(٨) «على أن القس، [٤] إذ أخذ إلى بيته ذلك الشاب الذى أؤتمن عليه، رباه وحافظ عليه وأعزه وأخيرا عمده. بعد هذا خفف من المغالاة فى العناية به ومراقبته على أساس أنه إذ وضع عليه ختم الرب قد منحه حماية كاملة.

(٩) «ولكن بعض الشباب من سنه الفاسدين الما جنين أفسدوه عندما تحرر هكذا من كل قيود ورقابة قبل الأوان، ففى بداية الأمر أغروه بالبذخ فى بعض الملذات. بعد هذا عندما كانوا يخرجون ليلا للسرقة، أخذوه معهم. وأخيرا طلبوا منه أن يشترك معهم فى جريمة كبرى.

(١٠) «وبالتدريج تعود على تصرفاتهم، تاركا الطريق المستقيم، وانحدر إلى الحضيض بأقصى سرعة كفرس جامح.

(١١) «وإذ يئس أخيرا من الخلاص فى الله لم يعد يفكر فى الأمور التافهة فى عرفه، بل إذ ارتكب جريمة شنيعة توقع أن يكون نصيبه كالباقيين لأنه قد أصبح هالكا نهائيا. لذلك أخذهم وكون عصابة لصوص وأصبح هالكا نهائيا. لذلك أخذهم وكون عصابة لصوص وأصبح هو أجراهم وأعنفهم وأقساهم وأقدرهم على سفك الدماء.

(١٢) «امضى الوقت واستجد ما يدعو لاستدعاء يوحنا. أما هو فاذ سوى كل الأمور التى من أجلها جاء قال: تعالى أيها الأسقف ورد لنا الوديعة التى ائتمتت عليك عليها أنا والمسيح، شاهدة عليك الكنيسة التى ترأسها.

(١٣) «أما الأسقف فأنه فى بداية الأمر اضطرب ظنا منه بأنه أتهم زورا بتبديد ثروة لم يتسلمها، ولم يصدق التهمة التى أتهم بها بتبديد ما لم يأخذه، ولا استطاع أن يكذب يوحنا. ولكنه لما قال: أننى أطالبك بالشاب وروح الأخ، تصاعد من الشيخ أنين عميق، وانفجر بالبكاء قائلا: لقد مات. فسأل: كيف مات؟ أجاب: لقد مات عن الله، لأنه عاد إلى شره، وأصبح خليعا، وأخيرا صار لصا. وعوضا عن الكنيسة صار يلزم الجبال مع عصابة تمثاله.

(٣) يقال انها هى مدينة أزمير.

(٤) هو نفس الأسقف الوارد ذكره فى الفقرة السابقة، ويقول البعض أن عادة الكتاب الأوائل عدم التفرقة بين الرتبين.

(١٤) «أما الرسول فمزق ثيابه، وضرب رأسه بأسف شديد . وقال ما أجمله من حارس تركته لنفس أخ، وعلى أى حال فاثتوني بحصان . وليدلى شخص على الطريق .

(١٥) «فركب، وبعد أن أبتعد عن الكنيسة التى كان فيها وصل إلى المكان، فأخذه ديدبان اللصوص أسيرا . ولكنه لم يحاول الهرب ولا قدم أى استعطاف، بل صرخ قائلا: لأجل هذا قد أتيت، خذونى إلى زعيمكم .

(١٦) «أما هذا فقد كان منتظرا ومسلحا . ولكنه لما أدرك أن يوحنا هو الذى يقترب عراه الخجل وحاول الهرب .

(١٧) «أما يوحنا فاذ نسى كبر سنه تتبعه بكل قدرته صارخا: لماذا يا ابنى تهرب منى أنا أليك، غير المسلح، الطاعن فى السن . أشفق على يا بنى، ولا تخف، لا زال أمامك أمل فى الحياة . أننى سأقدم للمسيح حسابا عنك . وأن لزم الأمر فأنتى مستعد لتحمل الموت عنك كما تحمل الرب الموت عنا . لأجلك أبذل حياتى . قف، آمن، المسيح أرسلنى إليك .

(١٨) «أما الشاب فعندما سمع وقف أولا، ثم أطرق رأسه إلى الأرض وفتح ذراعيه وارتعد ويكى بحرقة . ولما اقترب منه العجوز عانقه الشاب . معترفا بخطايا بنحيب شديد، ومعمدا نفسه مرة أخرى بالدموع، مخبئا فقط يده اليمنى .

(١٩) «ولكن يوحنا قطع له عهدا، وأكد له بقسم أنه سوف ينال المغفرة من المخلص، وتوسل إليه، وجثا على ركبتيه، وقبل يده اليمنى نفسها كأنها قد تطهرت وقتئذ بالتوبة، وأخذه ثانية إلى الكنيسة . وإذ تشفع من أجله بصلوات حارة، وجاهد معه بأصوام مستمرة، وأخضع عقله بأقوال مختلفة، لم يغادر المدينة - كما يقولون - إلا بعد أن أعاده إلى الكنيسة، مقدما بذلك مثالا عاليا فى التوبة الصادقة، وبرهانا قويا على تجديد الحياة . وقليلًا حيا على قيامة من بين الأموات منظورة» .



الفصل الرابع والعشرون

ترتيب الأناجيل

(١) لقد أتيت بهذا الاقتباس من أكليمنطس هنا للحقيقة والتاريخ، ولمنعة قرائي. والآن لنشر إلى كتابات هذا الرسول [١] التي لا يتطرق إليها الشك.

(٢) وأولا إنجيله المعروف لكل الكنائس تحت السماء، يجب أن يعترف بصحته، أما أن الأقدمين قد وضعوه - بمنطق سليم - في المكان الرابع، بعد الأناجيل الثلاثة الأخرى فيمكن إثباته بالطريقة الآتية:

(٣) فأن أولئك الرجال العظماء، اللاهوتيون حقا، أقصد رسل المسيح، تطهروا حياتهم وتزينوا بكل فضيلة في نفوس، ولكنهم لم يكونوا فصيحى اللسان. ولقد كانوا واثقين كل الثقة في السلطان الإلهي الصانع العجائب الذي منحه لهم المخلص، ولكنهم لم يعرفوا، ولم يحاولوا أن يعرفوا، كيف يذيعون تعاليم معلمهم بلغة فنية فصحي، بل استخدموا فقط اعلانات روح الله العامل معهم، وسلطان المسيح الصانع العجائب الذي كان يظهر فيهم، وبذلك أذاعوا معرفة ملكوت السموات في كل العالم، غير مفكرين كثيرا في تأليف الكتب.

(٤) وهذا فعلوه لأنهم وجدوا معونة في خدمتهم ممن هو أعظم من الإنسان. فبولس مثلا، الذي فاقهم جميعا في قوة التعبير وغزارة التفكير. لم يكتب إلا أقصر الرسائل، [٢] رغم أنه كانت لديه أسرار غامضة لا تحصى يريد نقلها للكنيسة، لأنه قد وصل حتى إلى مناظر السماء الثالثة، ونقل إلى فردوس الله، وحسب مستحقا أن يسمع هناك كلمات لا ينطق بها. [٣]

(٥) أما باقى أتباع مخلصنا، الاثنا عشر رسولا، والسبعون تلميذا، وآخرون كثيرون لا يحصى عددهم، فلم يجهلوا هذه الأمور. ومع هذا فمن كل رسل الرب لم يترك لنا أحد شيئا مكتوبا سوى متى ويوحنا، ويقول التقليد أنهما لم يكتبتا إلا تحت ضغط الحاجة.

(١) يقصد يوحنا الرسول.

(٢) يرجع أغلب المؤرخين أن بولس كتب رسائل أخرى غير المنسوبة إليه في العهد الجديد.

(٣) انظر (٢ كور ١٢ : ٢ - ٤).

(٦) لأن متى، الذى كرز أولا للعبرانيين، كتب إنجيله بلغته الوطنية، [٤] إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخرى، وبذلك عوض من كان مضطرا لمغادرتهم عن الخسارة التى كانت مزمنة أن تحل بهم بسبب مغادرته إياهم.

(٧) وبعد أن نشر مرقس ولوقا إنجيليهما يقال أن يوحنا، الذى صرف كل وقته فى نشر الإنجيل شفويا، بدأ أخيرا يكتب للسبب التالى: أن الإنجيل الثلاثة السابق ذكرها إذ وصلت إلى أيدي الجميع، وإلى يديه أيضا، يقولون أنه قبلها وشهد لصحتها، ولكن كان ينقصها وصف أعمال المسيح فى بداية خدمته.

(٨) وهذا صحيح، لأنه واضح أن الإنجيليين الثلاثة دونوا الأعمال التى فعلها المخلص بعد سجن يوحنا المعمدان بسنة. وبينوا هذا فى بداية رواياتهم.

(٩) فمتى، بعد التحدث عن صوم الأربعين يوما والتجربة التى تلتها، يوضح تسلسل روايته بقوله «ولما سمع أن يوحنا أسلم انصرف من اليهودية إلى الجليل» [٥].

(١٠) ويقول مرقس أيضا «وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل» [٦]. أما لوقا فأنة قبل البدء فى روايته عن أعمال يسوع يبين هو أيضا الوقت عندما يقول أن هيرودس «أضاف إلى جميع الشرور التى فعلها أنه حبس يوحنا فى السجن» [٧].

(١١) ولذلك يقولون أن يوحنا الرسول إذ طلب منه كتابة إنجيله لهذا السبب دون فيه وصفا للفترة التى تجنبها الإنجيليون السابقون، وأعمال المسيح فيها، أى وصف الأعمال التى فعلها قبل سجن المعمدان. ويقولون أنه وضع هذا فى الكلمات التالية «هذه بداية الآيات فعلها يسوع» [٨] وأيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليمة، حيث بين الأمر بكل وضوح فى هذه الكلمات «لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى بعد فى السجن» [٩].

(١٢) وعلى هذا فإن يوحنا دون فى إنجيله أعمال المسيح التى تمت قبل سجن المعمدان، أما الإنجيليون الثلاثة الآخرون فذكروا الحوادث التى تمت بعد ذلك الوقت.

(٤) يؤكد الكثيرون أن متى كتب إنجيله باللغة العبرانية.

(٨) (يو ٢ : ١١).

(٧) (لو ٣ : ٢٠).

(٦) (مر ١ : ١٤).

(٥) (مت ٤ : ١٢).

(٩) (يو ٣ : ٢٣ و ٢٤).

(١٣) إذا علم هذا لا يعود المرء يتوهم أنه يوجد أى خلاف بين الأناجيل لأن إنجيل يوحنا يتضمن أعمال المسيح الأولى، بينما يروى الآخرون ما حدث فى أواخر حياته، أما سلسلة نسب مخلصنا حسب الجسد فكان طبيعيا أن يتجنبها يوحنا لأن متى ولوقا كانا قد تحدثا عنها، ولكنه بدأ بعقيدة لاهوته التى كانت على ما يظهر قد حفظت له للتحدث عنها [١٠] على أساس أنه أقدرهم بمعونة روح الله .

(١٤) وأن ما قدمناه عن إنجيل يوحنا فيه الكفاية . أما السبب الذى دعا إلى كتابة إنجيل مرقس فقد سبق أن بيناه [١١] .

(١٥) أما لوقا فإنه هو نفسه فى بداية إنجيله يبين السبب الذى دعا إلى كتابته، فيقرر بأنه إذ كان آخرون كثيرون قد تسرعوا فى تأليف قصة عن الحوادث المتيقنة عنده، فقد أحس هو نفسه بضرورة اراحته من آرائهم غير المتيقنة، ودون فى إنجيله وصفا دقيقا لتلك الحوادث التى تلقى عنها المعلومات الكاملة، يساعد على هذا صداقته الوثيقة لبولس وإقامته معه، ومعرفته لسائر الرسل [١٢] .

(١٦) إلى هنا يكفى حديثنا عن هذه الأمور . على أننا فى مكان أكثر مناسبة سنحاول أن نبين ما قاله عنها الآخرون باقتباس بعض أقوال الأقدمين .

(١٧) أما عن كتابات يوحنا فإن إنجيله ليس هو الوحيد الذى قبل الآن وفى العصور السابقة بدون نزاع، بل أيضا رسالته الأولى . ولكن الرسالتين الآخرين متنازع عليهما .

(١٨) وأما عن سفر الرؤيا فإن آراء أغلبية الناس لا تزال منقسمة . ولكننا فى الوقت المناسب [١٣] سنفصل فى هذه المسألة أيضا من شهادة الأقدمين .



(١٠) هذه عقيدة الكليمنضس الإسكندري الذى يعتبر أن إنجيل يوحنا ملحق بروحى للاتاجيل الثلاثة السابقة .

(١٣) انظر ك ٧ غ ٢٥ .

(١٢) انظر (لوقا ١ : ١ - ٤) .

(١١) ك ٢ ف ١٥ .

الفصل الخامس والعشرون

الأسفار الإلهية المقبولة والأسفار غير المقبولة

- (١) وطالما كنا بصدد البحث في هذا الموضوع فمن المناسب أن نحصى كتابات العهد الجديد السابق ذكرها . وأول كل شيء إذن يجب أن توضع الأنجيل الأربعة، يليها سفر أعمال الرسل .
- (٢) بعد هذا يجب وضع رسائل بولس، ويليهما في الترتيب رسالة يوحنا الأولى التي بين أيدينا، وأيضا رسالة بطرس . بعد ذلك توضع - أن كان ذلك مناسبا حقا - رؤيا يوحنا، التي سنيين الآراء المختلفة عنها في الوقت المناسب [١] هذه أذن هي جميعها ضمن الأسفار المقبولة .
- (٣) أما الأسفار المتنازع عليها، المعترف بها من الكثيرين بالرغم من هذا، فبين أيدينا الرسالة التي تسمى رسالة يعقوب ورسالة يهوذا وأيضا رسالة بطرس الثانية، والرسالتان اللتان يطلق عليهما رسالتا يوحنا الثانية والثالثة، سواء انتسبتا إلى الأنجيلي أو إلى شخص آخر بنفس الاسم .
- (٤) وضمن الأسفار المرفوضة ، يجب أن يعتبر أيضا «أعمال بولس» [٢] وما يسمى بسفر «الراعي» ورؤيا بطرس، يضاف إلى هذه رسالة برنابا [٣] التي لا تزال باقية، وما يسمى تعاليم الرسل [٤] وإلى جانب هذه، كما قدمت، رؤيا يوحنا، إن كان ذلك مناسبا، التي يرفضها البعض كما قدمت، ولكن الآخرين يضعونها ضمن الأسفار المقبولة .
- (٥) وضمن هذه النتيجة يضع البعض أيضا إنجيل العبرانيين [٥] الذي يجد فيه لذة خاصة العبرانيون الذين قبلوا المسيح . وكل هذه يصح اعتبارها ضمن الأسفار المتنازع عليها .

(١) انظر ك ٧ ف ٢٥ .

(٢) انظر ف ٣ من نفس الكتاب .

(٣) هي بخلاف ما يسمى إنجيل برنابا . وفي هذه الرسالة لم يرد أى اسم ولا أية إشارة تساعد على معرفة كاتبها .

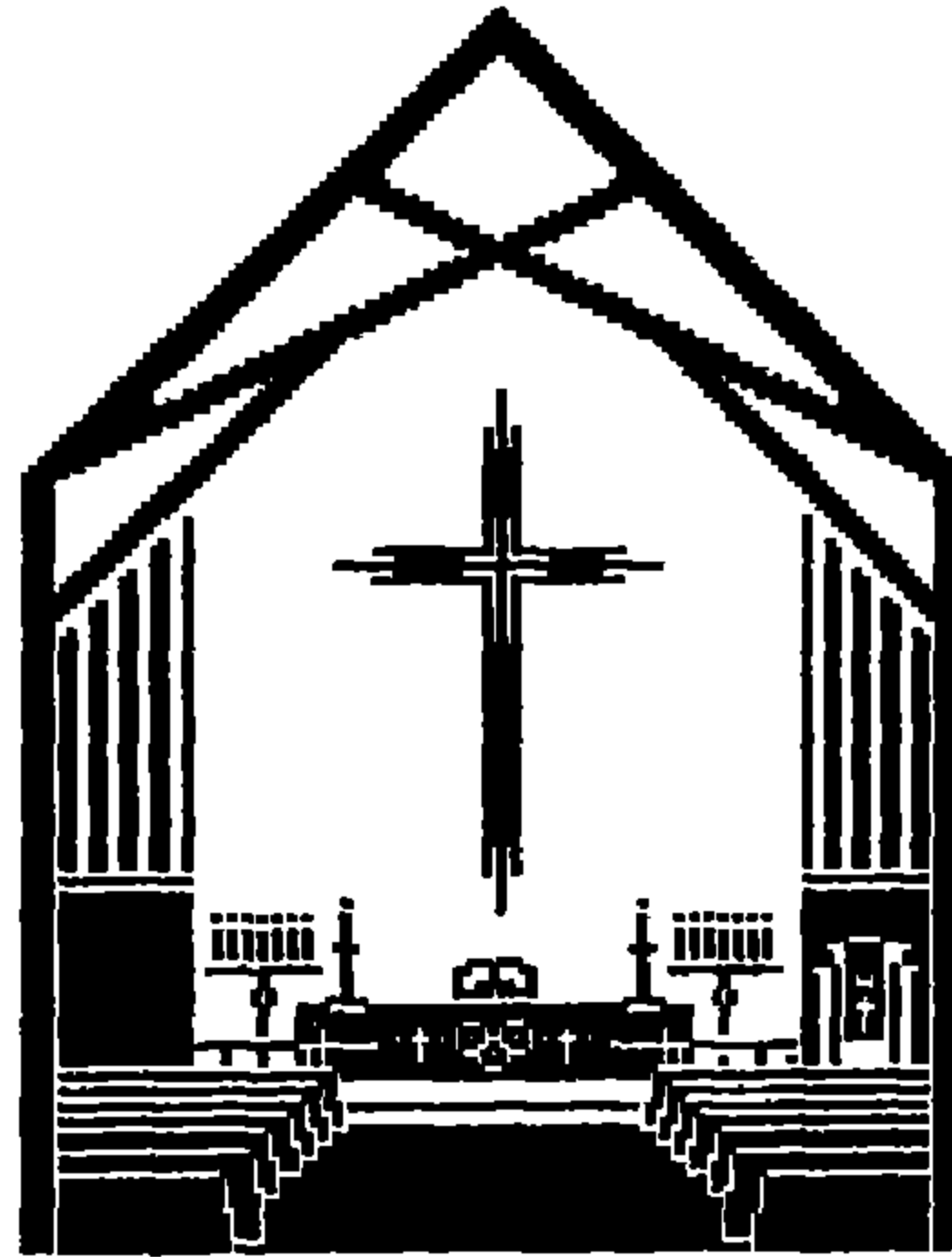
(٤) مؤلف وجيز في ستة عشر فصلا .

(٥) الأرجح أنه كتب بالعبرانية الآرامية ولكنه غير موجود الآن . على أن البعض قد عثروا على فقرات بسيطة منه .

(٦) على أننا مع هذا نرى أنفسنا مضطرين لتقديم قائمة عن هذه أيضا لاماكان التمييز بين تلك الأسفار التي تعتبر، وفقا للتقاليد الكنسية، حقيقة وقانونية ومقبولة، وتلك الأخرى التي وأن كانت متنازع عليها وغير قانونية، إلا أنها في نفس الوقت معروفة لدى معظم الكتاب الكنسيين - أننا نرى أنفسنا مضطرين لتقديم هذه القائمة لتمكين من معرفة كل من هذه الأسفار وتلك التي يتحدث عنها الهرطقة تحت اسم الرسل، التي تشمل مثلا أناجيل بطرس وتوما ومتياس وخلافهم وأعمال اندراوس ويوحنا وسائر الرسل، هذه التي لم يحسب أى واحد من كتاب الكنيسة أنها تستحق الإشارة إليها في كتاباتهم.

(٧) وعلاوة على هذا فإن أسلوب الكتابة يختلف عن أسلوب الرسل، ثم أن تيار التفكير في محتوياتها، والقصد منها، يختلفان كل الاختلاف عن التعاليم المستقيمة [٦] الحقيقية، مما يبين بكل وضوح أنها من مصنفات الهرطقة. ولهذا فلا يصح وضعها حتى ضمن الأسفار المرفوضة، بل يجب نبذها كلها ككتابات سخيفة ماجنة.

والآن لنعد إلى تاريخنا .



الفصل السادس والعشرون

ميناندر العراف

(١) لقد برهن ميناندر، [١] خلف سيمون الساحر، [٢] بتصرفاته على أنه كان آلة أخرى فى يد القوة الشيطانية لا يقل عن سلفه. وكان هو أيضا سامريا، وأذاع أضاليله إلى مدى لا يقل عن معلمه، وفى نفس الوقت عرّبد فى طياشات أعجب منه. لأنه قال بأنه هو نفسه «المخلص» الذى أرسل من الدهور غير المنظورة لخلاص البشر. [٣]

(٢) وعلم بأنه لا يستطيع أحد أن ينال السيادة على الملائكة نفسها خالقة العالم. [٤] إلا إذا جاز فى النظام السحري الذى يمنحه هو وقبل المعمودية منه. أما من يحسبون أهلا لهذا فانهم يتألون الخلود الدائم حتى فى الحياة الحاضرة، ولن يموتوا، بل يبقون هنا إلى الأبد، ويصبحون عديمى الفناء دون أن يشيخوا. وهذه الحقائق يمكن أن نجدها بسهولة فى مؤلفات إيريناوس.

(٣) أما يوستينوس فإنه فى الفقرة التى تحدث فيها عن سيمون قدم وصفا عن هذا الرجل أيضا فى الكلمات التالية:

«ونحن نعلم أن شخصا معينا اسمه ميناندر، وكان أيضا سامريا، من قرية كايراني [٥] كان تلميذا لسيمون، وهو أيضا إذ طرحت به الشياطين أتى إلى أنطاكية وأضل الكثيرين بسحره. وأقنع أتباعه بأنهم لن يموتوا. ولا يزال يوجد البعض منهم يؤكدون هذا».

(٤) وقد كانت مهارة من إبليس حقا أن يحاول، باستخدام أمثال هؤلاء العرافين، الذين انتحلوا لأنفسهم اسم مسيحيين، تشويه سر التقوى العظيم بالسحر، وتعرض تعليم الكنيسة عن خلود النفس وقيامه الأموات للسخرية. على أن الذين اختاروا هؤلاء الناس كمخلصين لهم قد سقطوا من الرجاء الحقيقى.

(١) Menander يقال انه كان سامريا وأحد تلاميذ سيمون الساحر، وقد أضل الكثيرين بسحره.

(٢) انظر كتاب ٢ ف ١٣.

(٣) نادى سيمون بأنه قوة علوية أما ميناندر فقد نادى بأن القوة العلوية تظل مجهولة من الجميع حتى يرسل هو كمخلص لخلاص البشر.

(٥) مكانها غير معروف.

(٤) اتفق مع سيمون بأن الملائكة خلقت العالم.

الفصل السابع والعشرون

هرطقة الأبيونيين [١]

(١) وإذا لم يستطع ابليس اللعين أن يبعد آخرين عن ولائهم لمسيح الله وجددهم سريعى التأثير من ناحية أخرى، ولذلك جرفهم إلى أغراضه . وقد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم «أبيونيين» لأنهم اعتقدوا فى المسيح اعتقادات فقيرة [٢] ووضيعة .

(٢) فهم اعتبروه انسانا بسيطا عاديا، قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمرة لاجتماع رجل معين مع مريم . وفى اعتقادهم أن الاحتفاظ بالناموس الطبقى ضرورى جدا، على أساس أنهم لا يستطيعون أن يخلصوا بالإيمان بالمسيح فقط وبِحياة مماثلة .

(٣) وبخلافهم كان هنالك قوم آخرون بنفس الاسم، [٣] ولكنهم تجنبوا الآراء الغريبة السخيفة التى اعتقدها السابقون، ولم ينكروا أن الرب ولد من عذراء ومن الروح القدس . ولكنهم مع ذلك إذ رفضوا الاعتراف أنه كان كائنا من قبل، لأنه هو الله، الكلمة، الحكمة، فقد انحرفوا إلى ضلالة السابقين، سيما عندما حاولوا مثلهم التمسك الشديد بعبادة الناموس الجسدية .

(٤) وعلاوة على هذا فإن هؤلاء الناس ظنوا من الضروري رفض كل رسائل الرسول الذى قالوا عنه بأنه مرتد عن الناموس . ثم أنهم استعملوا فقط ما يدعى إنجيل العبرانيين، ولم يبالوا كثيرا بالأسفار الأخرى .

(٥) وقد حافظوا مثلهم على السبت وسائر نظم اليهود، ولكنهم فى نفس الوقت حافظوا على أيام الرب مثلنا كتذكار لقيامه المخلص .

(٦) ولهذا أطلق عليهم اسم «أبيونيون» الذى يعبر عن فقرهم فى التفكير . لأن هذا هو الاسم الذى يطلق على رجل فقير بين العبرانيين .

(١) Ebonites شيعة نادت بضرورة تمسك المسيحيين بناموس موسى وأنكرت ميلاد يسوع المعجزى ولم تعترف بيولس رسولا .

(٢) أن أسمهم مشتق من كلمة عبرانية معناها «فقير» .

(٣) كانت هذه الشيعة الأخرى هى شيعة الناصريين المشار إليها فى (أع ٢٤ : ٥) .

الفصل الثامن والعشرون

كيرنثوس [١] زعيم الهرطقة

(١) وقد علمنا أنه في هذا الوقت ظهر شخص يدعى كيرنثوس مبتدع شيعة أخرى . وقد كتب كايوس - الذي سبق أن اقتبسنا من كلماته [٢] - في المساجلة المنسوبة إليه، ما يلي عن هذا الرجل .

(٢) «ويقدم أمامنا كيرنثوس أيضاً - بواسطة الرؤى التي يدعى أن رسولا عظيما كتبها - أموراً عجيبة يدعى زورا أنها أعلنت إليه بواسطة الملائكة . ثم يقول أنه بعد قيامة الأموات سوف يقوم ملكوت المسيح على الأرض، وأن الجسد المقيم في اورشليم سوف يخضع ثانية للرجبات والشهوات . وإذا كان عدواً للأسفار الإلهية فقد أكد - بقصد تضليل البشر - أنه ستكون هنالك فترة ألف سنة [٣] لحفلات الزواج» .

(٣) أما ديونيسيوس، [٤] الذي كان أسقفاً لأبروشية الأسكندرية في أيامنا، فإنه في الكتاب الثاني من مؤلفه عن «المواعيد» حيث يتحدث عن رؤيا يوحنا بأمور استقاها من التقليد، يذكر نفس هذا الرجل في الكلمات الآتية: [٥]

(٤) «ويقال أن كيرنثوس مؤسس الشيعة المسماة باسمه (الكيرثيون) إذ أراد أن يعطى قوة لشيعة صدرها باسمه وكانت التعاليم التي نادى بها تلخص فيما يلي: أن ملكوت المسيح سيكون مملكة أرضية .

(٥) «ولأنه هو نفسه كان منغمساً في الملذات الجسدية، وشهوانياً جداً بطبيعته، توهم أن الملكوت سوف ينحصر في تلك الأمور التي أحبها، أي في شهوة البطن والشهوة الجنسية، أو بتعبير آخر في الأكل والشرب والتزوج والولائم والذبائح وذبح الضحايا، وتحت ستارها ظن أنه يستطيع الانغماس في شهواته يباعث أفضل» . هذه هي كلمات ديونيسيوس .

(٦) على أن إيرناؤس، في الكتاب الأول من مؤلفه «ضد الهرطقات»، يصف تعاليم أخرى أشد قبحا لنفس الرجل، وفي الكتاب الثالث يذكر رواية تستحق أن تدون هنا . فهو يقول، والحجة في ذلك بوليكاربيوس، أن الرسول يوحنا دخل مرة حماماً ليستحم، ولكنه إذ علم أن كيرنثوس كان داخل الحمام قفز فارحاً وخرج مسرعاً، لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد . ونصح مرافقيه للاقتداء به قائلاً: «لنهرب لئلا يسقط الحمام، لأن كيرنثوس عدو الحق موجود بداخله» . [٦]

(١) Cerinthus قال إيرناؤس عنه أنه تعلم حكمة المصريين، ونادى بأن الله لم يكن هو الخالق للعالم . بل قوة معينة متميزة عنه، وأن المسيح ولد من اجتماع يوسف بمريم، وأن المسيح الحقيقي نزل عليه وقت المعمودية وفارقه وقت الصلب .

(٣) (رؤ ٢٠ : ٤) .

(٢) ك ٢ ف ٦ و ٧ .

(٥) انظر ك ٧ ف ٤٠ .

(٤) بخصوص ديونيسيوس وكتاباتهِ . انظر فيما يلي ك ٦ ف ٤٠ .

(٦) لقد كرر يوسابيوس هذه الرواية في ك ٤ ف ١٤ .

الفصل التاسع والعشرون

نيقولاوس والشيعة المسماة باسمه

(١) وفى هذا الوقت ظهرت الشيعة المسماة بشيعة النيقولاويين ولم تدم إلا وقتا قصيرا . وقد ذكرت فى رؤيا يوحنا [١] افتخر هؤلاء بأن مؤسس شيعتهم هو نيقولاوس أحد الشمامسة الذين أقامهم الرسل مع استفانوس لخدمة الفقراء [٢] ويخبرنا عنه ما يأتى اكليمينضس الاسكندرى فى الكتاب الثالث من مؤلفه المسمى «ستروماتا»: [٣]

(٢) «يقولون أنه كانت له زوجة جميلة، وإذا اتهمه الرسل بالغيرة والجسد بعد صعود المخلص، أخذها ووضعها فى وسطهم وسمح لآى واحد أن يتزوج بها . لأنه يقال أن هذا كان يتفق مع القول المعروف عنه أن المرء يجب أن يذل جسده . أما الذين اتبعوا هرطقته وقلدوا بحماقة كل ما فعله وقاله تقليدا أعمى فإنهم يرتكبون الزنى بلا خجل أو حياء .

(٣) «ولكنى علمت أن نيقولاوس لم يعرف امرأة أخرى غير تلك التى تزوجها، وأن بناته استمرين فى حالة العذراوية حتى سن الشيخوخة، وأما أبنته فلم يتدنس . أن صح هذا فإنه عندما أحضر زوجته (التي كان غيورا فى محبتها) وسط الرسل كان واضحا أنه ينبذ شهوته، وعندما استخدم «اذلال الجسد» كان يشهر سيف ضبط النفس فى وجه تلك الملذات التى تقتفى البشرية أثرها بالحاح . لأننى أعتقد أنه، أتماما لوصية المخلص، لم يشأ أن يعبد سيدين: الشهوة والرب» [٤]

(٤) «ويقال أن متياس أيضا نادى بنفس التعليم أننا يجب أن نحارب الجسد ونذله وأن لا نرعى له العنان للتمتع بملذاته، بل يجب أن نقوى الروح بالإيمان والمعرفة» .

هذا ما قيل عمن حاولوا قلب الحق، ولكن الأمر اتضح كل اتضاح فى وقت أقل مما استدعى الأمر لإذاعته .

(٢) أع ٦ .

(١) (رؤ ٢ : ٦ و ١٥) .

(٣) فى هذا المؤلف يحاول أن يثبت بأن الأسفار اليهودية أقدم من أية كتابة يونانية .

(٤) (مت ٦ : ٢٤) .

الفصل الثلاثون

الرسل الذين تزوجوا

- (١) أما اكليمنضس، السابق اقتباس كلماته في الفقرات السابقة، فإنه بعد تدوين الحقائق السالفة تحدث عن الرسل الذين كانت لهم زوجات، وذلك ردا على من رفضوا الزواج، ويقول «أو لعلمهم يرفضون حتى الرسل؟ لأن بطرس [١] وفيلبس [٢] ولدا بنين، وفيلبس أيضا زوج بناته. ويولس في إحدى رسائله، لا يتردد على تحية زوجته [٣] التي لم يأخذها لتتجول معه لكي لا تعاق خدمته».
- (٢) وطالما كنا قد تحدثنا عن هذا الموضوع فمن المناسب أن نذكر رواية أخرى تحدث عنها نفس المؤلف جديرة بالاطلاع عليها. ففي الكتاب السابع من مؤلفه «ستروماتا» كتب الاتي:
- «ويقولون تبعا لهذا أنه عندما رأى المغبوط بطرس زوجته تقاد للموت فرح بسبب الدعوة التي أتتها، ويسبب عودتها إلى وطنها الأبقى، وخاطبها باسمها مشجعا ومعزيا، قائلا لها: (اذكري الرب).»
- «هكذا كانت زيجة الباركين وعلاقاتهم الكاملة نحو أقرب الناس اليهم».
- وإذا كان هذا الوصف متفقا تمام الاتفاق مع موضوع بحثنا فقد اقتبسته هنا في مكانه المناسب.



-
- (١) المعروف من (مت ٨ : ١٤ ، ١ كو ٩ : ٥) أن بطرس كان متزوجا. وتحدث التقليد أيضا عن ابنته «بترونلا» Petronilla.
- (٢) لعل الأمر اختلط بين فيلبس الرسول وفيلبس البشر (ع ٢١ : ٨ ، ٩) الذي كانت له أربع بنات عذاري.
- (٣) العبارة التي يشير إليها اكليمنضس هي (١ كو ٥) ولكن هذه لا تبرهن بالمرّة إنه كان متزوجا، وبما ورد في (١ كو ٧ : ٨) يتضح العكس. ويظن أن ما ورد في (في ٤ : ٣) موجه لزوجته، ولكن لا أساس لهذا. واكليمنضس هو الوحيد بين الكتاب الأولين الذي يقرر بأن يولس كان متزوجا بعكس ترتوليانوس وأييفانيوس وجيروم إلخ.

الفصل الحادي والثلاثون

موت يوحنا وفيلبس

- (١) سبق أن تحدثنا عن كيفية وقت موت بولس ويطرس ومكان دفنهما [١].
- (٢) وتحدثنا أيضا عن وقت موت يوحنا بصفة عامة، [٢] أما مكان دفنه فقد أشير إليه في رسالة بوليكراتس [٣] (الذى كان أسقفا لبروشية أفسس) الموجهة إلى فيكتور أسقف روما . في هذه الرسالة يذكر كما يذكر الرسول فيلبس وبناته في الكلمات التالية .
- (٣) «لأنه في آسيا أيضا رقدت أنوار عظيمة ستقوم ثانية في اليوم الأخير لدى مجيء الرب عندما يأتي بمجد من السماء طالبا جميع القديسين . ضمن هؤلاء فيلبس أحد الاثنى عشر رسولا [٤] الذى يرقد في هيرابوليس [٥] وابنتاه العذراوين الطاعتين فى السن، وابنة أخرى عاشت فى الروح القدس، وترقد الآن فى أفسس . وعلاوة على هذا فأن يوحنا الذى كان شاهدا ومعلما، والذى أضطجع على صدر الرب، لبس الصلابة المقدسة إذ كان كاهنا . وهو أيضا يرقد فى أفسس .»
- (٤) هذا ما قيل عن موتهم . وفى مساجلة كايوس السابق الإشارة إليها [٦] تحدث بروكلوس (الذى وجه إليه مساجلته) . وفق ما سبق اقتباسه، عن موت فيلبس وبناته كما يلى «وبعده كانت هناك أربع نيات، هن بنات فيلبس، فى هيرابوليس بآسيا . ولا يزال قبرهن هناك وقبر أبيهن»، هذا ما قرره .
- (٥) أما لوقا فإنه فى سفر أعمال الرسل يذكر بنات فيلبس اللاتى كن فى ذلك الوقت فى قيصرية باليهودية مع أبيهن، وأكرمن بموهبة النبوة . وهاك كلماته «وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر إذ كان واحدا من السبعة وأقمنا عنده . وكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتبنأن» [٧].
- (٦) وهكذا أثبتنا فى هذه الصفحات ما وصل إلى علمنا عن الرسل أنفسهم، والعصر الرسولى، والكتابات المقدسة التى تركوها لنا، وكذا الكتابات المتنازع عليها، ولكنها مع ذلك يستعملها الكثيرون فى كثير من الكنائس، وأيضا عن تلك التى رفضت نهائيا ولا تتفق مع استقامة التعاليم الرسولية .
- وإذا فعلنا هذا لتتقدم إلى تاريخنا .

(١) انظر ك ٢ ف ٣٥ : ٥ إلخ . (٢) انظر ف ٢٣ : ٣ و ٤ . (٣) Polycrates فيما يتعلق به انظر ك ٥ ف ٢٢ . (٤) اختلط الأمر على الكاتب بين فيلبس الرسول وفيلبس المبشر . أما الذى دفن فى هيرابوليس فهو فيلبس المبشر . (٥) فى مدينة آسيا الصغرى بقرب لادوكية . انظر (كو ٤ : ١٣) . (٦) ك ٢ ف ٢٥ : ٦ ، ك ٣ ف ٢٨ : ١ . (٧) (اع ٢١ : ٨ و ٩) . يظن يوسايبوس أن فيلبس المبشر هو نفس فيلبس الرسول انظر الملاحظة ٤ بالصفحة السابقة .

الفصل الثاني والثلاثون

استشهاد سمعان أسقف أورشليم

(١) قيل أنه بعد عصر نيرون ودومتيانوس، وفي عهد الامبراطور الذي نتحدث الآن عن عصره، [١] حل بنا اضطهاد في بعض المدن نتيجة ثورة عامة. [٢] وقد علمنا أنه في هذا الاضطهاد استشهد سمعان بن كلوبا الذي كان ثاني أسقف على كنيسة أورشليم كما قدمنا. [٣]

(٢) ويشهد لهذه الحقيقة أيضا هيجيسبوس السابق اقتباس كلماته في مواضع مختلفة. [٤] وبعد التحدث عن بعض الهرطقة أضاف إلى ذلك أنهم في هذا الوقت اشتكوا على سمعان. ولأنه كان واضحا أنه مسيحي فقد عذب بطرق مختلفة أياما كثيرة، وأذهل حتى القاضي نفسه وأتباعه إلى آخر حد، وأخيرا حكم عليه بالموت بنفس الطريقة التي حكم بها على ربنا. [٥]

(٣) وليس أفضل من الاستماع إلى المؤلف نفسه الذي كتب ما يلي:

«واشتكى بعض هؤلاء الهرطقة على سمعان بن كلوبا على أساس أنه من نسل داود وأنه مسيحي، وهكذا استشهد وكان عمره مائة وعشرين سنة، إذ كان تراجان امبراطورا وأتيكوس واليا».

(٤) ويقول نفس الكاتب أنه عند البحث عن نسل داود ألقى القبض على المشتكين عليه أيضا على أساس أنهم من نفس العشيرة. وكان من المعقول التصديق بأن سمعان كان أحد الذين رأوا الرب وسمعوه بسبب تقدمه في السن، ولأن الإنجيل تحدث عن مريم زوجة كلوبا [٦] الذي كان أبا لسمعان كما سبق أن بينا. [٧]

(٥) ويقرر نفس المؤرخ أنه كان هنالك أشخاص آخرون من ذرية يهوذا أحد الذين دعوا اخوة المخلص. وهؤلاء بعد أن شهدوا أمام دومتيانوس، كما سبق أن بينا. [٨] بسبب الإيمان بالمسيح، عاشوا حتى عصر نفس الامبراطور.

(١) أن تراجان الذي حكم من سنة ٩٨ إلى سنة ١١٧ م.

(٢) انظر الفصل التالي.

(٤) ك ٢ ف ٢٣، ك ٣ ف ٢٠ و ١١. أما بخصوص حياته وكتايباته فانظر ك ٤ ف ٨.

(٥) أي بالصليب كما توضح في ف ٦.

(٨) ف ٢٠.

(٧) انظر ف ١١.

(٦) (يو ١٩ : ١٥).

(٦) وقد كتب ما يلي «لذلك أتوا واستلموا قيادة كل كنيسة كشهود وكأقرباء الرب . وإذ ساد كل كنيسة سلام عميق ظلوا حتى حكم الامبراطور تراجان، وحتى وشى الهراطقة بسمعان ابن كلوبا عم الرب السابق الإشارة إليه، والذي اتهم هو أيضا لنفس السبب، [٩] وجيء به أمام الوالى أتيكون . وبعد تعذيبه أياما كثيرة استشهد، وقد تعجب الجميع جدا حتى الحاكم نفسه لقدرته على الاحتمال إلى هذا الحد رغم أنه كان فى سن المائة والعشرين . وأعطيت الأوامر بأن يصلب» .

(٧) وعلاوة على هذه فان نفس الرجل ، فى معرض سرده لحوادث تلك الحقبة، يقرر أن الكنيسة إلى ذلك الوقت ظلت عذراء طاهرة عفيفة، لأنه أن وجد من يحاولون افساد تعاليم الخلاص المثالية فقد ظلوا إلى ذلك الوقت متوارين لا يجسرون على الظهور .

(٨) ولكن لما تحمل جماعة الرسل المقدسين الموت بأشكال مختلفة، وانتهى ذلك الجيل الذين حسبوا مستحقين لسماع الحكمة الإلهية بأذانهم، عندئذ بدأت الأضاليل تنتشر نتيجة حماقة المعلمين المارقين، الذين حاولوا منذ ذلك الوقت - لأنه لم يكن أحد من الرسل لا يزال عائشا - بجرأة وصفاقة أن ينادوا «بالعلم الكاذب الاسم» [١٠] لمقاومة التعليم بالحق .



(٩) الذى اتهم به أحفاد يهوذا (السابق الإشارة إليهم) أى لأنه ينتمى إلى ذرية داود . انظر ف ٢٠ .

(١٠) (١) (٦ : ٢٠) .

الفصل الثالث والثلاثون

تراجان يأمر بعدم البحث عن المسيحيين

(١) وهكذا حل بنا وقتئذ اضطهاد عنيف في أماكن كثيرة، حتى أن بلينيوس سكندس، [١] وهو من أشهر الولاة، إذ أزعجته كثيرة عدد الشهداء، اتصل بالامبراطور بصدد الجموع الذين قتلوا بسبب إيمانهم. وفي نفس الوقت أخبره في رسالته أنه لم يسمع بأنهم عملوا شيئاً مشيناً أو ضد الشرائع، سوى أنهم يستيقظون في الفجر ويرتلون بعض الترانيم للمسيح كاله، وأنهم بالعكس يحرمون الزنى والقتل وأمثالهما من الجرائم الأخلاقية، ويفعلون كل شيء وفق الشرائع.

(٢) وردا على هذا أصدر تراجان الأمر التالي: يجب عدم البحث عن جنس المسيحيين، بل أن وجدوا يعاقبون. ونتيجة لهذا خف إلى حد ما ذلك الاضطهاد الذي كان ينتظر أن يصبح أعنف اضطهاد. على أنه كانت لا تزال هنالك حجج كثيرة لمن كانوا يريدون بنا الأذى. ففي بعض الأحيان كان الشعب، وفي أحيان أخرى كان الحكام في أماكن مختلفة، يتآمرون ضدنا، وبذلك كانت تحصل اضطهادات محلية في مقاطعات معينة، واستشهد الكثيرون من المؤمنين بصور مختلفة، مع أنه لم يحصل اضطهاد كبير عام.

(٣) وقد استقينا هذه الأنباء من «احتجاج ترتليانوس» [٢] السابق ذكره وفيه نرى ما يأتي:

«والواقع أننا وجدنا أنه قد أصبح محظورا البحث عنا. لأنه عندما حكم بلينيوس سكندس - وهو حاكم إحدى المقاطعات - على بعض المسيحيين، وحرّمهم من حقوقهم. ثارت عليه الجماهير، وارتبك في الأمر، ولم يعرف أية إجراءات يتخذها. لذلك أرسل رسالة إلى الامبراطور تراجان وأخبره بأنه لم يجد فيهم أي ذنب سوى رفضهم تقديم الذبائح للاوثان.»

(٤) «وقال أيضا بأن المسيحيين يستيقظون مبكرا جدا في الصباح، ويرتلون بعض الترانيم للمسيح كاله، وأنهم لأجل حفظ السلام يحرمون القتل والزنى والطمع والسرقة وأمثالها. وردا على هذا كتب تراجان بأن المسيحيين يجب أن لا يبحث عنهم، بل أن يعاقبوا أن وجدوا.»

هذا ما حدث في ذلك الوقت.

(١) Plinius Secundus وكان يسمى بليني الصغير تمييزاً له عن عمه المسمى بنفس الاسم. وكان صديقاً للامبراطور

تراجان، كما كان كاتباً عظيماً، ولم يبق من كتابته سوى رسائله وقد جمعت في عشرة كتب.

(٢) ك ٢ ف ٢.

الفصل الرابع والثلاثون

إيفارستوس رابع أسقف على كنيسة روما

وفي السنة الثالثة من حكم الامبراطور السالف ذكره [١] أو كل اكليمنضس [٢] ادارة أسقفية كنيسة روما إلى إيفارستوس [٣] وفارق هذه الحياة بعد أن أشرف على تعليم الكلمة الالهية تسع سنوات .

الفصل الخامس والثلاثون

يوستوس ثالث أسقف على اورشليم

عندما مات سمعان بالكيفية السابق شرحها [٤] ارتقى الأسقفية في اورشليم يهودى اسمه يوستوس [٥] . وقد كان واحدا من الآلاف الكثيرة من أهل الختان الذين آمنوا بالمسيح فى ذلك الوقت .

الفصل السادس والثلاثون

أغناطيوس ورسائله

(١) وفى ذلك الوقت اشتهر جدا فى آسيا بوليكاربوس [١] - أحد تلاميذ الرسل - إذ عهد إليه الذين رأو وسمعوا الرب أسقفية كنيسة أزمير .

(٢) وفى نفس الوقت اشتهر أيضا بابيلاس [٢] أسقف أبروشية هيرابوليس ، كما اشتهر أيضا أغناطيوس الذى اختير أسقفا لانطاكية ختفا لبطرس ، والذى لا تزال شهرته ذائعة بين الكثيرين .

(٣) Evarestus .

(٢) انظر ف ٤ : ١٠ .

(١) تراجان .

(٢) أما إيفانيوس فيدعوه يهوذا .

(١) انظر ف ٣٢ .

(١) بخصوص بوليكاربوس انظر ك ٤ ف ١٤ .

(٢) قال عنه إيريناوس أنه كان زميلا لبوليكاربوس وسمع بأذنيه يوحنا الرسول .

(٣) ويقول التاريخ بأنه أرسل من سوريا إلى روما، وأصبح طعاما للوحوش البرية بسبب شهادته للمسيح.

(٤) وفي أثناء رحلته وسط آسيا، وكان تحت حراسة حربية شديدة، كان يشدد الكنائس في المدن المختلفة حيثما حظ رحاله، وذلك بعظات ونصائح شفوية، وكان فوق كل شيء يحثهم ليحترسوا أشد الاحتراس من الهرطقات التي كانت قد بدأت تنتشر وقتئذ، وينصحهم للتمسك بتقاليد الرسل. وكان علاوة على هذا يراه من الضروري أن يدعم تلك التقاليد بأدلة يكتبها، وأن يعطيها شكلا ثابتا ضمانا لسلامتها:

(٥) وإذ وصل أزمير، حيث كان يقيم بوليكاربوس، كتب رسالة إلى كنيسة أفسس [٣] ذكر فيها أنسيمس راعيها، ورسالة أخرى إلى ماجنيزيا الواقعة على جبل مياندر، وفيها أيضا يذكر أسقفا يدعى داماس. وكتب أخيرا رسالة إلى كنيسة ترالس التي يقول عنها أن أسقفها في ذلك الوقت كان يدعى بوليبيوس.

(٦) وعلاوة على هذه كتب أيضا رسالة إلى مؤمنى روما يرجوهم فيها أن لا يحولوا بينه وبين الأستشهاد، لئلا يحرموه من أقصى أمنية. وتأيدا لهذا نراه من المناسب أن نقبس قليلا من هذه الرسالة. فقيها يكتب ما يلي:

(٧) «من سوريا إلى روما أحارب وحوشا برية، برا وبحرا، ليلا ونهارا، إذ كنت موثقا بين عشرة فهود، أى جماعة من الجند، لا يزدادون شراسة إلا أن أحسنت معاملتهم. وعلى أى حال فأننى فى وسط اساءاتهم ازداد تعلم شروط التلمذة، ولكننى مع ذلك لست مبررا» [٤].

(٨) «ليتنى أسر بالوحوش المعدة لى وائنى أصلى أن أجدها معدة. وسألاطفها لكى تبتلعنى بسرعة ولكى لا تعاملنى كما فعلت بالبعض الذين رفضت أن تمسهم بسبب الخوف» [٥]. وأن رفضت فسألزمها. سامحونى، فأننى أعرف ما يلائمنى.

(٣) تنقسم الرسائل السبع المنسوبة بحق إلى أغناطيوس، (وهى المذكورة فى هذا الفصل) إلى قسمين، كتب أربعة منها من أزمير وهو فى طريقه إلى روما وهى رسائل أفسس وماجنيزيا وترانس وروما والثلاثة الأخرى من مكان آخر.

(٤) (١ كو ٤ : ٤).

(٥) راجع ما ذكره يوسابيوس كأمثلة على هذا فى ك ٥ ف ١ : ٤٢ ، ك ٨ ف ٧.

(٩) «لقد بدأت الآن أن أكون تلميذا . ليته لا يوجد أى شيء منظور أو غير منظور يحسدنى حتى أصل إلى يسوع المسيح . فلتقبل إلى النيران والصليب وهجوم الوحوش، وسحق العظام وتمزيق الأطراف وسحق كل الجسد وتعذيبات إبليس، أن كنت بذلك أضل إلى يسوع المسيح» .

(١٠) هذا ما كتبه من المدينة السابق ذكرها إلى الكنائس المشار إليها . وعندما غادر أزمير، كتب ثانية من ترواس [٦] إلى أهل فيلادلفيا وإلى كنيسة أزمير، ويصفه خاصة إلى بوليكاربوس الذى كان يرأس هذه الكنيسة الأخيرة . ولأنه كان يعرفه تمام المعرفة كشخص رسولى فقد أوصاه على شعب أنطاكية كراع صالح حقيقى، وطلب منه أن يعنى بها عناية خاصة .

(١١) وإذ كتب نفس هذا الشخص إلى أهل أزمير استعمل الكلمات التالية عن المسيح، ولست أدري من أى مصدر استقاها . [٧]

«ولكننى أعلم وأؤمن أنه كان فى الجسد بعد القيامة وعندما جاء بطرس ورفاقه قال لهم: خذوا، جسونى، وانظروا اننى لست روحا لا جسد له . وللحال لمسوه وآمنوا» . [٨]

وقد علم إيريناوس أيضا باستشهاده، وذكر رسائله فى الكلمات التالية:

«اننى - كما قال أحد أفراد شعبنا عندما حكم عليه بالطرح للوحوش بسبب شهادته لله - حنطة الله، وسأطحن بأسنان الوحوش لكى أصير خبزا نقيًا» .

(١٢) وقد ذكر بوليكاربوس أيضا هذه الرسائل فى الرسالة إلى أهل فيلبى المنسوبة إليه [٩] وهاك كلماته:

«واننى أقدم النصيحة لجميعكم لتكونوا مطيعين وتستعينوا بالصبر كاملا كما رأيتم بأعينكم ليس فقط فى المغبوطين اغناطيوس وروفوس وزوسيموس، ولكن فى غيرهم أيضا ممن كانوا بينكم، كما فى بولس نفسه أيضا وسائر الرسل، إذ اقتنعتم أن جميع هؤلاء لم يركضوا باطلا بل بالإيمان والبر، وأنهم ذهبوا إلى مكانهم اللائق بجوار الرب الذى تألموا معه أيضا . لأنهم لم يحبوا العالم الحاضر بل ذاك الذى مات لأجلنا وأقامه الله لأجلنا» .

(٦) واضح من الرسائل التى كتبها اغناطيوس إلى أهل فيلادلفيا وأزمير وإلى بوليكاربوس أنه كتبها من ترواس .

(٧) اقتبس هذه العبارة كل من جيروم وأوريجانوس .

(٨) لو. ٢٤ : ٣٩ س (٩) بخصوص هذه الرسالة انظر ك ٤ ف ١٤ .

(١٣) وبعد ذلك يضيف الآتى :

«لقد كتبتم لى، أنتم وأغناطيوس أنه أن ذهب أحد إلى سوريا يمكنه أن يحمل معه الرسائل منكم . وهذا ما سأفعله أن وجدت الفرصة المناسبة، أما أنا نفسى أو أحد آخر أرسله ليكون سفيراً لكم أيضاً .

(١٤) لقد أرسلنا إليكم، كما أوصيتمونا، رسائل أغناطيوس التى أرسلها إلينا، والأخرى التى سبق أن وصلتنا وهى مرفقة بهذه الرسالة، ومنها تستمدون فوائد جزيلة لأنها تتضمن الإيمان والصبر، وكل أنواع البناء المتصلة بربنا» .

هذا ما قيل عن اغناطيوس . وقد خلفه هيروس فى أسقفية كنيسة أنطاكية .



الفصل السابع والثلاثون

المبشرون الذين كانوا لا يزالون بارزين وقتئذ

(١) ومن اشتهروا فى ذلك الوقت «كوادراتس» الذى يروى التاريخ عنه أنه اشتهر بموهبة النبوة مع بنات فيلبس . ويوجد كثيرون آخرون غير هؤلاء ممن اشتهروا فى تلك الأيام، الذين احتلوا المكان الأول بين خلفاء الرسل . هؤلاء أيضا إذ كانوا تلاميذ بارزين لتلك الشخصيات العظيمة فقد أكملوا أساسات الكنائس التى وضعها الرسل فى كل مكان، ونادوا بالإنجيل فى مدى أوسع، ويندروا بذار الخلاص الذى للمكوت السماء فى الأرجاء البعيدة والقريبة فى كل العالم .

(٢) لأن أغلب تلاميذ ذلك الوقت فى الواقع إذ انتعشوا بالكلمة الإلهية امتلأوا غيرة ومحبة . للفلسفة، [١] اتقوا وصية المخلص ووزعوا مقتنياتهم على المحتاجين [٢] وبدأوا يقومون برحلات طويلة ويتممون خدمة التبشير إذ كانوا قد امتلأوا رغبة فى الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعوا بعد كلمة الأيمان، وتوصيل الإنجيل الألهية إليهم .

(٣) وعندما وضعوا أساس الإيمان فى البلاد الغريبة أقاموا غيرهم كرعاة وعهدوا إليهم بتغذية من أدخلوا حديثا، بينما اتجهوا هم ثانية إلى ممالك وشعوب أخرى مؤازرين بنعمة الله وتعزيده لأن أعمالا عجيبة كثيرة تمت على أيديهم بقوة روح الله، حتى أن جمهورا كثيرا اعتنقوا ديانة خالق الكون لمجرد سمعاعهم لأول مرة .

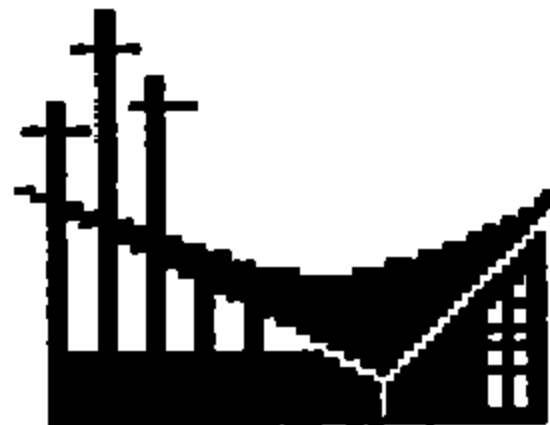
(٤) ولكن طالما كان من المستحيل علينا تعداد أسماء كل من صاروا رعاة أو مبشرين فى الكنائس فى كل أرجاء العالم فى العصر التالى للرسل مباشرة، فقد لاق بنا أن ندون فقد أسماء من نقلوا إلينا التعاليم الرسولية بكتابات لا تزال باقية عندنا .



الفصل الثامن والثلاثون

رسالة أكليمنضس والكتابات المنسوبة إليه زورا

- (١) ذلك ما فعله أغناطيوس في الرسائل السابق ذكرها، [١] وأكليمنضس في رسالته المقبولة من الجميع التي كتبها باسم كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس. [٢] في هذه الرسالة يقدم آراء كثيرة مستقاة من الرسالة إلى العبرانيين، ويقتبس أيضا شفويا بعض تعبيراتها، مينا بذلك أنها ليست تصنيفا حديثا.
- (٢) لذلك رؤى معقولا أن تحسب ضمن كتابات الرسول الأخرى. ولأن بولس كتب إلى العبرانيين بلغته الأصلية فإن البعض يقولون بأن البشير لوقا ترجم الرسالة، ويقول غيرهم أن اكليمنضس هذا نفسه هو الذي ترجمها.
- (٣) ويبدو أن الرأي الأخير هو الأصح، لأن رسالة اكليمنضس، ورسالة العبرانيين، متشابهة الأسلوب، والأكثر من ذلك أن الأفكار التي تحتويانها لا تختلف كثيرا في الواحدة عن الأخرى.
- (٤) ويجب أيضا ملاحظة ما قيل من أنه توجد رسالة ثانية لأكليمنضس. ولكننا لا نعرف بأن هذه معترف بها كالسابقة، لأننا لم نلاحظ أن الأقدمين أشاروا إليها.
- (٥) وقد أبرز بعض الأشخاص مؤخرا كتابات مطولة أخرى باسمه تتضمن محاورات لبطرس وأبيون. على أن الأقدمين لم يشيروا إليها، لأنها لا تحمل طابع الأرثوذكسية الرسولية. أما كتاب اكليمنضس المعترف به فهو معروف. ولقد تحدثنا أيضا عن كتابات اغناطيوس ويوليكايريوس. [٣]



الفصل التاسع والثلاثون

كتابات بابياس

(١) لا يزال بين أيدينا خمسة كتب لبابياس تحمل اسم «تفسير أقوال الرب» . ويذكرها إيريناوس على أساس أنها هي المؤلفات الوحيدة التي كتبها، وذلك في الكلمات التالية: «هذه الأمور يشهد لها بابياس، وهو أحد الأقدمين، استمع ليوحنا، وكان زميلا لبوليكرابوس، في كتابه الرابع، لأنه كتب خمسة كتب» . هذه هي كلمات إيريناوس .

(٢) أما بابياس نفسه، فإنه في مقدمة أبحاثه لا يصرح بأي حال من الأحوال بأنه كان مستمعا أو معينا للرسل المباركين، ولكنه يبين في كلماته أنه قد تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم . فهو يقول:

(٣) «ولكنني لا أتردد أيضا عن أن أضع أمامكم مع تفسيري كل ما تعلمته بحرص من المشايخ، [١] وكل ما أتذكره بحرص، ضامنا صحته . لأنني لم ألتذ - كالكثيرين - بمن يتكلموا كثيرا، بل بمن يعلمون الحق . لم ألتذ بمن يقدمون وصايا غريبة، بل بمن يقدمون وصايا الرب للإيمان، الصادر من الحق نفسه .

(٤) «وكلما أتى أحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم، عما قاله اندراوس أو بطرس، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى» أو أي واحد آخر من تلاميذ الرب، أو عما قاله أريستيون أو القس يوحنا [٢] أو تلاميذ الرب . لأنني لا أعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيدني بقدر ما يصل إلى من الصوت الحي، من الصوت الحي الدائم» .

(٥) وما هو جدير بالذكر هنا أنه كرر اسم يوحنا مرتين، فالاسم الأول يذكره مع بطرس ويعقوب ومتى وسائر الرسل، ومن هذا يتبين بوضوح أنه يقصد يوحنا الإنجيلي، أما يوحنا الآخر فانه يذكره بعد فترة معينة، ويضعه ضمن أشخاص آخرين ليسوا من عداد الرسل، واضعا أريستيون قبله، وبكل وضوح يدعوه قسا .

(١) يقول ناشر الترجمة الانكليزية أن هذه اللفظة «المشايخ» كانت تستعمل للتعبير عن آباء الكنيسة في العصور السابقة .

(٢) ليس هو يوحنا الرسول بل المقصود قس باسم يوحنا . انظر الفقرة التالية .

(٦) هذا يبين صحة ما يقرره من يقولون أنه كان هنالك شخصان في آسيا يحملان نفس الاسم، وكان هنالك قبران في أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يدعى قبر يوحنا . هذه ملاحظة جديدة بالاهمية، لأنه يحتمل أن يكون يوحنا الثانى هو الذى رأى الرؤيا المنسوبة إلي يوحنا أن كان أحد- لا يميل أن يصدق بأن يوحنا الأول هو الذى رآها- [٣]

(٧) ويعترف بايياس، الذى نتحدث عنه الآن، أنه تقبل كلمات الرسل ممن تبعوهم، ولكنه يقول انه هو نفسه كان أحد المستمعين إلى أريستيون والقس يوحنا . وهو على الأقل يذكرهما مرارا بالاسم، ويذكر تعاليمهما في كتاباته . ونرجو أن لا يكون سردنا لهذه الحوادث عديم الجدوى .

(٨) على أنه من المناسب أن نضيف إلى كلمات بايياس السابق اقتباسها فقرات أخرى من كتبه التى يروى فيها حوادث أخرى عجيبة يقول أنه استقاها من التقليد .

(٩) سبق القول أن فيلبس الرسول سكن في هيرابولس مع بناته- [٤] ولكن يجب هنا ملاحظة أن بايياس معاصره قال بأنه سمع قصة عجيبة من بنات فيلبس . لأنه يقول أن واحدا قام من الأموات فى عصره [٥] ويروى رواية عجيبة أخرى عن يوستس الملقب بار سابا أنه شرب سما مميتا ولكنه بنعمة الرب لم يلحقه أذى .

(١٠) ويسجل سفر الأعمال أن الرسل المباركين بعد صعود المخلص قدموا يوستس هذا مع متياس، وصلوا لاختيار أحدهما بدل يهوذا الخائن لتكلمة عددهم . وهاك النص «فأقاموا اثنين يوسف الذى يدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس . وصلوا قائلين»- [٦]

(١١) ويدون نفس الكاتب روايات أخرى يقول أنها وصلت من التقليد غير المكتوب وأمثالا وتعاليم غريبة للمخلص، وأمورا أخرى خرافية .

(١٢) من ضمن هذه قوله أنه ستكون فترة ألف سنة بعد قيامة الأموات وإن ملكوت المسيح سوف يؤسس على نفس هذه الأرض بكيفية مادية . وأظن أنه وصل إلى هذه الآراء بسبب اساءة فهمه للكتابات الرسولية، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية .

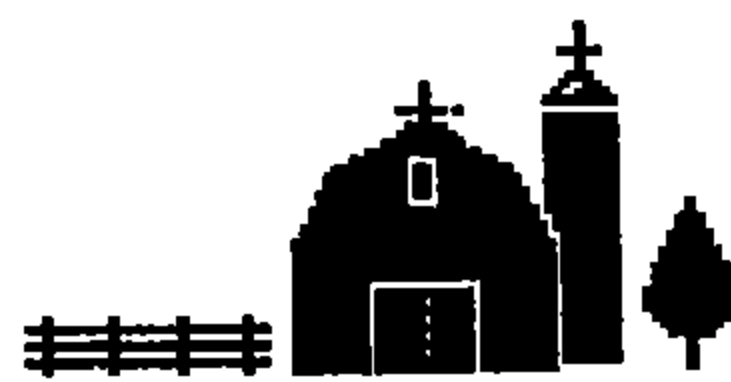
(١٣) إذ يبدو أنه كان محدود الإدراك جدا كما يتبين من أبحاثه . وإليه يرجع السبب في أن الكثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذي عاش فيه، كإيريناوس مثلا وغيره ممن نادوا بآراء مماثلة .

(١٤) ويدون بايياس أيضا في مؤلفه بيانات أخرى عن كلمات الرب، على عهدة أريستيون السابق ذكره، وتقاليده مسلمة من القس يوحنا نحيل إليها محبى الأطلاع . على أننا الآن نضيف لكلماته السابق اقتباسها ذلك التقليد الذي يقدمه عن مرقس كاتب الإنجيل في الكلمات التالية .

(١٥) «هذا ما يقوله القس أيضا: أن مرقس إذ كان هو اللسان الناطق لبطرس كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله، لأنه لا سمع للرب ولا اتبعه، ولكنه فيما بعد - كما قلت - اتبع بطرس الذي جعل تعاليمه مطابقة لاحتياجات سامعية، دون أن يقصد بأن يجعل أحاديث الرب مرتبطة ببعضها . ولذلك لم يرتكب أى خطأ إذ كتب - على هذا الوجه - ما تذكره . لأنه كان يحرص على أمر واحد : أن لا يحذف شيئا مما سمعه، وأن لا يقرر أى شيء خطأ» هذا ما دونه بايياس عن مرقس .

(١٦) أما عن متى فقد كتب ما يلي :

«وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية، وفسرها كل واحد على قدر استطاعته» . ويستقى نفس الكاتب بعض الشهادات من رسالة يوحنا الأولى ورسالة بطرس أيضا . ويروى رواية أخرى عن امرأة اتهمت أمام الرب بخطايا كثيرة تضمنها إنجيل العبرانيين . هذا ما رأيناه ضروريا أن ندونه علاوة على ما سبق أن قرناه .

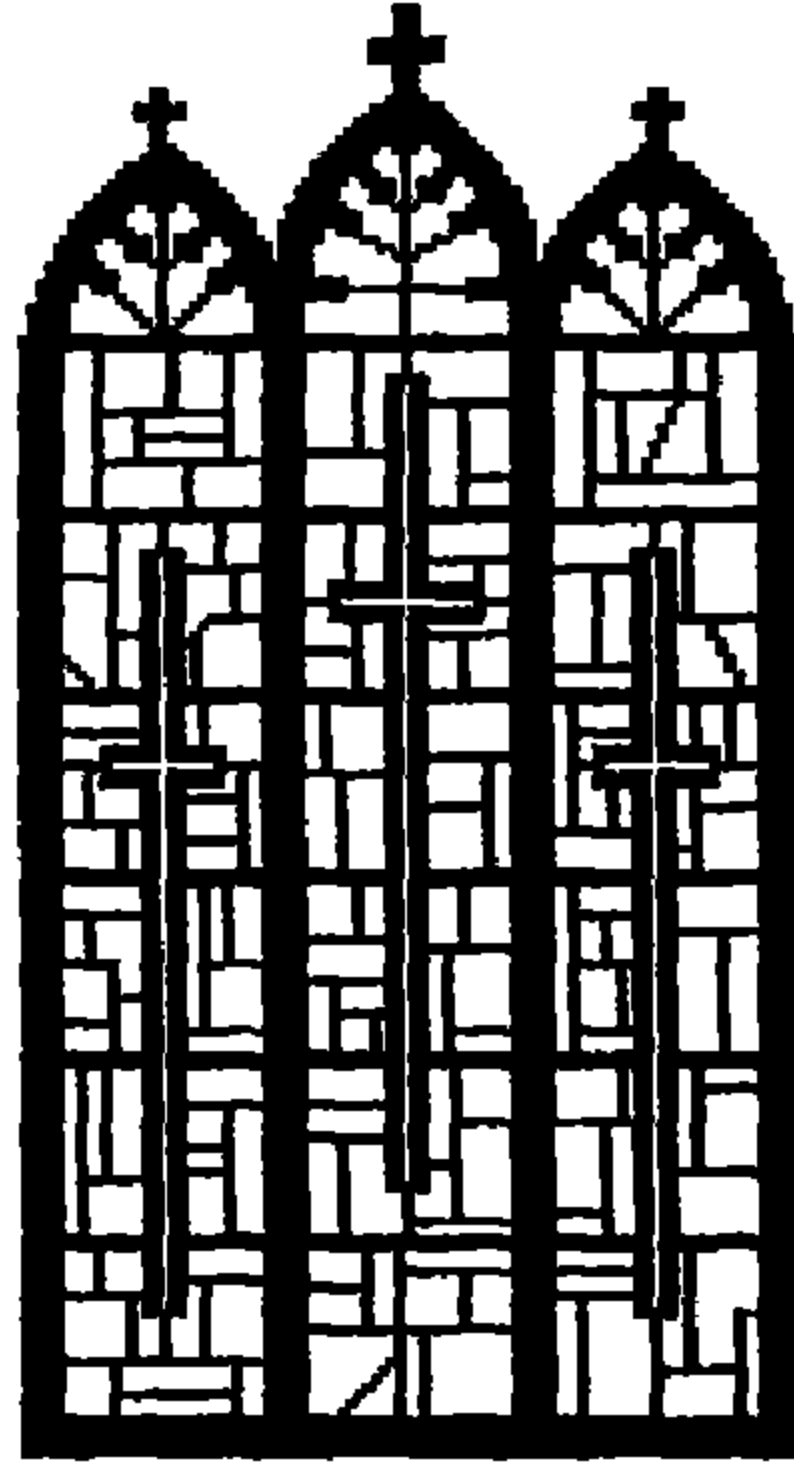


الكتاب الرابع

الفصل الأول

أساقفة روما والإسكندرية أثناء حكم تراجان

- (١) وفي السنة الثانية عشرة من حكم تراجان مات أسقف أبروشية الاسكندرية السالف الذكر، [١] وانتخب بدلا عنه «بريموس» الخليفة الرابع من عهد الرسل.
- (٢) وفي ذلك الوقت أيضا أقيم على أسقفية روما الاسكندر خامس أسقف بعد بطرس وبولس، وذلك بعد أن تولى الأسقفية ايفارستوس [٢] ثمانى سنوات.



(١) «كردونوس» المذكور فى ك ٣ ف ٢١.

(٢) انظر ك ٣ ف ٣٤.

الفصل الثاني

المصائب التي حلت باليهود أثناء حكم تراجان

- (١) انتعشت جدا تعاليم وكنيسة مخلصنا وازدادت انتشارا يوما بعد يوم . ولكن مصائب اليهود ازدادت أيضا، وعانوا سلسلة من النكبات متصلة الحلقات . وفي السنة الثامنة عشر من حكم تراجان قام اليهود بثورة أخرى هلك منهم في أثنائها عدد وفير .
- (٢) لأنهم في الاسكندرية وفي سائر أرجاء مصر، وأيضا في القيروان، [١] اندفعوا بروح المشاغبة وثاروا على مواطنيهم اليونانيين . اشتدت الفتنة جدا حتى انقلبت إلى حرب خطيرة في السنة التالية إذ كان لوبوس Lupus واليا على كل مصر .
- (٣) وحدث في الهجوم الأول أنهم انتصروا على اليونانيين الذين كانوا قد هربوا إلى الاسكندرية وسجنوا، وقتلوا اليهود الموجودين في المدينة . ولكن يهود القيروان - بالرغم من حرمانهم من مساعدتهم - استمروا في نهب أرض مصر، وتخريب أقاليمها تحت قيادة لوكواس Lucuas . أما الامبراطور فأرسل إليهم ماركيوس توربو [٢] بقوات برية وبحرية وخيالة .
- (٤) فأشهر عليهم الحرب مدة طويلة، وحارب في عدة مواقع، وقتل آلافا كثيرة، ليس فقط من يهود القيروان، بل أيضا ممن استوطنوا مصر وأتوا لمساعدة ملكهم لوكواس .
- (٥) ولكن الامبراطور، إذ خشى لئلا يهجم ما بين النهرين على سكان تلك المملكة، أمر لوسيوس كيتوس ليظهر ذلك الاقليم منهم . فتقدم نحوهم وقتل عددا كبيرا جدا ممن استوطنوا هناك . ونتيجة لنجاحه أقامه الامبراطور واليا على اليهودية . وقد دون هذه الحوادث أيضا بنفس هذه الكلمات المؤرخون اليونانيون الذين كتبوا عن تلك العصور . [٣]



(١) كان اليهود كثيرين في مصر وفي القيروان (الواقعة غرب مصر) . وكان لليهود القيروان مجمع في اورشليم كما

يتبين من (اع ٦ : ٩) .

(٢) Marcius Turbo كان من أبرز قواد الرومان في عصر تراجان وهادريان . (٣) أمثال Orosius, Dion Cassius .

الفصل الثالث

المدافعون عن المسيحية الذين كتبوا دفاعا عن الإيمان أثناء حكم أدریان

(١) وبعد أن حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف [١] خلفه على الامبراطورية أليوس أدریان . وقد وجه إليه كوادراتس حديثا متضمنا الدفاع عن ديانتنا، لأن بعض الأشرار حاولوا ازعاج المسيحيين . ولا يزال هذا المؤلف بين أيدي الكثيرين من الاخوة، وفي أيدينا أيضا، وهو برهان قوى على ذكاء الرجل وعلمه وعلى أرثوذكسيته الرسولية .

(٢) وهو نفسه يبين التاريخ المتقدم الذى عاش فيه، وذلك فى الكلمات التالية:

«على أن أعمال مخلصنا كانت على الدوام ماثلة أمامنا، لأنها كانت يقينية . فأولئك الذين شفوا، والذين أقيموا من الأموات، لم يروا فقط وقت أن شفوا وأقيموا بل كانوا حاضرين دوما . وليس فقط لما كان المخلص على الأرض بل أيضا بعد موته، لأنهم ظلوا عاثين مدة طويلة، حتى أن بعضهم كان عاثا حتى يومنا هذا» .

هذا ما قاله كوادراتس :

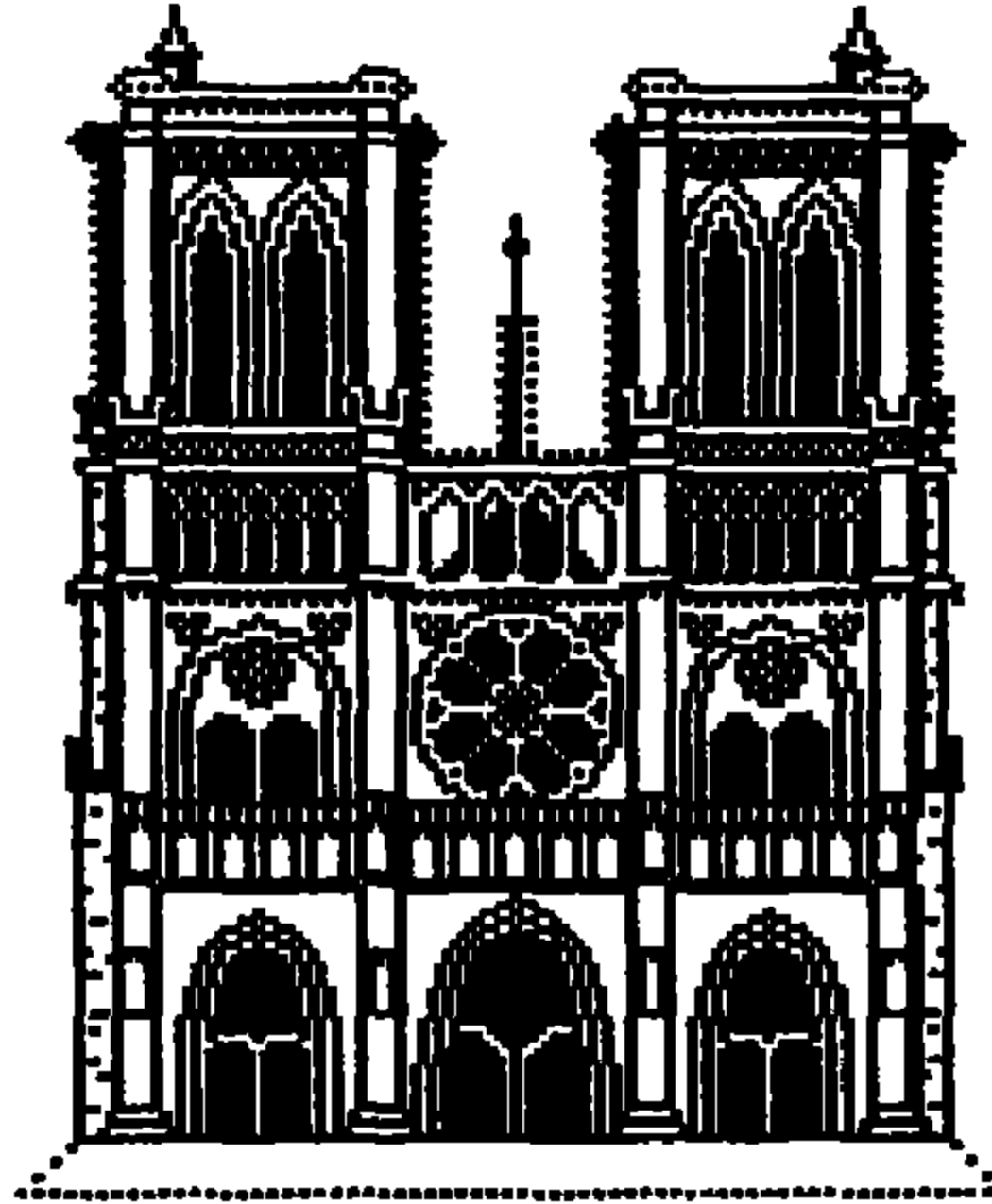
(٣) كذلك ترك لنا أريستيديس، وهو مؤمن غيور، دفاعا عن الايمان، مثل كوادراتس، موجهها إلى أدریان . ولا يزال مؤلفه باقيا إلى الآن أيضا لدى أشخاص كثيرين .



الفصل الرابع

أساقفة روما والإسكندرية في عهد نفس الإمبراطور [١]

وفي السنة الثالثة من نفس الحكم مات الاسكندر أسقف روما، بعد أن ظل عشر سنوات في الأسقفية، وخلفه زيسطوس . وفي نفس هذا الوقت مات بريموس أسقف الاسكندرية في السنة الثانية عشرة من أسقفيته، وخلفه يسطس .



الفصل الخامس

أساقفة أورشليم من عصر مخلصنا إلى العصر موضوع تأملنا

(١) لم أجد في أى مكان قائمة مكتوبة بأسماء أساقفة أورشليم، لأن الروايات المتواترة تقول أنهم جميعا لم يعمرُوا طويلا .

(٢) ولكنى علمت من بعض الكتب [٢] أنه إلى وقت حصار اليهود، الذى تم فى عهد أدريان، [٢] تولى الأسقفية فيها خمسة عشر أسقفا بالتتابع، وقيل أنهم كانوا من أصل عبرانى، وأنهم قبلوا معرفة المسيح نقية، ولذلك اعترف بهم من كان فى قدرتهم الحكم على هذه الأمور، وحسبوا جديرين بمركز الأسقفية . لأن كنيستهم بأكملها كانت تتكون وقتئذ من مؤمنى العبرانيين، الذين ظلوا من أيام الرسل حتى الحصار الذى حدث فى هذا الوقت، والذى غلب فيه اليهود بعد مواقع قاسية إذ كانوا قد تمردوا ثانية على الرومانيين .

(٣) ولكن لأن أساقفة الختان لم يعد لهم وجود منذ ذلك الوقت، فمن المناسب هنا أن نقدم قائمة باسمائهم منذ البداية .

الأول يعقوب الملقب أخو الرب، [٣] الثانى سمعان، [٤] والثالث يسطس، [٥] الرابع زكا، [٦] الخامس طويلا، السادس بنيامين، السابع يوحنا، الثامن متياس، التاسع فيلبس، العاشر سينكا، الحادى عشر يسطس، الثانى عشر لاوى، الثالث عشر أقرس، الرابع عشر يوسف، وأخيرا الخامس عشر يهوذا .

(٤) هؤلاء هم أساقفة أورشليم الذين عاشوا بين عصر الرسل والعصر المشار إليه، وكلهم كانوا من أهل الختان .

(٥) وفى السنة الثانية عشر من حكم أدريان إذ كان زيسطوس [٧] قد أكمل عشر سنوات فى الأسقفية [٨] خلفه تلسفورس، وهو سابع أسقف بعد الرسل . وفى نفس الوقت بعد انقضاء فترة سنة وبضعة شهور، أقيم أومانوس [٩] - وهو سادس أسقف بعد الرسل - لرئاسة كنيسة الإسكندرية، بعد أن ظل سابقة [١٠] إحدى عشرة سنة فى مركز الأسقفية .

(٢) أى فى سنة ١٣٥ م . انظر ف ٧ .

(١) يقال أنها وجدت فى كنيسة أورشليم نفسها .

(٥) قال عنه ايفانيوس أنه يدعى يهوذا .

(٤) انظر ٣ ف ١١ .

(٣) انظر ٢ ف ١ .

(٨) أى أسقفية كنيسة روما .

(٧) انظر ف ٤ .

(٦) أو زكريا حسب رواية ايفانيوس .

(١٠) يسطس . انظر الفصل السابق .

(٩) انظر ف ١١ .

الفصل السادس

آخر حصار لليهود في عهد الإمبراطور أدريان

(١) ولما اشتد تمرد اليهود في هذا الوقت تقدم إليهم روفوس والى اليهودية بلا رحمة، بعد أن أرسل إليه الامبراطور قوة للمساعدة، مبررا هجموه عليهم بسبب جنونهم . وقتل بلا شفقة آلاف من الرجال والنساء والأطفال وطبقا لقوانين الحرب جعل بلادهم ولاية خاضعة تمام الخضوع للامبراطورية .

(٢) كان قائد اليهود وقتئذ رجلا يدعى باركوكبا (ومعناها كوكب أو نجم) توفرت فيه صفات اللص والقاتل، ولكنه مع ذلك اتكل على اسمه وافتخر عليهم، كأنهم كانوا عبيدا، وأنه لديه قوة عجيبة . وادعى بأنه كوكب هبط إليهم من السماء ليأتى إليهم بالنور وسط مصائبهم .

(٣) اشتدت الحرب عنفا في السنة الثامنة عشر من حكم أدريان في مدينة بشارا التي كانت حصنا منيعا لا تبعد كثيرا عن اورشليم . ولما استمر الحصار وقتا طويلا، وساءت حال الثوار جدا بسبب الجوع والعطش، نال المحرض على الفتنة جزاءه العادل، وصدر الأمر من أدريان إلى كل الأمة بحرمانهم من الصعود إلى المملكة نواحي اورشليم . لأن الامبراطور منعهم حتى من رؤية أرض آبائهم من بعيد .

هذا هو الوصف الذي رواه أريستو الذي من بلا [١]

(٤) وهكذا عندما أخلت المدينة من الأمة اليهودية وأقفرت تماما من سكانها القدماء سكنها جنس غريب، وتغير اسم المدينة الرومانية، التي قامت بعد ذلك مباشرة فدعيت اليا اكراما للامبراطور اليوس أدريان . ونظرا لأن كنيسها كانت مكونة وقتئذ من الأمم فإن أول أسقف تولى إدارتها بعد أساقفة الختان [٢] كان مرقس .



(١) Aristo of Pella ولنا ندرى أن كان يوساييوس قد اقتبس منه الفقرة الأخيرة فقط أو جميع ما تقدم .

(٢) انظر ك ه ف ١٢ .

الفصل السابع

الأشخاص الذين أصبحوا في ذلك الوقت قادة العلم الكاذب الاسم [١]

(١) وبما أن الكنائس في كل العالم كانت تضيء وقتئذ كأيهى الكواكب لمعانا، وكان الأيمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح يزدهر بين كل الجنس البشرى، حول الشيطان، مبغض الصلاح وعدو الحق، والمقاوم لخلاص الانسان، كل جهوده نحو الكنيسة . ففي البداية تجند ضدها بواسطة الاضطهادات الخارجية .

(٢) أما الآن، وقد عجز عن استخدام هذه الوسيلة، فإنه دبر كل أنواع المؤامرات، واستخدم طرقا أخرى في صراعه ضد الكنيسة، مستخدما أشخاصا سافلين ومضلين كوسائل لهدم النفوس وأعوان للهلاك . وإذا أغرى بعض المحتالين والمخادعين فأنهم تظاهروا بالمسيحية وأحدروا إلى أعماق الهلاك بعض المؤمنين ممن استطاعوا التغلب عليهم، وفي نفس الوقت أثروا بتصرفاتهم على البعض ممن كانوا يجهلون الإيمان، فحولوهم عن الطريق المؤدى إلى كلمة الخلاص .

(٣) ونتيجة لهذا تخلفت عن ميناندر، الذى ذكرنا عنه فيما قبل أنه كان خليفة لسيمون، [٢] قوة كالحية، لها لسانان ورأسان أنجبت قائدى هرطقتين مختلفتين، وهما ساتورنينوس، وهذا شخص أنطاكى المولد، وباسيليدس وهذا اسكندرى . أسس الأول مدارس للهرطقة فى سوريا، والثانى فى الاسكندرية .

(٤) وقد قرر ايريناوس أن تعاليم ساتورنينوس الكاذبة كانت تتفق فى كثير من النواحي مع تعاليم ميناندر، أما باسيليدس فانه تحت ستار الأسرار التى لا يعبر عنها اختراع خزعبلات غريبة جدا ونقل أضراليه إلى أبعد الحدود .

(٥) وكما كان يوجد فى ذلك الوقت عدد كبير من أعضاء الكنيسة يناضلون من أجل الحق، ويدافعون عن التعاليم الرسولية الكنسية بفصاحة نادرة، كان هنالك أيضا من يمدون الأنسال - عن طريق كتاباتهم - بوسائل للدفاع ضد تلك الهرطقات التى أشرنا إليها .

(٦) ضمن هذه الكتابات دفاع قوى جدا ضد باسيليدس كتبه أغرياس كاستور، وهو أحد كتاب ذلك العصر المشهورين جدا بين فيه حيل ذلك الشخص المروعة .

(٧) وفي معرض كشف غوامض باسيليديس هذا قال عنه أغريباس أنه كتب أربعة وعشرين كتابا عن الإنجيل، وأنه اخترع لنفسه نيين اسمهما باركباس وباركوف، وأنبياء آخرين لا وجود لهم أعطاهم أسماء مزعجة، لازعاج الذين يرهبون أمثال هذه الأشياء، وعلم أيضا بأن أكل ما ذبح للاوثان، وترك الإيمان في أوقات الاضطهاد، أمران غير جوهريين، وفرض على أتباعه - مثل فيثاغورس - فترة صمت خمس سنوات .

(٨) ودون الكاتب المشار إليه أمورا أخرى مماثلة عن باسيليديس، وفضح هرطقته بشدة .

(٩) وكتب ايريناوس أيضا أن كاريوكراتس كان معاصرا لهؤلاء الناس، وأنه ابتدع هرطقة أخرى تدعى شيعة اللادريين [٣] الذين لم يشاءوا أن يتقلوا فيما بعد فنون سيمون السحرية سرا - كما فعل ذلك [٤] - بل علنا . لأنهم افتخروا بجرعات المحبة - كأنها شيء عظيم الأهمية - التي كانوا يهيئونها بعناية شديدة، وبشياطين معينة ترسل إليهم الأحلام وتعييرهم حمايتها، وعوامل أخرى مماثلة . ونتيجة لهذه كانوا يعلمون أنه يتحتم على كل من يريدون الدخول تماما إلى أسرارهم، أو بالأحرى إلى قبائحهم، أن يمارسوا كل أنواع الشر، على أساس أنهم لا يمكنهم أن ينجوا من القوات الكونية، كما دعوها، بأية طريقة أخرى سوى بالتحرر من التزاماتها وذلك بالسلوك المشين .

(١٠) وهكذا حدث أن الشيطان الخبيث باستخدامه لهؤلاء الأعوان استعبد الذين أضلوهم مع الأسف إلى هلاكهم، ومن الجهة الأخرى قدم للأمم غير المؤمنين فرصا متسعة للاقتراء على الكلمة الإلهية، نظرا لأن سمعة هؤلاء الرجال جلبت العار على كل جنس المسيحيين .

(١١) وبهذه الطريقة ذاعت عنا في الخارج، بين غير المؤمنين في ذلك العصر، الظنون المشينة والسخيفة بأننا نمارس التجارة غير الشرعية مع الأمهات والأخوات، ونولم الولائم القبيحة .

(١٢) وعلى أي حال فإنه لم يطل نجاحه في هذه الحيل، لأن الحق ثبت نفسه، وأضاء مع الوقت بلمعان باهر .

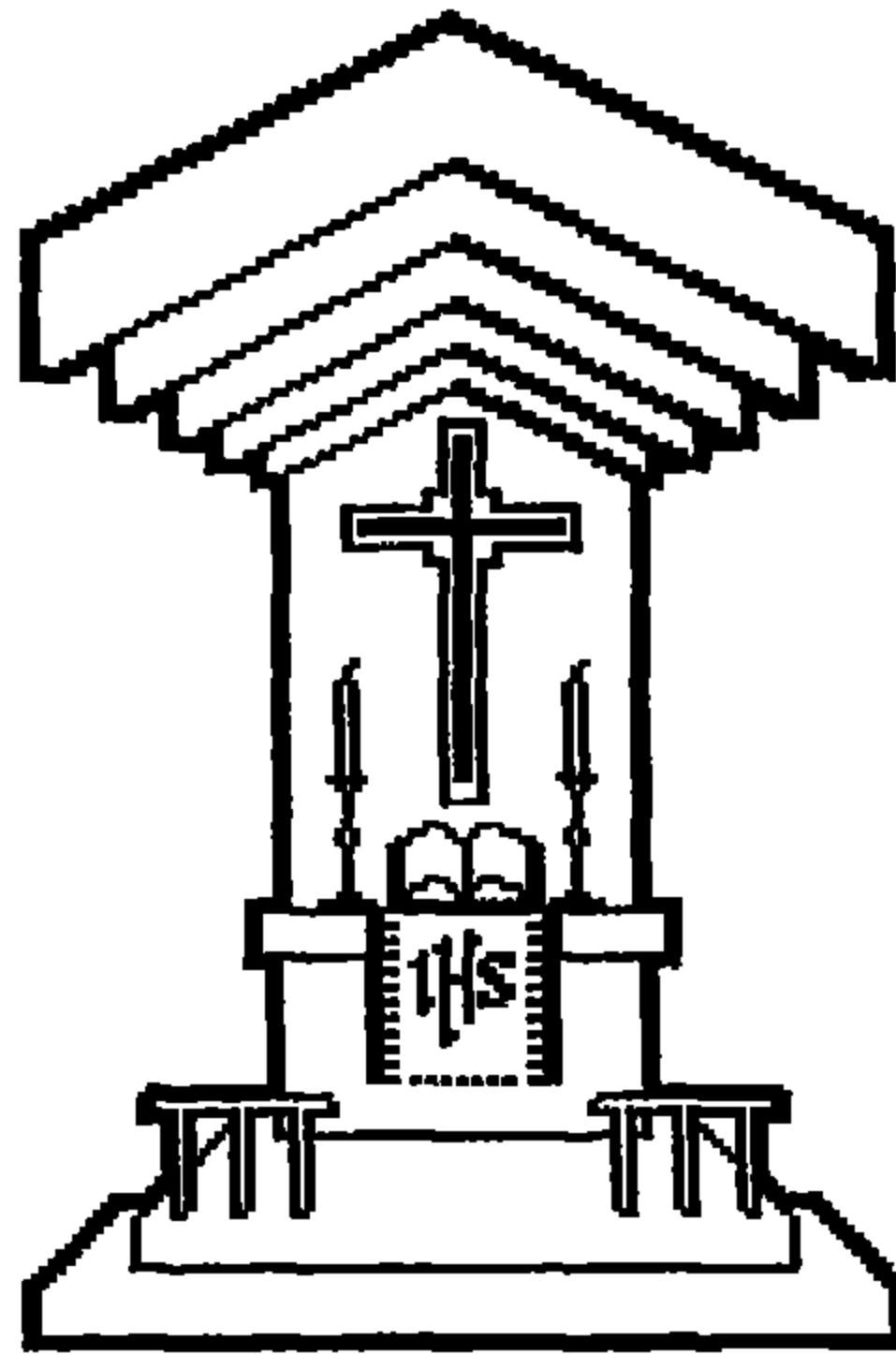
(٣) لا يعرف تماما متى بدأت، ولكنها على أي حال بدأت حالما بدأت المسيحية تحتك بالفلسفة اليونانية . وكانت هذه الشيعة تنادى بأن المعرفة - لا الإيمان - هي طريق الخلاص، واتخذت كل الحقائق العظمى عن شخص المسيح وأعماله على طريق الجار، واعتبرت الحياة الفردية منبعثة من العنصر الأصلي .

(٤) مشيرا إلى باسيليديس .

(١٣) فقوته فضحت دسائس أعدائه التي سرعان ما انقضت . وهكذا قامت بدعة بعد أخرى، وكانت كل البدع السابقة تتلاشى على الدوام، وتبتلع في الآراء المختلفة الأنواع والمختلفة الصور، في هذا الوقت أو ذلك، وبهذه الطريقة أو تلك . أما مجد وسمو وعظمة الكنيسة الجامعة الواحدة الحقيقية الباقية على الدوام بلا تغيير فقد ازدادت قوة ورفعة، وأشاعت الكنيسة تقواها وبساطتها وحررتها وعفتها وطهارة حياتها وفلسفتها في كل أمة من أمم اليونانيين والبرابرة .

(١٤) وفي نفس الوقت انقضت الاتهامات المشينة السابق توجيهها لكل الكنيسة، ولم تبق إلا تعاليمنا التي تغلبت على الكل، والمعترف بسموها على الكل، من جهة السمو والعفة والمعتقدات الروحية الفلسفية . ولهذا فلن يجرؤ أى واحد منهم الآن أن يوجه إلى إيماننا أى اقتراء وضيع، أو أية تهمة مما كان يلذ لأعدائنا القدماء أن يتمشدقوا به .

(١٥) ومع هذا ففي تلك الأيام حفز الحق كثيرين من الأبطال للنضال دفاعا ضد هذه الهرطقات الدنسة، مفندينها ليس فقط بالحجج الشفوية بل أيضا بالحجج الكتابية .



الفصل الثامن

الكتاب الكنسيون

- (١) كان هيجسبوس ممن اشتهروا بين هؤلاء . وقد سبق أن اقتبسنا الكثير من كلماته [١] في معرض سرد الحوادث التي حدثت في أيام الرسل حسب روايته .
- (٢) في خمسة كتب يسجل (هذا الكاتب) التقاليد الحقيقية للتعاليم الرسولية بأسلوب بسيط للغاية، ويحدد الوقت الذي فيه نجح عندما كتب ما يلي عن أول من أقام الأوثان . .
- «الذين أقاموا لهم أنصابا وهياكل، كما هو حاصل إلى اليوم . الذين بينهم أنتينوس، [٢] وهو من عبيد الامبراطور أدريان، والذي تقام اكراما له الألعاب الانتينونية، التي أنشئت في أيامنا . لأنه (أى أدريان) أنشأ أيضا مدينة سميت باسم انتينوس [٣] وأقام أنبياء» .
- (٣) وفي نفس الوقت أيضا كان يوستينوس، [٤] محب الفلسفة الحقيقية، منغمسا في الآداب اليونانية . وقد حدد هذا الزمن في الاحتجاج الذي وجهه إلى أنتونين، والذي كتب فيه ما يلي: [٥]
- «ونحن لا نراه خروجاً عن الموضوع أن نذكر هنا أنتينوس أيضا الذي عاش في أيامنا، والذي كان الجميع مسوقين إلى عبادته كاله يعامل الخوف، رغم علمهم بحقيقته، وحقيقة «المكان الذي أتى منه» .
- (٤) وإذ تحدث نفس الكاتب عن الحرب اليهودية التي حدثت وقتئذ أضاف الآتى [٦]
- «لأنه في الحرب الأخيرة أمر باركوكبا، قائد الثورة اليهودية، أن يفترق المسيحيون وحدهم بأشد أنواع القصاص، إلا إذا أنكروا يسوع المسيح ولعنوه» .
- (٥) وفي نفس المؤلف يبين أن تحوله من الفلسفة اليونانية إلى المسيحية لم يكن بلا ميرر، بل كان نتيجة ترو شديد وامعان طويل من جانبه . وهاك كلماته: [٧]

(١) ك ٢ ف ٢٣ ، ك ٣ ف ٣٢ .

(٢) كان عيدا جميلا للامبراطور ادريان ومعشوقا له . والأرجح أنه أغرق في النيل سنة ١٣٠م . وبعد موته اعتبر في مصاف الإلهة وأقيمت له الهياكل . وفي أثينا أقيم نوعان من الألعاب اكراما له .

(٣) يقال أنها في مصر بالقرب من المكان الذي أغرق فيه .

(٤) انظر ف ١٦ عن يوستينوس الشهيد . (٥) احتجاج يوستينوس ١ : ٢٩ .

(٦) احتجاج يوستينوس ١ : ٣١ . (٧) احتجاج يوستينوس ٢ : ١٢ .

«لأنى أنا نفسى إذ كنت مغتبطا بتعاليم أفلاطون وسمعت بالافتراءات على المسيحيين، ورأيت أنهم لا يخشون الموت، ولا يرهبون أى شىء آخر يعتبر مروعا فى نظر عامة البشر، استنتجت بأنه من المستحيل أن يكونوا عائشين فى الشر أو مغنمسين فى الملذات - لأنه كيف يمكن لمحبة الشهوات، أو فاسد الأخلاق، أو أكل لحوم البشر، أو يرحب بالموت حتى يحرم من تنعماته، ولا يجاهد بالأحرى للبقاء على حياته الحاضرة بصفة دائمة، ويتجنب ملاحظة الحكام له، بدلا من تسليم نفسه للموت» .

(٦) وعلاوة على هذا روى نفس الكاتب أن أدريان إذ تسلم من سيرينيوس جرانتيانوس، وهو من أبرز الولاة، رسالة فى مصلحة المسيحيين، ذكر فيها أنه ليس من العدل قتل المسيحيين دون اتهام معقول ومحاكمة قانونية، بل لمجرد اشباع شهوة الغوغاء، أرسل أمرا عاليا إلى مينوسيوس فوندانوس، وإلى آسيا، يأمره بعدم قتل أى واحد دون إقامة الدعوى عليه، وتقديم تهمة لها أساس معقول .

(٧) وقد قدم نسخة من الرسالة محتفظا بالأصل اللاتينى الذى كتبت به، وقدمها بهذه

الكلمات :

«وبالرغم من أننا، بناد على رسالة الأمبراطور العظيم الجليل الشأن أدريان أليك، لنا كل الحق فى أن نطلب بأن تأمر أن تجرى المحاكمة كما نرغب، إلا أننا لا نطلب هذا لصدور الأمر به من قبل أدريان، بل بالأحرى ليقيننا بأن ما نطلبه عادل . وقد أرفقنا بهذا صورة من رسالة أدريان لتعلم أننا نقول الحق فى هذا الأمر أيضا . وهذه هى صورة الرسالة» .

(٨) وبعد هذه الكلمات قدم الكاتب المشار إليه الأمر العالى باللاتينية، ترجمناه إلى اليونانية

على قدر ما استطعنا من الدقة . وهاك نصه :



الفصل التاسع

رسالة أدريان

التي أمر فيها أن لا يوقع علينا قصاص دون محاكمة

(١) إلى مينوسيوس فوندانوس . لقد استلمت رسالة كتبها إلى سيرينيوس جرانيانوس ، وهو الرجل العظيم جدا ، الذي خلفته أنت . وأنتى لا أراه صوابا أن يمر الأمر دون فحص لثلا يتزعج الناس وتها الفرصة للسفلة لارتكاب قبائحهم .

(٢) ولذلك فإن استطاع سكان الاقليم أن يثبتوا بسهولة دعواهم ضد المسيحيين ، بحيث يعطون اجابة شافية أمام المحكمة ، فليسلخوا هذا الطريق وحده ، ولكنهم يجب أن لا يذعنوا لرغبات الناس أو صخبهم . لأنه أن رغب أحد فى تقديم أى اتهام فمن اللائق جدا أن تفحصه .

(٣) «لذلك أن اتهمهم أحد ، وأثبت أنهم ارتكبوا أمرا مخالفا للشرائع ، فأوقع القصاص بما يتناسب مع شناعة الجريمة . ولكن ، وحياة هرقل ، أن قدم أحد اتهاما لمجرد الوشاية ، فاحكم عليه بحسب جرمته وأعطه ما يستحق من القصاص» .

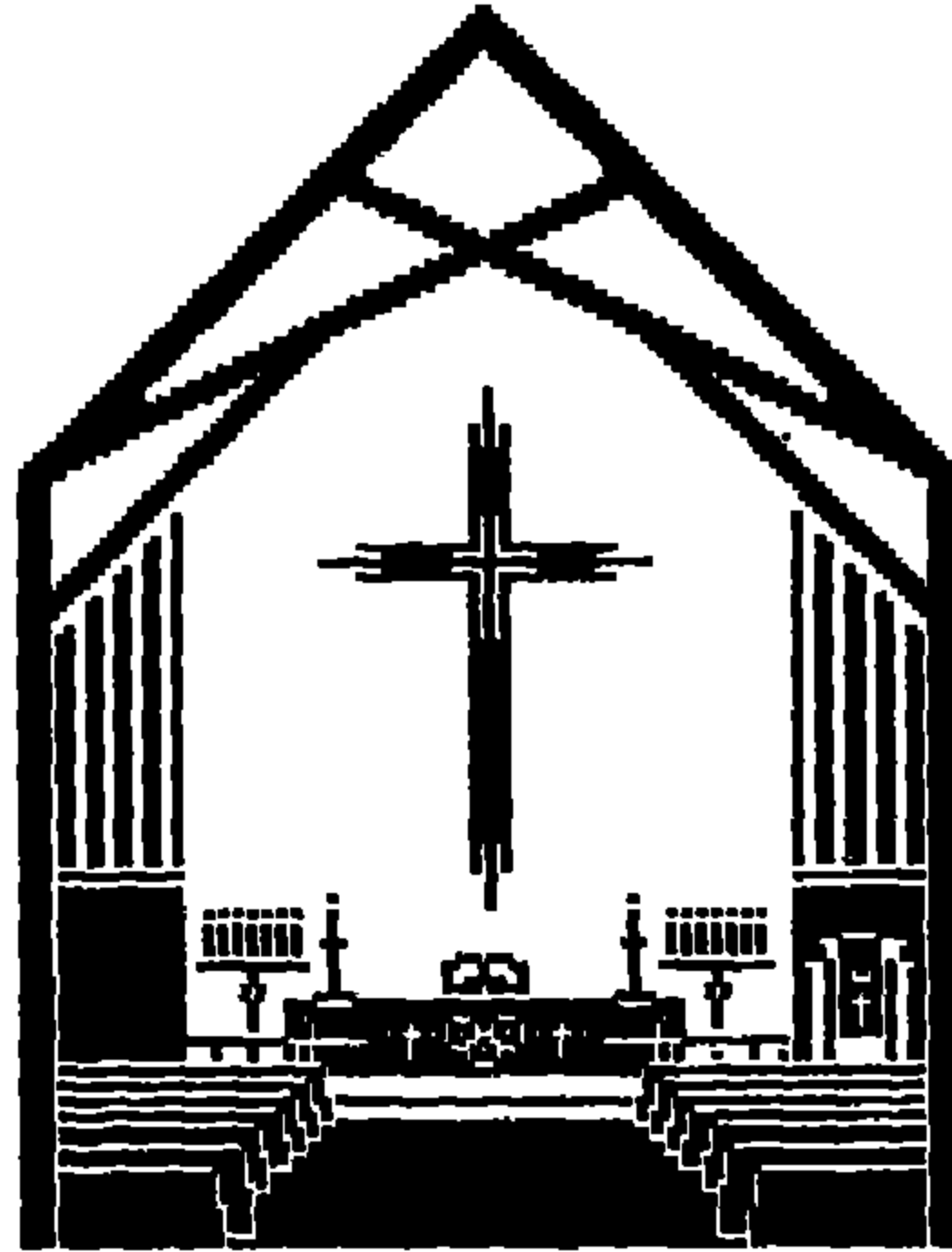
هذا هو نص الأمر العالى الذى أصدره أدريان .



الفصل العاشر

أساقفة روما والإسكندرية مدة حكم أنطونينس

ولما مات أديان، بعد أن حكم احدى وعشرين سنة، [١] خلقه في حكم الرومانيين أنطونينس الملقب بالصالح - وفي السنة الأولى من حكمه مات تلسفورس [٢] في السنة الحادية عشرة من أسقفيته، وأقيم هيجينوس أسقفا على روما - ويذكر ايريناوس أن موت تلسفورس تكلل بالاستشهاد - وفي نفس المناسبة قرر بأنه في عهد هيجينوس أسقف روما السابق ذكره اشتهر في روما فالتينوس مؤسس شيعة تنتمي له، وكرودن مؤسس البدعة المركيونية [٣] وقد كتب في هذا الصدد ما يلي:



(١) حكم اديان من ٨ أغسطس سنة ١١٧ إلى ١٠ يولية سنة ١٣٨ م.

(٢) انظر ف ٥ : ٥ .

(٣) بخصوص فالتينوس وكرودن ومركيون انظر الفصل التالي .

الفصل الحادي عشر

زعماء الهرطقة في ذلك العصر

(١) «لأن فالتينوس أتى إلى روما في عهد هيجينوس، وازداد قوة في عهد بيوس، وظل حتى أنيسيتوس، [١] ودخل الكنيسة أيضا كردون، [٢] سلف مركيون، في عهد هيجينوس تاسع أسقف، واعترف، واستمر هكذا، يعلم في السرحينا، ويعترف جهرا حيناً آخر، وفي بعض الأحيان يوشى به بسبب تعاليمه الفاسدة فينسحب من اجتماعات الأخوة»

هذا ما وجد في الكتاب الثالث من المؤلف «ضد الهرطقات».

(٢) وفي الكتاب الأول ذكر الآتي عن كردون.

«أما كردون الذي استمد شيعته من اتباع سيمون، وأتى إلى روما في عهد هيجينوس، تاسع أسقف منذ عهد الرسل، فقد نادى بأن الله الذي أعلنه الناموس والأنبياء ليس أباً ربنا يسوع المسيح. لأن الأول معروف، والآخر غير معروف، الأول عادل، والآخر صالح. [٣] أما مركيون البنطي فقد خلف كردون، ووسع تعاليمه، ونطق بتجديف مزرية».

(٣) ويكشف ايريناوس بكل قدة عن هاوية ضلالات فالتينوس فيما يتعلق بالمادة ويعلن خبثه، السرى والخفى كالحية والكامنة في وكرها.

(٤) ويقول أنه علاوة على هؤلاء الأشخاص كان يوجد شخص آخر في ذلك العصر يدعى مرقس [٤] برع في العلوم السحرية. ويصف تصرفاتهم الدنسة وأسرارهم الكريهة في الكلمات التالية:

(١) أن فالتينوس أعظم من أشتهر بين اللاديين، وقال ايقيانيوس أنه ولد في مصر ودرس الآداب اليونانية في الاسكندرية.

(٢) أحسن ما عرف به كردون أنه معلم مركيون. وقد قال عنه ايقيانيوس أنه سورى.

(٣) اعتقد مركيون أن إله العهد القديم صارم عادل، واله العهد الجديد صالح رحيم. ويقولون أن كردون نادى بالهين، الواحد صالح وهو الأسى، والآخر صارم وهو الذى خلق العالم.

(٤) وصف ايريناوس مرقس والمرقسين في ك ١ : ١٣ - ٢١. وقد كان مرقس هذا من مذهب اللاديين، ومن شيعة فالتينوس.

(٥) «والبعض منهم يعدون أريكة للزيجة، ويمارسون بعض الطقوس الرمزية، مستعملين بعض التعبيرات الموجهة إلى المبتدئين في ممارستهم، ويقولون أن الزواج الذي يجرونه روحى على مثال الزيجات العلوية . والبعض يأخذونهم إلى المياه، ويرددون الكلمات التالية عند تعميدهم : إلى اسم أب المجهول، [٥] إلى الحق أم كل الأشياء، إلى من استقر على يسوع . ويكرر غيرهم أسماء عبرانية لكي يزدوا في بلبله المبتدئين» .

(٦) وإذ مات هيجينوس في نهاية السنة الرابعة من أسقفيته خلفه بيوس في إدارة كنيسة روما . وفي الاسكندرية عين مرقس [٦] راعيا بعد أن ظل أومانيوس في مركزه ثلاث عشرة سنة . وعندما مات مرقس، بعد أن ظل في مركزة عشر سنوات، خلفه كاللاوتيانوس في إدارة كنيسة الاسكندرية .

(٧) وفي روما مات بيوس في السنة الخامسة عشرة من أسقفيته، فتولى انيسيتوس قيادة المسيحيين هناك . ويقرر هيجيسبوس أنه هو نفسه كان في روما في ذلك الوقت، وأنه ظل هناك حتى أسقفية النيثيوس :

(٨) وفي تلك الأيام اشتهر يوستينوس بصفة خاصة . وإذ تنكر في هيئة فيلسوف بشر بالكلمة الإلهية، وناضل في الإيمان بكتاباته . وكتب أيضا مؤلفا ضد مركيون ذكر فيه أن هذا الأخير كان حيا وقت أن كتب مؤلفه .

(٩) وفيه روى الآتى :

«وهناك شخص يدعى مركيون البنطى [٧] لا يزال إلى الآن يعلم أتباعه أن هنالك إلها آخر أعظم من الخالق . وبمساعدة الشياطين أقنع الكثيرين من كل جنس البشر لينطقوا بالتجديف، وينكروا أن خالق هذا الكون هو أب المسيح، ويعترفوا أن هنالك آخر أعظم منه وهو الخالق . وكل الذين تبعوهم يدعون مسيحين كما قلنا، كما يدعى اسم الفلسفة على الفلاسفة ولو لم تكن لديهم تعاليم مشتركة» .

(٥) المجهول هو الاب نفسه .

(٦) أو مركيانوس حسب تاريخ الكنيسة القبطية .

(٧) كانت بنطس ولاية في شمال آسيا الصغرى متاخمة للبحر الأسود .

(١٠) ويضيف إلى هذا ما يأتي:

«وقد كتبنا أيضا مؤلفا ضد كل الهرطقات التي وجدت، ونحن مستعدون أن نقدمه إليك إن أردت الإطلاع عليه».

(١١) وقد نجح جدا يوستينوس هذا في نضاله ضد اليونانيين، ووجه أحاديث متضمنة احتجاجا ودفاعا عن إيماننا إلى الامبراطور أنطونيوس الملقب بيوس، وإلى مجلس الأعيان الروماني، لأنه كان يعيش في روما. وفي دفاعه بين في الكلمات التالية شخصيته ومن أين كان:

الفصل الثاني عشر

دفاع يوستينوس الموجه إلى أنطونيوس

(١) «إلى الامبراطور تيطس أليوس أدريان أنطونينوس بيوس قيصر أوغسطس، وإلى فيريسييموس^[١] ابنه الفيلسوف، وإلى لوسيوس الفيلسوف ابن قيصر بالولادة وابن بيوس بالتبني، محب الاطلاع، وإلى مجلس الأعيان المقدس، وإلى كل الشعب الروماني».

«أنا يوستينوس ابن بريسكوس وحفيد باكيوس الذي من فلافيا نيابوليس في فلسطين سوريا، أوجه هذا الخطاب والالتماس نيابة عن المبغضين والمضطهدين ظلما في كل أمة، وأنا واحد منهم».

«وإذ علم نفس الامبراطور من بعض الاخوة والآخرين في اسيا عن الالام المتنوعة التي كانوا يكابدونها من سكان الاقليم، رآه مناسبا أن يوجه الأمر التالي إلى الجمعية العامة في اسيا».

(١) أي مرقس أوريليوس الذي كان اسمه الأصلي مرقس انيوس فيروس، ولكن بعد أن تبناه الامبراطور أنطونينوس بيوس سمي مرقس اليوس أوريليوس فيروس قيصر. وقد دعى فيريسييموس دلالة على اخلاصه وأمانته.

الفصل الثالث عشر

رسالة أنطونيوس إلى الجمعية العامة في آسيا بصدد تعاليمنا [١]

(١) «الامبراطور قيصر مرقس أوريليوس أنطونينوس أوغسطس، أرمينيكوس بونتيكس مكسيموس، المحامي عن حقوق عامة الشعب للمرة الخامسة عشر، والوالى للمرة الثالثة، إلى الجمعية العامة في آسيا، سلام».

(٢) «وأنا أعلم أيضا أن الآلهة تحرص على أن لا يفلت أشخاص كهؤلاء من المراقبة. لأنها تعاقب بالأحرى من يرفضون عبادتها أكثر مما تفكرون».

(٣) «ولكنكم تدفعونهم إلى القوضى والأضطرات، وبينما تتهمونهم بالكفر فأنكم إنما تثبتونهم في معتقداتهم. والواقع أنه أحب اليهم عندما يتهمون أن يظهروا بأنهم يفضلون الموت من أجل الهم عن أن يعيشوا. لذلك يخرجون ظافرين متصرين عندما يضحون بحياتهم بدلا من الخضوع لأوامركم».

(٤) «أما عن الزلازل التى حدثت ولا تزال تحدث [٢] فلست أراه من غير المناسب أن أقدم لكم النصيحة أنتم الذين تخور عزائمكم كلما حدثت، وقد تعودتم بالرغم من هذا أن تقارنوا تصرفاتكم بتصرفاتهم».

(٥) «والواقع أنهم يزدادون ثقة في الله. أما أنتم ففي كل الوقت تتجاهلون - تجاهلا ظاهرا - الإلهة الأخرى وعبادة الإله الأبدى، وتضايقون وتضطهدون حتى الموت المسيحيين الذين يعبدونه».

(٦) «أما عن هؤلاء الأشخاص فقد كتب الكثيرون من حكام الولايات أيضا إلى أبينا الكلى الاحترام الذى رد عليهم بأن لا يزعجوا هذا الشعب إلا إذا ظهر بأنهم يدبرون شيئا ضد مصلحة الحكومة».

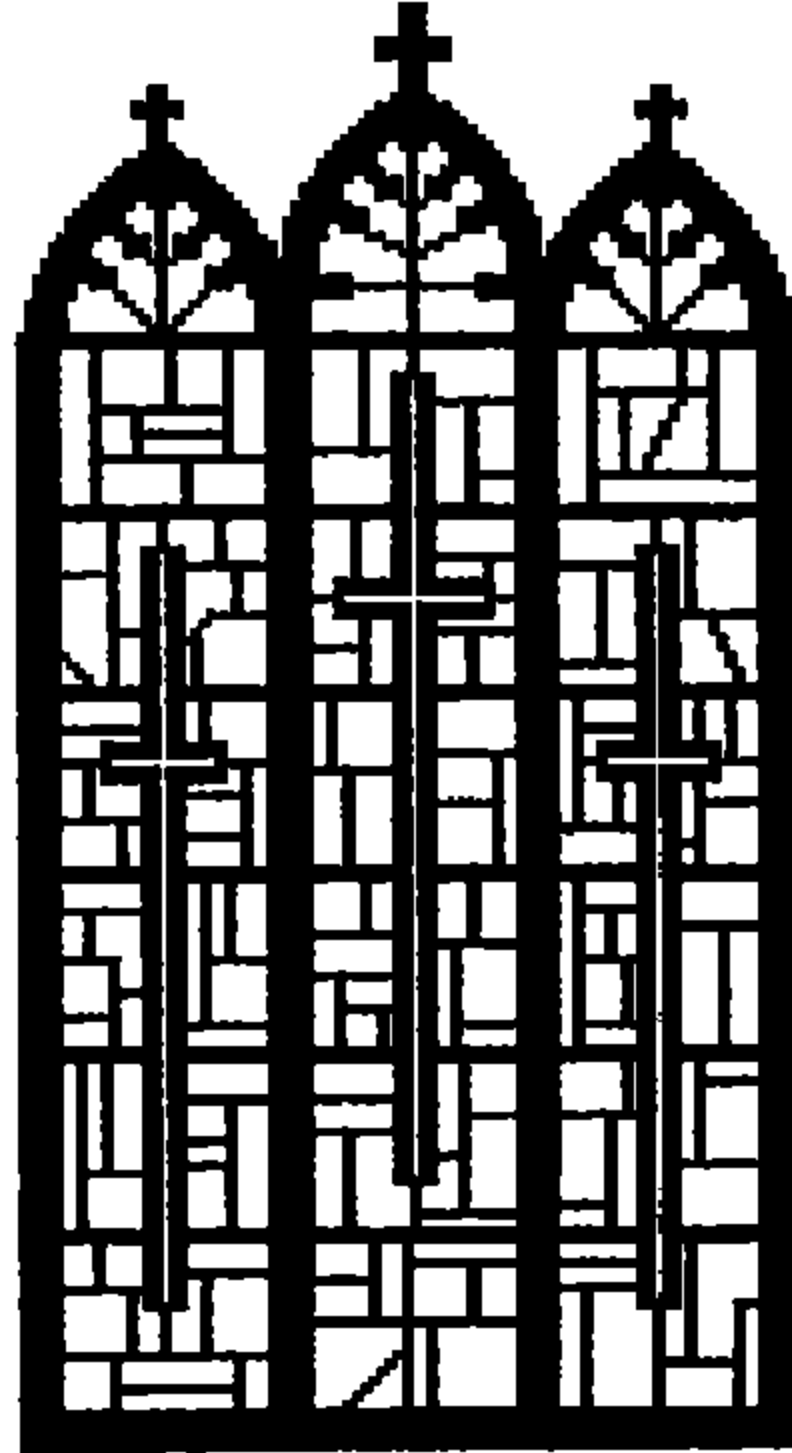
(١) يقال أن هذه الرسالة مزيفة لأنها تناقض كل ما نعرفه عن علاقة المسيحية بالدولة في ذلك العصر.

(٢) حدثت عدة زلازل في اسيا الصغرى وفي رودس أثناء حكم أنطونينوس ييوس وكانت تتخذ ذريعة لتكيل بالمسيحيين الذين كانوا يعتبرون مسئولين عنها وعن غيرها من المصائب الأخرى.

الرومانية [٣] وأنا شخصيا قد وصلتني رسائل من الكثيرين عن هؤلاء الناس، ورددت عليها بنفس الطريقة التي رد بها أبى .

(٧) «أما أن أصر على تقديم أية تهمة ضد أى واحد من هذا الشعب مثل هذه التهم وجب أن يبدأ المتهم من التهمة حتى أن اتضح أنه واحد منهم . أما مقدم الاتهام فيجب أن يعاقب، نشر هذا الأمر فى أفسس فى الجمعية العامة بأسيا» .

(٨) ويشهد لهذه الأمور ميليتو [٤] أسقف كنيسة ساردس، وهو رجل اشتهر فى ذلك الوقت، كما يتضح من كلماته فى الاحتجاج الذى وجهه إلى الامبراطور فيروس دفاعا عن تعاليمنا .



(٣) فمن هذه الردود ذلك الأمر الذى أصدره أدريان . انظر ف ٩ .

(٤) بخصوص ميليتو وكتاباتة انظر ف ٢٦ .

الفصل الرابع عشر

الظروف التي رُوِيَتْ عن بوليكاربوس صديق الرسل

- (١) وفي ذلك الوقت، إذ كان أنيسيتوس [١] يرأس كنيسة روما، يروى إيريناوس أن بوليكاربوس، الذي كان لا يزال عائشا، كان في روما، وأنه تباحث مع أنيسيتوس عن موضوع يتصل بيوم عيد الفصح [٢].
- (٢) وقد قدم نفس الكاتب رواية أخرى عن بوليكاربوس، أراه من الضروري أن أضيفها لتلك الرواية السابق تدوينها عنه. أما هذه الرواية فمقتبسة من الكتاب الثالث من مؤلف إيريناوس «ضد الهرطقات» وهي كما يلي:
- (٣) «أما بوليكاربوس فإنه لم يتلق تعليمه من الرسل فقط ويتعرف على الكثيرين ممن زاروا المسيح، بل أن الرسل أيضا أقاموه في آسيا أسقفا على كنيسة أزمير [٣].
- (٤) «ونحن أيضا رأيناه في فجر شبابنا، لأنه عمر طويلا، ومات في شيخوخة متقدمة جدا ميتة استشهاد مجيد، [٤] بعد أن نادى بصفة مستمرة بما تعلمه من الرسل من التعاليم التي سلمتها إلينا أيضا الكنيسة، والحقيقة دون سواها.
- (٥) «يشهد لهذه الأمور كل كنائس آسيا، ويشهد أيضا أولئك الذين إلى عصرنا هذا خلفوا بوليكاربوس الذي كان شاهدا للحق أكثر أمانة واخلاصا من فالتينوس ومركيون وسائر الهرطقة. وهو أيضا كان في روما في عصر انيسيتوس، وحول كثيرين عن المضلين السابق ذكرهم إلى كنيسة الله، معلنا أنه تسلم من الرسل هذه الطريقة الواحدة الوحيدة للحق الذي سلمته الكنيسة.

-
- (١) بخصوص انيسيتوس انظر ف ١١ وقد ظل أسقفا من سنة ١٥٤ إلى سنة ١٦٥ م على الأرجح.
 - (٢) بخصوص المنازعات في الكنيسة الأولى عن عيد الفصح انظر ك ٥ : ٢٣ ومع أن بوليكاربوس وانيسيتوس لم يصلا إلى اتفاق في هذا الموضوع كما يتضح من ك ٥ ف ٢٤ إلا أنهما ظلا صديقين.
 - (٣) في آسيا الصغرى. وهي إحدى السبع كنائس المذكورة في سفر الرؤيا (١ : ١١ ، ٢ : ٨ - ١١).
 - (٤) بخصوص سنة وتاريخ موته انظر الفصل التالي. وقد ورد وصف كامل عن استشهاد في الرسالة إلى كنيسة أزمير، الوارد ذكرها في الفصل التالي أيضا.

(٦) «وهناك من سمعوا منه أن يوحنا تلميذ الرب، إذ أراد الاستحمام في أفسس، ورأى كيرثوس داخل الحمام، غادره في الحال دون أن يستحم صارخا: لنهرب لئلا يسقط الحمام لأن كيرثوس عدو الحق بداخله» [٥]

(٧) «وبوليكاربوس نفسه إذ رآه مرة مركيون وقال له: أتعرفنا، أجاب أنا أعرف أول مواليد الشيطان. هكذا كان حرص الرسل وتلاميذهم، حتى أنهم كانوا يرفضون مجرد الحديث مع من يقبلون الحق، كما قال بولس أيضا: [٦] الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرتين أعرض عنه. علما أن مثل هذا قد أنحرف وهو يخطيء محكوما عليه من نفسه.

(٨) «هناك أيضا رسالة قوية جدا لبوليكاربوس كتبت إلى أهل فيلبى [٧] يستطيع كل من أراد، وكل من يعنى بأمر خلاص نفسه، أن يتعلم منها طريقة إيمانه والكراسة بالحق».

(٩) هذه هي رواية إيريناوس. على أن بوليكاربوس في رسالته إلى أهل فيلبى السابق ذكرها، والتي لا تزال موجودة، قد استقى بعض الشهادات من رسالة بطرس الأولى.

(١٠) وعندما أكمل أنطونيوس المدعو بيوس السنة الثانية والعشرين من حكمه [٨] خلفه ابنه

مرقس أوريليوس فيروس، الذي كان يدعى أيضا أنطونيوس، مع أخيه لوسيوس [٩]



(٥) انظر ك ٣ ف ٢٨.

(٦) (تى ٣ : ١٠ و ١١).

(٧) لا تزال موجودة وهي الوحيدة الباقية من كتابات بوليكاربوس.

(٨) حكم من ٣ يولية سنة ١٣٨ إلى ٧ مارس سنة ١٦١ م.

(٩) تبنى كلاهما أنطونيوس بيوس.

الفصل الخامس عشر

استشهاد بوليكاربوس وآخرين في أزمير في عهد فيروس^[١]

(١) وفي ذلك الوقت، عندما حلت بآسيا أعنف اضطهادات، أنهى بوليكاربوس حياته بالاستشهاد. وأنى أراه ضروريا جدا أن ندون هنا قليلا عن موته الذى لا تزال بعض الكتابات عنه باقية إلى الآن.

(٢) هنالك رسالة كتبت باسم الكنيسة التى ترأسها هو نفسه^[٢] إلى أبروشيات بنطس، سردت الحوادث التى حلت به فى الكلمات التالية:

(٣) «كنيسة الله القائمة فى أزمير إلى كنيسة الله القائمة فى فيلوميليوم^[٣] وجميع أبروشيات الكنيسة الجامعة المقدسة فى كل مكان. لتكثر لكم الرحمة والسلام والمحبة من الله الأب وربنا يسوع المسيح. نكتب إليكم أيها الأخوة وصف ما حدث لمن استشهدوا، وللمغبوط بوليكاربوس الذى وضع حدا للاضطهاد إذ ختمه باستشهاده».

(٤) وبعد هذه الكلمات، وقبل التحدث عن بوليكاربوس، دونوا الحوادث التى حدثت مع باقى الشهداء، ووصفوا الثبات العظيم الذى أظهره وسط آلامهم. لأنه يقال ان الواقفين ذهلوا إذ رأوهم يمزقون بالسياط التى وصلت إلى العروق والشرابين، حتى انكشفت أجزاء الجسم الداخلية، أحشاؤهم وأعضاؤهم. وبعد ذلك وضعوا على أصداف البحر وأسياخ مدبية، وتعرضوا لكل أنواع القصاص والتعذيب، وأخيرا ألقوا كطعام إلى الوحوش.

(٥) ودونوا أيضا أن جرمانيكوس، الرجل الفاضل الوقور، وكان ذا شخصية ممتازة، تغلب بنعمة الله على مخاوف الموت الجسدى المتأصلة بالطبيعة. وعندما أراد الوالى اقناعه بأن يشفق على شبابه، إذ كان حديث السن وقوى البنية، لم يتزعزع، بل جذب الوحش إليه وأهاجه وأغاظه لكى يهجم عليه، حتى يتخلص بأسرع ما يمكن من حياتهم الدنسة الفاسدة.

(١) أى مرقس أوريليوس فيروس.

(٢) أى كنيسة أزمير.

(٣) كانت مدينة هامة فى فريجية قرية من أنطاكية بيسيدية.

(٦) وبعد موته المجيد تعجبت الجماهير من شجاعة الشهيد محبوب الله، ومن بسالة وثبات كل جماعة المسيحيين وبدأوا يصرخون فجأة:

«أبعدوا الكفرة . وليبحث عن بوليكاربوس» .

(٧) وعندما حدث شغب عظيم بسبب هذا الصراخ، ورأى الوحوش والتعذيب المتزايد رجل فريجي يدعى كيتوس أتى حديثاً من فريجية، ملأ الجبن قلبه وعدل عن أن ينال الخلاص .

(٨) على أن الرسالة السابق ذكرها تبين بأنه تسرع بدون روية، واندفع مع غيره إلى كرسى القضاء . ولكن عندما ألقى القبض عليه قدم دليلاً واضحاً أمام الجميع بأنه ليس من الحكمة أن يعرض هؤلاء الناس أنفسهم للخطر بهذا التسرع . وهكذا كانت نتيجة هذه الأمور بالنسبة إليهم .

(٩) أما بوليكاربوس العجيب جداً فإنه عندما سمع أولاً بهذه الأمور ظل ثابتاً لا يتزعزع، وبقي عقله هادئاً، وعزم على الاستمرار في المدينة . ولكن إذ أقنعه أصدقاؤه ونصحوه وتوسلوا إليه أن يعتزل سرا خرج إلى مزرعة لا تبعد كثيراً عن المدينة، ولبث هناك مع قليل من رفاقه، لا يفعل شيئاً سوى أن يصارع ليلاً ونهاراً مع الرب بالصلاة، متوسلاً ومتضرعاً وطالبا السلام للكنائس في كل العالم . لأن هذه كانت عادته دوماً .

(١٠) وقبل القاء القبض عليه بثلاثة أيام، إذ كان يصلى، رأى في رؤيا ليلاً أن الوسادة التي تحت رأسه تحترق فجأة، ثم التهمت النيران . وإذا استيقظ فسر الرؤيا في الحال للحاضرين، وأنبأهم بما كان مزمعاً أن يحصل، وصرح بكل وضوح لمن كانوا معه بأنه من الضروري له أن يموت بالنار من أجل المسيح .

(١١) وإذا كان الذين يجدون في البحث عنه يشتدون في التفتيش، اضطرت ثانية، تحت ضغط ورجاء الأخوة، للذهاب إلى مزرعة أخرى، فذهب إليها مطارده بعد وقت قصير، وألقوا القبض على اثنين من الخدم هناك، وعذبوا أحدهما، بقصد أن يعرفوا منه المكان الذي أختبأ فيه بوليكاربوس .

(١٢) وإذا أتوا في المساء وجدوه مضطجعا في عليته، بينما كان ممكناً له الذهاب معها إلى منزل آخر، ولكنه رفض قائلاً «لكن مشيئة الله» .

(١٣) وتقول الرواية أنه إذ علم بوجودهم نزل إليهم وتكلم معهم بوجه باش رقيق، حتى أن الذين لم يكونوا يعرفونه من قبل ظنوا أنهم قد شاهدوا معجزة لما لا حظوا تقدمه في السن ومقدار ثباته العجيب، وتعجبوا من بذل مجهود عنيف كهذا لالقاء القبض على شخص كهذا .

(١٤) أما هو فلم يتزعزع، بل أمر في الحال أن تمد لهم مائدة، ثم دعاهم للتناول من طعام فاخر، وطلب منهم ساعة واحدة حتى يصلى بلا انزعاج. ولما أذنوا له وقف وصلى ممتلئاً من نعمة الرب، حتى ذهل الحاضرون الذين سمعوه يصلى، وأسف الكثيرون منهم على أن شيخاً وقوراً وصالحاً كهذا يحكم عليه بالموت.

(١٥) وعلاوة على هذه الأمور تقدم لنا الرواية المتعلقة به الوصف التالى:

«ولكنه إذ انتهى أخيراً من صلاته، بعد أن ذكر من سبق أن اتصل به، صغيراً كان أم عظيماً جليلاً، ذائع الصيت أم خاملاً، ويعد أن ذكر الكنيسة الجامعة في كل العالم، وإذ كانت ساعة الرحيل قد دنت، وضعوه على حمار، وأتوا به إلى المدينة، وكان فى ذلك اليوم سبت عظيم» [٤] فقابلته هيرودس، ضابط البوليس، وأبوه نيسيتس الذى أخذه إلى عربتهما، وإذ جلس بجانبه حاول اقناعه قائلاً: أى ضرر أن قلت الرب قيصر، وقدمت له الذبائح، ونجيت نفسك؟

(١٦) وفى بادئ الأمر لم يجب، ولكنهما لما أصرا قال: أننى لن أفعل ما أشرتما به. ولما فشلا فى اقناعه نطقاً بكلمات مروعة، ودفعاه إلى أسفل بشدة، حتى أنه لما نزل من العربة تسلخت قصبة رجله. ودون أن يبدى أية حركة سار فى طريقه كأنما لم يحدث له شيء، فأخذ إلى مسرح الوحوش الضارية.

(١٧) «على أنه كانت فى المسرح ضوضاء بحيث لم يسمع إلا القليلون صوتاً من السماء أتى إلى بوليكاربوس أثناء دخوله المكان قائلاً: تقوى بوليكاربوس وكن رجلاً. على أنه لم ير أحد المتكلم، ولكن سمع الصوت الكثيرون من شعبنا.

(١٨) «وعندما اقتيد إلى الأمام حدثت ضوضاء شديدة إذ سمعوا أن بوليكاربوس قد أخذ. وأخيراً، عندما صعد، سأل الوالى عما إذا كان هو بوليكاربوس، وعندما اعترف بأنه هو، حاول اقناعه على أن ينكر قائلاً: «احترم شيخوختك»، وأقوالاً أخرى اعتادوا قولها:

(١٩) «احلف بذكاء قيصر، تب وقل ابعدوا أيها الكفرة. أما بوليكاربوس فتطلع بوجه مشرق إلى كل الجماهير المجتمعين بالمسرح، ولوح لهم بيديه، وأن، رفع عينيه إلى السماء وقال: ابعدوا أيها الكفرة.

(٤) أى السبت المتوسط بين الجمعة العظيمة وعيد القيامة.

(٢٠) «ولكن لما شدد عليه القاضى وقال: «احلف فأطلق سراحك، اشتم المسيح قال بوليكاربوس «سنة وثمانين سنة خدمته ولم يفعل لى ضررا، فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى».

(٢١) «ولكنه لما أصر ثانياه وقال: «احلف بذكاء قيصر»، أجاب بوليكاربوس: «أن كنت تتوهم أننى سأحلف بذكاء قيصر كما تقول متظاهرا بأنك تجهل من أنا فاسمع بكل بوضوح: أننى مسيحي. أما أن كنت تريد تعلم تعاليم المسيحية فحدد يوما واسمع».

(٢٢) «فأجاب الوالى: «اقنع الشعب». أما بوليكاربوس فقال: «من جهتك أنت قد حسبتك خليقا بأن أقدم لك ايضاحا، لأننا تعلمنا أن نقدم الأكرام الواجب للرؤساء والسلطين المرتبة من الله. طالما كان ذلك لا يسبب لنا ضررا. أما من جهة هؤلاء فلست أحسبهم خليقين بتقديم دفاعى إليهم».

(٢٣) «ولكن الوالى قال: «لدى وحوش مفترسة، ولا بد من طرحك إليها أن لم تتب». أما هو فقال: «أنت بها، لأن التوبة والتغيير من أحسن لأردأ أمر لا نستطيع أن نأثيه. ولكنه أمر نبيل الرجوع من الشر إلى البر».

(٢٤) «ولكنه قال له ثانية: «أن كنت تستخف بالوحوش فسأجعل النيران تلتهمك إلا أن تبت». فقال بوليكاربوس: «أنك تهددنى بالنار التى تشتعل ساعة وبعد قليل تنطفىء، لأنك لا تعرف نار الدينونة العتيدة والقصاص الأبدى المحفوظ للأشرار. ولكن لماذا تتباطأ، افعل ما بدا لك».

(٢٥) «وإذ قال هذا وكلمات أخرى مماثلة امتلأ شجاعة وفرحا، وطفحت النعمة على وجهه، حتى أنه لم يقف عند حد عدم الخوف من الكلمات التى قيلت له، بل بالعكس ذهل الوالى وبعث برسوله ليذيع ثلاث مرات وسط المسرح: «لقد اعترف بوليكاربوس أنه مسيحي».

(٢٦) «وعندما أذاع الرسول هذا صرخ كل الجمهور، يهودا وأمين، الساكنين فى أزمير، بغضب لا حد له وبصوت مرتفع: «هذا معلم أسيا، أب المسيحيين، هادم ألهتنا، الذى يعلم الكثيرين بعدم تقديم الذبائح لها وعدم عبادتها».

(٢٧) «ولما قالوا هذا صرخوا وطلبوا من فيلبس الأسوي[٥] أن يطلق أسدا على بوليكاربوس. أما هو فقال أنه لا يحل له ذلك لأنه أغلق أبواب الملاعب. وعندئذ وجدوا أنه من المناسب أن يصرخوا بنفس واحدة بحرق بوليكاربوس حيا».

(٢٨) «لأنه كان ضروريا أن تتم الرؤيا التى رآها عن وصادته، حينما رآها تشتعل وهو يصلى والتفت وقال بروح النبوة للمؤمنين الذين كانوا معه . لابد أننى سأحرق حيا .

(٢٩) «هذه الأمور بمتهى السرعة - أسرع مما قيلت - وللحال شرعت الجماهير فى جمع أخشاب وخطب من المصانع والحمامات، وكان اليهود أشد غيرة وحماسة فى هذا أمر كعادتهم .

(٣٠) «وعندما أعدت الكومة خلع ثيابه الخارجية وحل منطقته وحاول أيضا خلع حذائه، مع أنه لم يفعل هذا من قبل أبدا بسبب تنافس المؤمنين دواما لكى يلمس كل منهم جسده أولا . فقد كان يعامل بكل اكرام واحترام بسبب حياته الفاضلة حتى قبل أن يشيب شعره .

(٣١) «ومن ثم وضعت حوله المواد المعدة للكومة، ولما أرادوا تسميره على القائمة قال: اتركونى كما أنا لأن الذى منحنى القوة لتحمل النار لابد أن يمنحنى أيضا القوة للثبات فى النار غير مترعزع دون أية حاجة لتسميرى . وهكذا لم يسمروه بل أوثقوه .

(٣٢) «أما هو فإذ أوثق ويده خلفه كخروف كريم أخذ من قطع عظيم، ذبيحة مقبولة لله القادر على كل شىء، قال:

(٣٣) «يا أبا ابنك الحبيب المبارك يسوع المسيح، الذى منه قبلنا معرفتك، إله الملائكة والقوات وكل الخليقة وكل جماعة الأبرار الذين يعيشون فى حضرتك، أننى أباركك لأنك حسبتنى أهلا لهذا اليوم وهذه الساعة لكى أنال نصيبا مع الشهداء، فى كأس المسيح لقيامه الحياة الأبدية للنفس والجسد فى خلود الروح القدس .

(٣٤) «ليتنى أقبل أمامك اليوم بين هؤلاء، فى ذبيحة غنية مقبولة، كما سبقت فأعددت أنت وأعلنت وأكملت أيها الاله الحق الأمين .

(٣٥) «لذلك أسبحك أيضا من أجل كل شىء، أباركك، أمجدك برئيس الكهنة الأزلى يسوع المسيح ابنك الحبيب، الذى يليق لك به ومعه فى الروح القدس المجد الآن وإلى كل الدهور آمين .

(٣٦) «ولما قال آمين، واكمل صلاته، أشعل النار الرجل المختص، فاشتعلت لهب شديدة، ونحن الذين سمع لنا بمشاهدة الموقف رأينا عجبا، وقد أبقينا إلى الآن لكى نروى للآخرين ما حدث .

(٣٧) «لأن النيران عملت شكل قبو كشرع مركب امتلا ريحا، وصنعت سورا جول جسد الشهيد، فكان فى الوسط لا كجسد يحتقر بل كذهب وفضة يحمضان فى بوتقة - ولاحظنا رائحة عطرية كرائحة البخور أو رائحة عطور زكية أخرى .

(٣٨) «وأخيرا عندما رأى الأشرار أن الجسد لم تلتهمه النار أمروا الشخص المكلف بعملية الحرق أن يقترب منه ويطعنه بالسيف».

(٣٩) «وإذ فعل هذا خرجت كمية من الدم أطفأت النار حتى ذهل كل الجمع أن يكون هنالك مثل هذا الفارق العظيم بين غير المؤمنين وبين المختارين الذين كان هذا الشخص واحدا منهم، وهو أعجب معلم في عصرنا، هو الرسول النبوي، الذي كان أسقفا للكنيسة الجامعة في أرمير. لأن كل كلمة خرجت من فمه تمت وسوف تتم».

(٤٠) «ولكن الحسود الشرير، خصم جماعة الأبرار، لما رأى عظمة استشهاده وحياته الخالية من كل لوم منذ البداية، ولما رآه متوجا بأكاليل عدم الفناء، ومختطفا لنفسه جائزة مقررة حرص على أن لا نتزع جسده رغم أن الكثيرين منا كانوا يتمنون ذلك، وكانوا يريدون أن تكون لهم شركة بجسده الطاهر».

(٤١) وبناء على هذا اقترح البعض سرا على نيسيتس، أب هيرودس وأخ السى، لكى يرجو القاضى أن لا يسلم جسده لئلا يتركوا المصلوب ويعبدوا هذا الرجل. هذا ما قالوه بايعاز اليهود الذين كانوا يرقبوننا ونحن على وشك اختطاف جسده من النار، غير عالمين أننا نترك المسيح الذى تألم من أجل خلاص كل العالم، ولن نعبد آخر».

(٤٢) «لأننا نعبد ذاك الذى هو ابن الله، أما الشهداء كتلاميذ الرب ومقتفى آثاره، فإننا نحبههم لأنهم خلقون بهذا بسبب محبتهم المنقطعة النظير للمكهم ومعلمهم. فليتنا نحن أيضا نصبح شركاءهم وزملاءهم فى التلمذة».

(٤٣) «ولما رأى قائد المائة منازعة اليهود أقامه فى الوسط وأحرقه كعادتهم. ومن ثم جمعنا فيما بعد عظامه التى كانت أئمن من الحجارة الكريمة، وأغلى من الذهب، ووضعناها فى مكان مناسب».

(٤٤) «هناك نرجو أن يسمح لنا الرب بأن نجتمع معا على قدر إمكاننا فى غبطة وانشراح لنحتفل بذكرى استشهاده^[٦] أحياء لذكرى من سبقوا أن جاهدوا، وتدريرا واعدادا لمن سوف يتمثلون بهم».

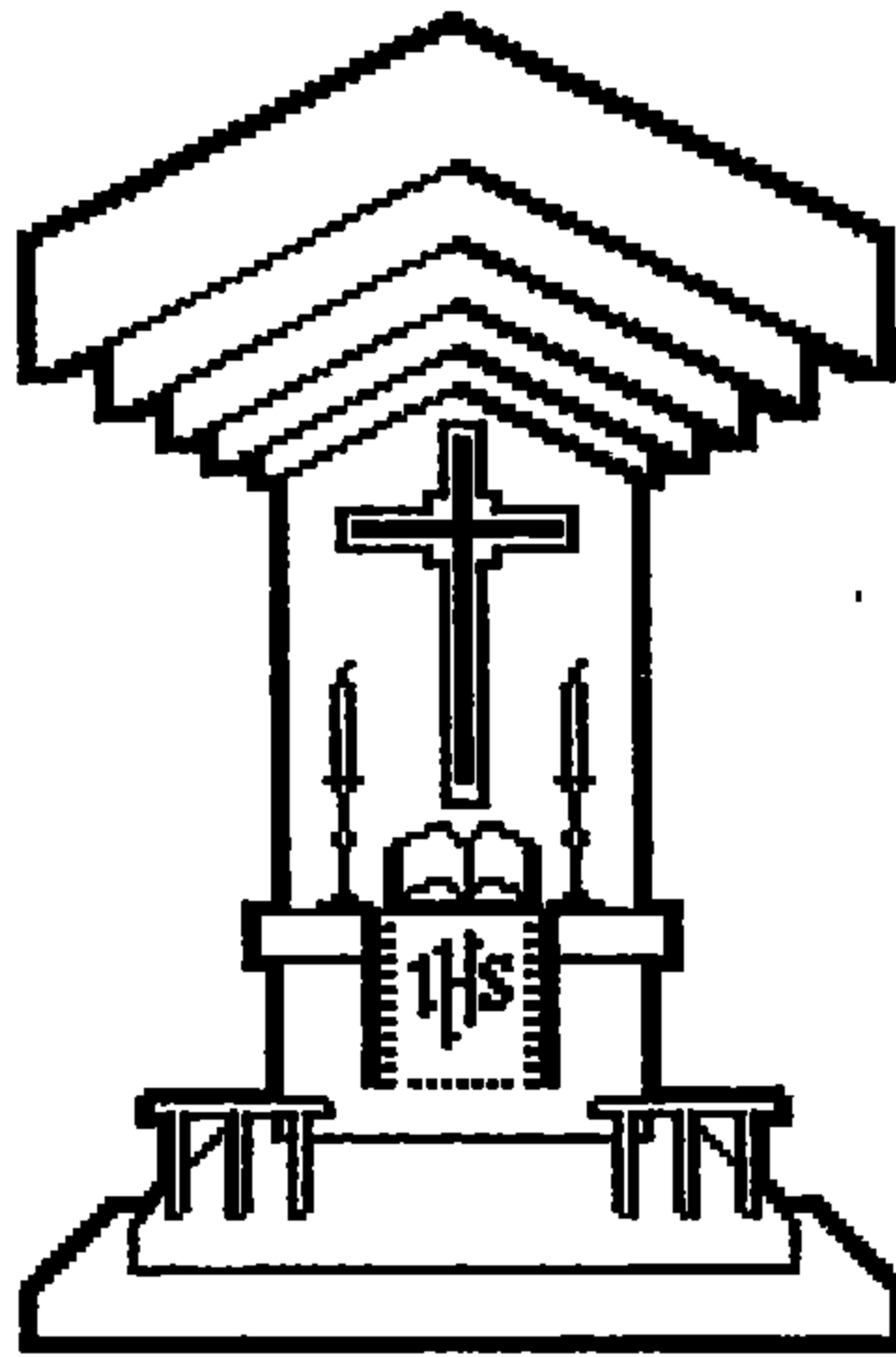
(٤٥) «هذه هى الحوادث التى حلت بالمغبوط بوليكاربوس الذى استشهد فى أرمير فى الأحد عشر الذين من فيلادلفيا. ويذكر الجميع هذا الرجل أكثر من الباقين، حتى أن الوثنيين أنفسهم يتحدثون عنه فى كل مكان».

(٦) قال ناشر الترجمة الانكليزية: «هذه أقدم اشارة عن الاحتفال بذكرى استشهاده الشهداء، الأمر الذى اتبع فى الكنيسة فيما بعد. وهذا أمر طبيعى، ولم يكن مستغربا فى تلك العصور السحيقة».

(٤٦) هكذا حسب بوليكاربوس، العجيب، الرسول، مستحقا لنهاية كهذه، كما دونه الأخوة في كنيسة أزمير برسالتهم السابق ذكرها. وفي نفس المجلد الخاص به أضيفت استشهادات أخرى تمت في نفس المدينة، أزمير، في نفس وقت استشهاد بوليكاربوس. بينهم متروودورس، الذي يبدو أنه ارتد عن الشيعة المريونية واعتنق المسيحية، وقد مات محترقا بالنار.

(٤٧) ومن اشتهر بين الشهداء في تلك الأوقات شخص يدعى بيونيوس. ومن يريدون معرفة اعترافاته المتعددة، وجراته في الكلام، واحتجاجاته دفاعا عن الايمان أمام الشعب والحكام، وخطاباته المليئة بالتعليم، وفضلا عن ذلك تحياته لمن استسلموا للتجربة أثناء الاضطهاد، وكلمات التشجيع التي وجهها إلى الأخوة الذين أتوا لزيارته في السجن، والتعذيب الذي تحمله بالاضافة إلى الآلام والتسمير وثباته وهو على الكومة، وموته بعد كل المحن الشاذة - هؤلاء نحيلهم على تلك الرسالة التي كتبت عن استشهاد الأقدمين، والتي جمعناها، متضمنة وصفا كاملا عنه.

(٤٨) وهناك أيضا سجلات، لا تزال باقية، عن آخرين استشهدوا في برغامس، وهي إحدى مدن آسيا، عن كاريس وباييلس وامرأة تدعى أغاثونيس، هؤلاء الذين ختموا حياتهم بكيفية مجيدة بعد تقديم شهادات رائعة كثيرة.



الفصل السادس عشر

كرازة يوستينوس الفيلسوف بكلمة المسيح فى روما ، واستشهاده

- (١) ونحو هذا الوقت [١] كلل بالاستشهاد الإلهى يوستينوس السابق ذكره أعلاه [٢] بعد أن وجه كتابا ثانيا، دفاعا عن تعاليمنا . إلى الحاكمين السابق ذكرهما . وقد استشهد نتيجة لمؤامرة دبرها ضده كريسكينس الفيلسوف الذى اقتدى بحياة وعادات الكلبيين [٣] الذين حمل اسمهم . وبعد أن دحره يوستينوس مرارا فى مناقشات عامة نال اكليل الظفر باستشهاده، مائتا دفاعا عن الحق الذى كرر به .
- (٢) وإذ كان مثقفا جدا فى الحق فقد تنبأ بوضوح ، فى دفاعه السابق الإشارة إليه ، كيف كان هذا مزمعا أن يحل به ، وذلك قبل حدوثه . وهاك كلماته : [٤]
- (٣) «لذلك فلئننى أيضا أتوقع أن تدبر ضدى المؤامرات وأوضع فى المقطرة [٥] على يدى أحد الذين ذكرتهم، أو ربما على يدى كريسكينس ، ذلك الرجل الجاهل الأحمق الغر . لأنه لا يستحق أن يدعى فيلسوفا من يشهد علنا ضد من لا يعرف عنهم شيئا ، مصرحا بأن المسيحيين كفرة أشرارا ، وذلك لمجرد تملق الجماهير وأرضائهم . وبهذا أخطأ خطأ فاحشا .
- (٤) «لأنه إن هاجمنا دون قراءة تعاليم المسيح برهن على سفالة أخلاقه ، وعلى أنه أجهل من غير المتعلمين ، الذين كثيرا ما يتاحشون أن يناقشوا أمورا لا يعرفون عنها شيئا ، أو يشهدوا عنها شهادات كاذبة . أما إن كان قد قرأها ولم يدرك مقدار ما فيها من سمو ، أو إن أدرك وإنما فعل هذه الأمور لكى لا يتشكك الناس فيه بأنه مشايخ لنا ، صار أكثر سفالة وانحطاطا ، لاستعباده للمديح الباطل ، والخوف غير المعقول .

(٢) ف ١١ .

(١) أى ملة حكم مرقس أوريليوس ولوسيوس فيروس ١٦١ - ١٦٩ م .

(٣) Cynics وهم جماعة يتكلمون على الناس ، لا يؤمنون بصلاح البشر ، يسخرون بالعالم مثل ديوجينيس الملقب بالكلبى .

(٥) (اع ١٦ : ٢٤) .

(٤) احتجاجات يوستينوس ٢ : ٣

(٥) «لأننى أريدكما أن تعلمنا بأننى عندما اقترحت أسئلة معينة، ووجهتها إليه، علمت وبرهنت على أنه لا يعرف شيئاً. وإن كانت أنباء هذه المناقشات لم تصل إليكما فإننى مستعد أن أبين بأننى أقول الحق، فأناقش الأسئلة ثانية فى حضوركم، وهذا أمر خلىق بالامبراطور» [٦].

(٦) «أما إذا كنتما قد عرفتما أسئلتى وأجوبته فلا بد أن يكون قد اتضح لكما أنه لا يفقه شيئاً عن شئوننا. أما أن كان يعرف ولكنه لم يتجاسر على الكلام بسبب سامعيه فقد برهن على أنه - كما قلت - ليس فيلسوفاً بل مفتخراً بما ليس عنده، لايراعى ذلك القول المأثور العجيب الذى لسقراط» [٧].
هذه هى كلمات يوستينوس:

(٧) أما أنه لقي حتفه، كما تنبأ، نتيجة لمؤامرات كريسكينس فهذا ما رواه تاتيان [٨] الذى ألقى عدة محاضرات فى أوائل أيام حياته عن علوم اليونانيين ونال شهرة عظيمة فيها، والذى ترك ذكريات كثيرة جداً عن نفسه فى كتاباته. وقد سجل هذه الحقيقة فى مؤلفه ضد اليونانيين حيث كتب ما يلى:
«وقد صرح بحق ذلك الرجل العظيم الجليل يوستينوس أن الأشخاص السابق ذكرهم كانوا كاللصوص».

(٨) وبعد ذكر بعض الملاحظات عن الفلاسفة يكمل حديثه كما يلى:

«أما كريسكينس الذى جعل وكره فى المدينة العظيمة فقد فاق الكل فى شهواته غير الطبيعية، وكان منكباً بجملته على محبة المال».

(٩) «وذاك الذى نادى باحتقار الموت كان هو نفسه فى أشد الفزع منه، حتى أنه سعى للحكم بالموت - كأمر فى غاية الشر - على يوستينوس، لأن هذا الأخير (أى يوستينوس) برهن، عند الكرازة بالحق، على أن الفلاسفة شرهين ودجالين».



(٦) أى خلىق بالامبراطور أن تعاد المناقشة فى حضوره ليتبين الحق.

(٧) هذا القول هو «يجب أن لا يكرم المرء قبل الحق» ولعله كان متداولاً كثيراً لدرجة أنه لم تكن هنالك حاجة لذكره.

(٨) بخصوص تاتيان وكتاباته انظر ف ٢٩.

الفصل السابع عشر

الشهداء الذين كرمهم يوستينوس في كتاباته

(١) ويذكر نفس الشخص - قبل نضاله - في احتجاجه الأول أشخاصا آخرين استشهدوا قبله، ويدون الحوادث التالية فيكتب هكذا:

(٢) «كانت هنالك امرأة تعيش مع زوج فاسد، وكانت هي نفسها فيما قبل تماثله في أخلاقه. ولكنها عندما وصلت إلى معرفة تعاليم المسيح استقامت أخلاقها، وحاولت اقناع زوجها أيضا لتقويم أخلاقه، مكررة التعليم، ومعلنة القصص في النار الأبدية التي سوف تحل بمن لا يعيشون باستقامة وتعقل.

(٣) «أما هو فاذ استمر في شروره أبعد عنه زوجته بسلوكه. لأنها رأت أخيرا أنه من الخطأ أن تعيش مع مستهتر منغمس في الملذات، فرغبت في أن تطلق منه.

(٤) «وعندما توسل إليها أصدقاؤها الذين نصحوها بالبقاء معه، على أساس أنه قد يوجد رجاء في اصلاح زوجها، ضغطت على نفسها وبقيت معه.

(٥) «ولكن عندما ذهب زوجها إلى الإسكندرية، ووصلت الأنباء عنه أنه يسلك أسوأ مما كان، فإنها لكي لا تعتبر شريكة في دعارته بالبقاء في علاقة زوجية معه، أعطته ما نسميه وثيقه طلاق وتركته.

(٦) «أما زوجها النبيل فبدلا من أن يفرح، كما كان منتظرا، لتركها تلك التصرفات الماجنة الخليعة التي كانت ترتكبها سابقا مع الخدم والاجرى وقت أن كانت تلتذ بالسكر وكل رذيلة، ولرغبتها في أن يقلع هو أيضا عن هذه التصرفات - قدم ضدها تهمة بأنها مسيحية، وذلك عندما تركته رغم ارادته.

(٧) «وقد التمس منك أيها الامبراطور أن يسمح لها بتسيير أمورها أولا، ثم دفاعها عن التهمة بعد ترتيب أمورها فاذنت لها بذلك.

(٨) «أما زوجها، إذ عجز عن متابعتها، فقد وجه هجماته ضد بطليموس الذي لقنها التعاليم المسيحية، والذي أوقع به القصص أوربيكيوس. ثم يتابع حديثه عنه قائلا:

(٩) «أنه اقنع قائد مائة، كان صديقا له، ليزج ببطليموس فى السجن، ويوجه إليه هذا السؤال الوحيد: هل أنت مسيحي؟ أما بطليموس، الذى كان محبا للحق، ولا يميل للخداع، فقد اعترف بأنه مسيحي، وللحال أوثقة قائد المائة وأوقع به قصاصا شديدا مدة طويلة فى السجن.

(١٠) «وأخيرا عندما جىء به أمام أوربيكيوس سئل هذا السؤال الوحيد مرة أخرى هل أنت مسيحي؟ وإذا كان يدرك البركات التى تمتع بها بسبب تعاليم المسيح اعترف بأنه تلميذ فى الفضيلة الإلهية.

(١١) «لأنه كل من ينكر أنه مسيحي، فهو يفعل ذلك أما لاحتقاره المسيحية، أو هو يتجنب الاعتراف لشعوره بأنه غير أهل لها وأنه غريب عنها. وكلا الحالين لا ينطبقان على المسيحي الحقيقى.

(١٢) «وعندما أمر أوربيكيوس بأن يؤخذ للتأديب كان هنالك شخص اسمه لوسيوس وهو مسيحي أيضا. وهذا إذ رأى أن الحكم صدر ظلما قال لأوربيكيوس: لماذا تحكم بقصاص هذا الرجل الذى ليس بزان ولا عاهر ولا قاتل ولا لص ولا محتال، ولا تثبت عليه أية جريمة على الإطلاق، ولكنه انما اعترف بأنه يحمل اسم مسيحي؟ أنك يا أوربيكيوس لا تحكم بما يرضى الامبراطور ييوس، أو ابن قيصر الفيلسوف، أو مجلس الأعيان المقدس.

(١٣) «فرد على لوسيوس بهذه الاجابة الوحيدة: يبدو لى بأنك أنت أيضا تشبهه. ولما قال لوسيوس: يقينا إننى كذلك، أمر بأن يؤخذ هو أيضا إلى التعذيب. أما هو فقد شكره لتحرره من حكم أشرار كهؤلاء، وذهابه إلى الله الاب الصالح والملك العادل. وإذا تقدم شخص ثالث آخر حكم عليه بالتعذيب.

(١٤) وإلى هذا يضيف يومستينوس بلباقة الكلمات التالية السابق اقتباسها قائلا «أنا أيضا أتوقع أن تدبر ضدى المؤامرات على يدى أحد الذين ذكرت أسماءهم» إلخ.



الفصل الثامن عشر

مؤلفات يوستينوس التي وصلت إلينا

- (١) لقد ترك لنا هذا الكاتب آثارا كثيرة عن عقل تهذب وتدريب في الالهيات المليئة بكل ما هو نافع من كل نوع . وسوف نحيل إليها محبى الاطلاع والبحث ، ذاكرين فقط ما وصل إلى علمنا منها .
- (٢) هنالك بحث له ، دفاعا عن عقيدتنا ، موجه إلى أنطونينوس المقلب بالصالح ، وإلى أبنائه ، وإلى مجلس الأعيان الرومانى . وهنالك مؤلف آخر يتضمن احتجاجه الثانى ، دفاعا عن إيماننا ، قدمه إلى خليفة الامبراطور السابق ذكره الذى حمل نفس الاسم أنطونينوس فيروس ، وهو الذى نتحدث الآن عن عصره .
- (٣) هنالك مؤلف آخر ضد اليونانيين يناقش فيه بتوسع معظم المسائل المختلفة عليها بيننا وبين فلاسفة اليونانيين ، ويبحث فيه كذلك عن طبيعة الشياطين . ولا يلزمنى أن أزيد هنا شيئا عن هذه الأمور .
- (٤) وهنالك أيضا مؤلف آخر له ضد اليونانيين وصل إلينا ، أطلق عليه اسم «التنفيذ» . وعلاوة على هذه يوجد مؤلف آخر عن «عظمة الله وسلطانه» بناء لا على كتبنا المقدسة فحسب بل أيضا على كتب اليونانيين .
- (٥) وغير هذه يوجد كتاب اسمه «المزامير» ، ويبحث آخر عن النفس ، بسط فيه عدة مسائل عن موضوعه ، وبعد ذلك بين آراء فلاسفة اليونان ، ووعده بدحضها وتقديم رأيه هو فى مؤلف آخر .
- (٦) وقد كتب أيضا محاوراة ضد اليهود نشأت بينه وبين تريفو فى مدينة أفسس ، وكان تريفو هذا من أبرز العبرانيين وقتئذ . وفيما بين كيف دفعته النعمة الإلهية إلى الإيمان ، وكيف جد فى طلب العلوم الفلسفية فيما قبل ، وكيف تحمس فى طلب الحق .
- (٧) وفى نفس الكتاب دون عن اليهود أنهم كانوا يتآمرون على تعاليم المسيح موجهة نفس الأمر إلى تريفو «إنك لم تكتف بأن لا تتوب عن شرك الذى ارتكبته ، ولكنك اخترت فى ذلك الوقت بعض أشخاص وأرسلتهم من اورشليم إلى كل الأرض ليذيعوا بأن هرطقة المسيحيين الفاسدة قد ظهرت فى

الوجود، ويتهموهم بتلك الأمور التي يلصقها بنا من يجهلوننا، وهكذا سيتم لا ظلم أنفسكم فحسب بل ظلم كل الأشخاص الآخرين».

(٨) وكتب أيضا بأنه إلى عصره أضاءت في الكنيسة مواهب النبوة. وذكر رؤيا يوحنا قائلا بكل وضوح أنها تنسب إلى الرسول. ويشير أيضا إلى بعض اعلانات نبوية، ويتهم تريفو على أساس أن اليهود اقتطعوها من الكتاب المقدس، وهناك مؤلفات أخرى كثيرة له لا تزال في أيدي الكثيرين من الأخوة.

(٩) والمعتقد أن أبحاث الرجل كانت خليقة بالدرس حتى الأقدمين، حتى إن إيريناوس يقتبس الكثير من كلماته، فمثلا في الكتاب الرابع من مؤلفه ضد الهرطقات كتب ما يلي:

«وحسنا قال يوستينوس في مؤلفه ضد مركيون أنه لا يصدق الرب نفسه أن نادى باله آخر غير الخالق».

ويقول أيضا في الكتاب الخامس من نفس المؤلف.

«حسنا قال يوستينوس أنه قبل مجيء الرب لم يجرؤ الشيطان على التجديف على الله، لأنه لم يكن يعرف إلى ذلك الوقت دينوته».

(١٠) هذا ما رأيته ضروريا أن أذكره لشحذ همة محبي الاطلاع والبحث لدراسة مؤلفاته باجتهاد. وإلى هنا يكفي ما ذكرناه عنه.

الفصل التاسع عشر

قادة كنيسة روما والإسكندرية أثناء حكم فيروس

وفي السنة الثامنة من حكم الامبراطور السابق ذكره أقيم موتير أسقفا لكنيسة روما، خلفا لانيستوس، الذي ظل في مركزه إحدى عشرة سنة. وبعد أن رأس كيلايون كنيسة الاسكندرية أربع عشرة سنة خلفه أغريينوس.

الفصل العشرون

قادة كنيسة أنطاكية

وفي ذلك الوقت أيضا اشتهر ثيوفيلس سادس أسقف على كنيسة أنطاكية من عهد الرسل . لأن كرنيليوس الذي خلف هيرودس كان الرابع ، وبعده أقيم ايروس أسقفا ، وهو الخامس في الترتيب .

الفصل الحادي والعشرون

كتاب الكنيسة الذين ازدهروا في تلك الأيام

وفي ذلك الوقت ازدهر في الكنيسة هيجيسبوس الذي عرفناه مما سبق ، وديونييسيوس أسقف كورنثوس ، وأسقف آخر هو بينيتوس أسقف كريت . وعلاوة على هؤلاء فيلبس وابوليناريوس وميليتو وموسانوس وموديستوس وأخيرا ايريناوس . وقد وصل إلينا منهم - كتابة - الإيمان المستقيم الرأي ، المسلم من التقاليد الرسولية .

الفصل الثاني والعشرون

هيجيسبوس والحوادث التي ذكرها

(١) لقد ترك لنا هيجيسبوس مجموعة كاملة من آرائه ، وذلك في كتبه الخمسة عن ذكرياته . فيها ذكر أنه في رحلة إلى روما التقى بعدد كبير من الأساقفة ، وتلقى من كل منهم نفس التعليم الذي تلقاه من الآخر . ومن المناسب أن نسمع ما يقوله بعد ابداء بعض الملاحظات عن رسالة أكليمنضس إلى كورنثوس . وهاك كلماته :

(٢) «وظلت كنيسة كورنثوس في الإيمان الحقيقي ، حتى صار بريموس أسقفا لكورنثوس . وقد تحدثت معهم في طريقى إلى روما ، ومكثت مع الكورنثيين أياما كثيرة فلنا أثناءها انتعاشا متبادلا في التعاليم الحقيقية .

(٣) . . . وعندما جئت إلى روما بقيت هناك حتى عهد أنيسيتوس الذي كان اليوثيوس شماسه . أما أنيسيتوس فقد خلفه سوتير، وهذا خلفه اليوثيوس، في كل خلافة وفي كل مدينة يؤمن الكل بما كرر به الناموس والأنبياء والرب» .

(٤) ويصف نفس الكاتب بداية الهرطقات التي نشأت في عصره في الكلمات التالية: «وبعد أن استشهد يعقوب البار كما قتل الرب من قبل، أقيم سمعان بن كلوبا عم الرب [١] ثاني أسقف . وقد رشحه الجميع لكي يقام ثاني أسقف لأنه كان ابن عم الرب» .

«ولذلك دعوا الكنيسة عذراء لأنها لا تكن بعد قد تلوثت بالمباحثات الباطلة» .

(٥) «ولكن ثيوثيس بدأ يدنسها لأنه لم يرسم أسقفا . وهو أيضا نشأ من الشيع السبعة بين الشعب كسيمون [٢] الذي نشأ عنه السيمونيون، وكليوبيوس الذي نشأ عنه الكليوبيون، ودوسيثيوس الذي نشأ عنه الدوسيثيون، وجورثيوس الذي ينتمى إليه الجورثيون، ومسبوثيوس الذي ينتمى إليه المسبوثيون . وعهم نشأ المينانديون والمركيون والكاريوكراتيون والفالنيانيون والباسيليديون والساتورنيليون . وقد أدخل كل منهم آراءه العجيبة سرا وعلى أفراد . ومنهم خرج المسحاء الكذبة . والأنبياء الكذبة، والرسل الكذبة، والذين مزقوا وحدة الكنيسة بالتعاليم الفاسدة التي قيلت ضد الله ومسيحه» .

(٦) ويدون نفس الكاتب أيضا الهرطقات القديمة التي نشأت بين اليهود، وذلك في الكلمات

التالية:

«وعلاوة على هذا كانت هنالك بين بنى اسرائيل آراء مختلفة عن الحتان . وفيما يلي تجد أولئك الذين قاموا سبط يهوذا والمسيح: الاسينيون والجليليون والحموراينيون والمسبوثيون والسامريون والصدوقيون والفريسيون» [٣]

وكتب عن أمور أخرى كثيرة سبق أن ألمحنا إليها جزئيا، متحدثين عن التفاصيل في مكانها المناسب . واقتبس من الإنجيل إلى العبرانيين، السرياني اللغة، بعض فقرات باللغة العبرية مبينا أنه قد اهتدى إلى المسيحية من العبرانية، وذكر أمورا أخرى مقتبسة من تقليد اليهود غير المكتوب .

(٨) وقال عن «أمثال سليمان» بأنها هي الحكمة كلية الفضيلة، وشاركه في هذا إيريناوس وكل جماعة الأقدمين . وعند التحدث عن الأسفار المسماة بالأبوكريفا قال أن بعضها كتب في عصره بمعرفة بعض الهرطقة . ولكن لنتقل الآن إلى غيره .

(٢) سيمون الساحر (انظر ك ٢ ف ١٣) .

(١) انظر ك ٣ ف ١١ .

(٣) هؤلاء هم الشيع السبعة الوارد ذكرها في الفقرة السابقة .

الفصل الثالث والعشرون

ديونيسيوس أسقف كورنثوس ، والرسائل التي كتبها

- (١) وأولا يجب أن نتكلم عن ديونيسيوس الذي أقيم أسقفا لكنيسة كورنثوس والذي أغدق مجانا من أتعابه المباركة لا على شعبه فحسب بل أيضا على الذين في البلاد الأجنبية، وقدم أعظم الخدمات للجميع في الرسائل الجامعة التي كتبها إلى الكنائس .
- (٢) وبين هذه رسالة كتبها إلى اللاسيدوميين[١] تتضمن بعض التعاليم في الإيمان المستقيم (الأرثوذكسي)، ونصيحة للسلام والوحدة . ورسالة أخرى موجهة إلى الأثينيين حاثا إياهم على الإيمان والحياة الميين في الإنجيل الذي يتهمهم كاتب الرسالة بالتهاون به، كأنهم قد ارتدوا عن الإيمان منذ استشهاد قائدهم بابليوس الذي حدث أثناء الاضطهاد وقتئذ .
- (٣) ويذكر أيضا كوادراتوس ، مينا أنه أقيم أسقفا لهم بعد استشهاد بابليوس ، وشاهدا بأنهم بسبب غيرته قد اتحدوا معا وانتعش إيمانهم . ودون بأن ديونيسيوس الاريوباغي[٢] الذي تحول إلى الإيمان على يد الرسول بولس وفق ما هو مدون في سفر أعمال الرسل[٣] قد نال الأسقفية أولا في كنيسة أثينا .
- (٤) كذلك لا تزال باقية رسالة أخرى له موجهة إلى أهل نيكوميديا يهاجم فيها بدعة مركيون ويدافع عن الحق .
- (٥) وإذ كتب أيضا إلى الكنيسة التي في جورتيئا[٤] مع باقي الأبروشيات التي في كريت يمتدح فيلبس أسقفهم بسبب أعمال البطولة التي قيل بأن الكنيسة التي يرأسها قد اتمتها، ويحضرهم من ضلالات الهرطقة .
- (٦) وكتب إلى كنيسة التي في أماستريس[٥] مع باقي كنائس بنطس، مشيرا إلى باتشيليدس والبستوس بانهما حثاه على الكتابة، ويضيف لذلك تفسيرا لبعض فقرات من الأسفار الإلهية، ويذكر أسقفهم المسمى بالماس . وقدم إليهم نصائح كثيرة عن الزواج والعفة، وأمرهم بقبول الذين يرجعون بعد أي سقوط سواء في الآثم أو الهرطقة .

(١) هذا أول إشارة يذكر فيها تأسيس كنيسة في لاسيديون أي سبارطة .

(٢) انظر ك ٣ ف ٤ .

(٣) أع ١٧ : ٣٤

(٤) مدينة شهيرة في كريت كانت قديما مقرا لأسقفية . ويقول التقليد أن أول أسقف رسم عليها هو تيطس .

(٥) احلى مدن بنطس .

(٧) وذكر أيضا بين هذه رسالة أخرى موجهة إلى أهل نوسس [٦] ينصح فيها بينيتوس أسقف الأبروشية أن لا يلقي وهقا على الأخوة من جهة العفة، بل يراعى ضعف الشعب.

(٨) وإذ رد بينيتوس على هذه الرسالة أظهر إعجابه بديونييسيوس ومدحه، وبدوره نصحه لتقديم طعام أقوى في بعض الأحيان، وإطعام الشعب الذي تحت رعايته عندما يكتب ثانية بتعاليم أوفى، وذلك لكي لا يتغذوا دوما بهذه التعاليم البسيطة كاللبن، ولكن لا يشيخوا تحت هذه التعاليم المعدة للأطفال. في هذه الرسالة أيضا وضح بصورة جلية جدا استقامة (أرثوذكسية) تعاليم بينيتوس في الإيمان، وعنايته بخير من أوكلوا لرعايته، وسعة اطلاعه بالالهيات.

(٩) ولا تزال باقية أيضا رسالة أخرى كتبها ديونييسيوس إلى أهل روما وموجهة إلى سوتير الذي كان أسقفا وقتئذ. ونحن لا نفعل شيئا أفضل من أن نضيف بعض فقرات من هذه الرسالة يمتدح فيها تصرفات أهل روما التي ظلوا متمسكين بها إلى وقت الأضطهاد الذي حدث في أيامنا. وهاك كلماته:

(١٠) «لأنكم تعودتم من البداية أن تصنعوا الخير لكل الأخوة بطرق مختلفة، وترسلوا مساعدات لكنايس كثيرة في كل مدينة وهكذا إذ تسدون أعواز المحتاجين، توفرن احتياجات الأخوة الذين في المناجم بالهبات التي أرسلتموها من البداية، فانكم أيها الرومانيون تحافظون على عوائد الرومانيين الموروثة التي لم يتمسك بها أسقفكم المبارك سوتير فقط، بل أيضا أضاف إليها مقدمات للمقديسين، ومشجعا الأخوة الذين من الخارج بكلمات مباركة كأب محب لبنيه».

(١١) وفي نفس هذه الرسالة تحدث أيضا عن رسالة اكليمنضس إلى أهل كورنثوس [٧] مبينا أنه جر العادة منذ البداية أن تقرأ في الكنيسة. وإليك كلماته:

«اليوم قضينا يوم الرب المقدس، وفيه قرأنا رسالتكم. وكلما قرأناها استطعنا أن نستخلص منها بعض النصائح، وكذا من الرسالة السابقة التي كتبت إلينا على يد اكليمنضس».

(١٢) ويتحدث نفس الكاتب كما يلي عن رسائله مؤكدا بأنها قد شوهت وبترت «ولأن الإخوة أرادوا أن أكتب رسائل فقد كتبت. وقد ملأ أعوان الشيطان هذه الرسائل بالزوان، مقتطعين منها بعض أمور ومضيفين أخرى. ويا للويلات التي حفظت لهم. إذن فلا غرابة أن كان البعض قد حاولوا افساد كتابات الرب أيضا طالما كانوا قد تأمورا ضد الكتابات التي هي أقل أهمية».

وعلاوة على هذه لا تزال باقية رسالة أخرى لديونييسيوس كتبت إلى كريسوفورا، وهي أخت أمينة جدا. فيها يقدم النصائح المناسبة، كما يقدم إليها الغذاء الروحي اللائم.

هذا ما يختص بديونييسيوس.

الفصل الرابع والحشرون

ثيوفيلس أسقف أنطاكية

- (١) أما عن ثيوفيلس السابق ذكره كأسقف لكنيسة أنطاكية [١] فلا يزال باق له ثلاثة مؤلفات أولية موجهة إلى أوتوليوكوس، ومؤلف آخر عنوانه «ضد هرطقة هرموجينس»، فيه يقتبس بعض الشهادات من رؤيا يوحنا، وأخيرا بعض كتب تعليمية أخرى.
- (٢) ونظرا لأن الهرطقة كانوا وقتئذ - كما في كل وقت آخر - كالزوان، مفسدين الحصاد النقي الذي للتعاليم الرسولية، فإن رعاية الكنائس في كل مكان أسرعوا لصددهم - كوحوش مفترسة - عن حظيرة المسيح، تارة بنصح الأخوة، وتارة أخرى بالنضال ضدهم بصراحة في مناقشات شفوية وفضح ضلالهم، وكذلك بتصحيح آرائهم براهين قوية في مؤلفات مكتوبة.
- (٣) وقد ناضل ضدهم ثيوفيلس هذا مع غيره، وهذا ما يتضح من بحث جليل الشأن كتبه ضد مركيون. وقد حفظ إلى اليوم هذا المؤلف أيضا مع باقي المؤلفات السابق التحدث عنها.
- وقد خلفه في أسقفية كنيسة انطاكيا مكسيمينوس سابع أسقف من عهد الرسل.

الفصل الخامس والحشرون

فيلبس وموديستوس

أما فيلبس، الذي كان أسقفا لبروشية جورتيئا، كما يحدثنا ديونسيوس، [١] فقد كتب أيضا مؤلفا بليغا جدا ضد مركيون كما فعل ايريناوس وموديستوس. وهذا الأخير قد فضح ضلال الرجل أكثر من كل الآخرين. وهناك أشخاص آخرون كثيرون لا تزال مؤلفاتهم محتفظا بها لدى الكثيرين من الأخوة.

(١) ف ٢٠.

(١) ف ٢٣ : ٥.

الفصل السادس والعشرون

ميليتو والظروف التي دونها

(١) وفي تلك الأيام أيضا برز جدا ميليتو أسقف أبروشية ساردس وأبوليناريوس أسقف هيرابوليس . وقد وجه كل منهما احتجاجات - دفاعا عن الايمان - إلى امبراطور الرومانيين السابق ذكره الذي يحكم وقتئذ .

(٢) وفيما يلي نرى مؤلفات هؤلاء الكتاب التي وصلت إلى علمنا .

وضع ميليتو كتابين عن الفصح، وكتابا عن طريق الحياة والأنبياء ويحثا عن الكنيسة، وكتابا عن يوم الرب، وآخر عن ايمان الإنسان، وكتابا عن خلقة الإنسان وآخر أيضا عن طاعن الإيمان، وكتابا عن الحواس، وآخر عن النفس والجسد، وكتابا عن المعمودية، وآخر عن الحق، وكتابا عن سلسلة نسب المسيح والخلقة، ويحثا عن النبوة، وكتابا عن كرم الضيافة، وآخر عن المفتاح، وكتابين عن الشيطان ورؤيا يوحنا، ومؤلفا عن تجسد الله، وأخيرا كتابا موجهها إلى أنطونينوس .

(٣) وفي الكتب التي عن الفصح يبين الوقت الذي كتب فيه مبتدئا بهذه الكلمات:

«حينما كان سيرفيليوس بولس واليا في آسيا، وقت أن استشهد ساجاريس، قام نزاع شديد في لاودكية عن الفصح الذي حل في تلك الأيام حسب القاعدة المرعية . وهذا ما كتب» .

(٤) ويشير أكليمنضس الاسكندري إلى هذا المؤلف في بحثه عن الفصح الذي كتبه - كما يقول - بمناسبة كتاب ميليتو .

(٥) ولكنه في كتابه الموجه إلى الامبراطور ذكر بأن الحوادث التالية حلت بنا في عهده «لأن ما لم يحدث قط من الاضطهاد من قبل يعانيه الان جنس الأتقياء إذ طردوا في آسيا بأوامر جديدة، فالوشاة الوقحون، والطامعون في ممتلكات غيرهم، انتهزوا فرصة هذه الأوامر، وصاروا يسطون وينهبون نهارا وليلا، ويجردون الأبرياء من ممتلكاتهم» .

وبعد ذلك بقليل يقول «إن كانت هذه الأمور تحدث بأمرك فمرحبا بها . لأن الوالى العادل لن يتخذ اجراءات ظالمة . ونحن فعلا نقبل شرف موت كهذا .

(٦) «على أننا نقدم إليك هذا الرجاء الوحيد وهو أن تحقق أولا بنفسك مع مسيبي هذا النزاع، وعندئذ تحكم بعدل أن كانوا يستحقون الموت والقصاص، أو الأمان والراحة، أما إذا كانت هذه المشورة

وهذه الأوامر الجديدة، التي لا يليق تنفيذها حتى على الأعداء المتوحشين، ليست منك، فإننا بالأولى نلتبس منك ألا تتركنا معرضين لهذا النهب الطائش من الغوغاء».

(٧) ثم يضيف أيضا ما يأتي: «لأن فلسفتنا ازدهرت سابقا بين البربر. ولكنها إذ انتشرت بين الأمم الخاضعة لك وقت حكم سلفك أوغسطس فقد أصبحت بركة لامبراطوريتك بصفة خاصة وفألا حسنا. ففوة الرومانيين ازدادت قدرة وعظمة منذ ذلك الوقت. لقد ارتقيت إلى عرش هذه القوة كمشتهى من الشعب، وهكذا ستستمر مع ابنك إن كنت ترعى الفلسفة التي نمت مع الامبراطورية، والتي ظهرت إلى الوجود مع أوغسطس، تلك الفلسفة التي أكرمها أسلافك مع الديانات الأخرى».

(٨) وأقوى دليل على أن تعاليمنا ازدهرت لخير امبراطورية ناشئة هو أنه لم يحدث أى شر منذ حكم أوغسطس، بل بالعكس كان كل شيء جليلا ومجيدا بسبب صلوات الجميع».

(٩) أن نيرون ودومتيانوس وحدهما، إذ فتحا أذانهما لبعض الوشاة، أرادا الاقتراء على تعليمنا، وعنهما انتقلت الأكاذيب [١] واتهم المسيحيون اتهامات باطلة».

(١٠) ولكن آباءك الصالحين صححوا جهلهم، وذلك بتوبيخاتهم الكتابية المستمرة لمن تجاسروا على محاولة اتخاذ اجراءات جديدة ضدهم. من بينهم جددك أردبان الذى كتب إلى آخرين كثيرين. وأيضا إلى فوندانوس وإلى آسيا وحاكمها. وكتب أبوك - عندما كنت تحكم معه - إلى المدن، مانعا إياها من اتخاذ أية اجراءات جديدة ضدنا. من بين هذه المدن كتب إلى أهل لاريسا وتسالونيكى وأثينا وإلى كل اليونانيين».

(١١) «أما من جهتك فطالما كان اعتقادك من جهة المسيحيين مماثلا لاعتقادهم، والواقع أنه أكثر رفقا وفلسفة، فإننا مقتنعون تمام الاقتناع بأنك ستجيب كل ما طلبناه منك».

هذه الكلمات وجدت فى الكتاب السالف الذكر.

(١٢) ولكن نفس الكاتب يقدم، فى بدايه كتابه «الخلاصة»، قائمة بأسفار العهد القديم المعترف بها، نراه ضروريا أن نشير إليها هنا. وإليك ما كتبه:

(١٣) «من ميلتو إلى أخيه انسيمس سلام. نظرا لأنك بدافع غيرتك من أجل الكلمة طالما عبرت عن رغبتك فى الحصول على خلاصة من الناموس والأنبياء عن المخلص وعن إيماننا بالكامل، ورغبت فى الحصول على بيان دقيق عن الكتب العتيقة من جهة عددها وترتيبها، فقد اجتهدت أن أقوم بهذه المهمة

(١) يبدو أن الكاتب يشير هنا إلى الاعتقاد الذى ساد وقتئذ بأن المسيحيين هم المسئولون عن كل الشرور التى تحدث كالزلازل والفيضانات والمجاعات الخ.

علما منى بغيرتك من أجل الإيمان ورغبتك فى الحصول على معلومات عن الكلمة، ومدركا بأنك فى شوقك نحو الله تقدر هذه الأمور أكثر من كل ما عداها، مجاهدا للحصول على الخلاص الأبدى .

(١٤) «بناء على هذا فأتى لما اتجهت شرقا، ووصلت المكان الذى يكرز فيه بهذه الأمور، والذى تمارس فيه، عرفت بدقة أسفار العهد القديم، فأرسل إليك بيانها كما هو مدون أدناه: أما أسماؤها فهى كما يلى: خمسة أسفار لموسى وهى التكوين والخروج والعدد واللاويين والثنية، يشوع وقضاة وراعوث، الملوك أربعة أسفار، أخبار الأيام سفران، مزامير داود وأمثال سليمان وأيضا الحكمة والجامعة ونشيد الأنشاد وأيوب، الأنبياء اشعيا وأرميا، الأنبياء الاثنا عشر سفر واحد، دانيال وحزقيال وعزرا .

ومن هنا أيضا قد اقتبست هذه الخلاصة مقسما اياها إلى ستة كتب» .

هذه هى كلمات ميليتو .

الفصل السابع والعشرون

أبوليناريوس أسقف كنيسة هيرابوليس

لقد احتفظ الكثيرون بعدد وفير من كتب أبوليناريوس، وهاك ما وصل إلينا منها: الحديث الموجه إلى الامبراطور السالف الذكر، خمسة كتب ضد اليونانيين، كتاب أول وكتاب ثان عن الحق . وتلك الكتب التى كتبها فيما بعد ضد هرطقة أهل فريجية التى ظهرت حالا فيما بعد بما يتبعها من بدع، ولكنها كانت وقتئذ لا تزال فى بدايتها، لأن مونتanos، مع نياته الكاذبات، كان وقتئذ يضع أساس هرطقته .

الفصل الثامن والعشرون

موسانوس وكتابات

أما عن موسانوس، الذى ذكرناه بين الكتاب السابقين، فلا يزال باق له بحث بليغ كتبه ضد بعض الإخوة الذين انحرفوا إلى هرطقة من يدعى انكراتيتس التى ظهرت حديثا حاملة ضلالة غريبة خطيرة . وقيل أن تاتيان هو الذى ابتدع هذه التعاليم الغريبة .

الفصل التاسع والعشرون

هرطقة تاتيان

(١) وهو الذى اقتبسنا كلماته فيما سبق [١] بمناسبة التحدث عن ذلك الرجل العظيم يوستينوس، والذى قلنا عنه بأنه كان تلميذا للشهيد . ويصرح ايريناوس بهذا فى الكتاب الأول من مؤلفه «ضد الهرطقات» حيث يكتب ما يلى عنه وعن هرطقته .

(٢) «أن الذين يدعون انكراتيين، والذين تفرعوا من ساتورنينوس ومركيون، [٢] نادوا بالعزوية، متجاهلين ترتيب الله الأصلى، ومنتقدين ضمنا ذلك الذى خلقهما ذكرا وأنثى لتكاثر الجنس البشرى . ونادوا أيضا بالامتناع عن الأشياء التى دعوها حية [٣] مظهرين بذلك روح الجحود لله الذى خلق كل الأشياء . كذلك أنكروا خلاص الانسان الأول .

(٣) «على أن هذا تبيينه أخيرا فقط، فإن شخصا يدعى تاتيان كان أول من ابتدع التجديف . ولقد كان ضمن المستمعين إلى يوستينوس، ولم يظهر أى شىء من هذه الآراء طالما كان معه . ولكنه ترك الكنيسة بعد استشهاد هذا الأخير، وإذ تشامخ عندما رأى نفسه معلما، وانتفخ عندما ظن نفسه أنه أسمى من غيره، أسس تعاليم خاصة به مخترعا دهورا معينة غير منظورة كاتباع فالتينوس، [٤] ونادى - مثل مركيون وساتورنينوس - بأن الزواج فساد وزنى . أما حجته نحو عدم خلاص ادم فقد اخترعها هو من تلقاء نفسه» هذا ما كتبه ايريناوس وقتئذ .

(٤) وبعد ذلك بقليل ظهر شخص يدعى ساويرس، فأضاف قوة جديدة إلى الهرطقة السابق ذكرها، وسمى تابعوه ساويرسين .

(٥) انهم فعلا يستعملون الناموس والأنبياء والأناجيل، ولكنهم يفسرون أقوال الأسفار المقدسة على طريقتهم الخاصة، ويسبون بولس الرسول ويرفضون رسائله، ولا يقبلون حتى أعمال الرسل .

(٢) بخصوص ساتورنينوس ومركيون انظر ف ٧ و ١١ .

(٤) انظر ف ١١ .

(١) ف ١٦ .

(٣) أى الحيوانات بصفة عامة .

(٦) على أن مؤسس شيعتهم الأصلي، تاتيان، جمع مجموعة من الأناجيل - لست أدري بأية كيفية - وأطلق عليها اسم دياتيسرون، [٥] وهي لا تزال في أيدي البعض. ولكن يقال أنه تجاسر على تحليل بعض كلمات للرسول [٦] لتحسين أسلوبها.

(٧) وقد ترك كثيرا من الكتب، أكثرها استعمالا بين أشخاص كثيرين كتابه المشهور «خطاب إلى اليونانيين»، [٧] وهو أفضل كتبه وأنفعها. فيه يتحدث عن الأزمنة الغابرة، ويبين أن موسى والأنبياء العبرانيين كانوا أسبق من جميع من اشتهر بين اليونانيين.

هذا ما يتعلق بهؤلاء الأشخاص:

الفصل الثلاثون

بارديسانس السورى وكتبه التى لا تزال باقية

(١) وفى عهد نفس الامبراطور، إذ كانت الهرطقات تتزايد فى اقليم ما بين النهرين ظهر شخص يدعى بارديسانس، وهو شخص مقتدر جدا، ومباحث ماهر باللغة السوربانية وقد كتب أبحاثا ضد أتباع مركيون، وضد غيرهم ابتدعوا آراء مختلفة، كتبها بلغته مع مؤلفات أخرى كثيرة. أما تلاميذه - وقد كانوا كثيرين لأنه كان مدافعا قويا عن الإيمان - فقد ترجموا هذه المؤلفات من السوربانية إلى اليونانية.

(٢) وبينها أيضا بحثه القوى «عن القضاء والقدر» الموجه إلى أنطونينوس، ومؤلفات أخرى يقال أنه كتبها بمناسبة الأضطهاد الذى حدث وقتئذ.

(٣) وقد كان فى الواقع فيما سبق تابعا لفالتينوس، ولكنه إذ رفض تعاليمه فيما بعد وفند أغلب أوهامه، تخيل بأنه قد وصل إلى الآراء السليمة. ولكنه بالرغم من ذلك لم يتطهر تماما من دنس الهرطقة القديمة.

ونحو هذا الوقت أيضا انتقل من هذه الحياة سوتير أسقف كنيسة روما.

(٥) كلمة يونانية معناها «مكون من أربعة» وقد أطلقت على الكتاب الذى وضعه تاتيان جمع فيه خلاصة للأربعة الأناجيل.

(٦) أى بولس الرسول. (٧) لا يزال هذا الكتاب موجودا وهو من أقوى ما كتب لمهاجمة الفلسفة اليونانية.

الكتاب الخامس

مقدمة

(١) مات سوتير أسقف كنيسة روما بعد أن ظل في أسقفية ثمان سنوات، وخلقه اليوثيروس الأسقف الثاني عشر بعد الرسل. وفي السنة السابعة عشر من حكم الامبراطور أنطونينوس فيروس عاد الاضطهاد على شعبنا، في قسوة أشد، ببعض الأقاليم بسبب تمرد الجماهير في المدن، وإذا اتخذ عدد الشهداء في أمة واحدة مقياسا، يمكن القول أنه قد استشهد ربوات في كل العالم. وقد دون هذا للأجيال اللاحقة، والواقع أنه خليف بالذكرى المستمرة.

(٢) وفي كتابنا «مجموعة الاستشهادات» ترى وصفا كاملا متضمنا صدق الأنباء عن هذا الموضوع. ويعتبر هذا الكتاب لا تاريخيا فقط بل تعليميا أيضا. وسأكرر هنا بعض أجزاء من هذا الكتاب حسبما تدعو الضرورة نحو الغرض الذي أمامنا.

(٣) يتحدث المؤرخون الآخرون عن انتصارات الحروب، والغنائم التي أخذت من الأعداء، وعن مهارة القواد، وشجاعة الجنود الذين تلطخت أيديهم بالدماء وحوادث القتل التي لا حصر لها من أجل الأبناء والوطن والممتلكات الأخرى.

(٤) أما روايتنا عن مملكة الله فإنها تدون بحروف لا تمحى أنباء حروب السلام التي أثرت من أجل سلام النفس، وتحدث عن أشخاص ناضلوا بشجاعة من أجل الحق لا من أجل الوطن، ومن أجل الفضيلة لا من أجل أعز الأصدقاء. وتضع أمامنا ذكريات لا تمحى عن بطولة أبطال الديانة، والغنائم التي اكتسبت من الشياطين، والانتصارات على الأعداء غير المنظورين، والأكاليل التي وضعت على رؤوسهم.



الفصل الأول

عدد من حاربوا من أجل الديانة في بلاد الغال تحت حكم فيروس وطبيعة صراعهم

- (١) كانت بلاد الغال هي المملكة التي أعد لهم فيها مسرح المصارعات . وأهم بلادها ليون وقينا، اللتان يخترقهما نهر الرون، وهو نهر متسع يخترق كل تلك المنطقة .
- (٢) وقد أرسلت أشهر كنائس تلك المملكة إلى كنائس آسيا وفريجية وصفا للشهود [١] ودونت ما كان يجرى بينها في الكلمات التالية . وهاك كلماتها:
- (٣) «خدام المسيح المقيمون في فينا وليون ببلاد الغال إلى الأخوة في آسيا وفريجية، الذين يعتنقون نفس الإيمان ورجاء الفداء، سلام ونعمة ومجد من الله الاب ويسوع المسيح ربنا» .
- (٤) وبعد التحدث عن بعض المواضيع الأخرى تبدأ روايتها بهذه الكيفية:
- «أن شدة الضيق في هذه البلاد، وهياج الوثنيين على القديسين، وآلام الشهود المباركين - هذه لا نستطيع وصفها وبدقة، كما لا يمكن تدوينها» .
- (٥) «فالحصم هجم علينا بكل قوته، مقدما إلينا عينة من نشاطه الذي لا يحد، الذي سيظهره عند هجومته علينا مستقبلا، وقد بذل كل ما في وسعه لاستخدام أعوانه ضد خدام الله . ولم يكتف بإبعادنا عن البيوت والحمامات والأسواق، بل حرم علينا الظهور في أى مكان» .
- (٦) ولكن نعمة الله حولت الصراع ضده، وخلصت الضعفاء، وجعلتهم كأعمده ثابتة، قادرين بالصبر على تحمل كل غضب الشرير . واشتبكوا في الحرب معه، متحملين كل صنوف العار والأذى . وإذا استهانوا بآلامهم أسرعوا إلى المسيح، مظهرين حقا: أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فينا [٢]
- (٧) «وأول كل شيء تحملوا ببسالة كل الأضرار التي كدسها الغوغاء فوق رؤوسهم كالضجيج، واللطم ، والجر على الأرض، والنهب، والرجم، والسجن، وكل ما يسر الغوغاء الثائرون أن يوقعوه على الأعداء والخصوم» .

(١) يقصد بكلمة «الشهود» هنا وفي الفصول التالية جميع الذين تكبدوا المحن والآلام أثناء الاضطهاد سواء استشهدوا أو لم يستشهدوا .

(٢) (رو ٨ : ١٨) .

(٨) «وبعد ذلك أخذهم قائد الألف، ورؤساء المدينة، إلى الساحة الخارجية، وحقق معهم بحضور كل الجمهور. ولما اعترفوا، سجنوا حين وصول الوالى».

(٩) «وعندما مثلوا أمامه فيما بعد، وعاملنا بمتهى القسوة، تدخل فى الأمر فيتىوس أباجاثوس، وهو أحد الأخوة، وكان ممتلئا محبة لله وللإنسان. وقد كانت حياته طيبة جدا للدرجة أنه رغم حداثة سنه نال شهرة كشهرة زكريا الشيخ، لأنه كان سالكا فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم، [٣] وكان لا يكل فى جميع أعمال الخير من نحو الأخوة، غيورا لله، حارا فى الروح. وإذا كانت هذه هى صفاته لم يحتمل المحاكمة الظلمة التى كنا نحاكم بها، بل امتلأ غضبا، وطلب أن يسمح بالشهادة فى مصلحة اخوته بأنه لا يوجد بيننا أى قبح أو شر».

(١٠) «ولكن المحيطين بكرسى القضاء حرصوا ضده، لأنه كان ذا شخصية بارزة، ورفض الوالى طلبه العادل، إنما سأل عما إذا كان هو أيضا مسيحيا. ولما شهد بهذا بصوت عال أخذ هو نفسه إلى عداد الشهود، ودعى شفيح المسحيين، إذ كان فى داخله شفيح، أى الروح [٤] الذى امتلأ به أكثر من زكريا [٥] وقد أظهر هذا بملء محبته، لأنه كان يسره جدا أن يضع حياته دفاعا عن الاخوة. [٦] لأنه كان ولا يزال تلميذا حقيقيا للمسيح، متبعا للخروف حيثما ذهب. [٧]»

(١١) «حيثئذ انقسم الباقيون. فالشهود الأصليون كانوا مستعدين، وأكملوا اعترافهم بكل شجاعة. ولكن ظهر أن البعض لم يكونوا مستعدين ولا متدربين، بل وجدوا ضعفاء وعاجزين عن احتمال صراع شديد كهذا. وفشل نحو عشرة من هؤلاء، مسبين لنا حزنا شديدا وألما لا يوصف، ومشبطين عزيمة الآخرين الذين لم يكونوا قد ألقى القبض عليهم بعد، والذين رغم تحملهم كل صنوف الآلام ظلوا ملازمين الشهود، ولم يفارقوهم».

(١٢) «عندئذ خفنا كلنا جدا بسبب عدم تأكدنا من اعترافهم، لا فرعا من الآلام التى ينبغى تحملها، بل لأننا تطلعنا إلى النهاية وخشنا لئلا يفشل البعض منهم».

(١٣) «على أن المستأهلين كان يلقى القبض عليهم يوما بعد يوم مكملين عددهم، حتى أن جميع الغيورين، الذين بنيت عليهم مصالحنا بصفة خاصة، جمعوا من الكنيستين».

(٥) (لو ١ : ٦٧).

(٤) أى الروح القدس.

(٣) (لو ١ : ٦).

(٧) (رو ١٤ : ٤).

(٦) (يو ١٥ : ١٣).

(١٤) «والقى القبض على بعض خدمننا الوثنيين، لأن الوالى أمر بأن تفحص كلنا جهارا . وهؤلاء إذ أغراهم الشيطان، وخافوا على أنفسهم من التعذيب الذى رأوا أن القديسين يعانونه، وإذ حرضهم الجند أيضا، فقد اتهمونا زورا بأكل لحوم البشر، والفسق بالأهل المحرم الزواج بهن، وأمور لا يليق بنا عدم التحدث عنها أو التفكير فيها فحسب بل لا نعتقد أن أى انسان بشرى اقترفها على الإطلاق» .

(١٥) «وعندما قدمت هذه التهم هاج ضدنا كل الناس كالوحوش المفترسة، لدرجة أنه أن وجد بينهم من كان فى غاية الاعتدال معنا بسبب الصداقة فقد ثاروا ضدنا جدا وأصروا بأسنانهم علينا . وتم ما قاله الرب: تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله» [٨]

(١٦) «وأخيرا تحمل الشهود الأطهار آلاما لا توصف، وكان الشيطان يحاول بأقصى جهده أن تخرج من شفاههم كلمات التجديف» .

(١٧) «على أن كل غضب الغوغاء والوالى والجند انصب فوق هامة سانكتوس، وهو شماس من فينا، وماتوروس، وهو متنصر حديث ولكنه مجاهد شجاع، واتالوس وهو من أهالى برغامس حيث كان بصفة مستمرة عمودا حيا وأساسا متينا، ويلاندينا التى أظهر المسيح فيها أن ما يبدو فى نظر البشر حقيرا ودينيا ووضيعا هو فى نظر الله مجيد بسبب المحبة التى نكنها له التى تظهر فى قوة الافتخار بالمظاهر» .

(١٨) «لأننا إذ كنا كلنا مرتعنين، وكانت سيدتها الأرضية - وهى نفسها أيضا كانت ضمن الشهود - خائفة لئلا يعوقها ضعف جسدها عن الاعتراف بجسارة، امتلأت بلاندينا قوة لدرجة أنها صمدت أمام معذبيها الذين كانوا يتناوبون تعذيبها من الصباح حتى المساء بكل أنواع التعذيب، حتى اضطرتهم إلى الاعتراف بأنهم قد غلب على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا لها شيئا أكثر . وذهلوا من قوة احتمالها إذ كان كل جسدها قد تهرأ، واعترفوا بأنه كان يكفى نوع واحد من هذه الآلام لازهاق الروح، فكم بالأولى كل هذه الآلام المتنوعة العنيفة» .

(١٩) «على أن المرأة المباركة جددت قوتها فى أعترافها كمصارعة صنييدة، وقد وجدت تعزية وانتعاشا وتخفيفا لآلامها فى أن تصرخ: أنا مسيحية، ونحن لم نفعل شرا» .

(٢٠) «أما سانكتوس فقد تحمل أيضا بشكل عجيب، وفوق طاقة البشر، كل ما عاناه من آلام . وبينما حاول الأشرار - بالاستمرار فى تعذيبه، والامعان فى القسوة - أن يصطادوا منه أية كلمة عما لا

يجب أن يقوله، فقد سلح نفسه بذلك الثبات العجيب الذى جعله لا ينطق حتى باسمه أو اسم شعبه أو المدينة التى يتسمى إليها، ويذكر أن كان عبداً أم حراً، بل أجاب باللغة الرومانية على كل أسئلتهم بقوله: أنا مسيحى . لقد اعترف بهذا عوضاً عن ذكر اسمه أو اسم المدينة التى يتسمى إليها أو الجنس التابع له أو أى شيء آخر . ولم يسمع الشعب منه كلمة أخرى .

(٢١) «لذلك تحركت الرغبة فى قلب الوالى وقلوب معذبيه للتغلب عليه . ولكنهم إذ لم يملكوا شيئاً أكثر يفعلونه له ربطوا أخيراً صفائح نحاسية محماة إلى أجزاء جسمه الرقيقة» .

(٢٢) «وهذه احترقت فعلاً، ولكنه ظل متجلداً لا يلين ولا يستلم، ثابتاً فى اعترافه متعشاً بينوع مياه الحياة السماوى المتدفق من أحشاء المسيح» .

(٢٣) «وكان جسده شاهداً لآلامه، إذ كان قد تهرأ كله وتشوه بشكل بشع، وكان أبعد ما يكون عن شكل الانسان . وإذا تألم المسيح فيه أظهر مجده، متقذاً آياه من خصمه، وجاعلاً آياه مثلاً للآخرين، ومبيناً أنه حيث وجدت محبة الله فلا يوجد أى شيء مخيف، وحيث وجد مجد المسيح فلا يوجد شيء أليم» .

(٢٤) «وعندما عذبه الأشرار مرة أخرى بعد بضعة أيام، ظانين أنهم، وقد انتفخ جسده، والتهب لدرجة أنه لم يعد يطيق لمس اليد، قد يستطيعون التغلب عليه أن وضعوا نفس الصفائح على جسده أو - على الأقل - أن الآخرين يخافون عندما يرونه يموت تحت آلامه . وهذا أمر لم يكن ممكناً فقط أن يحدث بل بعكس كل انتظار بشرى انتعش جسده وانتصب وسط التعذيبات المتوالية واستعاد شكله الطبيعى، وتحركت الاطراف، وهكذا صارت هذه الآلام الثانية، بنعمة المسيح، سبباً لا فى التعذيب بل وفى الشفاء» .

(٢٥) «ولكن ابليس إذ ظن أنه قد التهم فعلاً ببلياس، وهى احدى الذين أنكروا المسيح، وأن يزيد فى دينونتها بتحريضها على النطق ببعض كلمات التجديف، فقد دفعها ثانية إلى التعذيب ليضطرها، بسبب ضعف جسدها، إلى الوشاية بنا» .

(٢٦) «غير أنها استعادت قوتها تحت الآلام، كأنها قد استيقظت من سبات عميق، وإذا كرتها الآلام الحاضرة بعذاب جهنم الأبدى وقفت فى وجه المجدفين قائلة: كيف يستطيع هؤلاء أن يأكلوا الأطفال وهم يحرمون أن يذوقوا حتى دماء الحيوانات غير العاقلة، عندئذ اعترفت بأنها مسيحية، فحسبت فى عداد الشهود» .

(٢٧) «ونظرا لأن المسيح جعل هذه التعذيبات الظالمة عديمة الجدوى بسبب صبر الباركين، اخترع ابليس تدييرات أخرى، وهى الحبس فى أظلم وأقبح مكان فى السجن ووضع الأقدام فى الثقب الخامس من المقطرة، والتعذيبات الأخرى التى اعتاد أعوانه توقيها على المسجونين عندما تثار ثائرتهم ويتملك عليهم ابليس . وقد اختنق الكثيرون فى السجن إذ اختارهم الرب لهذا النوع من الموت ليظهر فيهم مجده» .

(٢٨) «ورغم أن البعض عذبوا بمتهى القسوة، حتى كان يظن أنه من المستحيل أن يعيشوا مهما بذلت معهم كل أنواع العلاج والتمريض، إلا أنهم لبثوا فى السجن بعيدين عن كل رعاية بشرية، إذ تقووا بالرب، وانتعشت أجسادهم وأنفسهم، فشددوا وشجعوا الباقين . أما الذين كانوا قد ألقى القبض عليهم حديثا ولم يتمكنوا من احتمال قسوة السجن لسبب حداثة سنهم وعدم تمرن أجسادهم على التعذيب، فماتوا فيه» .

(٢٩) «أما المغبوط بوثنوس، الذى كان قد أوكلت إليه أسقفية ليون، فقد جروه إلى كرمى القضاء، وكان عمره يزيد على تسعين سنة، وقد وهنت كل قواه، يكاد بالجهد أن يتنفس بسبب ضعف جسده . ولكنه تقوى بالغيرة الروحية بسبب رغبته الحارة فى الاستشهاد . ومع أن جسده قد فتت فى عضده الشيخوخة والأمراض، فقد حفظت حياته لكى يتنصر المسيح فيها» .

(٣٠) «وعندما أتى به الجند إلى المحاكمة، يرافقه بعض الولاة المدنيين وجمهور من الشعب يهتفون ضده بكل أنواع الهتاف كأنه هو المسيح نفسه، شهد شهادة نبيلة» .

(٣١) «ولما سأله الوالى: من هو اله المسيحيين أجاب: أن كنت مستحقا فستعرف . عندئذ جروه بفظاظة ولطموه بكل أنواع اللطمات . فالقرييون منه لكموه بأيديهم، وركلوه بأرجلهم، غير حاسين أى حساب لسنه، والبعيدون منه قذفوه بكل ما وصلت إليه أيديهم، والكل ظنوا بأنهم يعتبرون مجرمين أن قصروا فى اهاتته بكل اهانة ممكنة . لأنهم توهموا أنهم بذلك يتقمون لإلهتهم . من ثم رج به فى أعماق السجن وهو يكاد لا يقوى على التنفس، ثم مات بعد يومين» .

(٣٢) «بعدئذ حدث افتقاد عظيم من الله، وظهرت مراحم يسوع بشكل لا يوصف وبكيفية يندر أن ترى بين الأخوة، ولكنها مع ذلك ليست بعيدة عن قدرة المسيح» .

(٣٣) «لأن الذين تراجعوا عند القبض عليهم لأول مرة سجنوا مع الآخرين، وتحملوا آلاما مرة، وهكذا صار انكارهم عديم الجدوى لهم، حتى فى العالم الحاضر . أما الذين اعترفوا بحالتهم، فقد

سيجئنا كمسيحيين، ولم توجه إليهم أية اتهامات أخرى . أما السابقون فقد عوملوا فيما بعد، كقتلة ومجرمين، بقسوة ضعف القسوة التي عوقب بها الآخرون» .

(٣٤) «لأن فرح الاستشهاد، ورجاء المواعيد، ومحبة المسيح، وروح الأب سندات الأخيرين، أما ضمائر الأولين فقد عذبتهم جدا حتى كان سهل تمييزهم عن الباقيين بمجرد النظر إلى وجوههم وهم يساقون» .

(٣٥) «فالسابقون خرجوا فرحين، يطفح المجد والنعمة على وجوههم، حتى كانت نفس قيودهم تبدو كأنها حلى جميلة كمروس مزينة بحلى ذهبية . وقد تعطروا برائحة المسيح الذكية، [٩] حتى ظن البعض أنهم تعطروا بعطور أرضية . أما الآخرون فقد كانوا أذلاء، منكسرى خاطر، مكتئبين، مملوئين بكل أنواع الخزي، وكان الوثنيون يعيرونهم كخسيسين وضعفاء، حاملين تهمة القتل، وخسروا شرف ومجد الاسم العظيم واهب الحياة . وإذا رأى الباقيون هذا تقووا، وعندما عرف أمرهم اعترفوا بلا تردد، ودون أن يعيروا أى التفات لاغراءات إبليس» .

(٣٦) وبعد كلمات أخرى استمرت فى حديثها قائلة .

«وبعد هذا انقسمت أخيرا استشهاداتهم إلى كل الأشكال، لأنهم إذ ضفروا اكيلا من كل الألوان وكل أنواع الزهور قدموه إلى الأب . ولذلك كان من اللائق أن ينال هؤلاء الأبطال النبلاء الأكليل العظيم غير الفاسد، بعد أن تحملوا آلاما عنيفة، وغلبوا ببسالة نادرة» .

(٣٧) «وهكذا أخذ إلى المسرح ماتوروس وسانكتوس وبلاندينا واتالوس، لكي يعرضوا للوحوش الضارية، ولكي يقدم للشعب الوثنى منظر من مناظر القسوة، وحدد لشعبنا يوم خاص للصراع مع الوحوش» .

(٣٨) «جاز كل من ماتوروس وسانكتوس مرة أخرى كل أنواع العذاب فى المسرح، كأنهما لم يكابدا شيئا من الآلام من قبل، أو بالأحرى كأنهما الآن، وقد انتصرا على عدوهما فى عدة مواقع، يجاهدان من أجل الأكليل نفسه، وتحملا ثانية القصاص المعتاد وهو المرور بين صفين من الجنود فيضربهما كل منهم بدوره، ثم قسوة الوحوش المفترسة، وكل ما طلبه الشعب الثائر أو أرادوه، وأخيرا الكرسي الحديدى الذى شوى به جسداهما» .

(٣٩) «ولم يقنع المعذبون بهذا، بل ازداد جنونهم من نحوهما، وعزموا على التغلب على صبرهما . ولكنهم حتى بهذا لم يسمعوا من سانكتوس كلمة سوى الاعتراف الذى نطق به فى البداية» .

(٤٠) «وهكذا، إذ ظلت حياتهما تقدم ذلك الصراع العنيف مدة طويلة، ماتا أخيرا بعد أن قدما طول ذلك النهار منظرا للعالم عوض أنواع الصراع العادى المختلفة» .

(٤١) «أما بلاتدينا فقد علقت على خشبة وعرضت لابتلاع الوحوش المفترسة التى تهجم عليها . ولأنها ظهرت كأنها معلقة على صليب، وبسبب صلواتها الحارة، فقد ألهمت المجاهدين بنار الغيرة، لأنهم نظروا إليها فى جهادها، ونظروا بأعينهم الخارجية ذاك الذى صلب لأجلهم، فى هيئة أختهم، وذلك لاقتناع المؤمنين باسمه أن كل من يتألم لأجل مجد المسيح تكون له على الدوام شركة مع الاله الحى» .

(٤٢) «ولأنه لم يمسه وقتل أى واحد من الوحوش المفترسة فقد انزلت عن الخشبة وأودعت السجن ثانية . وهكذا حفظت لصراع آخر، حتى اذا ما انتصرت فى الجهاد دفعات أخرى جعلت قصاص الحياة الملتوية [١٠] بلا شفاء . ومع أنها كانت صغيرة السن، ضعيفة ومحتقرة، إلا أنها إذ لبست المسيح الغالب المقتدر، استطاعت أن تثير حمية الأخوة، ونالت بجهادها الاكليل غير الفاسد بعد أن غلبت الخصم مرارا عديدة» .

(٤٣) «وأما اتالوس فدعاه الشعب بصوت عال لأنه كان ذا شخصية بارزة . فدخل إلى المحاكمة بكل ثبات بسبب ضميره الصالح وسيرته الطيبة فى المسيحية، ولأنه كان دواما بيننا وشاهدا للحق» .

(٤٤) اقتيد حول المسرح، وحملت أمامه لوحة كتب عليها باللغة الرومانية: هذا اتالوس المسيحى . فامتأ الشعب غضبا من نحوه . ولكن لما علم الوالى أنه رومانى أمر بأن يعاد مع الباقين الذين أودعوا السجن، والذين كتب عنهم إلى قيصر ولم يصله منه الرد بعد .

(٤٥) «على أن الفترة المتوسطة لم تذهب سدى، ولم تكن عديمة الجدوى بالنسبة إليهم لأنهم بصبرهم ظهرت مراحم المسيح التى لا تحدد: وإذ ظلوا أحياء أقيم الموتى، وظهر الشهود رحمة ومحبة نحو الذين لم يشهدوا، واغتبطت مريم العذراء بمن قبلتهم أحياء بعد أن سبق فأخرجتهم كاموات» .

(٤٦) «لأنه بتأثيرهم عاد الكثيرون ممن سبق أن أنكروا، وولدوا ثانية، ودبت فيهم الحياة مرة أخرى، وتعلموا أن يعترفوا. واذ عادت إليهم الحياة وتقوا ذهبوا إلى كرسى المحاكمة ليستجوبهم الوالى. والله الذى لا يسر بموت الخاطيء» [١١] بل يدعو الجميع برحمته إلى التوبة، عاملهم باللطف.

(٤٧) «لأن قيصر أمر باعدامهم، أما من ينكر فيطلق سراحه. ولذلك، ففى بداية العيد العام الذى حل وقتئذ، والذى حضرته جماهير من كل الشعوب، قدم الوالى المباركين إلى مجلس القضاء ليجعل منهم منظرا للجماهير، وعندئذ فحص أمرهم ثانية، وأمر بقطع رأس من كان منهم يحمل الرعوية الرومانية، ولكنه أرسل الباقين إلى الوحوش الضارية».

(٤٨) «وتعجب المسيح جدا فى من سبقوا فانكروا، لأنهم - بعكس انتظار الوثنيين - اعترفوا. فقد حقق معهم على انفراد، كأنهم على وشك أن يطلق سراحهم. ولكنهم إذ اعترفوا حسبوا فى عداد الشهود. واستمر البعض خارج حظيرة الشهود، وهؤلاء هم الذين لم تكن لديهم ذرة من الإيمان، أو أقل معرفة من لباس العرس» [١٢] أو شئ من الإدراك عن خوف الله، بل - كأبناء الهلاك - جدفوا على الطريق بارتدادهم».

(٤٩) «أما جميع الباقين فقد ضموا إلى الكنيسة. وبينما كان يجرى التحقيق مع هؤلاء، كان هنالك شخص يدعى الاسكندر، وهو فريجى المولد يحترف مهنة الطب، وكان قد عاش فى بلاد الغال سنوات طويلة، معروفا من الجميع بسبب محبته لله وجرأته فى الكلام، لأنه لم يكن خاليا من نصيب فى النعمة الرسولية، هذا إذ وقف أمام كرسى القضاء يشجعهم، ببعض الأشارات، على الاعتراف، ظهر أمام الواقفين بجواره كأنه فى شدة وضيق».

(٥٠) «ولكن الشعب ثار لأن الذين سبق أن أنكروا قد اعترفوا الآن، فصرخوا ضد الاسكندر، كأنه هو السبب فى كل هذا. عندئذ استدعاه الوالى وسأله عن شخصيته. ولما أجاب بأنه مسيحى اغتاز جدا وأمر بطرحه للوحوش الضارية. وفى اليوم التالى دخل مع أتالوس. لأن الوالى أمر بطرح أتالوس ثانية للوحوش ارضاء للشعب».

(٥١) «فعذبا فى المسرح بكل الآلات المعدة لهذا الغرض، وماتا أخيرا بعد أن تحملا آلاما عنيفة. ولم يصدر الاسكندر أى أنين أو تذمر بأى شكل من الأشكال، بل كان يناجى الله فى قلبه».

(١١) (حز ٢٣ : ١١).

(١٢) (مت ٢٢ : ١١).

(٥٢) «ولكن عندما وضع أتالوس فى الكرسى الحديدى، وتصاعد الدخان من جسده المشوى قال للشعب بلغة رومانية: أن هذا الذى تقعلونه أنتم هو التهام للبشر، أما نحن فإننا لا نأكل البشر، ولا نرتكب أى شىء آخر. وعندما سئل عن الاسم الذى يحمله الله أجاب: أن الله لا يحمل أى اسم كما يحمل الإنسان».

(٥٣) «بعد كل هذا أحضرت بلاندينا، فى آخر يوم من أيام الصراع العنيف، مع بونتيكوس وهو صبي يبلغ عمره نحو الخامسة عشر سنة. وقد كان يؤتى بهما كل يوم ليشهدا آلام الآخرين، ويضغط عليهما ليحلفا بالأوثان. ولكن لأنهما ظلا ثابتين محترقين إياها، اشتد هياج الجمهور حتى أنهم لم يشفقوا على حداثة سن الصبي، ولم يراعوا رقة جنس المرأة».

(٥٤) «لذلك عرضوهما لأقسى أنواع العذاب، وطلبوا منهما مرارا أن يحلفا، ولكنهم فشلوا. لأن بونتيكوس كانت تشجعه أخته حتى أن الوثنيين كانوا يرونها تثبته وتقويه، وبعد أن تحمل التعذيب بكل ثبات أسلم الروح».

(٥٥) «أما المغبوبة بلاندينا فإنها أخيرا، إذ شجعت أبناءها كأم نبيلة، وأرسلتهم قبلها ظافرين متصرين إلى الملك السماوى، تحملت هى نفسها كل صراع، وأسرعت للحاق بهم، فرحة ومغتبطة برحيلها، كأنها قد دعيت إلى وليمة عرس، لا إلى الطرح للوحوش المفترسة».

(٥٦) «وبعد الجلد، وبعد الوحوش المفترسة، وبعد الشىء بالنار علي الكرسى الحديدى، وضعت أخيرا فى شبكة وطرحت أمام ثور، وهذا قذف بها هنا وهناك، ولكنها لم تشعر بشىء مما كان يحدث لها بسبب رجائها، وتمسكها التام بها أوتمنت عليه، وشركتها مع المسيح، وأخيرا فاضت روحها. وقد اعترف الوثنيون أنفسهم أنه لم توجد بينهم امرأة تحملت مثل هذه الآلام المروعة».

(٥٧) «ولكن جنونهم وقسوتهم ووحشيتهم نحو القديسين لم تقف عند هذا الحد. لأن تلك القبائل المتوحشة إذ أغراها الوحش المفترس [١٣] لم يشف غليلها بسهولة، ولذلك وجدت وحشيتهم فرصة أخرى للتمثيل بالجثث [١٤]».

(١٣) أى إبليس.

(١٤) يقول ناشر الترجمة الانكليزية: كان المسيحيون يهتمون جدا بأجساد الشهداء ودفنوا باكرام تام، ويعنون عناية شديدة بمقابرهم التى كانوا يعتبرونها أماكن مقدسة.

(٥٨) لأنهم بسبب نقص عقليتهم ورجولتهم لم يخجلهم أنهم غلبوا بل بالعكس ازداد غضبهم اشتعالا كوحوش مفترسة، وأثاروا حقد الوالى والشعب لمعاملتنا بمتهى الظلم ليتم الكتاب: من يظلم فليظلم بعد . ومن هو نجس ليتنجس بعد . ومن هو بار فليتبرر بعد . [١٥].

(٥٩) لأنهم طرحوا للكلاب جثث من ماتوا اختناقا فى السجن . حارسينها نهارا وليلا لئلا تدفن نحن أحداها . وتركوا الأشلاء التى تبتت من الوحوش المفترسة والنار فى العراء لتتعفن وتفسد، ووضعوا رؤوس الآخرين بجوار أجسادها، وحرسها الجند أياما كثيرة بنفس الطريقة لئلا تدفن .

(٦٠) «وثار البعض، وأصروا بأسنانهم عليهم، طالبين انتقاما أشد قسوة . وسخر بهم الآخرون، معظمين أصنامهم التى عزوا إليها قصاص المسيحيين . وحتى العقلاء فيهم، الذين كانوا يبدو بأنهم يظهرون نحونا بعض العطف، كانوا يعيرونهم قائلين: أين الههم، وماذا نفعتهم ديانتهم التى فضلوها على الحياة» .

(٦١) «هكذا تنوعت تصرفاتهم نحونا، ولكننا كنا فى أشد الألم لعدم تمكننا من دفن الأجساد . لأنه لا الليل كان مجديا فى هذا الصدد، ولا المال كان كافيا للاقناع، ولا التوسلات حركات عواطفهم . ولكنهم كانوا يعنون كل العناية بحراسة الجثث كأن عدم دفنها كان جزيل النفع لهم» .

وبعد سرد أمور أخرى أضافت:

(٦٢) «أن أجساد الشهداء إذ تركت مكشوفة فى العراء ستة أيام أحرقت وصارت رمادا، وطرحها الأشرار فى نهر الرون الذى اكتسحها، وذلك لكى لا يظهر لها أثر على الأرض» .

(٦٣) «وهذا فعلوه كأنهم قادرون على غلبة الله وعلى أن يعيقوا ولادتهم الجديدة [١٦] لكى، على حد تعبيرهم، لا يكون لهم رجاء فى قيامة الأموات بالثقة التى فيها قدموا إلينا هذه الديانة الجديدة الغريبة، واحتقروا الأهوال، واستعدوا حتى لملاقاة الموت بفرح . لننظر الآن أن كانوا يقومون ثانية، وأن كان الههم قادرا على مساعدتهم وتخليصهم من أيدينا» .

(١٥) (رؤ ٢٢ : ١١) .

(١٦) أى قيامتهم من الأموات .

الفصل الثاني

خدمة الشهداء محبوبى الله لمن حل بهم الاضطهاد

(١) هذا ما حل بكنائس المسيح تحت حكم الامبراطور السابق ذكره، الأمر الذى نستطيع أن نستنتج منه بحق ما حدث بالأقطار الأخرى، ومن المناسب أن نضيف مختارات أخرى من نفس الرسالة يتبين فيها صلاح ورقة هؤلاء الشهود بالكلمات الآتية:

(٢) «وقد كانوا أيضا غيورين جدا فى الاقتداء بالمسيح الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلا لله، [١] لدرجة أنهم بالرغم من وصولهم إلى مثل هذه الكرامة، وتقديهم الشهادة كاملة لا مرة ولا مرتين بل مرارا كثيرة، واعادتهم إلى السجن، بعد طرحهم للوحوش الضارية، مهرة أجسادهم بالحروق والجروح، فانهم لم ينادوا بأنفسهم بأنهم شهداء، ولا سمحوا لنا بأن نلقبهم بهذا الاسم. وأن تحدث أحدنا عنهم، بالرسائل أو شفويا، كشهود، وبخوه بشدة».

(٣) «لأنهم تنازلوا عن لقب «شاهد» بسرور إلى المسيح الشاهد الأمين الصادق البكر من الأموات، [٢] بداءة خليفة الله وقد ذكرونا بالشهود الذين سبق أن ارتحلوا، قائلين: أن الشهود هم الذين حسبوا مستجقين أن يؤخذوا إلى فوق فى اعترافهم، الذين ختموا شهادتهم بارتحالهم، أما نحن فأننا لا نزال معترفين متواضعين وضعاء، من ثم التمسوا من الأخوة بدموع أن يقدموا الصلوات الحارة لكى يكملوا» [٣].

(٤) «وقد أظهروا بأعمالهم قوة الشهادة، مظهرين جرأة عظيمة نحو جميع الاخوة، وبينوا نبيلهم وسموهم بالصبر والشجاعة وعدم الخوف، ولكنهم رفضوا لقب شهود الذى يميزهم عن اخوتهم، لامتلائهم من خوف الله» [٤].

(٥) وبعد قليل تروى الرواية التالية:

«لقد تواضعوا تحت اليد القوية التى رفعتهم الآن» [٥] لقد دافعوا عن الجميع، لكن لم يتهموا أحدا. لقد منحوا الحل للجميع، لكن لم يربطوا أحدا. لقد صلوا عن جميع من عاملوهم بقسوة كاستفانوس الشاهد الكامل الذى قال يارب لا تقم لهم هذه الخطية [٦] وأن كان هو قد صلى لأجل من رجموه فبالأحرى جدا لأجل الأخوة».

(٣) (رؤ ١ : ٥).

(٢) (رؤ ٣ : ١٤).

(١) (فى ٢ : ٦).

(٦) (اع ٧ : ٦٠).

(٥) (ابط ٥ : ٦).

(٤) بالاستشهاد.

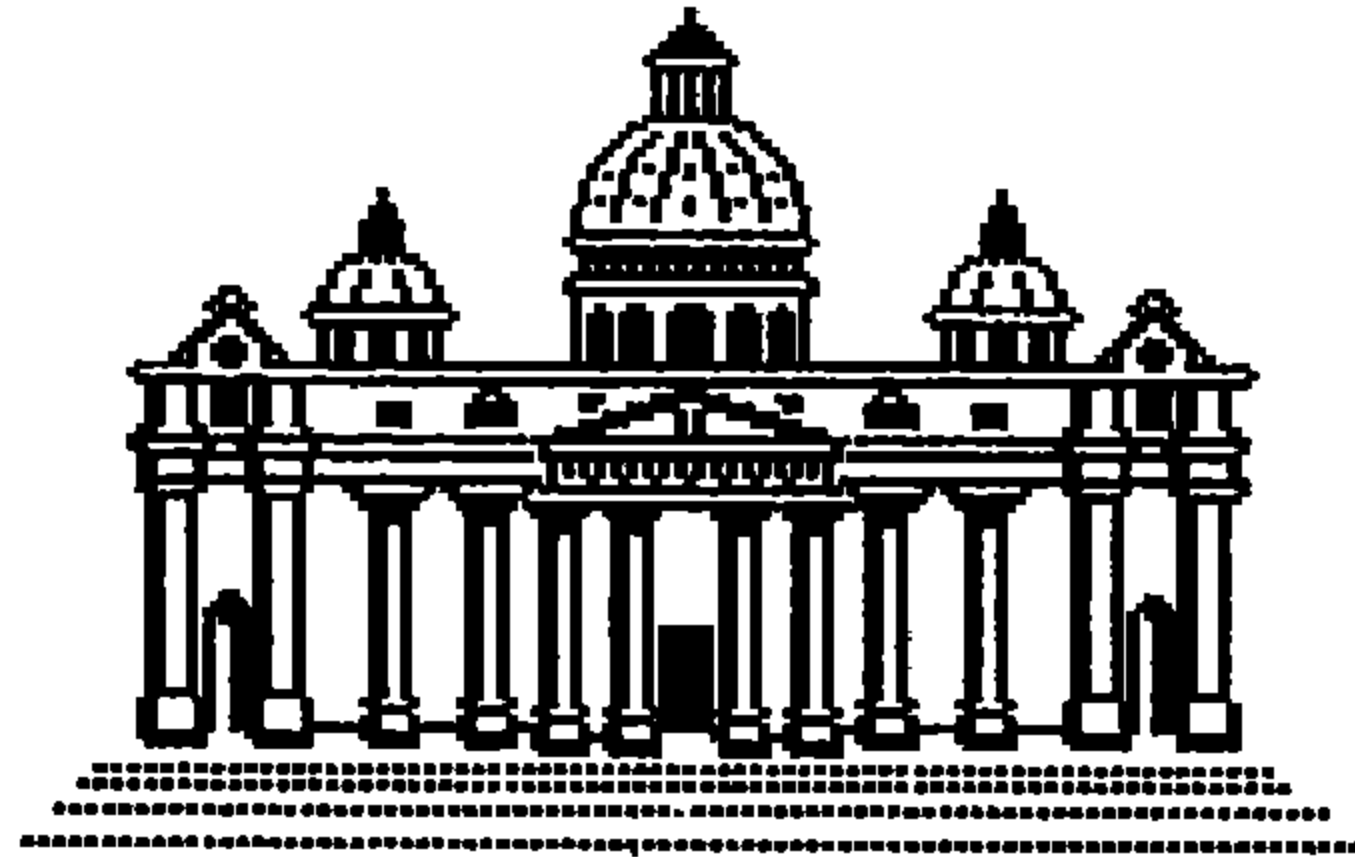
(٦) وبعد ذكر أمور أخرى تقول:

«ويصدق محبتهم جاهدوا معه جهادا شديدا أن يختنق الوحش فيلفظ الذين قد ظن بأنه ابتلعهم، يلفظهم أحياء . لأنهم لم يشمتوا بالساقطين، بل ساعدوهم، في وقت حاجتهم، بتلك الأمور التي تفاضلوا هم أنفسهم فيها، وأظهروا من نحوهم رقة الأم، وسكبوا لأجلهم الدموع غزيرة أمام الآب» .

(٧) «لقد طلبوا الحياة فأعطاهم إياها، وشاركوا فيها أقرباءهم . وإذا انتصروا على كل شيء، ارتحلوا إلى الله . وإذا أحبوا السلام دائما وأوصونا بالسلام، ذهبوا إلى الله في سلام، دون أن يتركوا حزنا لأمهم، ولا انقسامًا ولا شقاقًا للاخوة، بل فرحا وسلاما ومحبة ووثاما» .

(٨) هذه الرواية عن محبة أولئك المباركين نحو الاخوة الذين سقطوا كانت خليقة بأن تضاف

بمناسبة الحديث عن قسوة ووحشية أولئك الذين لم يشفقوا على أعضاء الكنيسة بعد هذه الحوادث .



الفصل الثالث

الرؤيا التي ظهرت في حلم للشاهد أثالوس

- (١) وتتضمن نفس رسالة الشهود السابق ذكرهم رواية أخرى جديرة بالذكر . ولا يوجد من يعترض على تقديمها إلى قرائنا: وهاك نصها:
- (٢) كان يوجد شخص اسمه السيادس، وهو واحد منهم، عاش حياة تقشف شديد، لا يتناول شيئا سوى الخبز والماء . وعندما حاول أن يسلك نفس الحياة في السجن أعلن إلى أثالوس بعد صراعه الأول في المسرح أن السيادس لا يفعل حسنا برفضه خليقة الله ووضع عشرة للآخرين .
- (٣) «فأطاع السيادس وتناول كل شيء دون تحفظ مقدما الشكر لله . ولأنهم لم يحرموا من نعمة الله، بل كان الروح القدس مرشدا لهم» . وفي هذا القدر الكافي بصدد هذه الأمور .
- (٤) أما أتباع مونتانيوس [١] والسيادس [٢] وثيودوتس [٣] الفريجي فكانوا يقومون بدعاية واسعة جدا بخصوص ادعائهم النبوة، لأن المعجزات الكثيرة الأخرى التي كانت لا تزال بنعمة الله تجري في الكنائس المختلفة جعلت الكثيرين يمدحون تنبؤهم . وإذ قامت الشقاكات بسببهم اتخذ الأخوة في بلاد الغال قرارا حكيما في الأمر، ونشروا أيضا رسائل عديدة من الشهود الذين حكم عليهم بالقتل بينهم . وهذه أرسلت، إذ كانوا لا يزالون في السجن، إلى الأخوة في كل آسيا وفريجية، وأيضا إلى اليوثيروس [٤] الذي كان وقتئذ أسقفا لروما يتفاوض من أجل سلام الكنائس .



-
- (١) بخصوص مونتانيوس والمونتانيين انظر ف ١٦ إلخ .
- (٢) هو غير السيادس السابق ذكره في الفقرتين السابقتين .
- (٣) انظر ف ١٦ .
- (٤) انظر المقدمة في بداية هذا الكتاب الخامس .

الفصل الرابع

مدح الشهود لإيريناوس فى إحدى الرسائل

(١) وقد أوصى نفس الشهود أيضا أسقف روما السابق ذكره بايريناوس - الذى كان وقتئذ قسا فى أبروشية ليون - ذاكرين أمورا طيبة كثيرة، كما يتبين مما يأتى:

(٢) «أنا نصلى أيها الأب اليوثيروس أن تفرح فى الله فى كل شىء كل حين . وقد رجونا أخانا وزميلنا إيريناوس أن يحمل هذه الرسالة إليك، ونطلب إليك أن توقره كغفور لعهد المسيح . وإن كان المركز يضيف برا على أى واحد فإننا نوصى به بين أول من يستحقون التوصية كقس للكنيسة، وهذا هو مركزه» .

(٣) ولماذا ننقل قائمة الشهود المبينة فى الرسالة السابق ذكرها، الذين قطعت رؤوس بعضهم، وطرح الآخرون للوحوش المفترسة، وورقد غيرهم فى السجن، أو نبين عدد المعترفين الذين كانوا لا يزالوا عاثين وقتئذ؟ لأن كل من أراد يستطيع أن يجد الوصف الكامل بالرجوع إلى الرسالة نفسها التى، كما قلت، قد دوت فى كتابنا «مجموعة الاستشهادات» [١] .

هذه هى الحوادث التى تمت فى عهد انطونينوس .



الفصل الخامس

إرسال الله المطر من السماء إلى القيصر مرقس أوريليوس استجابة لصلوات شعبنا

(١) قيل بأن القيصر مرقس أوريليوس، أخ أنطونينوس، وقد كان على وشك الاشتباك في حرب مع الألمانين والسرتاميين، كان في ضيقة شديدة لأن جيشه كان يعاني مرارة العطش [١] ولكن جنود الفيلق المليتيني [٢] لما تقهقروا أمام العدو جثوا على الأرض، كما هي عادتنا في الصلاة، وقضوا وقتا في التضرع إلى الله، وذلك بدافع إيمانهم الذي منحهم قوة منذ ذلك الوقت إلى الآن.

(٢) كان هذا في الواقع منظرا غريبا أمام العدو، ولكن قيل أنه حدث أمر أغرب. فإن البرق اضطر العدو إلى الهروب، فحلت به الخسائر الفادحة، أما الجنود الذين التجأوا إلى الله فقد أنقذتهم الأمطار، وكانوا كلهم على وشك الموت ظمأ.

(٣) وقد روى هذه الرواية مؤرخون غير مسيحيين لذ لهم أن يكتبوا عن تاريخ الفترة المشار إليها، ودونها أيضا شعبنا: وقد ذكر الأعجوبة هؤلاء المؤرخون غير المؤمنين، ولكن لم يعترفوا بأنها استجابة لصلواتنا. أما شعبنا - وهم أصدقاء الحق - فقد وصفوا الحادث بكل بساطة وبدون تزويق.

(٤) كان ضمن هؤلاء أبوليناريوس [٣] الذي قال بأنه منذ ذلك الوقت لقب الامبراطور الفيلق، الذي بسبب صلواته حدثت المعجزة، لقبا مناسبا للحادث، إذ دعاه بلغة الرومانيين «فيلق الرعد».

(٥) وكان ترتوليانوس شاهدا أميناً لهذه الأمور. ففي كتابه «الاحتجاج من أجل الإيمان»، الذي وجهه إلى مجلس الأعيان الروماني، والسابق الإشارة إليه، [٤] يؤيد هذا التاريخ بأدلة أعظم وأقوى.

(١) هذه حادثة تاريخية. ففي سنة ١٧٤م كان الجيش الروماني في هنغاريا، وكان يعاني مرارة العطش، ولكن الأمطار نزلت فجأة مصحوبة ببرق شديد، فأحدث ذلك رعباً في نفوس الأعداء، وانتصر الجيش.

(٢) نسبة إلى مليتيني، وهي مدينة في شرق كبدوكية أو أرمينية.

(٣) أسقف هيرابوليس. انظر ك ٤ ف ٢٧.

(٤) ك ٣ ف ٢ : ٤ ، ك ٣ ف ٣٣ : ٣ ، ك ٣ ف ٢٠ : ٩.

(٦) فقد كتب أنه لا تزال باقية رسائل للامبراطور العظيم مرقس، يشهد فيها أن جيشه إذ كان على وشك الهلاك عطشا في ألمانيا، قد أنقذ بصلوات المسيحيين. وقال أيضا أن هذا الأمبراطور هدد بالموت كل من قدم أية تهمة ضدنا.

(٧) ويضيف إلى ذلك قوله:

«أية قوانين هي هذه التي يستخدمها ضدنا وحدثنا هؤلاء الأشرار الظالمون قساة القلوب؟ التي لم يراعها فاسبسيان[٥] بالرغم من انتصاره على اليهود، والتي ألغاهما تراجان جزئيا أمرا بعدم البحث عن المسيحيين،[٦] والتي لم يقرأها أدريان[٧] بالرغم من تدخله بتطفل في كل شيء، ولا أقرها من يدعى ييوس[٨]». وليكتب من يشاء عن هذه الأمور، أما نحن فلتتقدم إلى ما حدث بعد هذا:

(٨) لما مات بوثينوس في سن التسعين[٩] مع بعض الشهداء الآخرين في بلاد الغال خلفه إيريناوس في أسقفية كنيسة ليون،[١٠] وقد وصل إلى علمنا أنه في شبابه تعلم على يد بوليكاربوس[١١].

(٩) وفي الكتاب الثالث من مؤلفه «ضد الهرطقات» دون قائمة بأساقفة روما وصل بها إلى اليوثيوس - الذي نتأمل الآن في عصره - الذي كتب مؤلفه في عصره. وقد دون ما يلي:



(٧) انظر ك ٤ ف ٩.

(٦) انظر ك ٣ ف ٣٣.

(٥) انظر ك ٣ ف ١٢.

(٩) انظر ف ١ : ٢٩.

(٨) انظر ك ٤ ف ١٣.

(١٠) بخصوص إيريناوس انظر ك ٤ ف ٢١. (١١) انظر ف ٢٠.

الفصل السادس

قائمة بأسماء أساقفة روما

- (١) «لما أسس الرسولان المباركان [١] الكنيسة وثبتها أوكلا أمر أسقفيتها إلى لينوس [٢] وقد تحدث بولس عن لينوس هذا في رسالتيه إلى تيموثاوس [٣]
- (٢) «ثم خلفه انكليتس [٤] وبعد انكليتس قبل الأسقفية اكليمنضس، [٥] وهو ثالث أسقف بعد الرسولين . وقد عاين الرسولين المباركين وتحدث معهما، [٦] وكانت كرازتهما لا تزال ترن في أذنيه، وتقليدهما لا يزال ماثلا أمام عينيه . ولم يتفرد هو بهذا، لأن الكثيرين ممن تعلموا على أيدي الرسولين كانوا لا يزالون أحياء .
- (٣) «وفي عصر اكليمنضس، قام نزاع خطير بين الأخوة في كورنثوس، فأرسلت كنيسة روما رسالة مناسبة جدا إلى أهل كورنثوس [٧] لمصالحتهم بعضهم مع بعض وتجديد إيمانهم، وإذاعة التعاليم التي وصلت أخيرا من الرسل» .
- (٤) وبعد ذلك بقليل يقول:
- «وبعد اكليمنضس جاء ايفارستوس، [٨] وبعد ايفارستوس جاء الاسكندر [٩] بعد ذلك أقيم زيستوس، [١٠] وهو السادس بعد الرسولين . وبعده جاء تلسفوريوس [١١] الذي استشهد استشهاده مجيدا، ثم هيجيتوس [١٢] ثم بيوس، [١٣] وبعده أنيسيتوس [١٤] وهذا خلفه سوتير [١٥] والآن يحتل منصب الاسقفية اليوثيروس، [١٦] وهو الثاني عشر بعد الرسولين» .
- (٥) «وفي هذا الترتيب وهذه الخلافة وصل إلينا من الرسل تقليد الكنيسة والكرازة بالحق» .

(١) يعني بطرس وبولس . (٢) انظر ك ٣ ف ٢ . (٣) (٢ تي ٤ : ٢١) . (٤) ك ٤ ف ١٣ . (٥) ك ٣ ف ٤ . (٦) يرجع الكثيرون أنه هو الوارد ذكره في (في ٤ : ٣) . (٧) انظر ك ٣ ف ١٦ . (٨) ك ٣ ف ٣٤ . (٩) ك ٤ ف ١ . (١٠) ك ٤ ف ٤ . (١١) ك ٤ ف ٥ : ٥ . (١٢) ك ٤ ف ١٠ . (١٣) ك ٤ ف ١١ . (١٤) ك ٤ ف ١١ . (١٥) ك ٤ ف ١٩ . (١٦) انظر مقدمة هذا الكتاب الخامس .

الفصل السابع

وحتى ذلك الوقت كانت المعجزات تجرى على أيدي المؤمنين

(١) هذه الأمور يرويها ايريناوس - وفقا لما سبق أن ذكرناه - في مؤلفه الذي يشمل خمسة كتب، والذي سماه «دحض وتفنيد العلم الكاذب الاسم [١] وفي الكتاب الثاني من هذا المؤلف يبين أن أظهار القوة المعجزية الالهية استمر حتى عصره في بعض الكنائس. وهذا ما يقول:

(٢) «ولكنهم إلى الآن لم يصلوا إلى اقامة الموتى كما أقامهم الرب، وكما فعل الرسل بالصلاة. وفي غالب الأحيان كان يحصل بين الاخوة أنه عندما كانت كنيستنا بأكملها تتوسل بالصوم والتضرعات الكثيرة وقت الضرورة، كان روح الميت يعود، ويعود الشخص إلى الحياة ويصلوات القديسين [٢].»

(٣) وبعد بعض ملاحظات يقول:

«وإن قالوا أنه حتى الرب فعل هذه الأمور حسب الظاهر فقد أحلناهم إلى الأقوال النبوية، وبيننا لهم منها أن كل شيء سبق أن تنبأ عنه على هذا الوجه، وقد أكمل بدقة، وأنه هو وحده ابن الله. لذلك فإن تلاميذه الصادقين، إذ قبلوا منه نعمة، ويتممون هذه الأعمال باسمه من أجل الآخرين، حسب الموهبة التي نالها كل واحد منه.

(٤) «فالبعض يخرجون الشياطين يقينا وباقتدار، حتى أن الذين يتطهرون من الأرواح الشريرة يؤمنون في غالب الأحيان وينضمون إلى الكنيسة. والآخرين يتنبأون بما سيحدث في المستقبل، وبالرؤى والاعلانات النبوية. والآخرين يشفون المرضى بوضع الأيدي، ويعيدون إليهم الصحة. وحتى الأموات قاموا، كما قلنا، ولبثوا معنا سنوات كثيرة.

(١) (١٦ : ٢٠) ولا يزال هذا الكتاب موجودا.

(٢) قال ناشر الترجمة الانكليزية أن هذه العبارة يجب أن يكون نصها كالاتي: «إلى الآن لم يصل (أي سيمون وكرابوكراتس) إلى اقامة الموتى كما أقامهم الرب، وكما فعل الرسل بالصلاة، وكما حصل في غالب الأحيان بين الاخوة وقت الضرورة إذ كانت الكنيسة بأكملها في تلك الناحية تبتهل بأصوام كثيرة وصلوات حارة حتى تعود الروح إلى الميت وتعود إليه الحياة استجابة لصلاة القديسين».

(٥) «ولماذا نُسرد أكثر من هذا . فمن المستحيل أن نعدد المواهب التي قبلتها الكنيسة في كل العالم باسم يسوع المسيح، الذي صلب على عهد ييلاطس البنطى، والتي تمارسها كل يوم لخير الأمم الوثنية، دون أن تخدع أحدا أو تجريها من أجل مصلحة مادية . لأنها كما أخذت مجانا من الله هكذا تخدم مجانا» . [٣]

(٦) وفي موضع آخر يقول نفس المؤلف .

«وكما نسمع أيضا أن الكثيرين من الاخوة في الكنيسة لهم مواهب النبوة، ويتكلمون بالروح بكل الألسنة، ويكشفون أسرار الناس لخيرهم، ويعلنون أسرار الله» .

هذا ما قيل عن استمرار المواهب بين من حسبوا أهلا لها حتى ذلك الوقت .

الفصل الثامن

أقوال إيريناوس عن الأسفار الإلهية

(١) نظرا لأننا في بداية هذا المؤلف وعدنا بأن تقدم، عند اللزوم، أقوال آباء الكنيسة وكتابتها، التي فيها أعلنوا ما وصل إليهم من التقاليد بخصوص الأسفار القانونية، ونظرا لأن إيريناوس هو أحدهم، فأننا سنقدم الآن أقواله، وأولا ما يقوله عن الأناجيل المقدسة .

(٢) «لقد نشر متى انجيله بين العبرانيين بلغتهم، [١] إذ كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنيسة في روما» . [٢]

(٣) «وبعد أرتحالهما نقل إلينا مرقس - تلميذ بطرس ولسان حاله - كتابة تلك الأمور التي كرز بها بطرس» . [٣] ودون لوقا - الذي كان ملازما لبولس - في كتابه الإنجيل الذي أعلنه بولس . [٤]

(٤) «بعد ذلك نشر يوحنا - تلميذ الرب، والذي كان أيضا يضطجع على صدره - انجيله إذ كان مقيما في أفسس بأسيا» [٥]

(٣) (مت ١٠ : ٨) .

(١) انظر ك ٣ ف ٢٤ . (٢) انظر ك ٢ ف ٢٥ . (٣) انظر ك ٢ ف ١٥ .

(٤) انظر ك ٣ ف ٤ . (٥) ك ٣ ف ٢٤ .

(٥) هذا ما دونه في الكتاب الثالث من مؤلفه السابق ذكره . أما في الكتاب الخامس فيتحدث كما يلي عن رؤيا يوحنا وعدد اسم ضد المسيح: [٦]

«ولأن هذه الأمور هي كذلك، ولأن هذا العدد قد وجد في كل النسخ القديمة المعترف بها، يؤيد صحتة من رأوا يوحنا وجهها لوجه، والمنطق يعلمنا أن عدد اسم الوحش يتبين من حروفه وذلك حسب طريقة الحساب بين اليونانيين»

(٦) وبعد قليل قال عن نفس الموضوع:

«ولست لنا الجرأة الكافية للتحدث بتدقيق عن اسم ضد المسيح: لأنه لو كان ضروريا أن يذاع اسمه بصراحة في الوقت الحاضر لكان الذي رأى الرؤيا قد أعلنه . لأنه رأها منذ وقت وجيز، في جيلنا تقريبا، في أواخر مدة حكم دومتيانوس [٧]» .

(٧) هذا ما ذكره في المؤلف المشار إليه عن رؤيا يوحنا . (٨) وقد ذكر أيضا رسالة يوحنا الأولى، [٩] مقتبسا أدلة كثيرة منها وأيضاً من رسالة بطرس الأولى . وهو لا يعرف كتاب «الراعي» فقط بل أيضا يقبله، وقد كتب عنه ما يلي:

«حسننا تكلم السفر [١٠] قائلا: أول كل شيء آمن بأن الله واحد الذي خلق كل الأشياء وأكملها» إلخ .

(٨) وهو يستعمل تقريبا نفس كلمات حكمة سليمان قائلا «إن رؤية الله تنتج خلودا . والخلود يقربنا من الله» . [١١] ويذكر أيضا تاريخ حياة قس رسول معين، لم يشأ ذكر اسمه، يقدم تفسيره للأسفار المقدسة .

(٩) ويشير إلى يوستينوس الشهيد، [١٢] وأغناطيوس، [١٣] مقتبسا بعض الشهادات من كتاباتهما . فضلا عن هذا فقد وعد بتفنيد مركيون من كتاباته، وذلك في مؤلف خاص .

(١٠) أما عن ترجمة الأسفار المقدسة بواسطة السبعين فاسمع نفس الكلمات التي كتبها:

(٧) انظر ك ٣ ف ١٨ .

(٦) (رؤ ١٣ : ١٨) انظر أيضا ك ٣ ف ١٨ .

(٨) بخصوص رؤيا يوحنا انظر ك ٣ ف ٢٤ .

(٩) اقتبس إيريناوس أيضا من رسالة يوحنا الثانية دون تمييزها عن الأولى انظر ك ٣ ف ٢٤ بخصوص رسائل يوحنا .

(١٠) أي سفر الراعي . انظر ك ٣ ف ٣ .

(١٣) ك ٣ ف ٣٦ .

(١٢) انظر ك ٤ ف ١٨ .

(١١) (حكمة ٦ : ١٩) .

«أن الله بالحقيقة تأنس، والرب نفسه خلصنا، معطيا علامة العذراء، ولكن ليس كما يقول البعض ممن يتجرأون الآن على ترجمة الكتاب هكذا هوذا شابة تحبل وتلد ابنا، [١٤] كما ترجمها ثيوديون الأفسس وأكيلا البنطى، [١٥] وهما من شيوخ اليهود . ويقول الأيونيون [١٦] الذين تبعوهما أنه ولد من يوسف» .

(١١) وبعد ذلك بقليل يضيف قائلا .

«لأنه قبل أن يؤسس الرومانيون امبراطوريتهم، وكان المقدونيون لا يزالون قابضين على زمام آسيا، طلب بطليموس بن لاغوس [١٧] من شعب اورشليم ترجمة أسفارهم إلى اللغة اليونانية لرغبته في تزيين المكتبة التي أنشأها في الاسكندرية بأحسن الكتب التي وضعها البشر .

(١٢) «ولكن لأنهم كانوا وقتئذ خاضعين للمقدونيين فقد أرسلوا إلى بطليموس سبعين شيخا، كانوا أكثر اليهود خبرة بالكتب المقدسة، وأقدرهم في كلتا اللغتين . وهكذا تم الله قصده .

(١٣) «وإذ أراد أن يختبرهم واحدا فواحدا فرقهم عن بعضهم وأمرهم جميعا بأن يضع كل واحد منهم ترجمة مستقلة، لأنه خشى أن يتشاوروا معا فيخفوا حقيقة الأسفار بترجمتهم . وهذا ما فعله بصدد كل الكتب .

(١٤) «ولما مثلوا جميعا أمام بطليموس وقارنوا ترجماتهم تمجد الله واعترف بأن الأسفار إلهية حقا . لأن كل واحد قدم نفس الترجمة التي قدمها الآخر، ونفس الكلمات، ونفس الأسماء من البداية إلى النهاية . حتى أن الوثنيين أدركوا بأن الأسفار ترجمت بوحي من الله .

(١٥) «ولم يكن هذا بالأمر المستغرب على الله، الذى فى سبى الشعب مدة حكم نبوخذ نصر، عندما أيدت الأسفار المقدسة، وعاد اليهود إلى وطنهم بعد سبعين سنة، ألهم عزرا الكاهن الذى من سبط لاوى مدة حكم أرتخشستا ملك الفرس، لاستعادة كل كلام الأنبياء السابقين، ويعيد إلى الشعب شريعة موسى» .

هذه هي كلمات ايريناوس .

(١٤) (اثر ٧ : ١٤) . (١٥) ترجم كل منهم الكتاب المقدس . انظر ك ٦ ف ١٦ .

(١٦) بخصوص الأيونيين وتعاليمهم انظر ك ٣ ف ٢٧ .

(١٧) كان ملكا على مصر من سنة ٣٢٣ - ٢٨٥ ق . م . وقيل أن الذى قام بهذه الترجمة السبعينية ٧٢ عالما من علماء اليهود، اختيروا من الأسباط الاثنى عشر، على أساس ستة علماء من كل سبط .

الفصل التاسع

الأساقفة في عهد كومودس

بعد أن ظل أنطونينوس [١] امبراطورا مدة تسع عشرة سنة تولى الحكم كومودس [٢] وفي السنة الأولى من حكمه أقيم يوليانوس أسقفا على كنائس الاسكندرية، بعد أن شغل اغريينوس [٣] الاسقفية اثنتى عشرة سنة .

الفصل العاشر

بنتينوس الفيلسوف

(١) ونحو هذا الوقت عهد إلى بنتينوس [١] - وهو شخص بارز جدا بسبب علمه - ادارة مدرسة المؤمنين [٢] في الاسكندرية . إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا . وكان يديرها - كما وصل إلى علمنا - رجال في غاية المقدرة والغيرة نحو الالهيات . وقيل أنه برز من بينهم في ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تهذب بفلسفة الرواقين .

(٢) ويقال أنه أظهر غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية - حتى أنه عين سفرا لأنجيل المسيح للأمم التي في الشرق، ووصل حتى إلى الهند [٣] لأنه كان لا يزال يوجد فعلا الكثيرون من المبشرين بالكلمة، الذين سعوا باجتهاد أن يستخدموا غيرتهم الإلهية، على مثال الرسل . لزيادة انتشار وتثبيت الكلمة الإلهية .

(٣) ك ٤ ف ١٩ .

(٢) في ١٧ مارس سنة ١٨٠م .

(١) أي مرقس أوريليوس .

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية، أن بنتينوس هو أول مدرس عرفناه لمدرسة الاسكندرية، وأبرز ما يميزه أنه كان معلما لاكليمنفس الذي أخرج مدرسة الاسكندرية إلى نورها الكامل . وكان من بين تلاميذه أيضا الاسكندر أسقف اورشليم .

(٢) يبدو أنها أنشئت أصلا لتعليم الموعوظين، أي الراغبين في الدخول إلى الإيمان، ثم اتسعت . وقد لعبت هذه المدرسة دورا هاما في التاريخ الكنسى تحت ادارة اكليمنفس وارييجانوس هركلاس وديونييسيوس وديديموس إلخ حتى القرن الرابع حيث توارث .

(٣) قال جيروم أن البابا ديمتريوس هو الذى أرسله إلى الهند كطلب الهند انفسهم .

(٣) وكان بتينوس أحد هؤلاء . وقيل أنه ذهب إلى الهند . وقيل أيضا أنه وجد، لدى من عرفوا المسيح هناك، انجيل متى، الذي كان قد سبق إلى الهند قبل وصوله هو . لأن برثولماوس - أحد الرسل - كرز لهم، وترك لهم باللغة العبرية انجيل متى، الذي كانوا محتفظين به حتى ذلك الوقت .

(٤) وبعد أعمال مجيدة كثيرة رأس بتينوس أخيرا مدرسة الاسكندرية، وفسر كنوز التعاليم الإلهية شفويا وكتابة .

الفصل الحادي عشر

أكليمنضس الإسكندري

(١) وفي ذلك الوقت اشتهر أكليمنضس، إذ تعلم معه الأسفار الإلهية في الاسكندرية . وكان له نفس الاسم الذي كان لرئيس كنيسة روما قديما، الذي كان تلميذا للرسل - [١]

(٢) وفي كتابه «وصف المناظر» [٢] يتحدث عن بتينوس بالاسم كمعلمه . ويبدو لي أنه يشير إلى نفس الشخص في الكتاب الأول من مؤلفه «الأنسجة» عندما يشير إلى أبرز خلفاء الرسل الذين قابلهم، قائلا:

(٣) «ليس هذا المؤلف [٣] كتابا كتب لمجرد التظاهر، ولكن ملاحظاتى قد ادخرت لزمان الشيخوخة خشية النسيان . هي صورة لم تمسها يد الفنان، وهي مجرد تسجيل بسيط غير مزوق للكلمات القوية الحية التي كان لي حظ سماعها، وتصوير لأشخاص مباركين بارزين .

(٤) «ومن بين هؤلاء ذلك الايوني [٤] الذي كان في اليونان، وآخر في اليونان العظمى، [٥] أحدهما من سوريا الوسطى، [٦] والآخر من مصر، كان هنالك آخران في الشرق، أحدهما آشوري والآخر عبراني في فلسطين . وعندما قابلت هذا الأخير - وكان في الواقع هو الأول بالنسبة لمقدرته - بعد أن تصيدته من مخبئه في مصر، وجدت راحة عظمى .

(٣) أي كتابه «الأنسجة» .

(٢) انظر ك ٦ ف ١٣ -

(١) انظر ك ٣ ف ٤ -

(٤) الايونيون أسلاف اليونانيين .

(٥) كان الجزء الجنوبي من شبه جزيرة ايطاليا يسمى بهذا الاسم لاحتماله على مستعمرات يونانية كثيرة .

(٦) الوادي الواقع بين سلسلي جبال لبنان الشرقية والغربية .

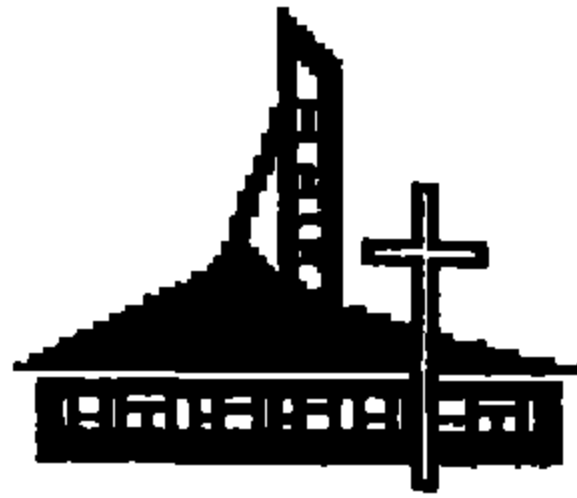
(٥) «وقد حافظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقى للتعليم المبارك، المسلم مباشرة من الرسل المقدسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، إذ كان الابن يستلمه عن أبيه (وقليلون هم الذين شابهوا آبائهم)، حتى وصل إلينا بارادة الله، لنحافظ على هذه البذار الرسولية».

الفصل الثانى عشر

الأساقفة فى أورشليم

(١) وفى هذا الوقت كان تركيسوس أسقفا على كنيسة أورشليم، ولا يزال معروفا عند الكثيرين إلى هذا اليوم. وكان من الخامس عشر منذ حصار اليهود فى عهد أدريان وقد بينا أنه من ذلك الوقت كانت كنيسة أورشليم مكونة من الأعميين، بعد أن كانت مكونة من أهل الختان، وأن مرقس كان أول أسقف أسمى ترأس عليهم [١].

(٢) وبعده كانت الخلافة فى الأسقفية كما يلى: أولا كاسيانوس، وبعده ييلوس، وبعده مكسيموس، وبعدهم يولييانوس، ثم غايوس، وبعده سيماخوس، ثم شخص آخر باسم غايوس، وشخص آخر باسم يولييانوس، وبعده هؤلاء كاييتو وفالنس ودوليكيانوس، وبعده كل هؤلاء تركيسوس وهو الأسقف الثلاثون بعد الرسل.



(١) بخصوص أساقفة أورشليم حتى خراب المدينة فى عهد أدريان انظر ك ٤ ف ٥. وبخصوص تأسيس الكنيسة من الأمم ومرقس أول أسقف أسمى انظر ك ٤ ف ٦ ..

الفصل الثالث عشر

رودو ووصفه لفتنة مركيون

(١) وفي ذلك الوقت كتب رودو - وهو من أهل آسيا، وتعلم كما يقول على يد تاتيان الذي سبق التحدث عنه [١] - عدة كتب، أحدها ضد هرطقة مركيون [٢] ويقول أن هذه البدعة كانت تنقسم في عصره إلى أربعة آراء مختلفة. ولدى التحدث عن سبيوا الانقسام فند بكل دقة الأباطيل التي اخترعها كل منهم.

(٢) واسمع ما يقول:

«ولذلك أيضا اختلفوا فيما بين أنفسهم، معتقدين آراء متناقضة. لأن أبلس - واحد من الشيعة - افتخر بنفسه بسبب طريقة حياته وسنه، ونادى بمبدأ واحد، [٣] ولكنه قال أن النبوات هي من روح مضاد، وقد دفعه إلى هذا الاعتقاد فتاة تدعى قيلومينا كان بها روح نجس».

(٣) «ولكن غيره - من بينهم بوتيتوس وباسيليكوس - اعتقدوا بمبدأين كما اعتقد مركيون نفسه ريان السفينة».

(٤) «وهؤلاء تبعوا ذئب [٤] بنطس، وسلكوا مثله بطياشة غير قادرين على تفهم حقيقة الأمور، ونادوا بمبدأين دون تقديم أى دليل. وانحدر غيرهم إلى هوة ضلالة أشر، فلم يكتفوا بطبيعتين بل نادوا بثلاث. من بين هؤلاء سينيروس، وهو قائدهم ورئيسهم، كما يقول المدافعون عن تعليمه».

(٥) ويقول نفس المؤلف أنه دخل في مناقشة مع أبلس، ويروى ما يأتي:

«لأنه لما دخل أبلس، الطاعن في السن، في مناقشة معنا دحر في أمور كثيرة تحدث عنها باطلا. ومن ثم قال أيضا أنه ليس ضروريا على الإطلاق مناقشة المرء في عقيدته، بل لكل واحد أن يتمسك بما يعتقد. وأكد بأن الذين يثقون في المصلوب ينالون الخلاص أن عملوا أعمالا صالحة. ولكنه كما قدمنا كانت عقيدته من نحو الله غامضة جدا، لأنه تحدث عن مبدأ واحد، حسب تعليمنا».

(٦) وبعد أن تحدث بالتفصيل عن رأيه هو أضاف قائلا:

(١) ك ٤ ف ٢٩.

(٢) انظر ك ٤ ف ١١.

(٣) نادى أبلس Apelles باله واحد، وجعل الخالق ملاكا تحت سلطة الاله الأعظم. أما مركيون فقد نادى بمبدأين، وإن الخالق هو الله نفسه الأزلى غير المخلوق ولكنه مستقل عن اله المسيحيين الصالح.

(٤) أى مركيون.

«لما قلت له: أخبروني كيف تعرف هذا، أو كيف تؤكد أنه يوجد مبدأ واحد، أجاب بأن النبوات ناقضت نفسها بنفسها لأنها لم تذكر الحق، فهي غير متفقة، وكاذبة، وتناقض نفسها. ولكنه قال أنه لا يعرف كيف يوجد مبدأ واحد، وأتما هو مقتنع بهذا».

(٧) «ولما ناشدته بأن يقول الحق حلف بأن هذا هو ما فعله لما قال بأنه لا يعرف كيف يوجد اله واحد غير مولود، وأتما هذا هو ما يعتقد، عندئذ ضحكت وويخته، لأنه بالرغم من ادعائه أنه معلم فإنه لم يعرف كيف يثبت ما يعلمه».

(٨) وفي نفس الكتاب يعترف الكاتب - موجهها حديثه إلى كالستيو - أنه تعلم في روما على يد تاتيان[٥] ويقول أن تاتيان أعد كتاباً عن «المعضلات» ووعد أن يفسر فيه الأجزاء الغامضة في الأسفار الإلهية. وقد وعد رودو نفسه بأن يقدم هو - في كتاب - حلوله لمعضلات تاتيان. ولا يزال يوجد له أيضاً تفسير عن أيام الخلقة الستة.

(٩) على أن أجلس هذا كتب أشياء كثيرة - بطريقة سافلة - عن ناموس موسى، مجدفاً على الأقوال الإلهية في كثير من مؤلفاته، ويبدو أنه كان غيورا جداً على هدمها ودحضها. هذا ما يتعلق بهؤلاء.

الفصل الرابع عشر

الأنبياء الكذبة في فريجية

إن عدو كنيسة الله، الذي هو بكل تأكيد مبغض للصالح ومحب للشر، لا يترك أية وسيلة أو حيلة إلا ويجربها ضد البشر، نشط ثانية في إثارة بدع غريبة ضد الكنيسة. [١] لأن بعض الأشخاص زحفوا، كحيات سامة، إلى آسيا وفريجية ومفتخرين بأن مونتانونوس هو البارقليط، وأن المرأتين اللتين تبعته، وهما بريسكلا ومكسيميليا، نيتان لمونتانونوس.

الفصل الخامس عشر

انشقاق بلاستوس في روما

وازدھر آخرون - بزعامة فلورينوس - في روما. وقد سقط من رتبة القسوسية في الكنيسة، وسقط بلاستوس سقوطاً ماثلاً. وقد جذبا الكثيرون من الكنيسة لرأيهما، محاولاً كل منهما أن يدس بدعة على قدر استطاعته.

الفصل السادس عشر

الظروف التي رُوِيَتْ عن مونتanos وأنبيائه الكذبة

(١) أما عن البدعة الفريجية فإن القوة التي تناضل دائما من أجل الحق أشهرت في وجهها سلاحا قويا لا يغلب، وهو أبوليناريوس الذي من هيرابوليس السابق التحدث عنه، [١] ومعه أشخاص آخرون مقتدرون تركوا مادة غزيرة جدا استقينا منها الكثير من المعلومات عند كتابة تاريخنا هذا .

(٢) وقد قال أحد هؤلاء في بداية كتابه الذي كتبه ضدهم أنه دخل معهم في مناقشة شفوية .

(٣) وافتتح كتابه هكذا :

«لأنك أيها الحبيب افرسيوس مارسيلوس ألححت على مدة طويلة لكتابة بحث ضد هرطقة أولئك الذين يتتسبون إلى ملتبادس، فقد ترددت إلى الآن، لا لعجز في دحض الضلال أو الشهادة للحق، بل خوفا من أن أبدو في نظر البعض أنني آتى باضافات لتعليم أو وصايا إنجيل العهد الجديد . فإنه لمن المستحيل على من اختار أن يعيش حسب الإنجيل أن يزيد عليه أو ينقص منه شيئا .

(٤) ولكنني إذ كنت مؤخرا في أنقرا [٢] بغلاطية، وجدت الكنيسة هناك متهيجة جدا بسبب هذه البدعة، لا النبوة كما يدعونها، بل النبوة الكاذبة كما سيتبين . لذلك فأنا، على قدر استطاعتنا، وبمعونة الرب، تباحثنا في الكنيسة أياما كثيرة عن هذه الأمور وغيرها مما قدموه، حتى ابتهجت الكنيسة وازدادت قوة في الحق، أما الخصوم فقد ارتبكوا وقتيا وحزنوا .

(٥) «وأما القسوس الذين كانوا في ذلك المكان، وكان زميلنا القس زوتيكوس الذي من أوتروس حاضرا أيضا، فقد رجونا أن ندون ما قيل ضد مقاومي الحق ونتركه لهم . على أننا لم نفعل هذا بل وعدنا بكتابته، حالما يسمح لنا الرب، وارساله إليهم حالا» .

(٦) وإذا قال هذا وغيره في بداية كتابه بدأ يشرح سبب البدعة السابق ذكرها كما يلي :

«أما مقاومتهم ويدعتهم الحديثة التي أفرزتهم عن الكنيسة فقد تما كما يلي :

(٧) «كانت هنالك قرية تدعى أردابو في ذلك الجزء من ميسيا المتاخمة لفريجية . ويقال أنه لما كان جراتوس واليا على آسيا كان هنالك شخص اسمه مونتanos متنصر حديثا . وبسبب تعطشه الذي لا يحد

(٢) كانت عاصمة غلاطية .

(١) في ك ٤ ف ٢١ و ٢٦ و ٢٧ و ك ٥ ف ٥ .

للقيادة أعطى الخصم فرصة ضده، وأصبح خارج عقله . وإذ أصبح بغتة فى حالة خبل وذهول صار يهذى وينطق بأمور غريبة، ويتنبأ بحالة مغايرة لعادة الكنيسة السليمة المسلمة إليها من التقليد منذ البداية .

(٨) «اشتد غضب بعض من سمعوا أقواله الزائفة وقتئذ، وويخوه كشخص قد مسه خبل، وواقع تحت سلطان ابليس، ومدفوع بروح مضل، ومضل للشعب . فمنعوه من الكلام، متذكرين نصيحة الرب نحو ضرورة التمييز [٣] والحذر من مجيء الأنبياء الكذبة [٤] الآخرين، فإذ توهموا أن لديهم الروح القدس وموهبة النبوة، تشامخوا وانتفخوا جدا، ونسوا ما أمر به الرب نحو ضرورة التمييز، وتحذوا روح الضلال والجنون والخبل، وانخدعوا به، ونتيجة لهذا لم يكن من الممكن الاستمرار فى كبح جماحه لكى يسكت .

(٩) «وهكذا بالمكر والحيل الشريرة دبر ابليس هلاكاً للعصاة، فأكرموا، وهو لا يستحق أى اكرام، فى الوقت الذى ألهب هو أذهانهم التى كانت قد انحرفت فعلا عن الايمان السليم . وعلاوة على هذا حرك امرأتين [٥] وملأهما روح الضلال حتى صارتا تتكلمان بشكل غريب وبلا روية ولا منطق، كالشخص السابق ذكره [٦] أما الروح فقد أعلن أنهم مباركون إذ سروا وافتخروا به، ونفخهم بوعوده الخلاية . غير أنه فى بعض الأحيان كان يوبخهم علانية بطريقة حكيمة أمينة لكى يظهر كناصر ومؤدب . على أن الذين انخدعوا من أهل فريجية كانوا قليلي العدد .

«وقد علمهم الروح المتطهرس احتقار الكنيسة بأكملها الجامعة تحت السماء، لأن روح النبوة الكاذبة لم ينل منها أى اكرام ولا سمح له بدخولها .

(١٠) «فالمؤمنون فى آسيا طالما اجتمعوا فى أماكن مختلفة فى كل أرجاء آسيا للتفكير فى هذا الأمر، وفحصوا الأقوال الغريبة، وأعلنوا فسادها، ورفضوا البدعة، وهكذا أبعد هؤلاء الأشخاص من الكنيسة، ومنعوا من الشركة .

(١١) وبعد أن روى هذه الأمور فى البداية، واستمر فى تنفيذ ضلالهم فى كل كتابه، تحدث فى الكتاب الثانى كما يلى عن نهايتهم :

(١٢) «فإن قالوا عنا إننا قتلنا الأنبياء لأننا لم نقبل أنبياءهم الباقين، الذين يدعون بأنهم هم الذين وعد الرب بارسالهم، [٧] فليجيئوا - كمن هم فى حضرة الله - على هذا السؤال : من بين هؤلاء

(٣) التمييز بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة .

(٤) (مت ٧ : ١٥) .

(٥) مكسيميليا ويريسكلا السابق ذكرهما فى ف ١٤ . وكانتا متزوجتين فتركنا زوجيهما وتعلمنا لمونتائوس وأصبحنا

عذراوين فى كنيسة ونييتين .

(٦) أى مونتائوس .

(٧) (مت ٢٢ : ٣٤) .

أيها الأصدقاء بدأ يتكلم، من مونتانوس إلى المرأتين فنازلا، واضطهد من اليهود أو قتل من الأشرار؟ لا أحد. وهل ألقى القبض على أحد منهم، وصلب من أجل اسم المسيح؟ يقينا أنه لا أحد. هل جلد أحد من هؤلاء النسوة في مجاميع اليهود أو رجم؟ كلا.

(١٣) «ولكن الذى قيل هو أن مونتانس ومكسميلا ماتا بنوع آخر من الموت. لأن الأخبار التى وصلتنا هى أنهما شتقا نفسيهما إذ اعتراهما روح جنون، وذلك ليس فى وقت واحد بل فى وقتين مختلفين ذكرتهما تلك الأخبار. وهكذا ماتا وختما حياتهما كالحائنين يهوذا.

(١٤) «وتروى أيضا الأنبياء المتواترة عن ذلك الشخص العجيب، أول وكيل لنبوتهم المزعومة، المسمى ثيودوتس، الذى كان يقع فى غيبوبته فى بعض الأحيان، كأنه قد أصدع إلى السماء، وسلم نفسه إلى روح الضلال - تروى هذه الأنبياء أنه أقيم كهف وكهف ومات ميتة شنيعة.

(١٥) «ويقولون، أن هذه الأمور تمت بهذه الكيفية. ولكن، لأننا لم نرها يا صديقى، فإننا لا ندعى معرفتها. فقد يكون مونتانوس وثيودوتس والمرأة السابق ذكرها ماتوا بهذه الكيفية أم لا».

(١٦) ويقول أيضا فى نفس الكتاب أن الأساقفة القديسين فى ذلك الوقت حاولوا دحض روح مكسميلا، ولكن أشخاصا آخرين منعوهم، إذ كانوا متعاونين مع الروح بكيفية واضحة.

(١٧) قد كتب كما يلي:

«ولا يقل الروح فى مكسميلا: لقد طردت من الحظيرة كذئب، أنا لست ذئبا، أنا كلمة وروح وقوة. بل ليظهر قوة الروح ويبرهن عليها. وليتقدم بالروح لمن كانوا حاضرين لمناقشة الروح البقاى وليدفعهم إلى الاعتراف به - أولئك الأشخاص البارزون والأساقفة، زوتيكيوس الذى من قرية كوماننا. ويوليانيوس الذى من أباميا، الذين سد أتباع ثيميسو أفواههم، ولم يسمحوا لهم بدحض الروح المضلل».

(١٨) ويعد أن ذكر فى نفس المؤلف أمورا أخرى لدحض نبوات مكسميلا الكاذبة، بين الوقت الذى كتب فيه هذا الوصف، وذكر نبواتها التى تنبأت فيها بالحروب والفوضى، وتدب بيطلانها فى الكلمات الآتية:

(١٩) «ألم يتبين بجلاء بطلان هذا؟ فقد مضى الآن أكثر من ثلاث عشرة سنة منذ موت تلك المرأة ولم تحدث فى العالم لا حرب محلية ولا حرب عامة. بل بالعكس دام السلام حتى للمسيحيين برحمة الله».

هذا ما ورد فى الكتاب الثانى.

(٢٠) وسأضيف أيضا مقتبسات وجيزة من الكتاب الثالث الذى يتحدث فيه ضد افتخارهم باستشهاد البعض منهم بالكلمات التالية:

«وعندما وقعوا فى حيرة، إذ كذبوا فى كل ما قالوا، حاولوا الاحتماء فى شهادتهم، مدعين بأن لهم شهداء كثيرين، وهذا دليل حى على قوة روح النبوة المزعومة التى لديهم. ولكنه واضح أن هذا محض اختلاق».

(٢١) «لأن بعض الهرطقات استشهد فى سبيلها الكثيرون. ولكننا مع هذا لن نتفق معهم أو نعترف بأنهم على حق. والواقع أولا أن المدعويين مركيونيين - نسبة إلى هرطقة مركيون - يقولون أن لديهم شهداء كثيرين من أجل المسيح، ومع ذلك لا يعترفون بالمسيح نفسه اعترافا صادق».

(٢٢) وبعد ذلك بقليل يستمر فى الحديث قائلا:

«عندما دعى البعض من الكنيسة إلى الاستشهاد من أجل حق الإيمان، والتقوا بمن يدعون شهداء هرطقة فريجية، انفصلوا عنهم، وماتوا دون أن تكون لهم أية شركة معهم، لأنهم رفضوا الاعتراف بروح مونتanos والنسوة. ومعروف عند الكل أن هذا هو ما حدث يقينا، وأنه حدث فى أيامنا الواقعة على نهر مياندر، بين الذين استشهدوا مع غايس والاسكندر الذى من يومينيا».



الفصل السابع عشر

ملتيادس وأعماله

(١) فى هذا المؤلف يذكر كاتباً، هو ملتيادس، قائلاً أنه هو أيضاً كتب كتاباً ضد الهرطقة السابق ذكرها. وبعد اقتباس بعض الكلمات يضيف قائلاً:

«وإذ وجدت هذه الأمور فى مؤلف لهم ضد مؤلف الأخ السيادس الذى يبين فيه أن النبى يجب أن لا يتكلم فى خفة، اقتضيت الأمر».

(٢) وبعد قليل قدم فى نفس المؤلف قائمة بمن تنبأوا فى العصر الجديد، ذكر من بينهم اميا وكوادراتس قائلاً:

«أما النبى الكاذب فيقع فى خفة لا يخجل معها أو يخاف. وإذ يبدأ بالتظاهر بالجهل يتقل إلى حالة خيل النفس اضطراباً كما ذكرنا».

(٣) «وهم لا يستطيعون أن يبينوا أن واحداً من الأنبياء القدماء أو الجدد حمل هكذا بالروح. كذلك لا يستطيعون الافتخار بأمثال أغابوس، [١] أو يهوذا، [٢] أو سيللا [٣] أو بنات فيلبس [٤] أو أميا التى من فيلادلفيا أو كوادراتس أو أى واحد آخر لا يتبعهم».

(٤) وبعد قليل يقول أيضاً:

«وإن كانت النساء قد نلن مع مونتانس موهبة النبوة، كما يؤكدون اقتداء بكوادراتس واميا التى من فيلادلفيا، فليبينوا من منهم نالها من أيدى مونتانس والسوسة. لأن الرسول رآه ضرورياً أن تستمر موهبة النبوة فى كل الكنيسة حتى المجيء الأخير. أما هم فلا يستطيعون أن يبينوا هذا رغم أن هذه هى السنة الرابعة عشرة منذ موت مكسيميلان [٥]

(٥) هذا ما كتبه، أما ملتيادس الذى يشير إليه فقد ترك آثاراً أخرى عن غيرته من أجل الأسفار الإلهية، وذلك فى الأبحاث التى ألفها ضد اليونانيين وضد اليهود، وفيها يرد على كل منهم فى كتاب مستقل. وعلاوة على هذا فإنه وجه احتجاجاً للحكام الأرضيين مدافعاً عن الفلسفة التى اعتنقها.

(٢) (اع ١٥ : ٢٢ ، ٢٧ و ٣٢).

(١) (اع ١١ : ٢٨ ، ٢١ : ١٠).

(٣) (اع ١٥ - ١٨ ، ١ تس ١ : ٢١ ، ١ بط ٥ : ١٢) ولعل سلواتس هو سيللا.

(٥) ف ١٦.

(٤) (اع ٢١ : ٩) ، ك ٣ ف ٢١.

الفصل الثامن عشر

الطريقة التي دحض بها أبولونيوس أهل فريجية والأشخاص الذين ذكرهم

(١) وإذ كانت البدعة الفريجية لا تزال مزدهرة في فريجية في عصر أبولونيوس [١] - وهو كاتب كنسى - فقد أخذ على عاتقه هو أيضا دحضها، وكتب مؤلفا خاصا ضدها، مصححا بكل دقة النبوات الكاذبة التي كانت شائعة بينهم، ومنتقدا حياة مؤسسى هذه البدعة. لكن اسمع كلماته عن مونتanos.

(٢) «أن تصرفات وتعاليم هذا المعلم الجديد تكشف عن شخصيته. فهو الذى نادى بحل الزواج، [٢] ووضع قوانين للصوم، [٣] وأطلق على بيوزا وتيميون (وهما مدينتان صغيرتان في فريجية) اسم أورشليم، لرغبته في جمع الناس إليهما من كل الأرجاء، وهو الذى أقام أشخاصا لجمع المال، ورتب قبول الهبات تحت اسم تقدمات، ورتب مرتبات لمن نادوا بتعاليمه لكى تنتشر على حساب النهم والشراسة».

(٣) هذا ما كتبه عن مونتanos، وبعد قليل يكتب الآتى عن نبياته:

«وقد بينا أن هؤلاء النبيات هجرن أزواجهن حالما امتلأن من الروح. اذن فقد كذب الذين يقولون عن بريسكا أنها عذراء».

(٤) وبعد ذلك يقول:

«ألا يتضح لكم أن كل الكتاب المقدس يمنع النبى من قبول هبات وأموال. فعندما أرى النبىة تتقبل ذهباً وفضة وثياباً فاخرة فكيف امتنع عن توبيخها».

(٥) وبعد قليل أيضا يتحدث هكذا عن أحد معترفيهم:

«هكذا أيضا لم يحتمل علامة الشهادة ثيميسو الممتلىء بالطمع الغرار، بل حطم كل القيود التي كانت تمنعه عن وفرة الممتلكات. ورغم أنه كان ينبغى أن يحنى رأسه خجلا بسبب هذا فقد افتخر بأنه

(١) يظن أنه كان أسقفا لأفسس.

(٢) يقال أنهم لم يحرموا الزواج قطعا بل حرموا الزيجة الثانية.

(٣) يقال أنهم أضافوا أسبوعين لصوم الفصح وأمروا بصوم يومى الأربعاء والجمعة طول النهار بعد أن كان جزءا من النهار.

شهيد، وتظاهر بأنه رسول، فكتب رسالة جامعة لتعليم أشخاص كان إيمانهم أفضل من إيمانه، مليئة بكلمات جوفاء، ومجدفا على الرب والرسول والكنيسة المقدسة.

(٦) وكتب أيضا ما يلي عن بعض أشخاص آخرين أكرمواهم كشهداء:

«ولا داعي للكلام عن الكثيرين، بل لتحدث إلينا النية نفسها عن الاسكندر الذي دعا نفسه شهيدا، والذي تعودت الجلوس معه في الولايم، والذي يعبد الكثيرون. ولسنا في حاجة لذكر حوادث السرقة التي ارتكبها والأعمال الاجرامية الأخرى التي عوقب من أجلها، فهذه تتضمنها السجلات المحفوظة».

(٧) «أى واحد من هؤلاء يصفح عن أخطاء غيره؟ أصفح النبي عن سرقات الشهيد أو يصفح الشهيد عن طمع النبي؟ لأنه رغم ما قاله الرب: لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا ثوبين، [٤] فإن هؤلاء بعكس الوصية على خط مستقيم خالفوها فيما يتعلق بامتلاك الأشياء المحرمة. وسنين أن هؤلاء الذين يدعونهم أنبياء وشهداء يجمعون أرباحهم، لا من الأغنياء فحسب، بل أيضا من الفقراء وارايل والأيتام.

(٨) «وإن كانوا واثقين من أنفسهم فليقفوا ويناقشوا هذه الأمور، حتى إذا ما ثبتت ادانتهم كفوا عن تعدياتهم: لأن ثمار النبي يجب أن تمتحن، فمن الثمر تعرف الشجرة» [٥].

(٩) «أما الذين يريدون أن يعرفوا من هو الاسكندر فليعلموا أنه قد حاكمه أميليوس فرونتينوس وإلى أفسس، لا من أجل اسم المسيح، بل من أجل السرقات التي ارتكبها بسبب ارتداده عن الحق. وبعد ذلك إذ صرح كذبا باسم الرب أطلق سراحه لأنه خدع المؤمنين الذين كانوا هناك. ولم تقبله أبروشيته التي أتت منها لأنه كان لصا. وعلى الذين يريدون أن يعرفوا عنه المزيد أن يلجأوا إلى سجلات آسيا العامة، ومع ذلك فإن النبي الذي قضى معه سنوات طويلة لا يعرف عنه شيئا.

(١٠) «وإذ نشهر به نحن نشهر أيضا بادعاء النبي، وهذا ما يمكن إظهاره أيضا عن الكثيرين

غيره. أما أن كانوا واثقين من أنفسهم فليصمدوا أمام الامتحان».

(٤) (مت ١٠ : ٩ و ١٠).

(٥) (مت ١٢ : ٣٣).

(١١) وفى جزء آخر من مؤلفه يتحدث كما يلى عن الأنبياء الذين يفتخرون بهم:

«أن أنكروا أن أنبياءهم قبلوا هدايا فليعترفوا بهذا، حتى إذا ما ثبتت ادانتهم من جهة قبولها ثبت أنهم ليسوا أنبياء. وستقدم الأدلة الكثيرة جدا عن هذا. ولكنه من الضروري امتحان كل ثمار النبى. قولوا لى هل النبى يصبغ شعره؟ هل النبى يصبغ جفن عينيه؟ هل النبى يتلذذ بالتزين؟ هل النبى يلعب الميسر؟ هل النبى يقرض بالفائدة؟ ليعترفوا أن كانت هذه الأمور جائزة أم لا، أما أنا فسأبين أنهم ارتكبوها فعلا».

(١٢) ويذكر أبولونيوس هذا نفسه، فى نفس المؤلف، أنه فى وقت كتابة مؤلفه كانت قد مرت أربعون سنة منذ بدأ مونتanos نبوته المزعومة.

(١٣) ويقول أيضا بأن زوتيکوس، الذى ذكره الكاتب السابق، [٦] قاوم مكسيميليا عندما كانت تزعم التنبؤ فى ييبوزا، وحاول أن يفضح الروح الذى كان يعمل فيها. ولكن الذين كانوا موافقين لها منعه. وذكر أيضا شخصا اسمه ثراسيس كان من بين شهداء ذلك الوقت.

وعلاوة على هذا تحدث عن رواية رويت عن المخلص أنه أمر رسله بأن لا يغادروا أورشليم مدة اثنتى عشرة سنة، [٧] واقتبس أيضا شهادات من رؤيا يوحنا، وروى أن يوحنا نفسه أقام ميتا فى أفسس بمعونة القوة الإلهية. وأضاف أمورا أخرى فضح فيها بقوة ضلال البدعة موضوع حديثنا.

هذه هى الأمور التى دونها أبولونيوس.



(٦) انظر ف ١٦ و ١٧.

(٧) وهذا ما رواه أيضا اكليمينفيس الاسكندري.

الفصل التاسع عشر

سراييون وكتاباتة عن بدعة أهل فريجية

(١) أما سراييون الذى يقول أنه خلف مكسيمينوس [١] كأسقف على كنيسة أنطاكية فى ذلك الوقت [٢] فإنه يذكر مؤلفات أبوليناريوس [٣] ضد البدعة السابق ذكرها، ويشير إليه فى خطاب خاص أرسله رلى كاريكوس وبونتوس، يفضح فيه البدعة ذاتها، ثم يضيف الكلمات التالية .

(٢) «لكى ترى أن أعمال هذه العصاة المضللة المتتمة لتلك النبوة الجديدة المزعومة كريهة لدى كل الاخوة فى كل العالم أرسلت إليك كتابات [٤] المغبوط جدا كلوديوس أبوليناريوس أسقف هيرابوليس فى آسيا» .

(٣) وفى نفس خطاب سراييون وجدت توقعات أساقفة عديدين، كتب أحدهم عن نفسه ما يلى :

«أنا أوريليوس كيرينيوس، أحد الشهود، أصلى لتوهبوا الصحة» .

وقال آخر بنفس الكيفية :

«أنا اليوس بيلوس أسقف دبلتوم، [٥] وهى مستعمرة فى تريس، كما يسكن الله فى السموات أراد سوتاس فى انكيالوس [٦] أن يخرج الشيطان من بريسكلا، ولكن المرائين لم يسمحوا له بذلك» .

(٤) ويتضمن نفس الخطاب توقعات أساقفة آخرين كثيرين متفقين معهم .

هذا ما قيل عن هؤلاء الأشخاص .



(٢) حوالى سنة ١٩٠ م .

(١) انظر ك ٤ ف ٢٤ .

(٤) انظر ك ٤ ف ٢٧ .

(٣) انظر ك ٤ ف ٢٧ .

(٥) و (٦) مدينتان فى تريس على الشاطئ الغربى للبحر الأسود .

الفصل العشرون

كتابات إيريناوس ضد المنشقين في روما

(١) وقد كتب إيريناوس [١] عدة رسائل ضد من كانوا يشوشون على الترتيب السليم في كنيسة روما . أرسلت احدهما إلى بلاستس [٢] عن الانشقاق ، وأخرى إلى فلورينوس عن الملكية ، أو أن الله ليس مصدر الشر . إذ يبدو أن فلورينوس [٣] كان يدافع عن هذا الرأي . ولأنه قد انحرف بسبب ضلالة فالتينوس فقد كتب إيريناوس مؤلفه عن «الثماني» [٤] الذي يبين فيه أنه هو نفسه تعرف على أوائل خلفاء للرسول .

(٢) وفي ختام المؤلف نجد ملاحظة جميلة جدا نرى أنفسنا ملزمين بإثباتها في هذا المؤلف . وهذا نصها :

«أحلفك يا من قد تكتب صورة من هذا الكتاب - برينا يسوع المسيح وبمجيئه الثاني المجيد الذي فيه يدين الأحياء والأموات - أن تقارن ما سوف تكتبه بهذه النسخة وتصححه عليها بدقة . وأن تثبت هذا الحلف وتضعه في النسخة التي تكتبها» .

(٣) جميل أن نقرأ هذه الأمور في مؤلفه ، وجميل أن نرويهما لكي يكون هؤلاء الرجال الأقدمون القديسون بالحق كأمثلة عليا في الصبر والتدقيق .

(٤) وفي الرسالة إلى فلورينوس ، السابق التحدث عنها ، [٤] يذكر إيريناوس أيضا أنه كان صديقا لبوليكرابوس قائلا :

«أن أبسط ما يقال عن هذه التعاليم يا فلورينوس هو أنها ليست سليمة ، هذه التعاليم لا تتفق وتعاليم الكنيسة ، وتطوح إلى هاوية الضلال والفساد كل من يقبلونها . هذه التعاليم التي لم يجرؤ أحد - حتى من الهرطقة البعدين عن الكنيسة - على نشرها . هذه التعاليم لم يسلمها إليك الشيوخ الذين كانوا قبلنا ، والذين كانوا معاصرين للرسول .

(١) بخصوص إيريناوس انظر ك ٤ ف ٢١ .

(٢) و (٣) يخبر يوسابيوس في ف ١٥ أن بلاستس وفلورينوس جذبا الكثيرين في كنيسة روما بإرائهما الغربية وبدعما .

(٤) نادى فالتينوس بشمانية دهور كأصل لكل الدهور الكائنات . لذلك كتب إيريناوس مؤلفا ضد هذه العقيدة .

(٥) «لأننى لما كنت صبيا رأيتك فى آسيا السفلى مع بوليكاربوس تتحرك فى عظمة فى الحاشية الملكية، ومحاولا أن تنال رضاه».

(٦) «واننى أتذكر حوادث ذلك الوقت بوضوح أكثر من حوادث السنوات الأخيرة . لأن ما يتعلمه الصبيان يرسخ فى عقولهم . لذلك ففى امكانى وصف نفس المكان الذى كان يجلس فيه المغيوط بوليكاربوس وهو يلقى أحاديثه، ودخوله وخروجه، وطريقة حياته، وهيته جسمه، وأحاديثه للشعب، والوصف الذى قدمه عن عشرته ليوحنا، والآخرين الذين رأوا الرب، ولأن بوليكاربوس كان متذكرا كلماتهم، وما سمعه منهم عن الرب وعن معجزاته وتعاليمه لاستلامها من شهود شهدوا بأعينهم كلمة الحياة، [٥] فقد روى كل شىء بما يتفق مع الأسفار المقدسة».

(٧) «وإذ رويت إلى هذه الأمور برحمة الله أصغيت إليها بانتباه، مسجلا أياها لا فى ورق بل فى قلبى . وصرت أرددها على الدوام بأمانة بنعمة الله . وفى امكانى تقديم الشهادة أمام الله أنه لو كان هذا الشيخ الرسول قد سمع أمرا كهذا لصرخ صامما أذنيه، ونادى كعادته : يا الله الصالح، إلى متى تبقى حياتى حتى أحتفل أمورا كهذه، ولهرب من المكان الذى سمع فيه هذه الكلمات جالسا أو واقفا».

«وهذا يمكن أن يتبين بوضوح من الرسائل إلى أرسلها أما إلى الكنائس المجاورة لتشيبتها أو إلى الاخوة ناصحا وواعظا».

هذا ما يختص بايريناوس .



الفصل الحادى والعشرون

كيف استشهد أبولونيوس فى روما

(١) وفى ذلك الوقت - فى عهد كومودس - تحسنت أحوالنا، وبنعمة الله تمتعت الكنائس فى كل العالم بالسلام، وكانت كلمة الخلاص تهذى كل نفس من كل الجنس البشرى لعبادة اله الكون عبادة نقية. لذلك كان الكثيرون من البارزين فى روما وقتئذ بسبب ثروتهم أو نسبهم يرجعون إلى خلاصهم مع كل أهل بيوتهم وأقاربهم.

(٢) ولكن الشيطان. مبغض الصلاح، لم يحتمل هذا بسبب خبث طبيعته، بل أعد نفسه ثانية للنضال، مديرا حيلة كثيرة ضدنا. وقدم إلى كرسى القضاء أبولونيوس الذى من مدينة روما، وهو رجل اشتهر بين المؤمنين بالعلم والفلسفة، إذ حرض أحد خدمه ليتهمه وكان هذا الخادم خليقا يعمل كهذا.

(٣) على أن هذا التعس قدم التهمة فى وقت غير مناسب، لأنه كان قد صدر أمر ملكى بأنه لا يجوز أن يعيش أى شخص يبلغ عن مثل هذه الأمور. فكسرت ساقاه فى الحال، لأن ييرينيوس القاضى حكم عليه بهذا الحكم.

(٤) أما الشهيد، محبوب الله جدا، فقد رجاء القاضى بحرارة لكى يدافع عن نفسه أمام مجلس الأعيان، فقدم أمام الجميع دفاعا بليغا عن الإيمان الذى كان يشهد له. فأعدم بقطع رأسه وذلك بقرار من مجلس الأعيان، لأنه كان هنالك قانون قديم يتضمن بأن الذين يؤتى بهم إلى كرسى القضاء ويرفضون أن يجحدوا الإيمان يجب أن لا يخلى سبيلهم.

(٥) وكل من يريد معرفة حججه أمام القاضى، واجابته على أسئلة ييرينيوس، ودفاعه الكامل أمام مجلس الأعيان، يجدها فى سجلات الاستشهادات القديمة التى جمعناها.



الفصل الثاني والحشرون

الأساقفة الذين اشتهروا وقتئذ

فى السنة العاشرة من حكم كومودس ارتقى فيكتور الاسقفية خلفا لاليوثيوس الذى شغلها ثلاث عشرة سنة . وفى نفس السنة، بعد أن أكمل يوليانوس [١] سنته العاشرة، أؤتمن ديمتريوس [٢] على أبروشيات الاسكندرية . وفى ذلك الوقت كان لا يزال سراييون [٣] - الثامن بعد الرسل - معروفا جدا كأسقف كنيسة انطاكية . وترأس ثيوفيلس [٤] فى قيصرية فلسطين . وكان نركيسوس [٥] - السابق ذكره - لا يزال مؤتمنا على كنيسة اورشليم . وفى نفس الوقت كان باتسيلوس [٦] أسقفا فى كورنثوس باليونان، وبوليكراتس [٧] أسقفا على أبروشية أفسس . وعلاوة على هؤلاء كان هنالك آخرون كثيرون بارزون بطبيعة الحال . ولكننا دوننا فقط أسماء من وصلت إلينا، كتابة، صحة إيمانهم .



-
- (١) بخصوص يولبانوس أسقف الاسكندرية انظر ف ٩ .
 - (٢) نصب أسقفا سنة ١٨٩م، وظل فى الأسقفية ٤٣ سنة (انظر ك ف ٢٦) . كان فى بداية الأمر صديقا لاوريجانوس ولكن الصداقة اتقلبت فيما بعد إلى عداوة (انظر ك ف ٦ و ٨) .
 - (٣) ف ١٩ .
 - (٤) اشتهر ثيوفيلس بصفة خاصة بسبب موقفه فى المنازعة الخاصة بعيد الفصح . وقد رأس المجمع المشار إليه فى الفصل التالى هو ونركيسوس .
 - (٥) انظر ف ١٢ .
 - (٦) لعله هو باتشيليدس المذكور فى ك ٤ ف ٢٣ . وقد كتب رسالة عن المنازعة الفصحية الوارد ذكرها فى الفصل التالى .
 - (٧) تزعم بوليكراتس أساقفة آسيا فى المنازعة الفصحية ولذا كان هو أول خصم لفكتور أسقف روما .

الفصل الثالث والعشرون

المسألة التي أثّرت وقتئذ بخصوص الفصح

(١) وقد أثّرت وقتئذ مسألة ليست هينة . لأن جميع أبروشيات آسيا اعتقدت - بناء على تقليد قديم - أن اليوم الرابع عشر القمري، وهو اليوم الذي أمر فيه اليهود أن يذبحوا خروف الفصح، هو الذي يجب أن يحفظ كعيد فصح مخلصنا [١] لذلك كان يجب أن ينتهى صومهم فى ذلك اليوم، بغض النظر عن وقوعه فى أى يوم من الأسبوع .

ولكن لم تجر العادة فى سائر كنائس العالم أنهاء الصوم فى ذلك الوقت لأنه جرت عاداتهم، التى تسلموها من التقليد الرسولى، والتى لا تزال سارية إلى الآن، أن لا ينهوا صومهم فى أى يوم آخر سوى يوم قيامة مخلصنا .

(٢) ولهذا السبب عقدت المجامع واجتمع الأساقفة، واتفق الكل برأى واحد، بعد تبادل الرسائل، على اصدار أمر كنسى بأن سر قيامة الرب يجب أن لا يحتفل به فى أى يوم آخر سوى يوم الرب، وإنما يجب أن نختم الصوم الفصحى فى هذا اليوم فقط . ولا يزال موجودا ما كتبه أولئك الذين اجتمعوا فى فلسطين وقتئذ، الذين رأسهم ثيوفيلس أسقف قيصرية ونركيسوس [٢] أسقف أورشليم . يوجد أيضا مكتوب عن الذين اجتمعوا فى روما لبحث نفس المسألة، وهو يحمل اسم الأسقف فيكتور، وأيضا ما كتبه أساقفة بنطس الذين رأسهم بالماس [٣] باعتباره أكبرهم سنا، وأساقفة أبروشيات بلاد الغال التى كان ايريناوس أسقفا لها، وأساقفة أو اسراهونى [٤] والمدن التى هناك .

(١) كان النزاع الذى أثّر بين كنائس آسيا الصغرى وسائر كنائس العالم هو : هل تمارس فريضة عشاء الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان أو فى يوم أحد عيد القيامة دون مراعاة للتقويم اليهودى . فمسيحيوا آسيا الصغرى اقتدوا بالرسولين يوحنا وفيلبس واعتادوا الاحتفال بالفصح المسمى فى الرابع عشر من شهر نيسان، مهما حل ذلك اليوم من أيام الأسبوع، وذلك بالصوم طول النهار، ثم تناول العشاء الربانى فى نهاية النهار، تذكارا لعشاء الفصح الأخير الذى مارسه المسيح . أما باقى الكنائس فكانت تحتفل بذكرى موت المسيح يوم الجمعة وبذكرى القيامة فى يوم الأحد التالى للبدر (القمر الكامل) بعد الاعتدال الربيعى . وقد أثّرت أول مناقشة فى هذا الأمر بين بوليكاربوس وانيسيتوس أسقف روما عندما كان الأول يزور روما بين سنة ١٥٠ و ١٥٥م . وحوالى سنة ١٧٠م أثّير الخلاف ثانية فى لاودكية، وكان المتنازعان الرئيسيان ميليتو فى ساردس وأبوليناريوس فى هيرابوليس (انظر ك ٤ ف ٢٦ و ٢٧) . وأخيرا أثّير النزاع فى الكنيسة العامة .

(٢) انظر الفصل السابق . (٣) بالماس أسقف أماستريس فى بنطس . انظر ك ٤ ف ٢٣ .

(٤) منطقة فى شمال غربى بلاد ما بين النهرين .

(٣) ورسالة شخصية لباتشيلوس أسقف كنيسة كورنثوس، ورسائل لأشخاص آخرين كثيرين
نطقوا بنفس الرأي والحكم، وأعطوا صوتهم بنفس المعنى.

وكان ما تقدم هو رأيهم الإجماعي.

الفصل الرابع والعشرون

النزاع في آسيا

(١) على أن أساقفة آسيا - يتزعمهم بوليكراتس - قرروا التمسك بالعادة القديمة المسلمة إليهم.
وقد كتب هو نفسه رسالة وجهها إلى فيكتور وإلى كنيسة روما بين فيها التقليد الذي تسلمه، وذلك في
الكلمات التالية.

(٢) «أنا تحتفل باليوم المضبوط دون اضافة أو حذف. لأنه قد رقد في آسيا أيضا أنوار عظيمة
ستقوم ثانية في يوم مجيء الرب عندما يأتي بمجد من السماء ويطلب جميع القديسين. بين هؤلاء
فيلبس، أحد الرسل الاثنى عشر، الذي رقد في هيرابوليس، وابنتاه العذراوان الطاعتان في السن، وابنة
أخرى عاشت في الروح القدس، وتستريح الان في أفسس».

(٣) «وعلاوة على هؤلاء يوحنا الذي كان شاهدا ومعلما، والذي اتكا في حضن الرب، وإذا
كان كاهنا لبس الصدر المقدسة. وقد رقد في أفسس».

(٤) «وبوليكاربوس [١] في أزمير الذي كان أسقفا وشهيدا، وثريس وهو أسقف وشهيد من
يومينيا، الذي رقد في أزمير».

(٥) «وهل هنالك حاجة لذكر ساجارس [٢] الأسقف والشهيد الذي رقد في لادوكية، أو المغبوط
بابيروس أو ميليتو [٣] الخصى الذي عاش كلية في الروح القدس ورقد في سادرس منتظرا الأسقفية من
السماء عندما يقوم من الأموات».

(١) بخصوص بوليكاربوس انظر ك ٤ ف ١٤.

(٣) ك ٤ ف ٢٦.

(٢) ك ٤ ف ٢٦.

(٦) «جميع هؤلاء احتفظوا باليوم الرابع عشر من الفصح وفقا للإنجيل، دون أى انحراف، بل متبعين قاعدة الايمان . وأنا أيضا بوليكراتس، أصغركم جميعا، أتصرف حسب تقليد أقربائى، الذين اتبعت بعضهم عن قرب . لأن سبعة من أقربائى كانوا أساقفة، وأنا الثامن . وقد كان أقربائى دائما يحفظون اليوم الذى كان الشعب [٤] يرفعون فيه الخمير» .

(٧) «لذلك فإننى أيها الاخوة، أنا الذى عشت خمسا وستين سنة فى الرب، والتقيت بالاخوة فى كل العالم، وتصفححت كل سفر من الكتاب المقدس، لا أفزع من الكلمات المخيفة، لأن من هم أعظم منى قالوا: يجب أن نطيع الله أكثر من الناس [٥]» .

(٨) بعد ذلك كتب عن جميع الأساقفة الذين كانوا حاضرين معه، وفكروا نفس تفكيره . وهاك كلماته:

«وفى استطاعتى ذكر الأساقفة الذين كانوا حاضرين، الذين استدعيتهم كرجبتكم [٦] والذين لو كتبت أسماءهم لجمعت سفرا ضخما . أما هم، وقد رأوا حقارتى، فقد وافقوا على الرسالة، عالمين أننى لم أحمل شعري الأبيض عبثا، بل كنت دواما أضبط حياتى بالرب يسوع» .

(٩) عندئذ حاول فيكتور، رئيس كنيسة روما، أن يقطع كل أبروشيات آسيا فى الحال من وحدة الكنيسة العامة، وكذا الكنائس التى وافقتها، كهراطقة . وكتب رسائل أعلن فيها حرم جميع الاخوة هنالك .

(١٠) ولكن هذا لم يرض جميع الأساقفة، فطلبوا إليه أن يراعى ما هو للسلام، وأن يراعى وحدة ومحبة الجوار . ولا تزال كلماتهم موجودة، وفيها توبيخ عنيف لفكتور .

(١١) من بينهم ايريناوس، الذى أرسل رسائل باسم الاخوة فى بلاد الغال، الذى كان يترأس عليهم، مصرحا بأن سر قيامة الرب يجب أن يحفظ فقط فى يوم الرب . وحقا فعل، إذ نصح فيكتور بأن لا يقطع كنائس لله برمتها حافظت على تقليد عادة قديمة . وبعد كلمات كثيرة يستأنف الحديث قائلا:

(١٢) «لأن النزاع ليس محصورا فى اليوم فقط، بل يتعلق أيضا بطريقة الصوم . فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوما واحدا، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر . والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهارا وليلا [٧]

(٤) أى اليهود . وكانوا يحتفلون بعيد الفصح مساء اليوم الرابع عشر من نيسان، وكانوا يأكلونه مع الفطير (خر ١٢ : ١٦)

(٥) (اع ٥ : ٢٩) . ولذا كان اليهود يرفعون الخمير فى اليوم الرابع عشر إلى سبعة أيام .

(٦) هذا يبين أن المجمع الأسبوى دعى كطلب فيكتور أسقف روما .

(٧) يترجم البعض هذه العبارة هكذا: والبعض أربعين يوما حاسين ساعات النهار والليل يومهم .

(١٣) «وهذا الاختلاف في حفظ الصوم لم ينشأ في أيامنا، بل في أيام آبائنا قبل ذلك بوقت طويل . ويبدو أنهم لم يراعوا الدقة التامة، وهكذا تركوا لأنسالهم عادة تتفق مع بساطتهم وطريقتهم الخاصة . ومع ذلك فقد عاش جميع هؤلاء في سلام، ونحن أيضا نعيش في سلام مع بعضنا بعضا، وعدم الاتفاق في الصوم يؤيد الاتفاق في الإيمان» .

(١٤) ويضيف إلى هذا الكلمات التالية الخليفة باثباتها هنا:

«وبين هؤلاء كان المشايخ قبل سوتر رئيس الكنيسة التي تديرها أنت الآن . نعى أنيسيتوس ويوس وهيجينوس وتلسفوروس وزيتوس : وهم لا يحفظوه [٨] بأنفسهم ولا سمحوا بذلك لمن بعدهم . ومع أنهم لم يحفظوه فكانوا في سلام مع من أتى إليهم من الأبروشيات التي حفظته، وبالرغم من أن حفظه كان يقاوم جدا ممن لم يحفظوه .

(١٥) «ولكن لم يبعد أحد قط من الكنيسة لهذا السبب، فالمشايخ قبلك الذين لم يحفظوه أرسلوا العشاء الرباني لمن يحفظوه في الأبروشيات الأخرى .

(١٦) «وعندما كان المغبوط بوليكاربوس في روما، في وقت أنيسيتوس، واختلفا قليلا في بعض أمور أخرى، حل السلام بينهما في الحال، دون أن يتشاجرا بصدد هذا الأمر . لأن أنيسيتوس عجز عن أن يقنع بوليكاربوس بالعدول عن اتباع ما كان يمارسه دواما مع يوحنا رسول ربنا وباقي الرسل الذين اختلط بهم، كذلك عجز بوليكاربوس عن اقناع أنيسيتوس لحفظه، إذ قال أنه يجب اتباع العادات التي مارسها المشايخ قبله .

(١٧) «ورغم أن الحالة كانت على هذا الوجه فقد احتفظا بعشرتهما معا، وتنازل أنيسيتوس عن خدمة العشاء الرباني في الكنيسة إلى بوليكاربوس، كعلامة احترام . وافترقا في سلام، من حفظ ومن لم يحفظ، محتفظين بسلام كل الكنيسة» .

(١٨) هكذا صار إيريناوس - وحسنا سمي بهذا الاسم [٩] - صانعا سلاما في هذه الناحية، إذ قدم النصائح وأرسل الرسائل اللازمة على هذا الوجه من أجل سلام الكنائس . وتبادل الرسائل، في هذه المسألة التي كانت تحت البحث، ليس فقط مع فيكتور بل أيضا مع أغلب قادة الكنائس .



الفصل الخامس والعشرون

كيف وصل الجميع إلى اتفاق بخصوص الفصح

أما الذين في فلسطين السابق ذكرهم مؤخرا، تركيسوس وثيوفيلس، [١] ومعهما كاسيوس أسقف كنيسة صور، وكلاروس أسقف كنيسة بتولمايس، ومن اجتمعوا معهم [٢] فأنهم إذ ذكروا أمورا كثيرة عن التقليد الخاص بالفصح الذي وصل إليهم بالتعاقب من الرسل، أضافوا الكلمات الآتية في ختام ما كتبوه:

«اجتهدوا أن ترسلوا نسخا من رسالتنا إلى كل كنيسة، لكي لا نعطي فرصة لمن يخدعون نفوسهم بسهولة. ونعرفكم بأنهم في الاسكندرية يحفظونه في نفس اليوم مثلنا. لأن الرسائل قد حملت منا إليهم ومنهم إلينا، حتى إننا نحفظ اليوم المقدس بنفس الطريقة وفي نفس الوقت».

الفصل السادس والعشرون

مؤلفات إيريناوس الرائعة التي وصلت إلينا

وعلاوة على مؤلفات إيريناوس ورسائله السابق ذكرها [١] فلا يزال موجودا كتاب له عن المعرفة كتبه ضد اليونانيين، وهو كتاب في غاية الدقة والقوة، وكتاب آخر وجهه إلى أخ اسمه مركيان لايضاح التعاليم الرسولية، ومجلد يتضمن أبحاثا مختلفة يذكر فيها الرسالة إلى العبرانيين، والسفر المسمى حكمة سليمان، مقتبسا منهما بعض الاقتباسات. هذه هي مؤلفات إيريناوس التي وصلت إلى علمنا.

وإذ انتهى حكم كومودس بعد ثلاث عشرة سنة أقيم ساويرس امبراطورا، بعد أقل من ستة شهور من موت كومودس، وفي الفترة المتوسطة كان يحكم برتيناكس.

(٢) أي في مجمع فلسطين السابق ذكره في ف ٢٣.

(١) ف ٢٢ و ٢٣.

(١) انظر ك ٤ ف ٢١.

الفصل السابع والعشرون

مؤلفات الآخرين التي ازدهرت في ذلك الوقت

ولا يزال الكثيرون يحتفظون بتذكارات عديدة، عن غيرة واخلاص رجال الكنيسة في ذلك الوقت . من بين هؤلاء نذكر بصفة خاصة كتابات هيراكليطوس «عن الرسول»، وكتابات مكسيموس عن المسألة التي طالما ناقشها الهرطقة، أي «أصل الشر»، وعن «خلق المادة» . ومؤلفات كنديدوس عن ستة أيام الخلق، ومؤلفات أيون عن نفس الموضوع . وكذا مؤلفات سكستوس عن قيامة الأموات، ومؤلف آخر وضعه أرييانوس وكتابات آخرين كثيرين من المستحيل أن نذكر في مؤلفنا شيئا عن الوقت الذي عاشوا فيه، أو اعطاء أى بيان عن تاريخهم لعدم توفر معلومات لدينا عنهم . وقد وصلت إلينا مؤلفات كثيرين آخرين لا نستطيع اعطاء أسمائهم، وهم كتاب مستقيمو الرأي (ارثوذكسيون) وكثيرون كما يتبين من تفسيرهم للأسفار الإلهية، ولكنهم غير معروفين لدينا لحاو كتاباتهم من أسمائهم .

الفصل الثامن والعشرون

أول من أذاعوا بدعة أرتيمون

طريقة حياتهم ، وكيف تجاسروا على إفساد الأسفار المقدسة

(١) وفي مؤلف جليل الشأن كتبه أحد هؤلاء الكتاب ضد بدعة أرتيمون، التي حاول بولس السيساطي^[١] أن يبعثها من قبرها ثانية في أيامنا، توجد رواية مناسبة للتاريخ الذي نتحدث عنه الآن .

(٢) لأنه يتقصد البدعة السابق ذكرها التي تنادى بأن المخلص كان مجرد انسان، لأنهم كانوا يحاولون أن يعظموا من شأنها، بينما أثبت هو أنها لم تظهر إلا حديثا . وبعد أن قدم في مؤلفه حججا أخرى كثيرة لتفنيد أباطيلهم وتجاديفهم، أضاف الكلمة الآتية:

(٣) «لأنهم يقولون أن جميع المعلمين المتقدمين والرسل قبلوا ما يعلنونه هم الآن، وكانوا يتادون به، وأن حق الإنجيل حفظ حتى أيام فيكتور الأسقف الثالث عشر لروما بعد بطرس، ولكن الحق فسد منذ أيام خلقه زفيرينوس .

(١) بخصوص بولس هذا انظر ك ٧ ف ٢٧ .

(٤) «ولو لم تناقضهم الأسفار الإلهية لكان ما يقولونه معقولا . وهنالك كتابات لبعض الاخوة أسبق عهدا من فيكتور، كتبوها دفاعا عن الحق، وضد الوثنيين، وضد الهرطقات التي كانت في أيامها . وإننى أشير إلى يوستينوس [٢] وملتيادس [٣] وتاتيان [٤] واكليمنضس [٥] وآخرين عن المسيح في كل مؤلفاتهم كاله .

(٥) «لأنه من ذا الذى لا يعرف مؤلفات ايريناوس [٦] وميليتو [٧] وغيرهما، التي تثبت أن المسيح اله وانسان [٨] وكم من الزامير والترانيم كتبها الاخوة المؤمنون من البدء تتحدث عن المسيح كلمة الله، وتصريح بأنه اله .

(٦) «وكيف كان ممكنا - وقد كرز برأى الكنيسة سنوات طويلة - أن تتأخر كرازتها حتى أيام فيكتور كما يدعون؟ وكيف لا يخجلون من التحدث هكذا زورا عن فيكتور وهم يعلمون تماما أنه قطع من الشركة ثيودوتس الاسكافي، قائد وباعث هذه البدعة التي تنكر الله، وأول من نادى بأن المسيح مجرد انسان؟ لأنه إن كان فيكتور موافقا لرأيهم، كما تقول افتراءاتهم، فكيف أمكنه أن يخرج ثيودوتس مخترع هذه البدعة؟» .

هذا ما قيل عن فيكتور

(٧) وقد دامت أسقفيته عشر سنوات، ثم أقيم زفيرينوس خليفة له حوالى السنة التاسعة من حكم ساويرس . وقد روى مؤلف الكتاب المشار إليه، بخصوص مؤسس هذه البدعة، حادثة أخرى حدثت أيام زفيرينوس، فى الكلمات التالية .

(٨) «وسأذكر الكثيرين من الاخوة بحقيقة حدثت فى أيامنا، لو أنها حدثت فى سدوم، لاعتبرت فى اعتقادى انذارا لهم . كان هنالك معترف يسمى ناتاليوس ليس منذ عهد بعيد بل فى أيامنا» .

(٩) «هذا الرجل خدعه فى وقت واحد اسكاليبودوتس وشخص آخر يحمل نفس اسم ثيودوتس، وهذا صراف نقود . وكلاهما كانا تلميذين لثيودوتس الاسكافي الذى كان كما قدمت أول من حرمه فيكتور، الأسقف وقتئذ، بسبب هذه العاطفة، أو بالأحرى بسبب عدم الاحساس هذا» .

(١٠) «وقد أقنعوا أناتاليوس ليقبل بل يختار أسقفا لهذه البدعة بماهية يدفعونها له وهى مائة وخمسون دينارا شهريا» .

(٥) ف ١١

(٤) ك ٣ ف ٢٩ .

(٣) ف ١٧ .

(٢) انظر ك ٤ ف ١١ .

(٨) انظر المقدمة .

(٧) انظر ك ٤ ف ٢٦ .

(٦) ف ٤ ف ٢١ .

(١١) «ولما اندمج معهم هكذا حذره الرب مرارا بواسطة بعض الرؤى . لأن الله الرحوم ربنا يسوع المسيح لم يشأ أن ذاك الذى شهد لآلامه يهلك باخراجه من الكنيسة» .

(١٢) «ولكن لأنه لم يبال كثيرا بالرؤى، إذ كان قد أغرى باعطائه أول مركز بينهم، وبالطمع المخزى الذى يسبب هلاك الكثيرين، فقد جلده الملائكة المقدسون، [٩] وعاقبوه بقسوة طول الليل . ولما قام فى الصباح لبس المسوح وتغطى بالرماد، وبمتهى السرعة ودموع غزيرة سقط عند قدمى زفيرينوس الأسقف، وارتعى ليس عند أقدام رجال الكهنوت فقط بل أيضا عند أقدام العلمانيين . وحرك بدموعه عواطف كنيسة المسيح الرحوم . ورغم أنه قدم الكثير من التوسلات، وأظهر آثار الجلدات التى جلد بها، فإنه لم يسمح له بالعودة إلى الشركة إلا بشق النفس» .

(١٣) ولنقتبس من نفس الكاتب فقرات أخرى عنهم هاك نصها:

«وقد عاملوا الأسفار الإلهية بعدم اكتراث وبدون خوف . وطرحوا جانباً قاعدة الإيمان القديم . ولم يعرفوا المسيح . وهم لا يحاولون معرفة ما تعلنه الأسفار الإلهية، بل يبذلون أقصى الجهد للبحث عن بعض الألفاظ المنطقية التى يمكن احكامها لتدعيم آرائهم الكفرية . وأن قدم أى واحد فقرة من الأسفار الإلهية إليهم اجتهدوا أن يستخلصوا منها أى رأى منطقى سلبى أو ايجابى .

(١٤) «ولأنهم من الأرض، ومن الأرض يتكلمون، ولأنهم يجهلون الآتى من فوق، فقد تركوا كتابات الله المقدسة ليتفرغوا لعلم الهندسة» . [١٠] فبعضهم أجهد نفسه ليقيس اقليدس، [١١] والبعض أعجب بارسطوطاليس وثيوفراستوس، بل لعل البعض قد عبد جالن .

(١٥) «فإن كان الذين يستعينون بفنون غير المؤمنين فى آرائهم الهرطوقية، وفى تحريف بساطة الإيمان بالأسفار الإلهية، قد ابتعدوا عن الإيمان، فماذا يلزمنا أن نقول؟ لذلك وضعوا أيديهم بجرأة على الأسفار الإلهية، زاعمين بأنهم قد صححوها .

(١٦) «وليعلم كل من يريد بأننى لا أفتري عليهم فى هذا الأمر . لأنه أن جمع أحد نسخهم المختلفة وقارنها ببعضها وجدها تختلف عن بعضها اختلافاً بينا .

(١٠) ترجمها البعض مقاييس الأرض .

(٩) وقد ترجمها البعض «المسيحيون الأشداء» .

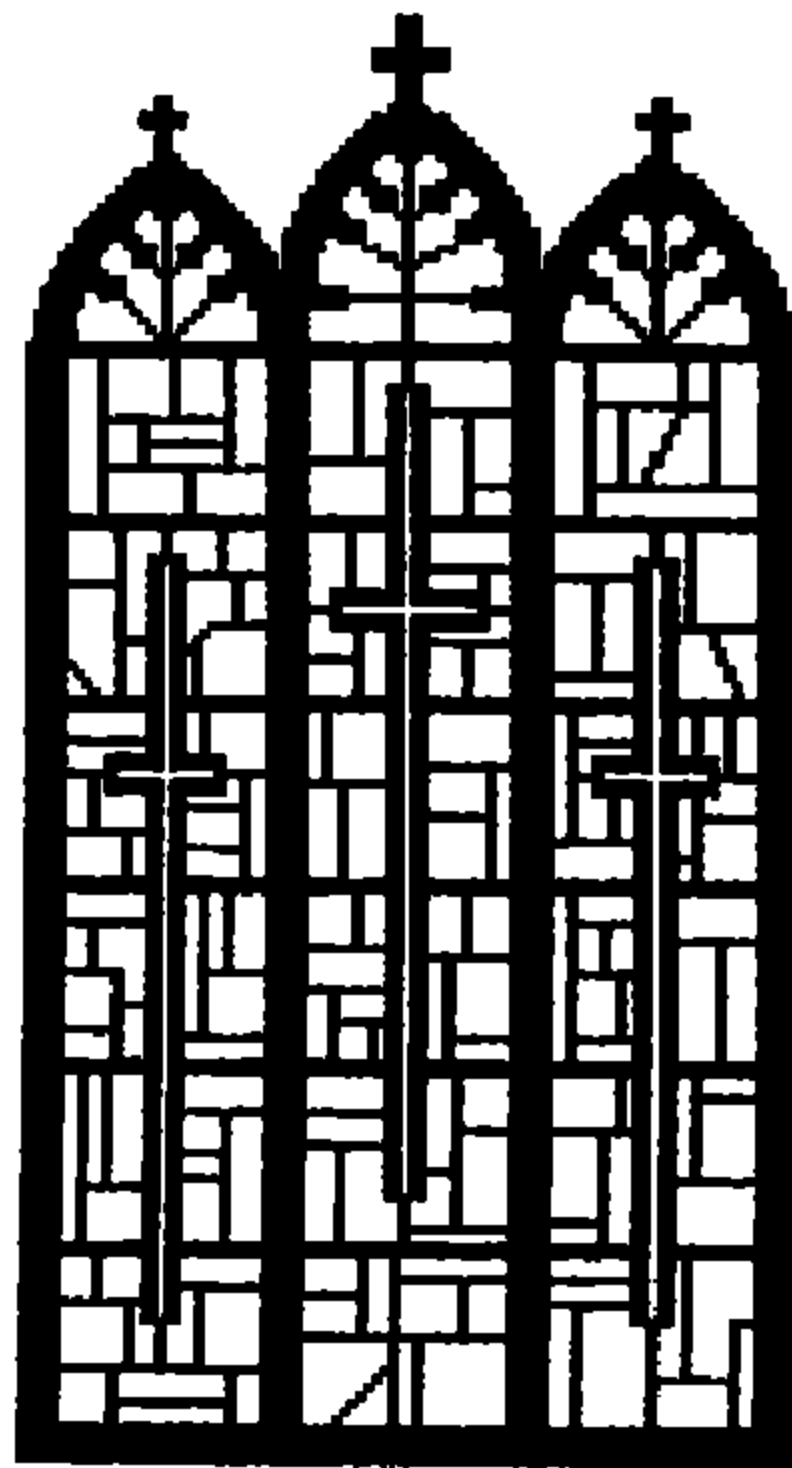
(١١) عالم اسكندري نبغ فى الهندسة سنة ٣٠٠ ق.م .

(١٧) «فمثلا نسخ اسكالييادس لا تتفق مع نسخ ثيودوتس . ومن الممكن الحصول على كثير من هذه ، لأن تلاميذهم بذلوا جهدهم ليكتبوا على كل منها التصحيحات اللازمة كما يسمونها ، أو بالأحرى الافسادات . كذلك لا تتفق نسخ هرموفيلس مع هذه ، ونسخ أبولونيديس لا تتفق مع نفسها . فأن قارنت تلك التى أعدوها فى تاريخ متقدم مع التى أفسدوها أخيرا وجدتها تختلف مع بعضها تمام الاختلاف .

(١٨) «ولا أظن أنهم هم أنفسهم يجهلون شناعة هذه الجريمة ، لأنهم أما أنهم لا يعتقدون أن الأسفار الإلهية نطق بها الروح القدس ، وفى هذه الحالة يكونون غير مؤمنين ، أو أنهم يزعمون أنهم أحكم من الروح القدس ، وفى هذه الحالة لا يكونون إلا شياطين . وهم لا يمكنهم انكار ارتكاب الجريمة طالما كانت النسخ قد كتبت بأيديهم . إذ أنهم لم يستلموا أسفارا كهذه من معلمهم ، كذلك لا يستطيعون ابراز أى نسخ نقلوا منها .

(١٩) «وبعضهم ظنوا بأن افسادها لا يستحق كل هذا العناء ، انما أنكروا التاموس والأنبياء ، وهكذا بتعاليمهم الخليعة الشريرة - تحت ستار النعمة - سقطوا إلى أحط درجات الهلاك» .

إلى هنا نكتفى بصدد هذه الأمور .



الكتاب السادس

الفصل الأول

الاضطهاد الذى حصل فى عهد ساويرس [١]

ولما بدأ ساويرس يضطهد الكنائس قدم أبطال المسيحية شهادات مجيدة فى كل مكان . كانت هذه هى الحال بصفة خاصة فى الاسكندرية ، التى كان يؤتى إليها - كما إلى أعظم مسرح - من كل أرجاء مصر وثيبس بابطال الله حسب استحقاقهم ، فينالون الاكاليل من الله بصبرهم واحتمالهم التعذيب الشديد وكل أنواع الموت . كان بين هؤلاء ليونيدس المدعو أبا أوريجانوس ، والذى قطعت رأسه بينما كان ابنه لا يزال حديث السن ، وهنا لا يفوتنا أن نبين باختصار كيف كان ميل هذا الابن للكلمة الإلهية عظيما جدا بسبب تعليم أبيه له ، ذلك لأن شهرته قد فاقت كل حد عند الكثيرين .

الفصل الثانى

تهذيب أوريجانوس [١] منذ الطفولة

(١) من الممكن ذكر الكثير عند محاولة وصف حياة هذا الرجل وهو فى المدرسة ، على أن هذا الموضوع وحده يحتاج إلى سفر خاص . ومع ذلك ، فإننا يإزاء هذا الكتاب ، الذى يتطلب الإيجاز فى معظم الأشياء ، سوف نذكر بعض حقائق قليلة عنه على قدر ما يمكن من الإيجاز ، بجمعها من بعض الرسائل ، ومن أقوال بعض أشخاص لا يزالون أحياء ، كانوا على صلة به .

(١) كان امبراطورا للامبراطورية من سنة ١٩٣ - ٢١١ .

(١) أحد أبطال كنيسة الاسكندرية (١٨٥ - ٢٥٤م) . ويكاد هذا الكتاب السادس كله يكون محصورا فى التحدث عنه . علاوة على ما ورد عنه فى الكتاب السابع وغيره ، ويدوأن المؤلف (يوسابيوس) قد تأثر جدا بتعاليمه إذ تتلمذ على بفيليبوس الذى كان رفيقا لاوريجانوس ومن أصدق أصدقائه (انظر ٨ : ٣٢) .

(٢) وإن ما رووه عن أوريجانوس خليق بالذكر، حتى منذ أيام طفولته الأولى . كان ذلك في السنة العاشرة من ملك ساويرس، إذ كان ليتوس واليا على الاسكندرية وسائر أرجاء القطر المصري، وكان ديمتريوس قد أقيم أخيرا أسقفا على أبروشياتها خلفا ليوليانوس .

(٣) ولما ازدادت نيران الاضطهاد اشتعالا، ونال الكثيرون اكليل الشهادة، تملكيت رغبة الاستشهاد نفس أوريجانوس، رغم أنه كان لا يزال ولدا صغيرا، حتى أنه اقترب من الخطر، وتقدم متحفزا إلى النضال بغيرة متأججة .

(٤) والواقع أن نهاية حياته كانت قد اقتربت، لولا تدخل العناية الإلهية السماوية لصده عن اتمام رغبته، عن طريق أمه، وذلك من أجل خير الكثيرين .

(٥) لأنها في بداية الأمر توسلت إليه أن يشفق على عواطفها من نحوه كام . ولكنها إذ وجدت أنه ازداد ثباتا في عزمه، واندفع بكلية نحو الاستشهاد لما علم بالقاء القبض على أبيه وسجنه، خبأت كل ملبسه، وهكذا ألزمته بأن يلازم المنزل .

(٦) ولأنه لم يكن في استطاعته تأدية أى عمل آخر . ولأن غيرته المتأججة المتجاوزة حدود سنه لم تسمح له بالبقاء ساكنا، أرسل لأبيه رسالة مشجعة عن الاستشهاد، نصحه فيها قائلا «احذر من أن تغير موقفك بسبينا» .

هذا ما يمكن تدوينه كأول دليل على حكمة أوريجانوس في شبابه، وعلى محبته الصادقة للتقوى .

(٧) لأنه حتى في ذلك الوقت كان قد اكتثر محصولا وافرا من كلام الإيمان، إذ كان قد تهذب في الأسفار الإلهية منذ الطفولة . ثم أنه لم يدرسها بروح عدم الاكتراث، لأنه علاوة على أن والده قدم إليه الثقافة الواسعة العادية فإنه لم يجعل دراسة الأسفار الإلهية أمرا ثانويا .

(٨) ففي بادئ الأمر مرنه على الدراسات الدينية، قبل تعليمه العلوم اليونانية، وطلب منه أن يحفظ جزءا معيناً كل يوم، ثم يتلوه عليه .

(٩) ولم يكن هذا عملا مضنيا للولد، إذ كان شغوقا جدا بهذه الدراسات . ثم أنه لم يكتف بدراسة الأمور السهلة والواضحة في الأقوال المقدسة، بل طلب المزيد، وانكب على التأملات العميقة، حتى وهو في هذه السن، للدرجة أنه كثيرا ما أربك أباه بأسئلته عن المعنى الحقيقي للأسفار الإلهية .

(١٠) أما أباه فقد ويخه - بحسب الظاهر - قائلا له أن لا يبحث فوق حدود سنه، أو يذهب أبعد من المعنى الظاهر. ولكنه فى الواقع كان مغتبطا جدا، وشكر الله مصدر كل صلاح، إذ حسبه أهلا أن يكون أبا لصبى كهذا.

(١١) ويقول أنه كثيرا ما كان يقف بجوار الولد وهو نائم، ويكشف صدره، كأنه روح الله قد استقر فى داخله، ويقبله بوقار، معتبرا نفسه بأنه قد تبارك بقريته الصالحة.

هذه الأمور وأمثالها رويت عن أوريجانوس الصبى.

(١٢) ولكن لما ختم أبوه حياته بالاستشهاد تركه مع أمه وستة أخوة أصغر منه، وكان عمره لم يكتمل بعد سبعة عشر عاما.

(١٣) ولأن ممتلكات أبيه صودرت لحساب الخزانة الحكومية، أصبح هو وعائلته محتاجين لضروريات الحياة. ولكنه اعتبر أهلا للعناية الإلهية. فوجد ترحيبا من امرأة غنية جدا، وممتازة فى طريقة حياتها وفى نواح أخرى. كانت تعامل باكرام عظيم شخصا هرطوقيا مشهورا كان يعيش فى الأسكندرية وقتئذ، ولو أنه ولد فى أنطاكية. كان يعيش معها لأنها كانت قد تبته، وكانت تعامله بمنتهى الرفق واللفظ.

(١٤) ورغم أن أوريجانوس كانت تلزمه الضرورة أن يختلط به فإنه من ذلك الوقت فصاعدا قدم دلائل قوية على رسوخ قدمه فى الإيمان. لأنه بسبب مقدرة بولس - وهذا هو اسم الرجل - فى المناقشة كانت تأتية جموع كثيرة، ليس من الهرطقة فقط بل أيضا من شعبنا. ورغم ذلك فلم يغو أوريجانوس قط للاشتراك معه فى الصلاة، لأنه تمسك بقوانين الكنيسة [٢] رغم أنه كان ولدا، وأبغض - على حد تعبيره - تعاليم الهرطقة. وإذا كان قد تعلم علوم اليونانيين على يد أبيه فإنه بعد موته انكب على دراسة الأدبيات بأكثر توسع وتعمق، حتى أنه حصل على استعداد كبير فى فقه اللغة، واستطاع بعد موت أبيه بوقت وجيز أن يعوض هذه الخسارة بالانكباب على هذا الموضوع، فحصل على ما يكفى احتياجاته فى عصره.

(٢) «لا يصلى أحد من المؤمنين مع أحد من لا يزالون تحت التعليم، حتى ولا فى البيت، لأنه لا يليق بمن قبل فى الكنيسة أن يتلنس بمن لم يقبل بعد». لا يصلى أحد من القديسين مع أحد من الهرطقة، حتى ولا فى البيت، لأنه أية شركة للنور مع الظلمة». (أوامر الرسل ٨ : ٣٤) قارن ذلك بما ورد أيضا فى (قوانين الرسل ١١ و ١٢ و ٤٥) وتنص المادة الأخيرة على أنه «إما أسقف أو قس أو شماس صلى مع الهرطقة فليفرز». وأما إذا هو اذن لهم بأن يفعلوا أمرا ما كأنهم كليروسية فليقطع.

الفصل الثالث

مناداته باجتهاد بكلمة الله رغم أنه كان لا يزال صغيرا جدا

- (١) وبينما كان يلقي المحاضرات في المدرسة، كما يخبرنا هو نفسه، ولم يوجد في الاسكندرية من يعلم الإيمان، لأن الجميع كانوا قد تشبوا بسبب الاضطهاد، أتاه بعض الوثنيين لسماع كلمة الله .
- (٢) ويقول أن أولهم كان بلوتارخوس [١] الذي بعد أن عاش حياة طيبة أكرم بالاستشهاد الإلهي . والثاني هو اكلاس [٢] أخ بلوتارخوس، وهذا أيضا بعد أن قدم معه براهين كثيرة عن الحياة النسكية الفلسفية اعتبر جديرا بأن يخلف ديمتريوس في أسقفية الاسكندرية .
- (٣) ولما عهدت إليه إدارة المدرسة اللاهوتية كان عمره ثمانى عشرة سنة . وقد كان مشهورا أيضا في ذلك الوقت أثناء الاضطهاد الذى حصل في عهد أكيلا، وإلى الاسكندرية، إذ برز اسمه بين قادة الإيمان، وذلك بسبب اللطف والرعاية والرقعة التى أظهرها نحو جميع الشهداء المقدسين، سواء كانوا معروفين لديه أو غرباء .
- (٤) لأنه لم يمكث معهم فقط وقت القيود حتى تنفذ الحكم النهائى عليهم، بل عندما كانوا يساقون إلى الموت كان يتجاسر ويذهب معهم مخاطرا بنفسه . وعندما كان يظهر تلك الشجاعة النادرة ويحيى الشهداء بقبلة كثيرا ما كانت الجماهير الوثنية المحيطة بهم يثورون ويكادون يهجمون عليه .
- (٥) لكنه بمساعدة يد الله كان ينجو تماما بكيفية معجزة . وكانت نفس هذه القوة الإلهية السماوية تحرسه عندما يتعرض هكذا للخطر، وذلك مرارا وتكرارا، ومن المستحيل ذكر عدد هذه المرات، بسبب غيرته الشديدة وجراته من أجل كلمة المسيح . واشتدت عداوة غيرة المؤمنين، بسبب تعليمه للجماهير الكثيرة في الإيمان المقدس، حتى أنهم وضعوا فرقا من الجند حول البيت الذى كان يقيم فيه .

(١) كان أول من استشهد من تلاميذ أوريجانوس ف ٤ .

(٢) هراكلاس أو يراكلاس كان من أقدر تلاميذ أوريجانوس الذى أشركه معه في التعليم لما تزايد عليه هذا العيب ف ١٥ .

في ف ١٩ نرى أنه كان شغوقا بالفلسفة اليونانية . وقد ازدادت شهرته العلمية جدا ف ٣١ حتى أن يوليوس افريكانوس ذهب إلى الاسكندرية ليراه . وفي سنة ٢٣١ لما غادر أوريجانوس الاسكندرية أوكل إليه إدارة مدرستها ف ٢٦ . وفي سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ خلف ديمتريوس في أسقفية الاسكندرية لدى موته ف ٢٦ و ٢٩، وخلفه ديونيسيوس في إدارة المدرسة ف ٢٩ .

(٦) وهكذا كان يغلى مرجل الاضطهاد من نحوه يوما بعد يوم، حتى لم تعد المدينة كلها تطيقه، ولكنه كان ينتقل من بيت إلى بيت، وكان يطارد فى كل مكان بسبب الجماهير الغفيرة التى كانت تتلقى التعاليم الالهية التى قدمها، أن حياته كانت تقدم المثل الأعلى فى السلوك المستقيم المتفق مع الفلسفة الحقيقية.

(٧) لأنهم يقولون أن سلوكه كان يتفق مع تعاليمه، وأن تعاليمه تتفق مع حياته. ولذلك فإنه، بالقوة الإلهية التى كانت تعمل فيه، دفع الكثيرين جدا إلى غيرته.

(٨) ولما رأى أن عددا أوفر يأتون إليه فى طلب العلم، وأن ديمتريوس رئيس الكنيسة عهد إليه إدارة المدرسة اللاهوتية، اعتبر أن علم الاجرومية لا يتفق مع تعليم المواضيع الإلهية، ولذلك أبطل تعليم الاجرومية على أساس أنها غير نافعة بل معطلة للتعليم الدينى.

(٩) وبعد شئ من التفكير باع كتب الأدب القديمة الثمينة التى كان يمتلكها لكى لا يحتاج إلى مساعدة من أحد، وكان يقنع بالحصول من المشتري على أربع أو بوليات [٣] كل يوم. وقد ظل على هذه العيشة الفلسفية [٤] سنوات طويلة، مبتعدا عن كل الرغبات والملذات الشبابة. وكان طول النهار يتحمل الكثير من التدريب العنيف، ويقضى معظم الليل فى دراسة الأسفار الإلهية. وكان يكبح جماح نفسه على قدر استطاعته بالحياة الفلسفية الصارمة، أحيانا بالصوم، وأحيانا بالاقلال من النوم. ويسبب غيرته المتأججة لم يتم على فراش قط، بل كان ينام على الأرض.

(١٠) وأكثر من الكل فكر بأن كلمات المخلص فى الإنجيل يجب تنفيذها، وهى التى ينصح فيها بأنه يجب عدم اقتناء ثوبين أو استعمال أحذية [٥] أو الاهتمام بالمستقبل [٦].

(١١) ويسبب غيرته التى فاقت حدود سنه كان يلبث فى البرد والعري وذهب فى الفقر إلى أقصى حدوده، حتى أذهل كل من حوله. والواقع أنه أحزن الكثيرين من أصدقائه الذين أرادوه أن يقاسمهم ثروتهم بسبب الجهد المضنى الذى رأوا أنه يبذله فى تعليم الالهيات.

(٣) الابولس كانت عملة يونانية توارى تقريبا نحو ثمانية مليمات. وكانت هذه الكمية لا تكفى القسوت الضرورى جدا، ولكنه كان يراها كافية نظرا لتشفه الشديد.

(٦) (مت ٦ : ٣٤).

(٥) (مت ١٠ : ١٠).

(٤) أى النسكية.

(١٢) غير أنه لم يثن عن مثابرتة . ويقال أنه كان يمشى حافى القدمين سنوات طويلة، وامتنع عن شرب الخمر سنوات طويلة، وكذا عن كل شيء غير الطعام الضروري، حتى أصبح في خطر إنهاك قواه، واتلاف جسده .

(١٣) ويتقديم أمثال هذه الأدلة عن الحياة النسكية لمن رأوه، حرض الكثيرين من تلاميذه على الاقتداء بغيرته . وهكذا اندفع إلى تعليمه الكثيرون من الأشخاص البارزين حتى من بين الوثنيين غير المؤمنين، والأشخاص الذين كانوا يقتفون آثار العلم والفلسفة . وإذ قبل بعضهم منه الكلمة الإلهية في أعماق نفوسهم برزت شخصياتهم أثناء الاضطهاد الذي ساد وقتئذ، وألقى القبض على بعضهم فاستشهدوا .

الفصل الرابع

تلاميذ أوريجانوس الذين استشهدوا

(١) أول هؤلاء هو بلوتارخوس السابق ذكره [١]، وإذ كان يساق إلى الموت اقترب منه الشخص موضوع حديثنا ورافقه حتى النهاية . ولكن العناية الإلهية حفظته في هذه المرة أيضا .

(٢) ويعد بلوتارخوس كان الشهيد الثاني بين تلاميذ أوريجانوس هو سيرينوس، الذي إذ جاز وسط النار قدم دليلا على الإيمان الذي قبله .

(٣) والشهيد الثالث من نفس المدرسة هو هيراكليدس، والرابع هيرو . وكان أولهما لا يزال تحت التعليم، أما الثاني فلم يكن قد قبل المعمودية إلا منذ وقت وجيز وكلاهما قطع رأسه . والخامس من نفس المدرسة شخص آخر باسم سيرينوس، عرف عنه أنه بطل من أبطال التقوي، وقيل بأنه قطعت رأسه بعد أن تحمل ألوانا من العذاب . ومن بين النساء هيريس التي ماتت وهي لا تزال تحت التعليم، وقبلت معمودية النار، حسب تعبير أوريجانوس نفسه في مكان آخر .

الفصل الخامس

بوتامينا [١]

(١) ويمكن اعتبار باسيليدس سابع هؤلاء . وقد ساق بوتامينا الشهيرة إلى الاستشهاد وهي لا تزال مشهورة بين شعب البلاد بسبب الالام العديدة التي تحملتها في سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها . لأنه كانت في دور النضوج العقلي والجسمي . وإذا تحملت كثيرا من أجل الإيمان بالمسيح، وعانت صنوفا مختلفة من التعذيب الذي لا يوصف، أحرقت بالنار أخيرا مع أمها مارسيلا .

(٢) ويقال أن الوالي، المسمى أكيل، بعد أن عذب كل جسمها تعذبا قاسيا هدها أخيرا بتسليمها إلى المصارعين للأساء إلى جسدها . وإذا سئلت عما استقر عليه رأيها فكرت قليلا وقدمت اجابة اعتبرت خارجة عن حدود اللياقة .

(٣) وللحال صدر عليها الحكم، وساقها إلى الموت باسيليدس أحد ضباط الجيش . ولما حاول الشعب اساءتها واهانتها بألفاظ بذية أبعد عنها أولئك المسيئين، وأظهر نحوها كثيرا من الرقة والعطف . وإذا رأت رقة الرجل من نحوها، نصحته بأن يتحلى بالشجاعة، لأنها ستوصل إلى ربها من أجله بعد رحيلها، وأنه سوف ينال سريعا جزاء الشفقة التي أظهرها نحوها .

(٤) وإذا قالت هذا تحملت ببسالة الحكم الصادر نحوها، إذ كان الزفت المغلى يصب قليلا قليلا فوق أجزاء مختلفة من جسمها من اخمص القدم إلى هامة رأسها . هكذا كان التعذيب الذي تحملته هذه الفتاة المشهورة .

(٥) وبعد ذلك بقليل سئل باسيليدس من زملائه الجند أن يحلف لسبب معين، فصرخ بأنه لا يجوز له أن يحلف البتة لأنه مسيحي، واعترف بذلك علنا . وظنوه في بدء الأمر يمزح ولكنه لما استمر يؤكد الأمر سيق أمام الوالي وألقى في السجن لاعترافه بإيمانه أمامه .

(٦) ولما أتى إليه الاخوة في الرب وسألوه عن سبب هذا التغير المفاجيء العجيب يقال أنه أجاب بأن بوتامينا بعد استشهادها وقفت بجانبه ثلاث ليال متوالية، ووضعت تاجا على رأسه، وقالت أنها

(١) هي من أشهر الذين استشهدوا في عصر ساويرس، وكانت تلميذة لاوريجانوس . ويقول بلاديوس انها كانت أمة (عبدة) ولأن سيدها عجز عن أن يجعلها ترضخ لشهوته اتهمها أمام الوالي بأنها مسيحية، ورشاه لكي يجعلها تشي عن عزمها بتعذيبها وبذلك تعود إليه وإلا حكم عليها بالموت .

توسلت إلى الرب من أجله ونالت طلبتها، وانها سوف تأخذه سريعا . وعند ذلك أعطاه الاخوة ختم الرب . [٢] وفي اليوم التالي قطعت رأسه بعد تقديم شهادة مجيدة من أجل الرب .

(٧) وقيل أن آخرين كثيرين في الاسكندرية قبلوا بسرعة كلمة المسيح في تلك الأيام . لأن بوتامينا كانت تظهر لهم في أحلامهم وتقدم لهم النصائح اللازمة .

وهنا نكتفي بهذا القدر في هذا الصدد .

الفصل السادس

أكليمنضس الإسكندري

في ذلك الوقت عهد إلى اكليمنضس تعليم الإيمان في الاسكندرية خلفا لبتيانوس، فصار أوريجانوس أيضا أحد تلاميذه، وكان لا يزال صبيا، ويقدم اكليمنضس في الكتاب الأول من مؤلفه المسمى ستروماتا جدولا تاريخيا يبين فيه الحوادث التي حصلت حتى موت كومودس، ومن ذلك يتضح أن هذا المؤلف كتب أثناء حكم ساويرس الذي نتحدث الآن عن عصره .

الفصل السابع

يهوذا الكاتب

في ذلك الوقت ظهر كاتب آخر اسمه يهوذا، وكتب بحثا عن السبعين أسبوعا المذكورة في سفر دانيال، ووصل بتاريخ إلى السنة العاشرة من حكم ساويرس . وقد ظن أن مجيء ضد المسيح، الذي كثر الحديث عنه، قد اقترب . وذلك لأن الثورة الفكرية التي أحدثتها الاضطهاد على شعبنا أدت إلى انحراف تفكير الكثيرين .

الفصل الثامن

جراة أوريجانوس

(١) وفى ذلك الوقت بينما كان أوريجانوس يقوم بتعليم الإيمان فى الاسكندرية أتى عملا يدل على عقل لم ينضج بعد وتفكير صبيانى، ولكنه فى نفس الوقت يعطى أعظم برهان على الإيمان والعفة وضبط النفس. [١]

(٢) لأنه أخذ هذه الكلمات «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات» [٢] حرفيا، وذهب فى فهم معناها إلى أقصى حدودها. ولكى يتمم كلمات المخلص، وفى نفس الوقت يقطع كل فرصة قد يتخذها غير المؤمنين لاساءة الظن (لأنه كان يلتقى بالرجال والنساء عند تدريس الإلهيات بالرغم من حادثة سنه) فقد نفذ عمليا كلمة المخلص. وقد ظن أن هذا لن يعرف بين الكثيرين من معارفه. ولكنه كان من المستحيل اخفاء عمل كهذا بالرغم مما بذله من جهد لابقائه سرا مخفيا.

(٣) ولما علم بالأمر أخيرا ديمتريوس، الذى كان يرأس تلك الابروشية، أعجب جدا بالجراة التى تجلت فى طبيعة تصرفه، وإذ أدرك غيرته وصدق إيمانه قدم إليه النصائح فى الحال وشجعه وزاد فى حثه للاستمرار فى تعليم الإيمان.

(٤) هكذا كان تصرفه وقتئذ. ولكنه (ديمتريوس) بعد ذلك مباشرة إذ رأى أن أوريجانوس كان ناجحا ويزداد عظمة وشهرة بين كل الناس، غلب عليه الضعف البشرى، وكتب إلى الأساقفة فى كل العالم واصفا تصرف ديمتريوس بأنه فى منتهى الطياشة. ولكن أسقفى قيصرية وأورشليم - اللذين كانا أشهر وأبرز أساقفة فلسطين - اعتبر أوريجانوس خليقا بأعظم درجات الإكرام، فرسماه قسا. [٣]

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية «يعتقد البعض أنه لم يرتكب هذا العمل وإنما أسىء فهمه بسبب عبارات ذكرها. غير أنه لا سبيل إلى الشك فى أنه ارتكبه وكان الباعث على ذلك تعليمه لكل الرجال والنساء فى الليل والنهار ورغبته فى عدم ائثار أحد أو تعريض نفسه للسقوط، وأمنيته فى الوصول إلى أقصى درجات القلاسة، وتضحية كل ما يتصل بالجسد من أجل المسيح. أما أنه ندم فيما بعد وأدرك حقيقة معنى كلمات المسيح فواضح مما جاء فى تفسيره عن مت ١٥ : ١. ويبدو أن عمله هذا قد أحدث رد فعل فى تفكيره أدى به إلى الشك واليأس وقتيا، لأن ديمتريوس وجده من الضرورى أن ينصحه ليستعيد ثقته ويحثه على الاستمرار فى التعليم، ومع أن يوسابيوس لا يوافق على عمل أوريجانوس إلا أنه يعجب به من أجل جراته وروح التضحية التى ظهرت فى اتمامه».

(٥) عندئذ ازدادت شهرته جدا، وأصبح اسمه معروفا في كل مكان ونال صيتا عظيما بسبب الفضيلة والحكمة. وأما ديمتريوس فإذا لم يكن لديه ما يقوله ضده سوى ذلك العمل الصياني، اتهمه بمرارة، وتجاسر على أن يشرك معه في هذه الاتهامات أولئك الذين نصبوه قسا.

(٦) وعلى أي حال فإن هذه الأمور حدثت بعد ذلك بوقت وجيز. ولكن أوريجانوس في هذا الوقت استمر بلا خوف يعلم الإلهيات في الاسكندرية ليلا ونهارا لكل من أتى إليه، مكرسا كل أوقات فراغه بلا انقطاع للدراسات الدينية ولتعليم تلاميذه.

(٧) وبعد أن ظل ساويرس في الحكم ثمانى عشرة سنة خلفه ابنه أنطونينوس [٤] وبين الذين تحملوا اضطهاد ذلك العصر بشجاعة، وحفظتهم العناية الإلهية أثناء جهاد الاعتراف، كان الاسكندر السابق التحدث عنه كأسقف لكنيسة اورشليم. ونظرا لشهرته الفاتكة في الاعتراف بالمسيح اعتبر خليقا بتلك الأسقفية بينما كان نركيسوس [٥] سابقه لا يزال حيا.

الفصل التاسع

معجزات نركيسوس

(١) ويذكر أهل تلك الابروشية معجزات أخرى كثيرة لنركيسوس رواها الاخوة الذين خلفوه. بينها الاعجوبة التالية التي صنعها.

(٢) يقال أن الزيت نفذ مرة أثناء سهر الشماسة ليلة عيد الفصح. وإذا فزع كل الجمهور، أمر نركيسوس المهتمين بالأنوار ليستقوا ماء ويحضروه إليه.

(٣) وفي الحال فعلوا كما أمر فصلى على الماء، وبإيمان ثابت فى الرب أمرهم بأن يصبوه فى السرج، ولما فعلوا تغيرت طبيعة الماء إلى زيت بقوة إلهية عجبية بعكس انتظار الجميع، وقد احتفظ بكمية قليلة منه حتى يومنا هذا عند الكثيرين من الاخوة هناك كتذكار لتلك الاعجوبة.

(٤) مات ساويرس فى ٤ فبراير سنة ٢١١ وخلفه ابنه الأول مرقس أوريليوس ساويرس أنطونينوس باميانوس، والثانى

لوسيوس (أو بيليوس) سبتيميوس جيتا. ولم يذكر يوسابيوس سوى الأول وكان اسمه الرسمى أنطونينوس.

(٥) بخصوص نركيسوس انظر الفصول التالية الثلاثة وكذا ك ه ف ١٢.

(٤) ويروون أمورا أخرى كثيرة جديرة بالذكر عن حياة هذا الشخص، بينها ما يلي: أن بعض الاشرار إذ لم يستطيعوا تحمل قوة وثبات حياته، وكانوا يخشون القصاص من أجل الشرور العديدة التي كانوا يحسون بها، فكروا في التآمر ضده، وأشاعوا عنه مذمة قبيحة.

(٥) ولاقتناع كل من سمع به أكدوا اتهامهم باقسام، فالواحد حلف على نفسه بالحرق بالنار، والآخر بفناء جسده بمرض خبيث، والثالث بفقد بصره. ورغم حلفهم بهذه الطريقة فانهم لم يستطيعوا التأثير على عقول المؤمنين، لأن عفة وتقوى نركيسوس، وحياته الفاضلة، كانت معروفة للجميع.

(٦) على أنه لم يستطيع بأى حال احتمال شر هؤلاء الأشخاص. ولأنه كان يعيش عيشة تقشفية زمنا طويلا فقد هرب من جسم الكنيسة وخبا نفسه فى برية وأماكن خفية، ولبث فيها سنوات طويلة.

(٧) لم تسكت عين الدينونة على هذه الأمور، بل سرعان ما تطلعت إلى هؤلاء الأشرار، وصبت عليهم اللعنات التى ربطوا بها أنفسهم. فبمجرد وقوع شرارة بسيطة على بيت الأول احترق بأكمله ليلا، وهلك هو وكل أهل بيته. والثانى تغطى جسمه سريعا من اخمص القدم إلى هامة الرأس بالمرض الذى حلف على نفسه به.

(٨) أما الثالث، وقد رأى ما حل بالآخرين، وخشى دينونة الله المحتملة، اعترف جهرا بما كانوا قد تآمروا به. وفى ندامته صار يكتب وينوح طويلا، وظل يبكى حتى فقد بصره.

وهكذا كان التأديب الذى حل بهؤلاء الأشخاص بسبب ضلالهم وزورهم وبهتانهم.

الفصل العاشر

أساقفة أورشليم

وإذ ارتحل نركيسوس، ولم يعرف أحد مقره، رأى رؤساء الكنائس المجاورة أنه من الأفضل رسامة أسقف آخر، وكان اسمه ديوس. ولم تدم رئاسته إلا وقتا قصيرا، فخلقه جرمانيو. وتبعه جورديوس، الذى ظهر فى عصره نركيسوس ثانية، كأنه قد قام من بين الأموات. وللحال طلب إليه الاخوة أن يتسلم الاسقفية، لأن الكل ازدادوا اعجابا به بسبب عزلته وفلسفته، وبنوع خاص بسبب القصاص الذى انتقم له به الله.

الفصل الحادي عشر

الإسكندر

(١) على أن نركيسوس لم يعد في استطاعته تأدية أعماله الرسمية بسبب تقدمه في السن، فاستدعت العناية الإلهية الاسكندر السابق ذكره برؤيا في الليل ليكون معه في وظيفته، وقد كان وقتئذ أسقفا على أبروشية أخرى -

(٢) وللحال ارتحل - كأنه بارشاد الهى - من أرض كبدوكية، التى كان أسقفا فيها، إلى اورشليم ايفاء لنذر سابق، ورغبة في الحصول على معلومات عن أماكنها - فقبلوه هناك بكل ترحيب، ولم يسمحوا له بالعودة، بسبب رؤيا أخرى رأوها ليلا أعطت رسالة واضحة جدا إلى الغيورين منهم - لأنها أعلمتهم أنهم أن خرجوا خارج الأبواب استقبلوا الاسقف الذى عينه الله لهم مقدما - وإذا فعلوا هذه الزموا على البقاء، وذلك بموافقة الكنائس المجاورة بالاجماع -

(٣) ويذكر الاسكندر نفسه، في رسائل خاصة أرسلها إلى أهل أنتينوس، [١] لا تزال باقية عندنا، الأسقفية المشتركة بينه وبين نركيسوس - وهذا ما كتبه في نهاية الرسالة:

(٤) «يسلم عليكم نركيسوس الذى شغل مركز الأسقفية قبلى، والذى يشترك معى الآن فى الصلاة، إذ عمره الآن مائة وست عشرة سنة - وهو يقدم لكم النصحية - وهكذا أنا أيضا - لكى تكونوا برأى واحد» -

هذه الأمور حدثت هكذا - ولكن عند موت سراييون [٢] خلفه على أسقفية كنيسة انطاكية اسكليادس، الذى برز بين المعترفين أثناء الاضطهاد - ويشير الاسكندر إلى اقامته أسقفا عندما كتب ما يلى إلى كنيسة انطاكية -

(٥) «الاسكندر، عبد وأسير يسوع المسيح، إلى كنيسة انطاكية المباركة، تحية فى الرب - لقد جعل الرب قيودى خفيفة وسهلة وقت سجنى، إذ علمت أن اسكليادس الخير بالإيمان الحقيقى قد أقامته العناية الإلهية أسقفا لكنيستكم المقدسة فى انطاكية» -

(٦) وأشار إلى أنه أرسل هذه الرسالة بيد اكليمنضس، [٣] إذ كتب فى ختامها ما يلى:

«يا اخوتى المكرمين، لقد أرسلت إليكم هذه الرسالة بيد اكليمنضس، القس المبارك، وهو رجل فاضل مشهود له، تعرفونه أنتم أيضا وسوف تتحققون منه - وإذا أرسلته العناية الإلهية إلى هنا شدد وبنى كنيسة الرب» -

(١) ك ٤ ف ٨ : ٢ - (٢) ك ٥ ف ١٩ - (٣) بخصوص اكليمنضس الاسكندرى انظر ك ٥ ف ١١ -

الفصل الثاني عشر

سراييون ومؤلفاته التي لا تزال باقية

(١) لم يصل إلينا من مؤلفات سراييون النفيسة سوى تلك الرسائل الموجهة إلى شخص اسمه دومينيوس، الذي في أيام الاضطهاد انحرف عن الإيمان بالمسيح إلى العبادة اليهودية النافلة، ولو أنه من المرجح أن الكثيرين احتفظوا بمؤلفات أخرى له. ووصل إلينا تلك الموجهة إلى بونتيوس وكاريكوس، [١] وهما من رجال الكنيسة، ورسائل أخرى موجهة إلى أشخاص آخرين.

(٢) ومؤلف آخر أيضا كتبه عما يسمى إنجيل بطرس. [٢] وقد كتب هذا المؤلف الأخير لتنفيذ الأباطيل التي يتضمنها ذلك الإنجيل، نظرا لأن البعض في أبروشية روسوس (٣) قد انحرفوا في آراء كفرية بسببه. ويحسن اقتباس بعض فقرات موجزة من مؤلفه لظهار آرائه عن الكتاب. وقد كتب ما يلي.

(٣) «لأننا أيها الاخوة نقبل كلا من بطرس وسائر الرسل كرسل المسيح، ولكننا نرفض بشدة الكتابات المنسوبة إليهم زورا، عالمين أن مثل هذه لم تسلم إلينا».

(٤) لما زرتكم كنت أعتقد أنكم جميعا متمسكون بالإيمان الصحيح، وإذ كنت لم أقرأ بعد الإنجيل، الذي أبرزوه تحت اسم بطرس، قلت: إن كان هذا هو المصدر الوحيد للتراث بينكم فليقرأ. أما الآن وقد علمت مما قيل لي أن أفكاركم قد انحرفت إلى بدعة ما، فأنتى سأسرع في الحضور إليكم ثانية. لذلك توقعوا مجيئي قريبا أيها الاخوة.

(٥) «ولكنكم سوف ترون مما كتب لكم أيها الاخوة أننا قد عرفنا طبيعة بدعة مركيانوس. وأنه ناقض نفسه بنفسه إذ لم يفهم ما قاله».

(٦) «لأننا إذ حصلنا على هذا الإنجيل من أشخاص آخرين درسوه دراسة وافية، أى من خلفاء أول من استعملوه، الذين نسميهم «موكاتي» [٤] (لأن معظم آرائهم تتصل بتعليم هذه العقيدة)، فقد استطعنا قراءته ووجدنا فيه أشياء كثيرة تتفق مع تعاليم المخلص الصحيحة، غير أنه اضيفت لتلك التعاليم إضافات أشرنا إليكم عنها فيما بعد».

هذا ما يختص بسراييون.

(١) انظر ك ٥ ف ١٩ : ١. (٢) ك ٣ ف ٣. (٣) إحدى مدن سوريا شمال غرب انطاكية.

(٤) الذين اعتقدوا أن المسيح لم يكن له جسد حقيقي بل شبه جسد. ويرجع تاريخ هذا الاعتقاد إلى القرن الأول (انظر ١ يو ٤ : ٢ ، ٢ يو ٧).

الفصل الثالث عشر

كتابات أكليمنضس

- (١) أن جميع مؤلفات اكليمنضس [١] الثمانية المسماة «ستروماتا» لا زالت محفوظة عندنا، وقد سماها هو «ستروماتا تيطس قلافيوس اكليمنضس عن الملاحظات اللادرية المتعلقة بالفلسفة الحقيقية».
- (٢) أما الكتب المعنونة «وصف المناظر» فهي بنفس العدد. وفيها يذكر بونتينيوس بالاسم كمعلمه، وينقل آراءه وتعاليمه.
- (٣) وعلاوة على هذه يوجد له مؤلف بعنوان «نصائح لليونانيين»، وكتاب في ثلاثة مجلدات بعنوان «المعلم»، ومؤلف آخر بعنوان «أيمكن أن يخلص الغنى»، ومؤلف عن الفصح، ويبحث عن الصوم وعن الكلمات الشبريرة، وكتاب يتضمن نصائح عن الصبر أو «إلى المعتمدين حديثا»، ومؤلف عن «القوانين الكنسية»، أو «المتهودين» أهدها إلى الاسكندر، الأسقف السابق ذكره.
- (٤) وفي مؤلفه المهمي «ستروماتا» لم يتحدث بتوسع عن الأسفار الإلهية فحسب، بل اقتبس أيضا من الكتاب اليونانيين كل ما رآه نافعا، وشرح آراء الكثيرين، يونانيين وبرابرة.
- (٥) وقد فند أيضا التعاليم الكاذبة التي نادى بها زعماء الهرطقة. وعلاوة على هذا راجع جزءا كبيرا من التاريخ، مقدما إلينا عينات من مختلف التعاليم. أما ما تبقى فإنه يمزج به آراء الفلاسفة. ولعله لهذا السبب أطلق على مؤلفه ذلك اللقب المناسب «ستروماتا» [٢].
- (٦) ويستخدم أيضا في هذه المؤلفات شهادات من الأسفار المتنازع عليها، [٣] مثل حكمة سليمان، وحكمة يشوع ابن سيراخ، ورسالة العبرانيين، ورسائل برنابا، وأكليمنضس، ويهوذا.
- (٧) ويذكر أيضا حديث تاتيان إلى اليونانيين، ويتحدث عن كاسيانوس كمؤلف لكتاب تاريخي. ويشير إلى المؤلفين اليونانيين، فيلو وأرسطوبولس ويوسيفوس وديمترىوس ويوبوليموس، مينا بأنهم جميعا أثبتوا في مؤلفاتهم أن موسى والجنس اليهودى كانوا كائنين قبل أقدم اليونانيين.

(١) انظر ك ٥ ف ١١. قال ناشر الترجمة الانكليزية عن اكليمنضس انه كان «كاتبا غزير المادة كما يستدل من قائمة مؤلفاته

(٣) ك ٣ ف ٢٥.

(٢) أى متنوعات.

المذكورة في هذا الفصل».

(٨) وتمتاز هذه الكتب أيضا بعلوم أخرى كثيرة . ففى أولها تحدث المؤلف عن نفسه بأنه التالى لخلفاء الرسل . وفيها يعد أيضا بكتابة تفسير لسفر التكوين .

(٩) وفى كتابه عن الفصح اعترف بأن أصدقاءه قد طلبوا منه بالحاح أن يكتب - من أجل الانسال المتعاقبة - التقاليد التى سمعها من الشيوخ الأقدمين . وفى نفس الكتاب يذكر ميليتو وايريناوس وآخرين ، واقتبس بعض فقرات من كتاباتهم .

الفصل الرابع عشر

الأسفار المقدسة التى ذكرها

(١) وبالاختصار لقد قدم فى مؤلفه «وصف المناظر» وصفا موجزا عن جميع الأسفار القانونية، دون أن يحذف الاسفار المتنازع عليها، [١] أعنى رسالة يهوذا والرسائل الجامعة الأخرى، ورسالة برنابا، [٢] والسفر المسمى رؤيا بطرس . [٣]

(٢) ويقول أن الرسالة إلى العبرانيين من تأليف بولس، وأنها كتبت إلى العبرانيين باللغة العبرانية، ولكن لوقا ترجمها بدقة ونشرها إلى اليونانيين، ولذا فإنه يوجد فى هذه الرسالة نفس أسلوب التعبير الذى فى سفر الأعمال .

(٣) ويرجح بأن كلمتى «بولس الرسول» لم توضع فى مقدمة الرسالة لأنه إذ أرسلها إلى العبرانيين المتحاملين عليه والمتشككين فيه كان حكيما فى أنه لم يشأ أن ينفرهم منها منذ البداية بذكر اسمه .

(٤) بعد ذلك يقول «والآن، كما قال الشيخ المبارك، لأن الرب رسول القدير أرسل إلى العبرانيين، فإن بولس إذ أرسل إلى الأمم لم يشأ أن يعتبر نفسه رسول العبرانيين وذلك تأدبا منه . وهو إذ كان سفيرا ورسولا للأمم لم يكتب إلى العبرانيين إلا لغزارة مادته» .

(٥) وفى نفس الكتب أيضا يقدم اكليمنضس تقليد الآباء الأولين عن ترتيب الأناجيل على هذا الوجه التالى: فيقول إن الإنجيلين المتضمنين نسب المسيح كتبوا أولا .

(١) بخصوص الأسفار المتنازع عليها وأسفار العهد الجديد القانونية بصفة عامة انظر ك ٣ ف ٢٥ .

(٢) انظر ك ٣ ف ٢٥ . (٣) ك ٣ ف ٣ .

(٦) أما إنجيل مرقس فقد كانت مناسبة كتابته هكذا: [٤] لما كرر بطرس بالكلمة جهارا في روما، وأعلن الإنجيل بالروح، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله، لأنه لازمه وقتا طويلا، وكان لا يزال يتذكرها. ويعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه.

(٧) ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابه ولا شجعه عليها. وآخر الكل لما رأى يوحنا أن الحقائق الخارجية قد دوت بوضوح في الإنجيل كتب إنجيلا روحيا [٥] بعد الحاح من أصدقائه وارشاد من الروح. هذه هي رواية أكليمينضس.

(٨) ثم إن الاسكندر السابق ذكره أشار - في رسالة إلى أوريجانوس - إلى اكليمينضس، وإلى بتينوس في نفس الوقت، كشخصين من أخلص أصدقائه. وهذا ما كتبه:

«لأنك تعلم أن هذه كانت ارادة الله أن تبقى علاقات القرابة بيننا غير مترعزة، بل بالأحرى تزداد متانة وقوة.

(٩) «لأننا نعرف جيدا أولئك الالباء المباركين الذين سلكوا الطريق قبلنا، والذين سوف نلحقهم سريعا: وبتينوس الرجل المبارك حقا والمعلم المقتدر، وأكلمينضس القديس معلمى والمحسن إلى، وأن كان هنالك آخرون مثلهما الذين تعرفت بهم معك يا معلمى وأخى».

هذا ما يتعلق بهذه الأمور.

(١٠) أما أدامانتىوس [٦] - لأن هذا الاسم أيضا كان يطلق على أوريجانوس - فقد زار روما لما كان زفيرينوس أسقفا لها، وذلك كما قال هو في موضع آخر لرغبته في أن يرى كنيسة روما القديمة جدا. وبعد اقامة قصيرة هناك عاد إلى الاسكندرية.

(١١) وقد قام بمهمة التعاليم الإيمانية هناك بغيرة شديدة، لأن ديمتريوس الذى كان أسقفا هناك وقتئذ كان يحثه بل يرجوه أن يعمل بجهد من أجل منفعة الاخوة. [٧]



(٥) ك ٣ ف ٢٤.

(٤) بخصوص كتابة انجيل مرقس انظر ك ٢ ف ١٥.

(٦) معنى الاسم باليونانية «لا يغلب» وقال جيروم أنه أطلق عليه بسبب جهاده الذى لم يكمل وقال فوتيوس أنه بسبب قوة حجته التى لا تغلب.

(٧) انظر ف ٨.

الفصل الخامس عشر

هراكلاس [١]

وإذ وجد أن ليس لديه وقت لزيادة التعمق في دراسة اللاهوتيات، وليبحث الأسفار المقدسة وتفسيرها، وأيضا لتعليم الذين كانوا يأتون إليه - لأنهم لم يعطوه وقتا حتى ليلتفتس إذ كانوا يأتون، الواحد بعد الآخر، من الصباح إلى المساء ليتعلموا منه - فكان يقسم الجموع - ومن بين الذين عرفهم معرفة جيدة اختار هراكلاس الذي كان عالما بالالهيات ومقتدرا جدا في العلم في نواحي أخرى، ومقتدرا أيضا في الفلسفة، وأشركه معه في مهمة التعليم - وقد أوكل إليه التعليم الأولى للمبتدئين، واحتفظ لنفسه بمهمة تعليم المتقدمين.

الفصل السادس عشر

دراسة أوريغانوس العميقة للأسفار الإلهية

(١) ولقد بلغت الغيرة والمثابرة في دراسة أوريغانوس للاقوال الإلهية حدا شديدا حتى أنه تعلم اللغة العبرانية، [١] وحصل على نسخة من الأسفار العبرانية التي كانت في أيدي اليهود - ودرس أيضا ترجمات أخرى للأسفار المقدسة خلاف السبعين - [٢] وعلاوة على الترجمات المشهورة جدا التي قام بها أكيللا [٣] وسيماخوس [٤] وثيودوتيون [٥] فقد اكتشف ترجمات أخرى كانت مخفية منذ وقت طويل مضى - لست أدري في أي ركن كانت متروية - ويبحثه أظهرها إلى الوجود.

(٢) ولأنه لم يتمكن من معرفة المترجمين فقد ذكر أنه وجد الواحدة في نيكوبوليس بقرب اكيوم، والأخرى في مكان آخر.

(١) أوريلاكلاس - انظر ف ٣.

(١) قال جيروم أن دراسة أوريغانوس للغة العبرانية كانت بخلاف عادة جيله وجنسه - ولكن لا غرابة في الأمر فقد أراد أن يجعل هذه اللغة أساس دراساته ويقارن بين أسفار العهد القديم في لغتها الأصلية والترجمات اليونانية.

(٢) بخصوص الترجمة السبعينية انظر ك ٥ ف ٨.

(٣) كان إيريناوس أول من ذكر أكيللا (انظر ك ٥ ف ٨ : ١٠) وقد قال عنه أنه متتصر من بنطس - وقد عاش في أوائل القرن الثاني - ترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية ترجمة تمسك فيها بحرفية اللغة العبرانية على حساب اللغة =

(٣) وفي سداسيته (Hexapla) [٦] عن المزامير أضاف إلى الترجمات الأربعة المشهورة لا ترجمة خامسة فحسب بل سادسة وسابعة . وتحدث عن إحدى هذه قائلًا أنه قد وجدها في قدر في أريحا في عصر أنطونيوس بن ساويرس .

(٤) وإذ جمع كل هذه قسمها إلى أقسام، ووضعها مقابل بعضها مع النص العبراني نفسه وهكذا ترك لنا ما يسمى السداسية (Hexapla) . ثم أنه رتب أيضا نسخة مستقلة متضمنة ترجمات أكيلًا وسيماخوس وثيودوتيون مع الترجمة السبعينية في المجلد المسمى الرباعي (Tetrapla):

الفصل السابع عشر

سيماخوس [١] المترجم

أما عن هؤلاء المترجمين فيجب أن يذكر هنا أن سيماخوس كان أيبونيا . على أن بدعة الأيبونيين - كما يلقبونها - تؤكد أن المسيح كان ابن يوسف ومريم، معتبرة إياه مجرد إنسان، ومصرة بشدة على حفظ الناموس بطريقة يهودية، كما سبق أن رأينا في هذا السفر [٢] ولا تزال بين أيدينا تفاسير لسيماخوس يدعم فيها هذه البدعة بمهاجمة إنجيل متى . ويذكر أوريجانوس أنه حصل على هذه التفاسير وتفسير أخرى لسيماخوس عن الأسفار المقدسة من فتاة تدعى جوليانا [٣] يقول عنها أنها وصلت إليها هذه الكتب من سيماخوس نفسه عن طريق الميراث .

= اليونانية . ولذا كان اليهود يفضلونها على السبعينية . وللأسف لقد فقدت هذه الترجمة مع الترجمتين الآخرين ولم يبق منها كلها سوى آثار بسيطة .

(٤) قال يوسابيوس عنه في الفصل التالي إنه أيبوني . وقال البعض أنه كان يهوديًا وقد بذل جهده لكي تكون اللغة اليونانية سليمة بغض النظر عن التقيد بحرفية اللغة العبرانية . وكان جيروم مغرما بهذه الترجمة .

(٥) تمسك هو أيضا بحرفية اللغة العبرانية ولكن أكيلًا كانت أدق . على أن المسيحيين فضلوا ترجمة ثيودوتيون لنسبة داتال على الترجمة السبعينية لهذه النبوة .

(٦) أودع فيها أوريجانوس العهد القديم بالنص العبراني، ثم النص بحروف يونانية . ثم ترجمتى أكيلًا وسيماخوس، ثم الترجمة السبعينية، وترجمة ثيودوتيون، مرتبة في ستة أعمدة بهذا الترتيب، مع ترجمات يونانية خامسة وسادسة وسابعة في بعض المواضع . أما المواضع التي كانت تتضمن هذه الترجمات الأخيرة فكانت تسمى أحيانًا الثمينة (Octapla) أما ترتيب الأعمدة على هذا الوضع فقد لجأ إليه على أساس أن ترجمة أكيلًا كانت أقرب إلى اللغة العبرانية موضعها بجوار النص العبراني، تليهم ترجمة سيماخوس التي كانت ملتزمة النص العبراني، أما ترجمة ثيودوتيون التي كانت مبنية على الترجمة السبعينية فقد جاءت بعدها .

(٢) ك ٣ ف ٢٧ .

(١) انظر الفصل السابق .

(٣) يقال أنها كانت عذراء في قيصرية الكبادوك، وإنها آوت أوريجانوس في أحد عصور الاضطهاد .

الفصل الثامن عشر

أمبروسيوس

- (١) ونحو هذا الوقت اقتنع أمبروسيوس [١] بالحق كما قدمه إليه أوريجانوس، بعد أن كان يعتقد ببدعة فالنتينوس، [٢] ثم قبل تعاليم الكنيسة المستقيمة الرأي كأن عقله قد استنار بالنور.
- (٢) وإذ لقت سمعة أوريجانوس العلمية أنظار أشخاص آخرين كثيرين، بعد أن رن صداها في كل مكان، أتوا إليه ليختبروا مقدار ذكائه في العلوم الدينية. فدرس على يديه الكثيرين من الهراطقة، وعدد غير قليل من أبرز الفلاسفة وتلقوا التعليم منه لا في الأمور الدينية فحسب بل حتى في الفلسفة العالمية.
- (٣) لأنه لما كان يرى أي شخص له ذكاء غير عادي يعلمه أيضا في فروع الفلسفة - في الهندسة والحساب وغيرهما من الدراسات الأولية - وبعد ذلك يتقدم إلى طرق الفلاسفة ويشرح كتاباتهم ويقدم ملاحظات وتعليقات على كل منهم وبذلك أشتهر كفيلسوف عظيم حتى بين اليونانيين أنفسهم.
- (٤) وعلم الكثيرين، من بسطاء المتعلمين، فروع العلم العادية، [٣] قائلا إن هذه سوف تعينهم كثيرا على دراسة الأسفار الإلهية وفهمها. ولهذا السبب وجده من الضروري أن ينبغ هو نفسه في العلوم العالمية والفلسفية.

الفصل التاسع عشر

بعض الظروف المتصلة بأوريجانوس

- (١) ويشهد لنبوغة في هذه العلوم فلاسفة عصره اليونانيون. فكثيرا ما ذكروه في كتاباتهم، وفي بعض الأحيان كانوا يدونون في مقدمة مؤلفاتهم أنها مهلة إلى، ثم إنهم أيضا كانوا يقدمون إليه مؤلفاتهم كمعلم. ليعطى رأيه عنها.

- (١) كان غنيا ومن عائلة طيبة، والأرجح إنه كان يشغل مركزا ممتازا. ولما قبل الإيمان الحق على يدي أوريجانوس صار صديقا له. وسنرى في فصل ٢٣ أنه هو الذي حث أوريجانوس على كتابة تفسير للكتاب المقدس، وأنه قدم له مساعدات مالية لاتمام هذه الغاية. وقد كان هو أيضا من جهابذة العلماء كما يستتج من نفس الفصل. وفي فصل ٢٨ نرى أنه كان من ضمن المعترفين أثناء اضطهاد مكسيمينوس. (٢) بخصوص فالنتينوس انظر ك ٤ ف ١١.
- (٣) الأصل اليوناني يحمل معنى «تلك العلوم والفنون التي كان كل شاب يولد حرا في اليونان مضطرا أن يتعلمها قبل أن يتقدم إلى دراسات للتخصص».

(٢) ولماذا نحتاج لذكر هذه الأمور حينما نرى أنه حتى بروفيرى [١] الذى كان يعيش فى صقلية فى عصرنا، وألف كتباً ضدنا محاولاً استخدامها للطعن فى الأسفار الإلهية، يذكر أولئك الذين فسروها، ولما عجز عن أن يجد أى طعن فى التعاليم بأى حال من الأحوال - لأن الحجّة أعورته، اتجه ناحية الطعن فى مفسريها، محاولاً بصفة خاصة الطعن فى أوريجانوس الذى عرفه فى حديثه على حد قوله -

(٣) ولكنه فى الواقع مدحه وهو لا يدبى، إذ ذكر عنه الحق فى بعض الحالات التى لم يكن ممكناً أن يفعل فيها غير هذا، ولكنه تحدث بالأكاذيب حيث ظن أنه لا يمكن اقتضاح أمره - تراه فى بعض الأحيان يتهمه كمسيحى، وفى أحيان أخرى يصف مقدرته فى العلوم الفلسفية، واسمع كلماته:

(٤) «لما أراد بعض الأشخاص أن يجدوا تعليلاً لانحطاط الأسفار اليهودية بدلاً من تركها، لجأوا إلى بعض شروحات تتناقض مع ما هو مكتوب، هذه الشروحات التى تتضمن مدحاً وثناءً لأنفسهم بدلاً من تقديمهم الحجج ضد الغريب - لأنهم يفخرون بأن كلمات موسى الواضحة الغاز، ويعتبرونها مليئة بالأسرار الغامضة، ويقدمون شرحهم محاولين سبى العقول بجهلهم» ويعد قليل يقول:

(٥) «وكدليل على هذه السخافة خذ انساناً قابلته لما كنت صغير السن، كان مشهوراً جداً، ولا يزال، بسبب الكتابات التى تركها - أعنى أوريجانوس المكرم جداً من معلمى هذه التعاليم -

(٦) «لأن هذا الرجل إذ كان من بين المستمعين لامونيوس، أبرز فيلسوف فى عصرنا، استفاد كثيراً من معلمه فى معرفة العلوم، أما من ناحية اختيار طريق الحياة المستقيم فقد سلك طريقاً عكس طريقه -

(٧) فإن أمونيوس إذ كان مسيحياً، ونشأ من والدين مسيحيين، وبدأ ينصرف إلى الدرس والفلسفة، سلك للحال فى طريق الحياة التى تقتضيها النواميس - أما أوريجانوس فإذ درس الآداب اليونانية كيونانى انحرف إلى الطياشة البربرية [٢] وإذ حمل العلم الذى حصل عليه نقله إلى كل الأرجاء، وكان فى سلوكه كمسيحى مضاداً للنواميس، أما فى آرائه عن الماديات وعن اللاهوت فكان كيونانى يمزج التعاليم اليونانية بالأساطير الغريبة -

(١) من أكبر الفلاسفة فى القرن الثالث - وقد كان عملياً فى تفكيره، فكانت غاية فلسفته لا المعرفة بل القداسة وخلاص النفس - وكان كاتباً قديراً، ولو أنه لم يبق شيء من كتبه - من هذا الفصل نعلم أنه التقى بأوريجانوس لما كان صبيّاً (لأنه وقت وفاة أوريجانوس كان عمره حوالى العشرين) - وقد عاش حتى كان عمره ٦٨ سنة على الأقل - ويقال إنه مات فى عهد دقلديانوس -

(٢) يقصد بروفيرى أن يقول بأن أوريجانوس كان وثنياً فى الأصل ثم انضم إلى المسيحية فيما بعد - ولكن كل الأدلة أجمعت، وكل المؤرخين أكدوا، أنه كان مسيحياً من البداية، ويؤكد يوسابيوس فيما يلى أن هذا الرأى (رأى بروفيرى) باطل من أساسه -

(٨) «لأنه كان بصفة مستمرة يدرس أفلاطون، وانكب على دراسة كتابات تومينيوس [٣] وكرونيوس [٤] وأبولوفانس [٥] ولونجينيوس [٦] وموديراتوس [٧] ونيوكوماخوس [٨] والذين اشتهروا بين اتباع فيثاغورس. واستعمل مؤلفات كيريمون [٩] الرواقى وكورينوتس [١٠] وإذ وقف منهم على التفسير الرمزي للأسرار اليونانية طبقه على الأسفار المقدسة اليهودية [١١]

(٩) هذا ما قاله يروفيرو في الكتاب الثالث من مؤلفه ضد المسيحيين. ولقد تكلم الصديق فيما يختص بجسد الرجل واجتهاده وعلمه، ولكنه كذب (وماذا يتظر غير هذا من شخص يقاوم المسيحيين) عندما قال إنه انتقل من بين اليونانيين [١٢] وإن أمونيوس انحرف عن حياة التقوى إلى العادات الوثنية.

(١٠) وأوريجانوس علمه والداه التعاليم المسيحية كما بينا سابقا. وأمونيوس تمسك بالفلسفة الروحية سليمة دون أن تشوبها أقل شائبة إلى نهاية حياته. يؤيد هذا مؤلفاته التي لا تزال بين أيدينا، لأنه مشهور بين الكثيرين بكتابات التي تركها، كمؤلفه المعنون (التوافق بين موسى ويسوع)، وغيره من المؤلفات التي في حوزة العلماء.

(١١) وفي هذا ما يكفي للرد على هذا الاتهام الباطل، ولتوضيح مقدرة أوريجانوس في العلوم اليونانية. وقد دافع في إحدى الرسائل عن اهتمامه بهذه الناحية، وردا على البعض الذين لاموه من أجلها، وهاك ما كتبه.

-
- (٣) فيلسوف سوري عاش حوالى منتصف القرن الثانى.
 (٤) فيلسوف مشهور من اتباع فيثاغورس.
 (٥) فيلسوف اتطاكى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد.
 (٦) فيلسوف من أثينا ولد حوالى سنة ٢١٣ م.
 (٧) و (٨) فيلسوفان من اتباع فيثاغورس عاشا فى القرن الاول.
 (٩) فيلسوف ومؤرخ اسكندري. كان يعمل كأمين لمكتبة السراييوم فى الاسكندرية، ثم ذهب إلى روما ليكون معلما لنيرون. وأشهر مؤلفاته: تاريخ مصر، اللغة الهيروغليفية، النجوم المذنبه الخ.
 (١٠) فيلسوف رواقى عاش فى روما فى عهد نيرون.
 (١١) لم يكن أوريجانوس هو أول من يفسر الكتاب رمزيا. فإن هذه الطريقة من التفسير بدأ بها يهود الاسكندرية قبل العصر المسيحى، وكان قصدهم التوفيق بين التاموس الموسوى والفلسفة اليونانية. وكان اكليمنفس الاسكندري يعتقد أن كل عبارة تحمل معنيين المعنى الحرفى، وهو فقط للمبتدئين فى الإيمان، أما، المعنى الرمزي فهو وحده الذى يؤدي إلى المعرفة الروحية. أما أوريجانوس فقد ذهب فى التفسير الرمزي إلى مدى أبعد، إذ علم بأن الكتاب المقدس يحمل ثلاثة معان تتناسب مع الجسد والنفس والروح.

(١٢) أى انتقل إلى المسيحية. انظر الملاحظة (١) صفحة ٣١٩.

(١٢) «عندما كرسست نفسى للدرس، وذاعت فى الخارج شهرتى عن كفاءتى وعندما أتى إلى هراطقة وأشخاص شغوفون بالعلوم اليونانية، سيما بالفلسفة، بدا لى أنه من الضرورى أن أفحص تعاليم الهراطقة، وأقف على ما يقوله الفلاسفة عن الحق.

(١٣) «وفى هذا اقتفينا آثار بتيнос[١٣] الذى أفاد الكثيرين قبل عصرنا بسبب استعداده الكامل فى هذه الأمور، وأيضاً هراكلاص(١٤) أحد قسوس الاسكندرية الآن. لقد وجدته مع معلم الفلسفة الذى لبث معه خمس سنوات قبل أن بدأت استمع إلى أية محاضرة عن تلك المواضيع.

(١٤) «وبالرغم من أنه كان يلبس سابقاً الملابس العادية فقد طرحها جانباً وبدأ يلبس - ولا يزال يلبس - ملابس الفيلسوف، وهو لا يزال مستمراً فى دراسة المؤلفات اليونانية باجتهاد».

هذا ما قاله دفاعاً عن نفسه بسبب دراسته للآداب اليونانية.

(١٥) ونحو هذا الوقت، إذ كان لا يزال فى الإسكندرية، أتى عسكرى وسلم خطاباً من حاكم بلاد العرب[١٥] إلى ديمتريوس أسقف الأبروشية، وإلى والى مصر الذى كان متقلداً زمام الأمر وقتئذ، طالباً أن يرسل أورييجانوس إليه بأقصى سرعة ليتحدث إليه. وإذ أرسل ذهب إلى بلاد العرب. وبعد أن تم القصد من زيارته فى وقت وجيز عاد إلى الإسكندرية.

(١٦) ولكن حدث بعد ذلك أن نشبت حرب شعواء فى المدينة،[١٦] فغادر الإسكندرية. ولما رأى بأن البقاء فى مصر خطر على حياته ذهب إلى فلسطين وأقام فى قيصرية. وبينما هو هنالك طلب منه أساقفة الكنيسة فى تلك المملكة[١٧] أن يعظ ويفسر الكتاب علناً رغم أنه لم يكن قد رسم قساً بعد.

(١٤) انظر ف ٣.

(١٣) بخصوص بتيнос انظر ك ٥ ف ١٠.

(١٥) يبدو أنه كان حاكماً رومانياً، وكان قد عين على ولاية بلاد العرب الرومانية التى أنشأها الامبراطور تراجان عام ١٠٦. وما ورد فى ف ٣٣ و ٣٧ يتضح أن أورييجانوس استدعى مرتين إلى تلك البلاد ليساعد على حل بعض المشاكل العقائدية.

(١٦) زار كاراكلا الاسكندرية فى السنة السادسة من حكمه (٢١٦م) وانهز الفرصة للانتقام من سكان المدينة بسبب قتل أخيه، فقتل الكثيرين، شبانا وشيوخاً، أئمة وأبرياء واشتد سخطه على العلماء بصفة خاصة. وهذا ما دعا أورييجانوس للهرب من المدينة والالتجاء إلى فلسطين.

(١٧) أى فلسطين.

(١٧) هذا يتضح مما كتبه الإسكندر [١٨] أسقف أورشليم وثيوكتستوس [١٩] أسقف قيصرية إلى ديمتريوس في هذا الصدد مدافعين عن نفسيهما هكذا:

«لقد ذكر في رسالته أنه لم يسمع عن أمر كهذا من قبل، ولا حدث إلى الإن أن يعظ العلمانيون في حضرة الأساقفة. ولست أدري كيف يقرر أمرا غير صحيح».

(١٨) «لأنه حينما وجد أشخاص قادرين على تعليم الاخوة حثهم الأساقفة المقدمون على أن يعظوا الشعب. هذا ما حدث في لاراندا، عندما طلب ذلك نيون من يوليس، وفي أيقونية عندما أمر كلس بولينوس، وفي سينادا عندما طلب ذلك أتيكوس من ثيودورس، اخوتنا المباركون والأرجح أن هذا حدث في أماكن أخرى لا نعلمها».

وهكذا نرى أنه قد أكرم، وهو لا يزال شابا، لا من بني وطنه فحسب، بل أيضا من الأساقفة الغرباء.

(١٩) أما ديمتريوس فقد أرسل إليه خطابا، وحثه - بواسطة بعض أعضاء الكنيسة وشمامستها - على العودة للاسكندرية. فعاد واستأنف خدماته كالمعتاد.



(١٨) ف ٨.

(١٩) كان من أقدر أساقفة الشرق في عصره. وقد لعب دورا هاما في النزاع الذي ثار بخصوص نوفاتوس كما نرى في ف ٤٦ وكذا ك ٧ ف ٥. وكان كذلك صديقا لاوريجانوس سنوات طويلة إلى أن مات أوريجانوس.

الفصل العشرون

مؤلفات كتبة ذلك العصر التي لا تزال باقية لأن

(١) ازدهر في الكنيسة في ذلك العصر كثيرون من العلماء الذين قد احتفظ بالرسائل التي تبادلوها بين بعضهم البعض، ولا يزال الوصول إليها سهلاً. وقد حفظت حتى عصرنا بدار الكتب في [١] التي أسسها الإسكندر رئيس تلك الكنيسة وقتئذ. وقد استطعنا أن نجمع، من دار الكتب هذه، مادة لمؤلفنا هذا.

(٢) بين هذه ترك لنا يرييلوس [٢] مؤلفات قيمة مختلفة، عدا الرسائل والمقالات. وقد كان أسقفًا في بوسترا ببلاد العرب. وترك لنا أيضًا هيوليتس [٣] بعض الكتابات، وكان يرأس كنيسة أخرى.

(٣) ووصلت إلينا أيضًا محاوراة لكابوس [٤] - وهو من جهاينة العلماء - تمت في عهد رفيرينوس، [٥] مع بروكلوس الذي كان يناضل عن البدعة الفريجية. في هذه المحاوراة يكبح جماح خصومه بسبب تهورهم وجراتهم على إبراز أسفار جديدة. ويذكر فقط ثلاث عشرة رسالة للرسول المبارك، غير حاسب رسالة العبرانيين [٦] مع الرسائل الأخرى. وإلى يومنا هذا لا يزال بين أهل روما من لا يعتبرون هذه الرسالة ضمن كتابات الرسول.



(١) هي المدينة التي بناها أديان مكان مدينة أورشليم ك ٤ ف ٦.

(٢) انظر ف ٣٣.

(٣) انظر ف ٢٢.

(٤) ك ٢ ف ٢٥ : ٦.

(٥) أسقف روما من سنة ١٩٨ - ٢١٧ أنظر ك ٥ ف ٢٨.

(٦) بخصوص رسالة العبرانيين ورأى الكنيسة الأولى عنها انظر ك ٣ ف ٣.

الفصل الحادي والعشرون

الأساقفة الذين اشتهروا في ذلك الوقت

- (١) وبعد أن حكم أنطونيوس [١] سبع سنوات وستة أشهر خلفه مكريونوس . وهذا لم يحكم سوى سنة واحدة، وخلفه شخص آخر باسم أنطونيوس . وفي السنة الأولى من حكمه مات زفيرينوس [٢] أسقف روما، بعد أن ظل في مركزه ثمانى عشرة سنة، وقبل الأسقفية كالتوس .
- (٢) وهذا ظل خمس سنوات ثم خلفه أوربانوس . بعد هذا أقيم الاسكندر امبراطور لروما . ولم يكن أنطونيوس قد حكم سوى أربع سنوات، وفي هذا الوقت أقيم فيليتر على كنيسة أنطاكية خلفا لاسكليادس . [٣]
- (٣) وكانت أم الامبراطور، واسمها ماميا، امرأة تقية جدا، تعيش حياة فاضلة . وعندما امتدت شهرة أوريجانوس إلى كل مكان، ووصلت إلى أذنيها، أظهرت رغبة ملحّة لترى الرجل، وفوق كل شيء لتمتحن ما اشتهر به من فهم للروحيات .
- (٤) وإذا كانت تقضى بعض الوقت فى انطاكية أرسلت حامية حربية لاستدعائه . وبعد أن لبث معها بعض الوقت بين لها فيه أشياء كثيرة لمجد الرب ورفعته التعاليم الروحية أسرع فى العودة إلى عمله العادى .

الفصل الثانى والعشرون

مؤلفات هيبوليتس التى وصلت إلينا

- (١) وفى هذا الوقت كتب هيبوليتس مؤلفا عن الفصح عدا مقالات أخرى كثيرة . فى هذا المؤلف يقدم جدولا تاريخيا، وقانونا فصحيا لسته عشر عاما، يرجع فيه إلى السنة الأولى من حكم الامبراطور الاسكندر .
- (٢) أما عن مؤلفاته الأخرى فقد وصل إلينا ما يأتى: مؤلف عن ستة أيام الخلقة، وآخر عما تم بعد ستة أيام الخلقة، وآخر ضد مركيون وآخر عن نشيد الانشاد، وآخر عن بعض أجزاء من حزقيال، ثم عن الفصح، وكذا ضد كل الهرطقات . وانك تستطيع أن تجد مؤلفات أخرى كثيرة يحتفظ بها الكثيرون .

- (١) أن كاركلا الذى قتل يوم ٨ إبريل سنة ٢١٧ وبعد أربعة أيام خلفه مرقس أوريليوس مكريونوس الذى هزم بعد أن حكم أربعة عشر شهرا وخلفه فارينوس فيتوس باسيانوس ابن عم كاركلا وسمى فيها بعد مرقس أوريليوس أنطونيوس .

الفصل الثالث والعشرون

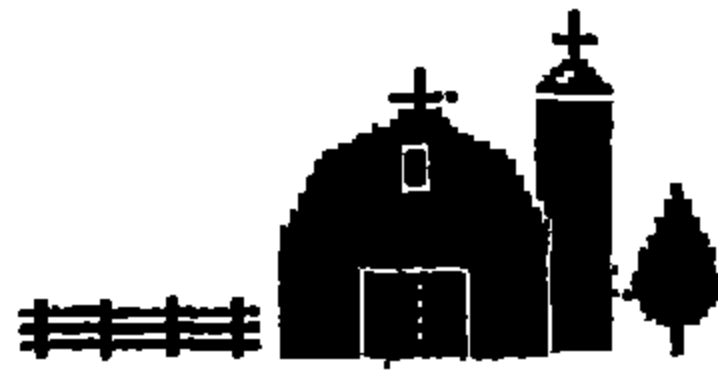
غيرة أوريجانوس ، وارتقاؤه إلى درجة القسوسية

(١) فى ذلك الوقت بدأ أوريجانوس تفاسيره عن الأسفار الإلهية، بعد أن حثه على هذا أمبروسيوس[١] الذى استخدم محاضرات لا تحصى غير مقتصر على حثه بالكلام بل مقدما إليه أيضا وسائل كثيرة جدا .

(٢) وكان يملئ على أكثر من سبعة سكرتيرين كانوا يتبادلون الكتابة فى أوقات محددة . واستخدم عددا كبيرا من النساخ، عدا الينات اللاتى أجدن الكتابة . وكان أمبروسيوس ينفق على جميع هؤلاء بسخاء مظهرا غيرة على الكلمة الإلهية لا يعبر عنها، وهو بهذا دفعه لاعداد تفاسيره .

(٣) وبينما كانت هذه الأمور تحدث أقيم بونتيانوس أسقفا على كنيسة روما خلفا لأوربانوس[٢] الذى ظل أسقفا ثمان سنوات، وأقيم زينوس خلفا لفيليتوس فى أنطاكية .

(٤) فى هذا الوقت أرسل أوريجانوس إلى اليونان لضرورة ملحة تتعلق ببعض شئون كنسية، فذهب عن طريق فلسطين، ورسمه أساقفة تلك المملكة قسا فى قيصرية . أما الأمور التى أثرت حوله فى هذا الصدد، والقرارات التى اتخذها رؤساء الكنائس عن هذه الأمور، وكذا المؤلفات الأخرى التى كتبها عن الكلمة الإلهية والتى نشرها وهو لا يزال فى عنفوان شبابه، فإنها تتطلب مؤلفا خاصا . وقد كتبنا عنها إلى حد ما فى الكتاب الثانى عن «الدفاع» الذى كتبناه دفاعا عنه .



الفصل الرابع والعشرون

التفاسير التي أعدها في الإسكندرية

- (١) ومن المناسب أن نضيف هنا بأنه في الكتاب السادس من تفسيره للإنجيل يوحنا يذكر بأنه اعد خمسة الأول لما كان في الاسكندرية . ولم يصلنا من تفسيره عن كل الإنجيل إلا اثنان وعشرون مجلدا .
- (٢) وفي الكتاب التاسع من تفسيره عن سفر التكوين ، وجملته اثنا عشر كتابا ، يذكر أنه لم يكتب في الإسكندرية الثمانية السابقة فقط ، بل أيضا تفاسيره عن الخمسة والعشرين مزمورا الأولى ، وعن المراثي . ولم يصلنا من هذه الأخيرة سوى خمسة مجلدات . وفيها يذكر أيضا مؤلفاته عن «القيامة» التي لم يبق منها سوى اثنين .
- (٣) وكتب أيضا كتبه «عن المبادئ» قبل مغادرة الاسكندرية . والإبحاث المعنونة «ستروماتا» وعددها عشرة ، وقد كتبها في نفس المدينة أثناء حكم الاسكندر ، كما يتبين من المذكرات التي دونها بنفسه في مقدمة تلك المجلدات .

الفصل الخامس والعشرون

مراجعة للأسفار القانونية

- (١) وعند تفسيره للمزمور الأول قدم قائمة لأسفار العهد القديم [١] كما يلي :
- «يجب أن يقرر بأن الأسفار القانونية كما سلمها إلينا العبرانيون اثنان وعشرون ، وهي تتفق مع عدد حروفهم الهجائية» . ويعد ذلك يقول .
- (٢) أما أسفار العبرانيين الاثنان والعشرون فهي كما يلي : السفر الذي نسميه نحن التكوين ، ولكن العبرانيين يسمونه بأول كلمة فيه «براشيت» ومعناها «في البدء» - الخروج ، واسمه ولسموث أي «هذه الأسماء» - اللاويون ، واسمه ويكرا ، أي «ودعا» - العدد ، واسمه امفيكوديم - التثنية ، واسمه الياذباريم ، أي هذا هو الكلام - يشوع بن ناف ، أويوسو بن نون - القضاة وراعوث في سفر واحد

(١) بخصوص أسفار العهد القديم انظر ك ٣ ف ١٠ . ويلاحظ في البيان الوارد بهذا الفصل أن أوريجانوس أغفل أسفار الأنبياء الصغار وأضاف رسالة ارميا . انظر ملاحظة ٢ صفحة ١٢٣ .

واسمه سفاتيم - الملوك الأول والثاني في سفر واحد، واسمه صموئيل، أى المدعو من الله - الملوك الثالث والرابع في سفر واحد، واسمه وملش داود، أى مملكة داود - أخبار الأيام الأول والثاني في سفر واحد، واسمه دبرائيم، أى أخبار الأيام - عزرا [٢] الأول والثاني، واسمه عزرا، أى مساعد - المزمير، واسمه سفارثليم - أمثال سليمان، واسمه ملوث - الجامعة، واسمه كولث - نشيد الانشاد (لا انشاد الانشاد كما يزعم البعض)، واسمه مير هساريم - أشعيا، واسمه يسيا - ارميا مع المراثي والرسالة في سفر واحد، اسمه ارميا - دانيال، واسمه دانيال - حزقيال، واسمه يزقيال - أيوب، واسمه أيوب - استير، واسمه استير.

وعلاوة على هذه يوجد سفر المكابيين، واسمهما ساريت سابانيل [٣].

هذا ما ذكره فى المؤلف السابق ذكره.

(٣) وفى كتابه الأول عن إنجيل متى، الذى يبين فيه عقيدة الكنيسة، يشهد بأنه لا يعرف سوى أربعة أناجيل، ويكتب الاتى:

(٤) «بين الأناجيل الأربعة، وهى الوحيدة التى لا نزاع بشأنها فى كنيسة الله تحت السماء، عرفت من التقليد أن أولها كتبه متى، الذى كان عشارا، ولكنه فيما بعد صار رسولا ليسوع المسيح، وقد أعد للمتصرين من اليهود، ونشر باللغة العبرانية» [٤].

(٥) «والثاني كتبه مرقس وقد كتبه وفقا للتعليمات التى تلقاها من بطرس [٥] الذى فى، رسالة الجامعة يعترف به ابنا قائلا: تسلم عليكم التى فى بابل المختارة معكم، وكذا مرقس ابني» [٦].

(٦) «والثالث كتبه لوقا، وهو الإنجيل الذى أقره بولس [٧] وكتب من أجل المتصرين من الأمم. وآخر الكل الإنجيل الذى كتبه يوحنا».

(٧) وفى الكتاب الخامس من تفسيره لإنجيل يوحنا يتحدث هكذا عن رسائل الرسل.

«أما ذاك الذى جعل كفتا لأن يكون خادم عهد جديد، لا الحرف بل الروح» [٨] أى بولس، الذى أكمل التبشير بالإنجيل من اورشليم وما حولها إلى الليريكون [٩] فإنه لم يكتب إلى كل الكنائس التى علمها، ولم يرسل سوى أسطر قليلة [١٠] لتلك التى كتب إليها.

(٢) أى عزرا ونحميا.

(٣) الأرجح أنه لم يدرجهما ضمن الأسفار القانونية - انظر الملاحظة ٢ صفحة ١٢٣.

(٤) ك ٣ ف ٢٤. (٥) ك ٢ ف ١٥. (٦) ١ بط ٥ : ١٣.

(٧) انظر ك ٣ ف ٤. (٨) (٢ كو ٣ : ٦). (٩) (رو ١٥ : ١٩). (١٠) انظر ك ٣ ف ٢٤.

(٨) «بطرس الذى بُنِيَ عليه كنيسة المسيح التى لا تقوى عليها أبواب الجحيم» [١١] ترك رسالة واحدة معترف بها، ولعله ترك رسالة ثانية أيضا، ولكن هذا أمر مشكوك فيه. [١٢]

(٩) «وهل نحن فى حاجة للتحدث عن ذاك الذى اتكأ فى حضن يسوع» [١٣] أى يوحنا الذى ترك لنا إنجيلا واحدا، [١٤] رغم أنه اعترف بأنه كان ممكنا له أن يكتب كثيرا جدا مما لا يسعه العالم. [١٥] وكتب أيضا سفر الرؤيا، ولكنه أمر بأن يصمت ولا يكتب الكلمات التى تكلمت بها الرعود السبعة. [١٦]

(١٠) «وترك أيضا رسالة قصيرة جدا، وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة، ولكنهما ليسا معترقا بصحتهما من الجميع، وهما معا لا تحتويان على مائة سطر».

(١١) وعلاوة على هذا يقرر ما يأتى بخصوص الرسالة إلى العبرانيين فى عظاته عنها:

«إن كل من يستطيع تمييز الفرق بين الألفاظ اللغوية يدرك أن أسلوب الرسالة إلى العبرانيين ليس عاميا كلغة الرسول الذى اعترف عن نفسه بأنه عامى فى الكلام» [١٧] أى فى التعبير، بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة».

(١٢) «بل لابد أن يعترف، كل من يفحص النص الرسولى بدقة، أن أفكار الرسالة عجيبة وليست دون الكتابات الرسولية المعترف بها».

(١١) هذا خطأ فى تفسير عبارة المسيح لبطرس «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة» (مت ١٦ : ١٨). فالمسيح لم يبن كنيسة على بطرس، بل على الصخرة أى الإيمان الذى دفع بطرس على الاعتراف به بأنه هو ابن الله. وحاشا له أن يبنى كنيسة على شخص غير ثابت كبطرس. والجدير بالملاحظة أن كلمة «بطرس» فى النص اليونانى تعنى قطعة صغيرة من الصخرة الكبيرة. علاوة على أن الكلمتين لم تردا بنص واحد، فالأولى بتروس (أى بطرس). والثانية بترا (أى صخرة).

(١٢) انظر ك ٣ ف ٣. (١٣) (يو ١٣ : ٢٣).

(١٤) بخصوص إنجيل يوحنا ورسائله ورؤياه انظر ك ٣ ف ٢٤.

(١٥) (يو ٢١ : ٢٥). (١٦) (رؤ ١٠ : ٤). (١٧) (٢كو ١١ : ٦).

(١٣) بعد ذلك يضيف ما يأتي:

«وإن سمح لي بابتداء رأيي قلت إن الأفكار هي أفكار الرسول، أما الأسلوب والتعبيرات فهي لشخص تذكر تعاليم الرسول، ودون ما قاله معلمه عندما سمحت له الفرصة. لذلك إن اعتقدت أية كنيسة أن بولس هو الذي كتب هذه الرسالة فلتقبل لأجل هذا. لأنه لا بد أن يكون للاقدمين تعليلهم عندما سلموها إلينا على أساس أنها للرسول».

(١٤) «أما من كتب الرسالة يقينا فالله يعلم. يقول بعض من سبقونا إن اكليمنضس أسقف زوما كتب الرسالة، والآخرين إن كاتبها هو لوقا، مؤلف الإنجيل وسفر الأعمال».

وفي هذا ما يكفي في هذا الصدد.

الفصل السادس والعشرون

إقامة هراكلاس أسقفا للإسكندرية

وفي السنة العاشرة من الحكم السابق ذكره انتقل أوريجانوس من الاسكندرية إلى قيصرية [١] تاركا لهراكلاس [٢] إدارة المدرسة التعليمية في تلك المدينة. وبعد ذلك بوقت قصير مات ديمتريوس أسقف كنيسة الاسكندرية، بعد أن ظل في مركزه ثلاثا وأربعين سنة كاملة، [٣] فخلفه هراكلاس. وفي ذلك الوقت اشتهر فرمليانوس [٤] أسقف قيصرية في كبادوكية.



(١) أي في السنة العاشرة من حكم الاسكندر ساويرس أعني سنة ٢٣١م.

(٢) انظر ف ٣.

(٣) بخصوص أسقفية ديمتريوس انظر ل ٥ ف ٢٢. أما الثلاث والأربعون سنة فتبدأ من سنة ١٨٩ وتنتهي سنة ٢٣٢ وهذا يتفق تماما مع رواية يوسابيوس.

(٤) كان من أقدر الآباء في عصره. وما يلاحظ أن قيصرية الكبادوك غير قيصرية فلسطين.

الفصل السابع والعشرون

احترام الأساقفة لأوريغانوس

وكان يميل بكلية لأوريغانوس حتى إنه رجاء بالحاج أن يأتي إلى تلك المملكة من أجل خير الكنائس، وعلاوة على هذا زاره في اليهودية، ولبث معه بعض الوقت حبا في الاستزادة من الأمور الروحية، وكان يستمع إليه بصفة مستمرة الإسكندر [١] أسقف أورشليم وثيوكتستوس أسقف قيصرية كمعلمهما الوحيد، وسمحا له بتفسير الأسفار الإلهية، وتأدية الواجبات الأخرى المتعلقة بالشعائر الكنسية.

الفصل الثامن والعشرون

الاضطهاد الذي حصل في عهد مكسيمينوس

وإذ انتهى حكم الاسكندر، الامبراطور الروماني، بعد ثلاث عشرة سنة، خلفه مكسيمينوس قيصر [١] وبسبب بغضه لأهل بيت الاسكندر، [٢] الذي شمل كثيرين من المؤمنين، بدأ يضطهد الكنيسة، وأصدر أمرا بأن لا يقتل إلا قادة الكنائس، على أساس إنهم هم المسئولون عن التعليم بالإنجيل. وعلى أثر ذلك كتب أوريغانوس مؤلفه عن الإستشهاد، [٣] وأهداه إلى أمبروسوس [٤] وبيروتوكيتس، وهو قس في أبروشية قيصرية، وذلك لأنهما أثناء الاضطهاد تكبدا تعذبا غير عادي، وقيل إنهما اعترفا اعترافا مجيدا أثناء حكم مكسيمينوس الذي لم يدم سوى ثلاث سنوات. وقد دون أوريغانوس في الكتاب الثاني والعشرين من تفسيره لإنجيل يوحنا، وفي عدة رسائل، أن ذلك الوقت كان هو وقت الاضطهاد.

(١) بخصوص الاسكندر أسقف أورشليم انظر ف ٨.

(١) قتل الاسكندر ماويرس في بداية سنة ٢٣٥ وخلفه في الحال قائده العام مكسيمينوس.

(٢) ليس المقصود أقاربه فقط بل حاشيته ولك المتضلين به.

(٤) انظر ف ١٨.

(٣) لا يزال هذا المؤلف موجودا.

الفصل التاسع والحشرون

فابيانوس الذى عينه الله أسقفا لروما بكيفية عجيبة

- (١) أما مكسيمينوس أمبراطور الرومان فقد خلفه جورديانوس . ثم إن بونتيانوس [١] الذى ظل أسقفا لكنيسة روما ست سنوات خلفه أنتيروس . وبعد أن لبث فى مركزه شهرا خلفه فايانوس .
- (٢) ويقال إن فايانوس إذ أتى إلى روما مع آخرين من أنحاء المملكة بعد موت أنتيروس مكث فيها (أى فى روما)، وبينما هو مقيم فيها اختير للأسقفية باعلان عجيب جدا من النعمة الإلهية السماوية .
- (٣) لأنه عندما اجتمع جميع الإخوة ليختاروا بالاقتراع من يقام أسقفا على الكنيسة، كان الكثيرون يفكرون فى عدة أشخاص بارزين وموقرين، أما فابيانوس فلم يخطر على بال أحد بالرغم من أنه كان موجودا . ولكن يقال إن حمامة استقرت بغتة على رأسه مشابهة نزول الروح القدس على المخلص فى شكل حمامة .
- (٤) وعلى أثر ذلك صرخ كل الشعب - كأنهم جميعا قد حركهم روح الله الواحد - بالإجماع وبحماس شديد أنه هو المستحق . وبدون إبطاء أخذوه، وأقاموه على كرسى الأسقفية .
- (٥) ونحو هذا الوقت مات زينيوس [٢] أسقف أنطاكية وخلفه بايلاس [٣] وفى الإسكندرية لما أقيم هراكلاس [٤] أسقفا بعد ديمتريوس [٥] خلفه فى إدارة المدرسة التعليمية ديونيسيوس [٦] الذى كان أيضا من بين تلاميذ أوريجانوس .



(٢) انظر ف ٢٣ : ٣ .

(١) انظر ف ٢٣ : ٣ .

(٣) كان من أبرز شخصيات قدماء الشهداء . ويرى أن معجزات حدثت بسبب عظامه . وقد ذكره فم الذهب كثيرا .

(٦) ف ٤٠ .

(٥) ك ٥ ف ٢٢ .

(٤) ف ٣ .

الفصل الثلاثون

تلاميذ أوريغانوس

وبينما كان أوريغانوس يقوم بواجباته المعتادة في قيصرية أتى إليه تلاميذ كثيرون، ليس فقط من البلاد المجاورة بل أيضا من ممالك أخرى . من بين هؤلاء ثيودوروس ، وهو نفسه أحد أساقفة عصرنا، الذي برز جدا، واشتهر باسم غريغوريوس^[١] وأخوه أثينودورس . هذان هما اللذان وصل إلى علمنا أنهما اشتهرا بصفة خاصة . وإذا وجدتهما مهتمين اهتماما عظيما بالعلوم اليونانية والرومانية غرس فيهما محبة الفلسفة، وحملهما على استبدال غيرتهما القديمة بدراسة اللاهوت . وإذا لبثا معه خمس سنوات أظهرتا تقدما عظيما في الشؤون الروحية، حتى أن كلا منهما عين أسقفا في كنائس بنطس رغم حداثة سنهما .



(١) هو غريغوريوس الصانع العجائب الوارد ذكره في صلاة المجمع بالقدس . وقد ذكره يوسابيوس أيضا في ك ٧ ف ١٤ و ٢٨ . وكان في بلدة الجديدة قيصرية في بنطس وهي التي رسم عليها أسقفا فيما بعد . كان من والدين غنيين . وبدأ دراسة القانون، وهو لا يزال صغيرا . وإذا مر على قيصرية فلسطين في طريقه إلى يسريتس، حيث كان هو وأخوه أثينودورس يعتزمان تكملة دراسة القانون، التقى بأوريغانوس، ف قضى معه خمس سنوات درس فيها على يديه المنطق والطبيعات والرياضيات والفلسفة اليونانية واللاهوت . بعد ذلك عاد مع أخيه إلى وطنهما فرسما أسقفين . ويقال إنه أكمل التعليم في الإسكندرية . وقد اشتهر بصنع الكثير من العجائب : ركب الكثير من المؤلفات .

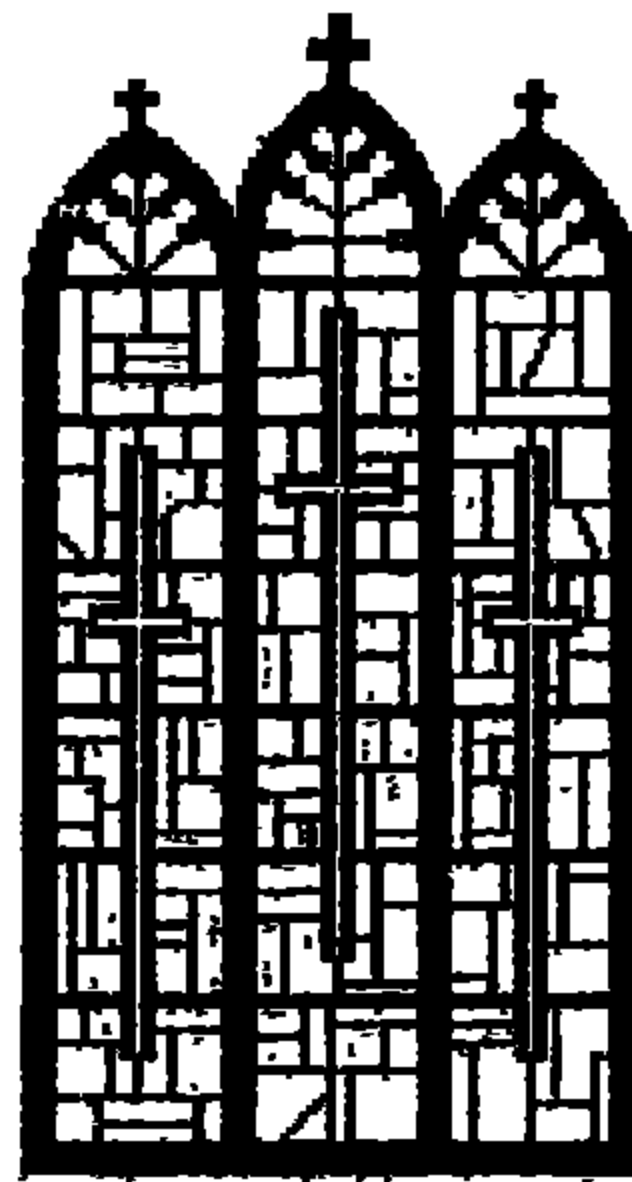
الفصل الحادي والثلاثون

أفريكانوس

(١) وفي ذلك الوقت أيضا اشتهر أفريكانوس مؤلف الكتب المسماة «سستي» - ولا يزال توجد بين أيدينا رسالة له أرسلها إلى أوريجانوس، يبين فيها شكوكه عن رواية سوسنة في سفر دانيال، باعتبارها مزيفة وملفقة - فرد أوريجانوس عليها بكل تفصيل -

(٢) وما وصلنا من مؤلفات أخرى لأفريكانوس هذا كتبه الخمسة التاريخية، وقد كتبها بمتهى الدقة باذلا فيها الجهد الجهد - وفيها يقول إنه ذهب إلى الإسكندرية بسبب شهرة هراكلاس [١] العظيمة، الذي تفوق بصفة خاصة في الدراسات الفلسفية وعلوم يونانية أخرى، والسابق التحدث عن أقامته اسقفا للكنيسة هناك -

(٣) ولا يزال باق أيضا رسالة أخرى من أفريكانوس هذا إلى أرستيدس في التناقض المزعوم بين روايتي متى ولوقا عن سلسلة أنساب المسيح - وفيها يبين بوضوح الاتفاق التام بين الإنجيليين، من رواية وصلت إليه سبق أن شرحناها في مكانها المناسب في الكتاب الأول من هذا المؤلف [٢] -



الفصل الثاني والثلاثون

التفاسير التي ألفها أوريجانوس في قيصرية فلسطين

- (١) ونحو هذا الوقت أعد أوريجانوس تفاسيره عن اشعياء وحزقيال . أما تفاسيره عن السفر الأول فقد وصلنا منها ثلاثون كتابا ، يصل فيها إلى الجزء الثالث من أشعياء ، [١] حتى رؤيا بهائم البرية . [٢] وأما تفاسيره عن حزقيال فبلغت خمسة وعشرين كتابا ، وهي كل ما كتبه عن كل النبوة .
- (٢) وإذا كان وقتئذ في أثينا أكمل تفسيره لسفر حزقيال ، وبدأ تفسيره لسفر نشيد الأنشاد ، وصل فيها إلى الكتاب الخامس . وبعد عودته إلى قيصرية أكمل هذه أيضا ، فوصلت إلى عشرة كتب .
- (٣) ولماذا نقدم في كتاب التاريخ هذا قائمة دقيقة عن مؤلفات الرجل التي تحتاج إلى مؤلف خاص . وقد فعلنا هذا في حديثنا عن حياة بمفيليوس ، [٣] وهو شهيد مبارك من شهداء عصرنا . فبعد أن بينا كيف كان اجتهاد بمفيليوس في الأمور الروحية عظيما ، قدمنا قائمة عن المكتبة التي جمعها من مؤلفات أوريجانوس ، وغيره من الكتاب الكنسيين . وكل من أراد يستطيع أن يعرف من هذا ما وصل إلينا من مؤلفات أوريجانوس . أما الآن فلنقدم خطوة أخرى في بحثنا التاريخي هذا .



(١) أي إلى أش ٣٠ : ٦ .

(٢) حسب الترجمة السبعينية أو «بهائم الجنوب» حسب ترجمة بيروت للامريكان .

(٣) انظر ك ٧ ف ٣٢ .

الفصل الثالث والثلاثون

ضلالة بيريلوس

(١) وقد اتحرف بيريلوس [١٦] - السابق التحدث عنه كأسقف لبوسترا ببلاد العرب - عن تعاليم الكنيسة، وحاول ادخال آراء غريبة عن الإيمان . فقد تجاسر على القول إن مخلصنا وربنا لم يكن له وجود سابق بكيفية متميزة، وإنه لم يكن موجودا من تلقاء ذاته قبل حلوله بين البشر، وإنه ليس فيه أى شيء من اللاهوت بذاته، بل لاهوت حلول الآب فيه .

(٢) وقد تناقش معه أساقفة كثيرون فى هذا الصدد، أما أوريجانوس فإذ دعى مع غيره نزل إليه أولا للتحدث معه للتأكد من آرائه الحقيقية . وإذ وقف على آرائه وعرف خطاها، وأقنعه بالحجج والبراهين المختلفة، رده إلى العقيدة القويمة، وأعادته إلى آرائه السابقة السليمة .

(٣) ولا تزال هنالك باقية كتابات لبيريلوس، وكتابات من المجمع الذى عقد بسببه تتضمن الأسئلة التى وجهها إليه أوريجانوس، والمناقشات التى تمت فى أبروشيته . وجميع الأمور التى حدثت وقتئذ .

(٤) وقد سلم إلينا الإخوة المتقدمون فى السن بيتنا حقائق أخرى كثيرة عن أوريجانوس رأيت من المناسب تجنبها لأنها لا تمت بصلة إلى مؤلفنا هذا . على أن كل ما رؤى ضروريا تدوينه عنه يمكن أن يوجد فى «الدفاع» عنه الذى كتبناه بالاشتراك مع بمفيليوس، شهيد عصرنا المبارك . وقد كتبنا هذا بدقة، واشتركنا فى تأليفه بسبب الأشخاص الذين يتصيدون عيوب الناس .



(١) انظر ف ٢٠ . لما سقط فى ضلالته رده عنها أوريجانوس . وما ورد فى ف ٢٠ يتضح أنه كان رجلا عالما وكتب عدة مؤلفات .

الفصل الرابع والثلاثون

فيليب قيصر

لما أكمل جورديانوس [١] ست سنوات امبراطورا على الامبراطورية الرومانية، خلفه فيليب مع ابنه فيليب . ويقال إنه إذ كان مسيحيا، [٢] وأراد أن يشترك مع الشعب في الصلاة بالكنيسة ليلة عيد الفصح، لم يسمح له رئيس الكنيسة [٣] وقتل بالدخول إلا بعد أن يعترف، ويعتبر نفسه ضمن الخطاة الذين يقفون موقف التائبين . [٤] ولو لم يفعل هذا لما كان قد قبله بسبب الجرائم الكثيرة التي ارتكبها . ويقال إنه أطاع في الحال . مظهرا بمسلكه خوفا حقيقيا تقيا لله .

الفصل الخامس والثلاثون

ديونيسيوس يخلف هيراكلاس في الأسقفية

وفي السنة الثالثة [١] من حكم هذا الامبراطور مات هيراكلاس [٢] بعد أن ظل في مركزه ست عشرة سنة، ونال ديونيسيوس [٣] أسقفية كنائس الإسكندرية .

-
- (١) ملك من سنة ٢٣٨ - ٢٤٤ ثم قتله الجنود، فخلفه فيليب وإلى بلاد العرب . أما ابنه فيليب، وكان عمره سبع سنوات وقتل، فقد نودي به قيصر في الحال، ثم أعطى فيما بعد لقب أوغسطس .
- (٢) يشك الكثيرون في أن فيليب كان مسيحيا، إذ يعتبرون أن قسطنطين كان أول امبراطور مسيحي .
- (٣) قيل إنه هو بايلاس أسقف أنطاكية .
- (٤) أي المكان المعد للتائبين . وكان المسيحيون الذين يرتكبون خطايا فاحشة يعدون عن تناول الإسرار المقدسة مدة معينة قبل أن يقبلوا ثانية في الكنيسة .
-

(٣) بخصوص ديونيسيوس انظر ف ٤٠ .

(٢) انظر ف ٣ .

(١) حوالي سنة ٢٤٦ أو ٢٤٧ .

الفصل السادس والثلاثون

مؤلفات أخرى لأوريجانوس

(١) وفي هذا الوقت، إذ كان الإيمان قد انتشر، وكان ينادى بتعاليمنا بجسارة أمام الجميع، سمح أوريجانوس للكتاب أن يدونوا محاضراته العامة، الأمر الذي لم يكن يسمح به من قبل، ويقال إنه كان وقتئذ قد تجاوز الستين عاما وكان قد اكتسب مرونة عظيمة من اختباره الطويل.

(٢) وقد كتب أيضا في هذا الوقت مؤلفا من ستة كتب، ردا على المؤلف المعنون «بحث حقيقي» كتبه ضد ناكلسس [١] الأبيكوري، كما كتب خمسة وعشرين كتابا عن إنجيل متى. وعلاوة على هذه كتب تفسيراً عن الإنبياء الاثني عشر، لم نجد منه سوى خمسة وعشرين كتابا.

(٣) ولا يزال أيضا باقيا رسالة له كتبها إلى الامبراطور فيليب، وأخرى كتبها إلى سفيرا زوجته، مع رسائل أخرى عديدة كتبها لأشخاص مختلفين. وقد جمعنا ما أمكن جمعه من هذه الرسائل ورتبناها في كتب مستقلة حتى وصل العدد إلى مائة كتاب، لكي لا تتبعثر أو تضيع، وكان قد حفظها أشخاص مختلفون هنا وهناك.

(٤) وكتب أيضا إلى فايانوس، أسقف روما، كما كتب عن استقامة رأيه إلى أشخاص كثيرين آخرين من قادة الكنائس، وفي الكتاب الثامن من مؤلفنا «الدفاع» الذي كتبناه دفاعا عنه، نجد أمثلة لهذه الرسائل.

الفصل السابع والثلاثون

انشقاق العرب

ونحو هذا الوقت قام آخرون في بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق. إذ قالوا إن النفس البشرية في الوقت الحاضر تموت وتبيد مع الجسد، ولكنهما يتجددان معا في وقت القيامة. وفي هذا الوقت أيضا اجتمع مجمع كبير، دعى إليه أوريجانوس أيضا، فتكلم في الموضوع بكل قوة، حتى تغيرت آراء الذين سبقوا أن سقطوا.

(١) كان فيلسوفا أيبكوريا. وقد كتب مؤلفه ضد المسيحية لاعتقاده بأن الوثنية لازمة للدولة، أما المسيحية فهي عدوة لها.

الفصل الثامن والثلاثون

بدعة الأكسيين

وقد ظهرت فى هذا الوقت أيضا ضلالة أخرى تدعى بدعة الإلكسيين، [١] أطفئت منذ بدايتها . وقد تحدث عنها أوريجانوس فى الكلمات التالية، وذلك فى عظة عامة عن المزمور الثانى والثمانين:

«ظهر الآن مباشرة شخص معين، [٢] انتفخ جدا بسبب مقدرته، متاديا بذلك رأى الكفرى الذى ظهر أخيرا فى الكنائس، إلا وهو بدعة الإلكسيين . وسأبين لكم مقدار ما ينطوى عليه هذا رأى من شرور، لكى لا يضلحكم . فهو يرفض أجزاء معينة من كل سفر . وأيضا يسلم بأجزاء معينة من العهد القديم والإنجيل، ولكنه يرفض الرسول [٣] كلية . ويقول إن إنكار المسيح أمر قليل الأهمية، وإن الفهم يمكنه عند الضرورة أن ينكر بفمه لا بقلبه . ثم إنهم يبرزون كتابا معينة يقولون إنه نزل من السماء، ويعتقدون أن من يسمعه ويؤمن به ينال مغفرة الخطايا، وهى مغفرة أخرى خلاف تلك التى أعطها المسيح» .

هذا ما قيل عن هؤلاء الأشخاص .



(١) Elkesites .

(٢) يقال أن اسمه السيابادس Alciabades .

(٣) أى الرسول بولس .

الفصل التاسع والثلاثون

الاضطهاد الذى حدث فى عهد ديسيوس [١] والآلام التى تكبدها أوريجانوس

- (١) وبعد أن حكم فيليب سبع سنوات خلفه ديسيوس . ونظرا لحققه على فيليب شرع فى اضطهاد الكنائس ، وفى هذا الاضطهاد استشهد فايبانوس [٢] فى روما ، فخلفه كرنيليوس فى الاسقفية .
- (٢) وفى فلسطين سيق الإسكندر [٣] أسقف كنيسة اورشليم ثانية أمام كرسى الوالى فى قيصرية من أجل المسيح . وبعد أن برأ نفسه بشجاعته فى اعتراف ثان ألقى فى السجن مكلفة هامته بمشيب السن الوقور .
- (٣) وبعد اعترافه الجليل أمام ساحة الوالى رقد فى السجن وخلفه مازابانس فى أسقفية اورشليم .
- (٤) ولما رقد بايلاس الانطاكى [٤] أيضا فى السجن بعد اعترافه كالإسكندر خلفه فايوس فى أسقفية كنيسة انطاكية .
- (٥) أما مقدار البلاء التى حلت بأوريجانوس أثناء الاضطهاد ، ومقدار شناعته ، وماذا كانت نتيجتها النهائية (فإن شيطان الشر جرد كل قواته ، وحارب الرجل بكل حيلة وبأقصى جهده ، هاجما عليه بعنف أشد من سواه ممن هجم عليهم وقتلوا) ، ومقدار ما تحمله من أجل كلمة المسيح ، والقيود ، والتعذيبات الجسدية ، والتعذيبات بالطرق الحديدية ، وفى السجن ، وكيف مدت قدماء فى المقطرة أياما كثيرة ، وكيف تحمل بصبر التهديد بالنار ، وكل ما عذبه به الأعداء ، وكيف وضع حدا لآلامه نظرا لان قاضيه بذل أقصى جهده لانقاذ حياته ، وما هى الكلمات التى تركها بعد هذا الأشياء مليئة بالتعزية لكل من يحتاج إلى العون - كل هذه تبينها كثير من رسائله بدقة وأمانة :

(١) ينطقها البعض داكوس .

(٢) بخصوص فايبانوس أسقف روما أنظر ف ٢٩ .

(٣) بخصوص الإسكندر أسقف اورشليم انظر ف ٨ .

(٤) ف ٢٩ .

الفصل الأربعون

الحوادث التي حلت بديونيسيوس [١]

(١) سوف أقتبس من رسالة ديونيسيوس إلى جرمانوس [٢] وصف ما حل بالأول - فقد كتب ما يلي متحدثا عن نفسه :

«أتكلم أمام الله، وهو يعلم أنني لا أكذب، إني لم أهرب بدافع من نفسي، أو بدون إرشاد إلهي .

(٢) «وحتى قبل هذا، في نفس الساعة التي بدأ فيها اضطهاد ديسيوس، أرسل ساينوس جنديا للبحث عني، ولبثت في البيت أربعة أيام منتظرا قدومه، ولكنه تجول باحثا في كل مكان - في الطرق والأنهار والحقول - حيث ظن أنني مختبئ فيها، أو في الطريق إليها، فطمست بصيرته ولم يجد البيت، [٣] لأنه لم يخطر بباله أن أبقى في البيت في الوقت الذي يجري البحث فيه عني .

(٣) «وبعد اليوم الرابع أمرني الله بمغادرة البيت، وفتح أمامي طريقا بكيفية عجيبة، فارتحلت أنا وأتباعي وكثيرون من الإخوة . أما أن هذا حصل بتدبير الله فقد اتضح مما حدث بعد هذا من الأمور، التي ربما كنا فيها نافعين لبعض أشخاص» .

(١) ديونيسيوس العظيم ولد في أواخر القرن الثاني، وتعلم لأوريغانوس، ثم خلف هراكلاس في إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية (انظر ف ٢٩) حوالي سنة ٢٣١، ثم خلفه في أسقفية الإسكندرية حوالي سنة ٢٤٦ (انظر ف ٣٥) والمرجح أنه استمر في إدارة المدرسة بعد ارتقائه للأسقفية . وقد ترك عدة مؤلفات، منها مؤلف «عن الطبيعة»، وآخر عن سفر الرؤيا وهو من أقوى ما كتب (انظر ك ٧ ف ٢٥) . وقد اشترك في حل كثير من المشاكل التي أثرت في عصره، كمسألة إعادة قبول الساقطين، وإعادة تعميم المهرطقين، ومسألة بولس السيساطي . وأظهر مقدرة فائقة في حل هذه المشاكل، وحكمة وروانة وتعقلا (انظر في ٤٤ الخ، ك ٧ ف ٧ و ٥ الخ وف ٢٧) . وقد سجن أثناء اضطهاد ديسيوس، ولكنه نجا من السجن كما يرى من هذا الفصل . ثم نفى في اضطهاد فاليريان (ك ٧ ف ١١) ولكنه عاد إلى الإسكندرية في عهد جالينوس (ك ٧ ف ٢١) . وكتب عدة رسائل أشير إليها في ف ٤١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ وك ٧ ف ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ . وقد هوجم كثيرا، وكان اثناسيوس ممن دافعوا عنه وقال ناشر تاريخ يوسابيوس بالانكليزية «ومما لا شك فيه أن ديونيسيوس أخذ على عاتقه المحافظة على التعليم بلاهوت الابن» .

(٢) كان أسقفا لابروشية غير معلومة (ك ٧ ف ١١) وقد اتهم ديونيسيوس بالجبن في وجه الاضطهاد .

(٣) وليس المقصود أنه لم يتمكن من وجود البيت بل لم يفكر في الذهاب إليه لأنه طمست بصيرته، وهذا هو معنى النص اليوناني .

(٤) وبعد ذلك يروى ما حدث له بعد هروبه .

«ونحو غروب الشمس ألقى على مع من كانوا معى ، وأخذنى العسكر إلى تابوسيرس، [٤] ولكن العناية الإلهية رقت أن لا يكون تيموثاوس حاضرا، وأن لا يلقى القبض عليه . وإذ أتى فيما بعد وجد البيت مهجورا يحرمه العسكر وأتانا قد أسرنا» .

(٥) وبعد ذلك بقليل يقول

«وماذا كان التدبير العجيب الذى دبره؟ لأنه ينبغى ذكر الحق . لقد قابل أحد أفراد الشعب تيموثاوس هاربا ومتزعجا، وسأل عن سبب استعجاله، فأخبره بالحق كاملا» .

(٦) «ولما سمع الرجل بالأمر (وكان فى طريقه إلى وليمة عرس، لأن العادة جرت أن يصرف الليل كله فى اجتماعات كهذه) دخل وقص الرواية على من كانوا على المائدة، أما هم فقاموا كلهم بالإجماع - كأنهم قد أعطيت إليهم اشارة بتدبير سابق - واندفعوا إلى الخارج بسرعة، وهجموا علينا بصراخ شديد . وللحال هرب العسكر الذين كانوا يحرسوننا، أما هم فأتوا إلينا، وكنا مضطجين على الأرائك عارية .

(٧) «أما أنا فيعلم الله أننى ظننتهم فى بادئ الأمر لصوصا أتوا إلينا للتهب والسلب . لذلك بقيت على السرير الذى كنت مضطجعا عليه، مرتديا ثوبا كتانيا فقط، وقدمت إليهم بقية ثيابى التى كانت موضوعة بجوارى . ولكنهم أشاروا إلى بالقيام واتباعهم بسرعة .

(٨) «وعندئذ أدركت سبب مجيئهم، فصرخت ورجوتهم وتوسلت إليهم أن يذهبوا ويتركونا وحدنا . وطلبت إليهم أن يقطعوا رأسى هم أنفسهم، إن سمحوا بتقديم أية خدمة لى، قبل أن يقطع رأسى أولئك الذين ألقوا القبض على . وعندما صرخت بهذه الكيفية، كما يعلم زملائى وشركائى فى كل شىء، رفعونى بالقوة فطرحت نفسى على ظهرى إلى الأرض، وعندئذ أمسكوا بيدي ورجلي وجرونى .

(٩) أما شهود كل هذه فهم غايوس وفوستوس وبطرس وبولس . [٥] غير أن الذين أمسكونى حملونى خارج القرية بسرعة، واضعين اياى على حمار بدون سرج، وأخرجونى بعيدا . [٦]

هذا ما رواه ديونيسيوس عن نفسه .

(٤) قيل إنها كانت مدينة صغيرة مجاورة لاسكندرية .

(٥) كانوا زملاء فى اضطهاد ديسيوس . انظر ك ٧ ف ١١ حيث ترى أيضا أن غايوس وبطرس لازما فى البرية فى ليبيا . وفى نفس ذلك الفصل فقرة ٣ ترى أن فوستوس كان شماسا .

(٦) فى ك ٧ ف ١١ : ٢٣ نرى أن هذه الجماعة التى أنقذته حملته إلى صحراء ليبيا حيث لبث مع زميلين حتى انتهى الاضطهاد .

الفصل الحادي والأربعون

شهداء الإسكندرية

(١) ويروى نفس الكاتب - فى رسالة إلى فابيوس أسقف انطاكية - الآلام التى تكبدها الشهداء فى الإسكندرية فى عهد ديسيوس، كما يلى:

«لم يبدأ اضطهادنا بصدور الأمر الملكى، بل سبقه بسنة كاملة [١] إن مخترع ومصدر الشرور فى هذه المدينة، أيا كان قد سبق فحرض وهيج ضدنا جماعات الأعميين، ونفث فيهم من جديد سموم خرافات بلادهم».

(٢) «وإذ هيجهم بهذه الكيفية، ووجدوا الفرصة كاملة لارتكاب أى نوع من الشر، اعتبروا أن أقدس خدمة يقدمونها لشياطينهم هى أن يقتلونا».

(٣) «فالقوا القبض أولاً على رجل متقدم فى السن اسمه متراس، وأمروه بأن ينطق بكلمات كفرية، ولكنه أبى أن يطيعهم، فضربوه بالهراوات، ومزقوا وجهه وعينيه بعصى حادة، وجروده خارج المدينة ورجموه».

(٤) «بعد ذلك حملوا إلى هيكل صنمهم امرأة مؤمنة اسمها كويتسا، لعلهم يجبرونها على عبادته، ولما استقبح الأمر أوثقوا رجليها، وجروها فى كل المدينة على الشوارع المرصوفة بالحجارة، ورضضوا جسمها فوق حجارة الطاحون، وفى نفس الوقت جلدوها، وبعد ذلك أخذوها إلى نفس المكان ورجموها حتى فاضت روحها».

(٥) «ومن ثم هجموا كلهم بنفس واحدة على بيوت الأتقياء، وأخرجوا منها كل من أرادوا، ونهبوهم وسلبوهم، وأخذوا لأنفسهم كل الأمتعة النفيسة، أما الغثة، والمصنوعة من خشب، فبعثروها وأحرقوها فى الشوارع، وبذا بدت المدينة كأن عدوا قد غزاها».

(٦) «على أن الإخوة انسحبوا وغادروا المدينة، قابلين سلب أموالهم [٢] كأولئك الذين شهد لهم بولس، ولست أعرف واحدا إلى الآن أنكر الرب، إلا إن كان أحد قد وقع فى أيديهم، وهذا أمر مشكوك فيه».

(١) صدر أمر ديسيوس سنة ٢٥٠ ولذا فيكون الاضطهاد فى الإسكندرية بدأ سنة ٢٤٩.

(٢) (عب ١ : ٣٤).

(٧) «وبعد ذلك ألقوا القبض على تلك العذراء الجلييلة القدر، أبولونيا، وهى سيدة مبتدعة فى السن، وضربوها على فكها، فكسروا كل أسنانها، وأوقدوا نارا خارج المدينة وهددوها بالحرق حية إن لم تشترك معهم فى هتافاتهم الكفرية . وبعد صلاة قصيرة قفزت بجماسة إلى النار فاحترقت» .

(٨) «ثم ألقوا القبض على سراييون فى بيته، وعذبوه بقوة وحشية، وبعد أن كسروا كل أطرافه طرحوه من طبقة عليا . ولم يكن هناك مفتوحا أمامنا شارع أو طريق عام أو عطفة، نهارا أو ليلا، لأنهم كانوا يصيحون دوما وفى كل مكان بأنه إن كان أحد لا يردد كلماتهم الكفرية وجب أن يجر فى الحال خارجا ويحرق» .

(٩) «واستمر الحال على هذا المنوال طويلا . ولكن فتنة وحربا أهلية نشبتا بين الشعب التمس، فحولنا قسوتهم ضدنا إلى بعضهم البعض، وهكذا تنفسنا الصعداء قليلا، إذ كفوا عن هياجهم ضدنا . ولكن سرعان ما أذيع إلينا نبأ استبدال الحكم الرحيم بحكم قاس، [٣] فتملكنا خوف شديد مما هددنا به» .

(١٠) «لأن الأمر الملكى وصلنا، وكادت الحالة تماثل تلك الحالة المروعة التى سبق أن أنبأ بها الرب، التى تفضل لو أمكن المختارين أيضا [٤] . والواقع أن الجميع انزعجوا» .

(١١) «وتقدم [٥] فى الحال الكثيرون من البارزين ممن اشتدت بهم حالة الخوف، وانجرف الآخرون بتيار واجباتهم الرسمية ، إذ كانوا فى الخدمة العامة [٦] والآخرون دفعوا دفعا بواسطة معارفهم . ولدى المنادة بأسمائهم اقتربوا من الذبائح الدنسة، واصفر وجه البعض، وارتعشت فرائصهم، كأنهم كانوا يساقون لا لكى يقدموا ذبائح للآوثان، بل لكى يقدموا هم أنفسهم ذبائح لها، لذلك هزأت بهم الجماهير التى كانت واقفة حولهم، لأنه كان واضحا لكل واحد إنهم كانوا خائفين من أن يقتلوا إن لم يذبحوا للآوثان» .

(١٢) «على أن البعض تقدموا إلى مذابح الآوثان بكل جرأة، معلنين أنهم لم يكونوا قط مسيحيين . وعن هؤلاء تصدق نبوة ربنا بأنهم يعسر خلاصهم [٧] أما الباقون فالبعض تبعوا هذه الجماعة، والآخرون تبعوا جماعة أخرى، البعض هربوا والآخرون ألقى القبض عليهم» .

(٣) إشارة إلى موت فيليب وإقامة ديسوس بدلا عنه وقد كان مضطهدا للمسيحية .

(٤) (مت ٢٤ : ٢٤) .

(٥) أى ليذبحوا للآصنام .

(٦) كان كل موظف حكومى ملزما بتقديم الذبائح للآصنام لدى قبوله فى وظيفته، وكذا فى مناسبات أخرى معينة .

(٧) (مت ١٩ : ٢٣) .

(١٣) «وبعض هؤلاء الآخرين ظلوا أمناء حتى القيود والسجون، والبعض جحدوا الإيمان قبل تقديمهم للمحاكمة، حتى بعد سجنهم أياما كثيرة. والآخرين تراجعوا بعد أن تحملوا التعذيب وقتا ما».

(١٤) «أما أعمدة الرب الثابتون المباركون فإنهم إذ نالوا قوة وقدرة يتناسبان مع الإيمان القوى الذى تمسكوا به، أصبحوا شهودا رائعين للكوته».

(١٥) «كان أول هؤلاء يوليانوس، وكان يشكو كثيرا من داء المفاصل حتى عجز عن الوقوف أو المشى. فقدموه مع اثنين آخرين يحملانه. وللحال أنكر أحدهما الإيمان. أما الآخر واسمه كرونيون يونس فبعد أن اعترف بالرب مع يوليانوس نفسه المتقدم فى السن حملا على جملين فى كل المدينة، وهى كبيرة جدا كما تعلم، وفى هذا الوضع المرتفع ضربا، وأخيرا أحرقا بنار شديدة، تحيط بهم كل العامة».

(١٦) «على أن جنديا اسمه يساس وبخ معيريهما إذ كان واقفا بجوارهما وهما يساقان. فصاحوا فى وجهه، وحوكم هذا البطل العظيم، وقطعت رأسه بعد أن وقف موقفا نبلا فى النضال من أجل التقوى».

(١٧) «وطلب القاضى من آخر بعنف أن ينكر الإيمان، وقد كان لىي المولد، واسمه مقار، وهو خليف بهذا الاسم، مبارك[٨] حقا. وإذ لم يذعن أحرق حيا. وبعدهم بقى ييماخوس والإسكندر فى القيود مدة طويلة، وتحملا آلاما لا تحصى بالمقشطة[٩] والجلدات، ثم أحرقا فى نار متلظية».

(١٨) «وكان معهما أربع نساء هن: أموناريوم، وهى عذراء عفيفة، عذبا القاضى بلا هوادة ولا رحمة، لأنها حرصت منذ البداية على أن لا تنطق بأية كلمة بما أمرها به، وإذ بقيت أمينة لعهدا جروها خارجا. والأخريات هن مركوريا، وهى امرأة مشهورة جدا متقدمة فى السن، وديونيسيا، وكانت أما لأبناء كثيرين، لم تحب أبناءها أكثر من الرب[١٠]. ولأن الوالى خجل من أن التعذيب كان بلا جدوى، ولأن النساء كن دواما يتصرن عليه، فقد قتلن بالسيف دون محاولة التعذيب، لأن البطلة أموناريوم تحملت التعذيب عوض الجميع».

(١٩) «وقد أسلم المصريون هيرون، واطر، وايسيندوروس، ومعهم ديسيقوروس، وهو صبي عمره نحو خمس عشرة سنة. حاول القاضى فى البداية أن يضلل الصبي بكلمات معسولة كأنه كان من الميسور التأثير عليه بسهولة، ثم يضغط عليه بالتعذيب ظانا أنه من الميسور أن يستسلم بسهولة. ولكن ديوسقوروس لم يقتنع ولم يستسلم».

(٩) آلة كانت تمر فوق الجسم فتمزقه.

(٨) الاسم «مقار» معناه فى اليونانية مبارك.

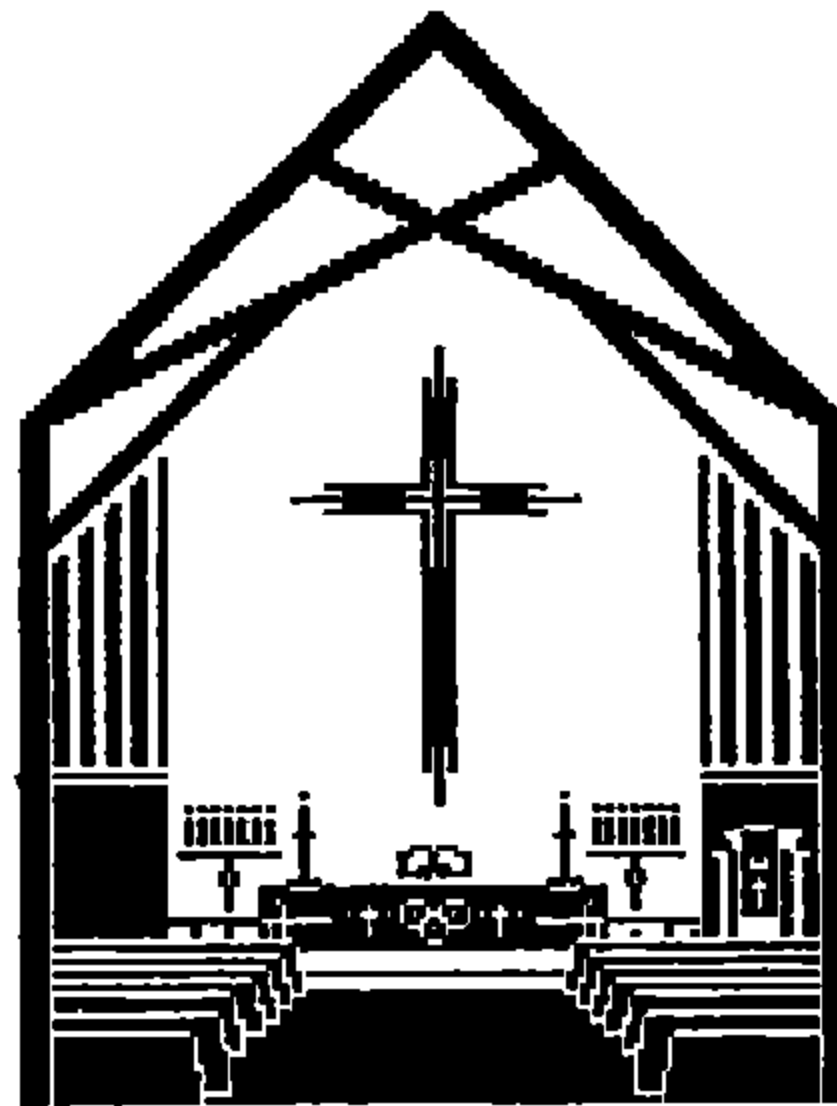
(١٠) قيل إن اسم الرابعة ذكر بعد ذلك مباشرة «وأخرى اسمها أموناريا».

(٢٠) «واذ لبث الباقون ثابتين جلدهم بوحشية، ثم أسلمهم للنيران . ولما أعجب بالطريقة التي بها أبرز ديوسقوروس نفسه جهارا، وبأجوبته الحكيمة تلقاء الاغراءات التي قدمت إليه، طرده قائلا إنه سيعطيه فرصة للتوبة نظرا لحداثة سنه، ولا يزال ديوسقوروس التقى هذا بيننا الآن، في انتظار اضطهاد أطول وتعذيب أشد».

(٢١) «واتهم شخص آخر اسمه غمسيون، وهو مصرى أيضا، بأنه ينتمى لعصابة لصوص . ولما برأ نفسه أمام قائد المئة من هذه التهمة البعيدة عن الحق كل البعد، وشى به بأنه مسيحي، وأخذ في القيود أمام الوالى . أما ذلك الوالى الظالم فقد حكم عليه بتعذيبات وجلدات ضعف ما كان يحكم به على اللصوص، ثم أحرقه بين لصين، وهكذا أكرم ذلك الرجل المبارك بأنه شبهه بالمسيح».

(٢٢) «وكان واقفا أمام جماعة من الجند هم آمون وزينو وبطليموس وانجيسنس، ومعهم رجل متقدم فى السن اسمه ثيوفيلس، واذا ظهر أن شخصا معينا يحاكم كمسيحي كان على وشك انكار الإيمان، أصروا على أسنانهم، لأنهم كانوا واقفين بجواره، وأشادوا بوجوههم ومدوا أيديهم وحركوا أجسادهم».

(٢٣) «وعندما اتجهت أنظار الجميع إليهم، وقبل أن يلقي أى واحد الأيدى عليهم، اندفعوا نحو المحكمة قائلين إنهم مسيحيون، حتى انزعج الوالى هو ومجلسه . فازدادت شجاعة الذين كانوا يحاكمون، ولم يرهبوا الآلام، أما قضائهم فارتعدت فرائصهم . وهكذا خرجوا من المحاكمة فرحين بشهادتهم، لأن الله نفسه مجدهم فى انتصارهم».



الفصل الثاني والأربعون

أشخاص آخرون تحدث عنهم ديونيسيوس

(١) «وهناك آخرون كثيرون، في المدن والقرى، مزقهم الوثنيون أربا، سأحدث عن واحد فقط كمثال للباقيين. كان اسخيرون يعمل كوكيل لأحد الحكام. ولما أمره رئيسه أن يذبح للاوثان رفض، فأهانته رتيسته، ولما ظل ثابتا في رفضه أساء إليه. ولما استمر في ثباته أمسك عصا طويلة ودفعها في أحشائه وقتله».

(٢) «وهل يحتاج الأمر للتحديث عن الجماهير التي تجولت في البراري والجبال، وهلكوا بسبب الجوع والعطش والبرد والمرض واللصوص والوحوش؟ فإن الباقيين الذين نجوا منهم شهوده للدعوة التي أتتهم ولنصرتهم».

(٣) «على أنني سأذكر حادثة واحدة من باب التمثيل، فإن كرمون، وكان متقدما جدا في السن، كان أسقفا لمدينة تدعى نيلوس [١] هذا حرب مع زوجته إلى جبل العرب [٢] ولم يعودا. ورغم أن الأخوة جدوا في البحث عنهما فإنهم لم يجدوهما ولا وجدوا جثتيهما».

(٤) «والكثيرون ممن هربوا إلى نفس الجبل أخذتهم العرب أسرى. وقد افتدى البعض بصعوبة بثمان باهظ، والآخرون لم يفتدوا إلى الآن. وإنني لم أرو هذه الأمور يا أخي بلا غاية، بل لكي تعلم مقدار وفرة وشدة الضيقات التي حلت بنا والذين كانت لهم اختبارات أوفر فيها هم أكثر الناس معرفة بها فعلا».

(٥) وبعد ذلك بقليل يضيف قائلا:

«وهؤلاء الشهداء المباركون الذين بيننا، الجالسون مع المسيح الآن، شركاء في ملكوته، وشركاء في الدينونة، ويدينون معه، قد قبلوا بعض الإخوة الذين سقطوا واتهموا بجريمة الذبح للاوثان. فلما أدركوا أن تجديدهم وتوبتهم كافيا ليقبلا أمام ذاك الذي لا يشاء موت الخاطيء قط بل توبته، اختبروهم فقبلوهم ثانية، وأعادوهم، والتقوا بهم، واشتركوا معهم، في الصلوات والولائهم» [٣].

(٦) «فإية نصيحة تقدمونها إلينا أيها الإخوة عن مثل هؤلاء الأشخاص؟ ماذا نفعل؟ هل نعطي نفس الحكم الذي أعطوه، ونراعى قرارهم ومحبتهم، ونظهر الرحمة لمن أشفقوا عليهم؟ أم نعلن بأن قرارهم ظالم، ونقيم أنفسنا كقضاة لرأيهم، ونتحدى الرحمة ونقلب النظام».

هذه هي الكلمات التي أضافها ديونيسيوس بحق عند التحدث عن الذين ضعفوا وقت الاضطهاد.

(١) كانت في جزيرة بالنيل جنوب منف. (٢) أي الجبل الشرقي. (٣) الأرجح أن المقصود وليمة العشاء الرباني.

الفصل الثالث والأربعون

نوفاتوس ، طريقة حياته ، وهرطقته

(١) بعد هذا انتقح نوفاتوس، وهو قس في كنيسة روما، في عجرفته على هؤلاء الأشخاص كأنه لم يعد لهم أى رجاء فى الخلاص، حتى ولو عملوا كل ما يتصل بالتجديد الحقيقى النقى . ثم تزعم شيعة أولئك الذين فى كبرياء أوهامهم دعوا أنفسهم «كثارى» [١].

(٢) وعلى أثر ذلك انعقد مجمع كبير جدا فى روما من ستين أسقفا، وعدد أوفر من القسوس والشمامسة . وفى الوقت نفسه تناقش رعاة الأقاليم الأخرى على حدة فى أماكنهم فيما يجب أن يعمل . فصدر قرار بالاجماع بأن نوفاتوس، ومن اشتركوا معه، ومن شايعوه فى رأيه عديم الإنسانية المبغض للأخ، يجب أن تعتبرهم الكنيسة خارجين عنها، وأنهم يجب أن يشفوا أمثال هؤلاء الأخوة الذين سقطوا فى التجربة، ويقدموا إليهم أدوية التوبة .

(٣) وقد وصلت إلينا رسائل كرنيليوس أسقف روما إلى فاييوس أسقف كنيسة أنطاكية، تبين ما تم فى مجمع روما . وما رؤى مناسبة فى أعين جميع الذين فى ايطاليا وافريقيا والأقطار المجاورة . ووصلت أيضا رسائل أخرى كتبت باللغة اللاتينية، منسوبة إلى سيبريان ومن معه فى أفريقيا، وهى تبين أنهم قد اتفقوا على ضرورة مساعدة من سقطوا فى التجربة، كما اتفقوا على أن يقطع من الكنيسة الجامعة مبتدع الهرطقة وكل من اشتركوا معه .

(٤) وأرفق بهذه رسالة أخرى لكرنيليوس عن قرارات المجمع . وهنالك أيضا رسائل أخرى عن أخلاق نوفاتوس . خلى بنا أن نقبس منها بعض فقرات لكى يعرف شيئا عنه كل من يطلع عليها .

(٥) وفى الكلمات التالية نرى كرنيليوس يحدث فاييوس عن نوفاتوس .

«وأريد أن أحدثك لكى تعرف كيف أن هذا الرجل اشتهى الأسقفية منذ زمن طويل، ولكنه أخفى هذه الرغبة الجامعة وأبقاها لنفسه فقط، مستخدما أولئك المعترفين الذين التصقوا به منذ البداية كستار لتمرده» .

(٦) «وإن مكسيموس، أحد قسوسنا، وأوريانوس، الذى حصل مرتين على أعظم شرف باعتزافه، وسيدونيوس وكيليرينوس، وهو رجل تحمل كل أنواع العذاب بشهامة نادرة ويفضل نعمة الله،

(١) كلمة يونانية معناها «نقى» .

وتغلب على ضعف الجسد بقوة إيمانه، وقهر الخصم باقتدار - هؤلاء فضحوه وكشفوا حيله ونفاقه وأضاليه وأكاذيبه وصداقته الزائفة - فرجعوا إلى الكنيسة المقدسة، وصرخوا بحضور الكثيرين من الأساقفة والقسوس وعدد وفير من العلمانيين بكل حيله وخبثه وشروره التي أخفاها زمنا طويلا - وقد فعلوا هذا بىكله وأسف شديد، لأنهم كانوا قد تركوا الكنيسة وقتا ما بسبب اغراءات ذلك الوحش الماكر الخبيث».

وبعد ذلك يقليل يقول:

(٧) «وكان غريبا جدا، أيها الأخ الحبيب، ذلك التغير الذى رأيناه يحدث فيه فى وقت قصير - لأن هذا الشخص الغريب جدا، الذى أقسم بأغلظ الإيمان أن لا يسعى للأسقفية، ظهر بغتة كأسقف كان مأكينة قد قلقت به بيتا».

(٨) «لأن هذا المتصلف، المدعى الدفاع عن عقيدة الكنيسة، إذ حاول الحصول على الأسقفية التى لم تعط له من فوق، اختار اثنين من رفاقه تنازلا عن خلاصهما، وأرسلهما إلى ركن صغير مهمل فى إيطاليا، لعله يبعث الحجج المزورة يستطيع أن يخدع ثلاثة أساقفة سذج وفى غاية البساطة، فأكدوا وشددوا بأنه من الضرورى أن يذهبوا سريعا إلى روما مع أساقفة آخرين حتى يمكن حسم كل نزاع قام هناك بوساطتهم ووساطة أساقفة آخرين:

(٩) «وعندما وصلوا أغلق عليهم مع بعض أشخاص آخرين مثله، لأنهم كما قلنا كانوا فى غاية البساطة - وفى الساعة العاشرة، إذ سكرُوا واعتلت صحتهم، أجبرهم بالقوة أن يرسموا أسقفا بوضع الأيدى بطريقة مزيفة باطلة - ولأن الأسقفية لم تأت إليه انتقم لنفسه واختلسها بالحيلة والخيانة».

(١٠) «وبعد ذلك بوقت قصير عاد إلى الكنيسة أحد هؤلاء الأساقفة باكيا ومعتزفا بتعديه - ونحن تحدثنا معه كما إلى أحد العلمانيين، وتشفع من أجله كل الشعب الحاضرين - ثم رسمنا خلفين للأسقفين الآخرين، وأرسلناهما إلى حيث كانا».

(١١) ولم يدر هذا المتشقم من الإنجيل أنه يجب أن يكون هنالك أسقف واحد فى كنيسة جامعة [٢] ومع ذلك فإنه لم يجعل (وكيف كان ممكنا أن يجهل) أنه كان فيها ستة وأربعون قسيسا، وسبعة شمامسة، [٣] وسبعة شمامسة مساعدين، [٤] واثنان وأربعون قندلفت [٥] واثنان وخمسون طاردي الأرواح النجسة، [٦] وقارئون، [٧] وبوابون، وأكثر من ألف وخمسمائة أرملة وشخص فى ضيقة، نعمون كلهم بنعمة ورحمة السيد.

(٢) كان رأى السائد أن يكون هنالك أسقف واحد فى المدينة.

(١٢) «على إن كل هذا الجمع الغفير، اللازمين في الكنيسة، وكل الذين كانوا بنعمة الله أغنياء وممكثين، وكل الشعب الذي لا يحصى، هؤلاء كلهم لم يستطيعوا أن يرجعوه عن غطرسته ووقاحته أو يردوه إلى الكنيسة».

(١٣) بعد قليل يضيف أيضا هذه الكلمات .

«واسمح لى أن أقول أكثر : بسبب أى أعمال أو تصرفات كانت له الجرأة لكى يناضل من أجل الأسقفية؟ هل لأنه نشأ في الكنيسة منذ البداية، وتحمل ألما كثيرة في سبيل النضال عنها، وجاز وسط أخطار كثيرة من أجل المسيحية؟ يقينا أن هذا لم يحصل .

(١٤) «ولكن الشيطان الذى دخله وسكن فيه طويلا كان هو علة اعتقاداته . وإذا أسلمه طاردو الأرواح حل به مرض شديد . ولما بدا كآته أوشك على الموت قبل المعمودية بالرش على السرير الذى كان مضطجعا عليه، إن جاز لنا القول إن شخصا كهذا قبل المعمودية».

(١٥) «وعندما شفى من مرضه لم يقبل الأشياء الأخرى التى يفرضها قانون الكنيسة، حتى ولا ختم الأسقف» [٨] وإن كان لم يقبل هذا فكيف يمكن أن يكون قد قبل الروح القدس؟».

(١٦) وبعد ذلك بقليل يقول أيضا :

«وفي وقت الاضطهاد أنكر أنه قس، وذلك بسبب الجبن والخوف على حياته . لأنه لما توسل إليه الشماسة ورجوه أن يخرج من الغرفة التى حبس نفسها فيها، ويقدم المساعدة اللازمة للاخوة كما كان يحتمه الواجب على القس أن يساعد الأخوة الذين فى الخطر والمحتاجين للمساعدة، لم يأبه لتوسلات الشماسة، بل انصرف فى غضب . وقال إنه لا يرغب فى أن يكون قسا بعد إذ كان معجبا بفلسفة أخرى».

= (٣) جرت العادة أن يكون بالكنيسة سبعة شمامسة اقتداء بالكنيسة الأولى (اع ٦) .

(٤) كانت وظيفتهم مساعدة الشماسة فى اعداد أواني الخدمة على المذبح، مراقبة الابواب أثناء التناول، وكثيرا ما كانوا يحملون رسائل الأساقفة إلى الكنائس البعيدة .

(٥) كانت وظيفتهم اضاءة الأنوار فى الكنيسة وتقديم الخمر لخدمة التناول .

(٦) كانت وظيفتهم مراقبة الأشخاص الذين فيهم أرواح نجسة، والعناية بهم والصلاة من أجلهم لطرد الأرواح .

(٧) عليهم هم الاغتسيون . (٨) الإشارة الى سر التثبيت وتكون يقوم به الأسقف إن كان حاضرا

(١٧) وعلاوة على أشياء أخرى قليلة أضاف الكلمات التالية :

«لأن هذا الشخص العجيب ترك كنيسة الله التي إذ آمن حسب فيها أهلا للقيسية بفضل الأسقف الذي رسمه قيسا . وقد اعترض على هذا كل الاكليروس ، وكثيرون من الشعب ، لأنه كان لا يحل أن يقبل أية رتبة كهنوتية شخص رش على فراشه بسبب مرضه كما تم له . ولكن الأسقف طلب أن يسمح له برسامة هذا الشخص فقط» .

(١٨) ثم يضيف إلى ذلك حرية أخرى هي أسوأ جرائم هذا الشخص كما يلي :

«وعندما قدم الفرائين ، ووزعها على كل واحد ، ألزم ذلك الرجل الشقي وهو يتاوله أن يحلف بدن البركة . وإذا أمسك يديه بكتف يديه لم يرد أن يطلقه ولا بعد أن حلف بهذه الكيفية (وقد أردت أن أثبت كلماته) : احلف لي بجسد ودم ربنا يسوع المسيح إن لا تتركني ولا ترجع إلى كرنيليوس» .

(١٩) «ولم يشأ الشقي أن يدوق قبل أن يربط نفسه بهذا الرباط ، وبدلا من أن يقول آمين وهو يتناول الخبز قال لن أعود إلى كرنيليوس» .

(٢٠) وبعد ذلك يقول أيضا .

«لكن اعلم أنه قد أصبح الآن مجردا ومهجورا . لأن الإخوة يتركونه كل يوم ويرجعون إلى الكنيسة . وموسى أيضا ، الشهيد المبارك ، الذي استشهد بيننا استشهادا مجيدا عجيبا ، إذ شهد جراته وحماسه وهو لا يزال حيا ، رفض الاختلاط به أو بالقسوس الخمسة الذين فصلوا أنفسهم معه عن الكنيسة» .

(٢١) «وفي ختام رسالته يقدم قائمة عن الأساقفة الذين أتوا إلى روما ، وحكموا على سخافة نوفاتوس ، مع ذكر أسمائهم والإبروشيات التي كانوا يرأسونها .

(٢٢) ويذكر أيضا من لم يحضروا إلى روما ، ولكنهم عبروا بالرسائل عن موافقتهم على آراء هؤلاء الأساقفة ، ويذكر أسماءهم والمدن التي أرسلوا منها رسائلهم . وقد كتب كرنيليوس هذه الأمور إلى فايوس أسقف انطاكية .

الفصل الرابع والأربعون

رواية ديونيسيوس عن سراييون

(١) وكتب ديونيسيوس الاسكندري أيضا رسالة إلى فاييوس هذا نفسه الذي يبدو أنه كان يميل بعض الميل إلى هذه البدعة . وفيها كتب أمورا أخرى كثيرة عن التوبة، وروى تفاصيل النضال الذي كافح به أولئك الذين استشهدوا أخيرا في الإسكندرية . وبعد الرواية الأخرى يذكر حقيقة عجيبة تستحق الذكر في هذا المؤلف . وهي كما يلي :

(٢) «وسأقدم لك هذا المثال الواحد الذي حدث بيتنا . كان معنا شخص اسمه سراييون، وهو مؤمن متقدم في السن، عاش زمنا طويلا بلا لوم، ولكنه سقط في التجربة . ولقد توسل كثيرا، ولكن لم يلتفت إليه أحد لأنه ذبح للأوثان . فاعتراه مرض، وفقد النطق والوعي ثلاثة أيام متوالية» .

(٣) «وإذ تحسنت صحته قليلا في اليوم الرابع أرسل إلى ابن ابنته قائلا : إلى متى تعوقونني يا ابني . أتوسل إليك أن تعجل وتحلونني بسرعة . ادع لي أحد القسوس . ولما قال هذا فقد النطق ثانية . فركض الصبي إلى القس . وكان الوقت ليلا، والقس مريضا، فلم يقدر أن يأتي» .

(٤) «ولأنني كنت قد أمرت بأن الأشخاص الذين على حافة الموت يجب أن تعطى لهم المغفرة إن طلبوها، سيما إن كانوا قد طلبوها من قبل، لكي ينطلقوا برجاء حسن، لذلك أعطى الصبي جزءا صغيرا من سر الأفخارستيا، وقال له أن يغمره ويدع النقط تسقط في فم الرجل الشيخ» .

(٥) «فعاد به الصبي . وإذ اقترب، وكان لم يدخل بعد، تحرك سراييون ثانية وقال : لقد أتيت يا ابني ولم يقدر القس أن يأتي . ولكن افعل بسرعة ما أمرك به ودعني أنطلق . عندئذ غمره الصبي وجعل النقط تسقط في فمه . وإذ بلع قليلا أسلم الروح في الحال» .

(٦) أليس واضحا أنه قد بقي حيا حتى نال الحل . وإذ مسحت خطيته أمكن الاعتراف به بسبب الأعمال الصالحة الكثيرة التي فعلها؟» .

هذا ما رواه ديونيسيوس .



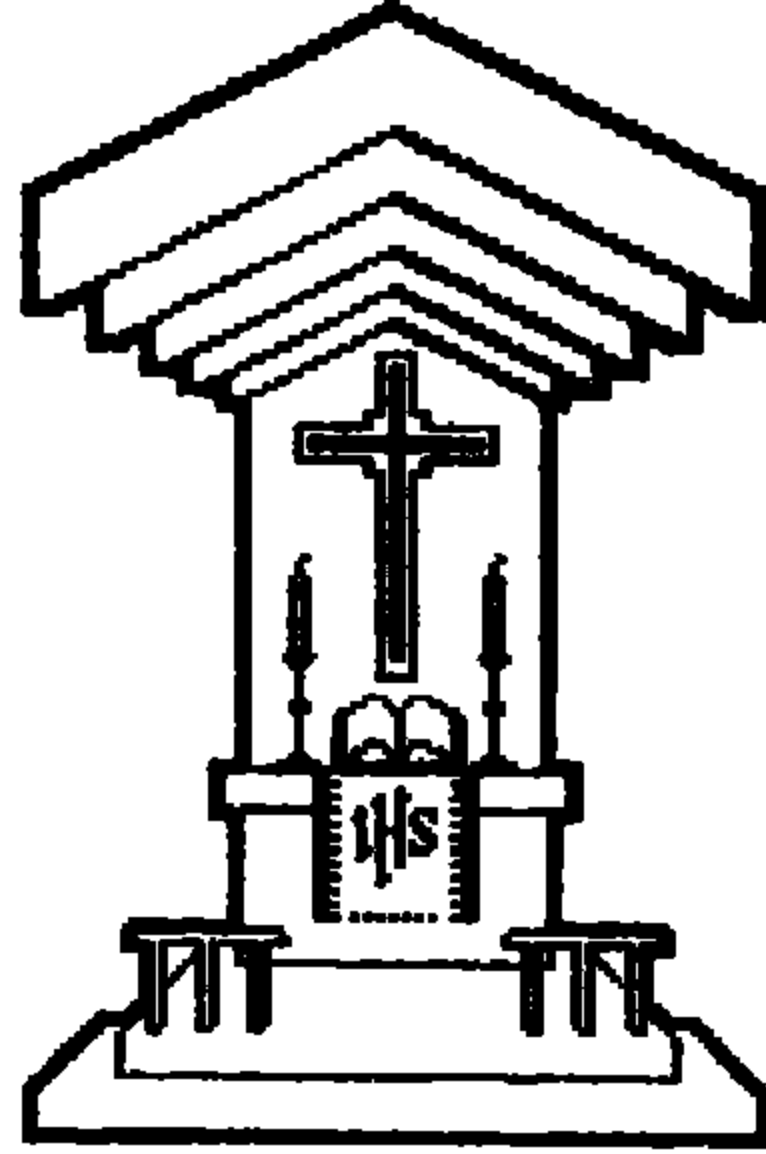
الفصل الخامس والأربعون

رسالة من ديونيسيوس إلى نوفاتوس

لكن لتنظر الآن كيف وجه نفس هذا الشخص رسالة إلى نوفاتوس لما كان يزعم الإخوة الرومانيين . وإذا ادعى أن بعض الإخوة كانوا سبب ارتداده وانشقاقه، كأنهم قد أجبره على هذا، فلاحظ كيف كتب إليه :

«سلام من ديونيسيوس إلى أخيه نوفاتوس، إن كنت كما تقول قد دفعت دفعا بغير ارادتك فبرهن على هذا بانسحابك بارادتك . لأنه كان خيرا أن تتحمل كل ألم عن أن تقسم كنيسة الله، وحتى الاستشهاد من أجل تجنب الانقسام لا يكون أقل مجدا منه لأجل رفض عبادة الأوثان . بل إنه يبدو في نظري أعظم . لأنه في الحالة الأخيرة يستشهد المرء من أجل نفسه، وفي الحالة الأولى من أجل الكنيسة بأجمعها . والآن إن أمكنك اقناع الإخوة، أو حملهم على اتفاق ارائهم زاد برك عن زلتك، وهذه لا تحب عليك، بل يمدح برك . ولكن إن لم تستطع أن تغلح مع المتمردين، فعلى الأقل خلص نفسك . أتوسل إليك أن تحسن التبصر في الأمر وتبقى في سلام مع الرب» .

هذا ما كتبه إلى نوفاتوس .



الفصل السادس والأربعون

رسائل أخرى لديونيسيوس

(١) وكتب أيضا رسالة إلى الإخوة في مصر عن التوبة . وفيها يدون ما بدا صائبا في رأيه عمن سقطوا، ويصف درجات التعدي .

(٢) ولا يزال باقيها أيضا خطاب خاص عن التوبة كتبه إلى كونون أسقف أبروشية هرموبوليس . ورسالة أخرى وعظية إلى رعيته في الإسكندرية . وبينها أيضا تلك التي كتبها إلى أوريجانوس عن الاستشهاد . وإلى الأخوة في لاودكية التي كان ثلميذدرس أسقفا عليها . كذلك أرسل رسالة عن التوبة إلى الأخوة في أرمينيا التي كان ميروزانس أسقفا عليها .

(٣) وعلاوة على كل هذه كتب إلى كرينيوس [١] أسقف روما عندما استلم منه رسالة ضد نوفاتوس . وفي هذه يذكر أنه قد دعى من هيبوليتس [٢] أسقف طرسوس في كنيسته . والآخرين اللذين كانا معه : فرميلسانوس [٣] أسقف كبدوكية ، وثركسنسوس [٤] أسقف فلسطين ، ليغالهم في المجمع في أنطاكية حيث كان البعض يحاولون تدعيم بدعة نوفاتوس .

(٤) وعلاوة على هذا فقد كتب يقول إنه علم بأن فايديس [٥] . قد . وإن ديتريانوس [٦] عين خليفة له في أسقفية أنطاكية . وكتب أيضا هذه الكلمات عن أسقف أورسليم :

«وبعد أن سجن المغبوط الإسكندر [٧] انطلق بسلام» .

(٥) وعلاوة على هذه لا تزال باقية أيضا رسالة أخرى عن وظيفة الشماسية ، أرسلها ديونيسيوس إلى أهل روما عن يد هيبوليتس . وكتب إليهم رسالة أخرى عن السلام ، وأخرى عن التوبة ، وأخرى للمعترفين هناك ، الذين كانوا لا يزالون يدينون برأى نوفاتوس . ورأسل رسالتين أخريين لنفس الأشخاص بعد عودتهم إلى الكنيسة . واتصل بأشخاص آخرين كثيرين برسائل تركها وراءه لمنفعة الذين يدرسون الآن كتاباته باجتهد .

(١) انظر ف ٣٩ .

(٢) كان من رأى هيلينوس ضرورة إعادة تعميد الهراطقة الذين يرجعون (انظر ف ٧ و ٥) . كان له نصيب في الاشتراك في النزاع الذي حدث بخصوص بولس السيسياطي ف ٧ و ٢٨ .

(٣) انظر ف ٢٦ (٤) ف ١٩ و ١٧ (٥) ف ٣٩ (٦) ف ٧ و ٥ و ١٢ و ٢١ و ٣ (٧) ف ١

الكتاب السابع

مقدمة

فى هذا الكتاب السابع من تاريخ الكنيسة يساعدنا ثانية أسقف الإسكندرية العظيم ديونيسيوس [١] بكتاباتة . متحدثا عن شئون عصره المختلفة فى الرسائل التى تركها . وسأبدأ الآن بها .

الفصل الأول

خبث ديسىوس وجالوس

وإذ لم يكد ديسىوس [١] يكمل ستين فى الحكم قتله أبناؤه وخلفه جالوس . وفى هذا الوقت مات أوريجانوس وكان عمره تسعا وستين سنة . ويتحدث ديونيسيوس عن جالوس [٢] بالكلمات التالية وهو يكتب إلى هرمامون .

«ولم يعترف جالوس بخبث ديسىوس، ولا فكر فيما أدى به إلى الهلاك، بل عثر بنفس الحجر، رغم أنه كان ملقى أمام عينيه . لأنه إذ كان حكمه مزدهرا، والأمور تسير وفق ارادته، هجم على الرجال الأتقياء الذين كانوا يتوسلون إلى الله من أجل سلامه وخيره . وهكذا باضطهاده إياهم حرم نفسه بنفسه من صلواتهم لأجله» .

هذا ما قيل عنه .



(١) بخصوص ديونيسيوس انظر ك ٦ ف ٤٠ .

(١) حكم ديسىوس من سنة ٢٤٩ إلى سنة ٢٥١ م .

(٢) حكم من سنة ٢٥١ إلى سنة ٢٥٣ حيث قتله جنوده هو وابنه .

الفصل الثاني

أساقفة روما في ذلك الوقت

وبعد أن ظل كرنيليوس في أسقفية مدينة روما نحو ثلاث سنوات خلفه لوسيوس . وهذا مات بعد أقل من ثمانية شهور . وانتقلت وظيفته إلى استفانوس . وقد كتب إليه ديونيسيوس أولى رسائله عن المعمودية . إذ كانت قد قامت مناقشة حادة عما إذا كان الذين رجعوا من أية هرطقة يجب أن يطهروا بالمعمودية أم لا . لأن العادة القديمة التي كانت سارية بصدد أمثال هؤلاء هي مجرد وضع الأيدي عليهم مع الصلاة .

الفصل الثالث

كيف نادي كبريانوس ومن معه من الأساقفة أولا بأن الراجعين من الهرطقة يجب أن يطهروا بالمعمودية

وأول كل شيء أصر كبريانوس . راعي أبروشية قرطاجنة ، على أنهم يجب أن لا يقبلوا إلا إذا تطهروا بالمعمودية من زلاتهم . ولكن استفانوس اشتد غضبه ، ورآه غير ضروري ادخال أية بدعة تخالف التقليد الساري منذ البداية .

الفصل الرابع

الرسائل التي كتبها ديونيسيوس عن هذا الموضوع

وإذا راسله ديونيسيوس بتوسع بصدد هذا الموضوع . بين له أخيرا بأنه طالما كان الاضطهاد قد خفت وطأته فإن الكنائس في كل مكان رفضت بدعة نوفاتوس وصارت في سلام بين بعضها البعض ، وقد كتب ما يلي :

الفصل الخامس

الهدوء الذى جاء عقب الاضطهاد

(١) «لكن اعلموا الآن يا اخوتى أن جميع الكنائس فى الشرق، وما بعد الشرق، التى كانت منقسمة، قد اتحدت كلمتها. وأصبح جميع الأساقفة فى كل مكان برأى واحد، مغتبطين جدا بالسلام الذى جاء، فوق ما كان متظرا. هكذا اغتبط ديمتريانوس [١] فى أنطاكية، وثيوكتستوس فى قيصرية. ومازابانس فى اليا، ومارينوس فى صور (إذ كان الاسكندر قد رقد)، وهليودورس فى لادوكية (إذ كان ثليميدرس قد مات)، وهيلينوس فى طرسوس. وجميع كنائس كيليكية. وفرميليانوس، وجميع كبادوكية. ولم أذكر سوى أبرز الأساقفة لكى لا تكون رسالتى طويلة، وكلماتى ثقيلة».

(٢) «وجميع سوريا وبلاد العرب التى ترسلون إليها المساعدات عند الحاجة. والى كتبته إليها الآن مباشرة. وما بين النهرين وبنطس وبشينا. وبالإيجاز إن الجميع فى كل مكان مغتبطون. ويتمجدون الله من أجل الوحدة والمحبة الأخوية». هذا ما ذكره ديونيسيوس.

(٣) أما استفانوس فاذ شغل مركزه ستين خلفه زبستوس. وقد كتب إليه ديونيسيوس رسالة أخرى عن المعمودية، بين له فيها فى نفس الوقت رأى وحكم استفانوس والأساقفة الآخرين، وروى ما يلى عن استفانوس:

(٤) «لذلك سبق أن كتب عن هيلينوس وفرميليانوس وجميع من فى كيليكية كبادوكية وغلاطية والأمم المجاورة، قائلا انه لا يريد الاختلاط بهم لهذا السبب. أى لأنهم أعادوا معمودية الهراطقة. لكن تأمل أهمية الموضوع».

(٥) «صحيح إنه صدرت من أكبر مجامع الأساقفة - على ما أعلم - قرارات فى هذا الموضوع، متضمنة بأن القادمين من الهراطقات يجب تعليمهم، وبعد ذلك يغسلون وينظفون من الخميرة العقيمة الدنسة. وقد كتبت إليه متوسلا من أجل جميع هذه الأمور». وبعد ذلك يقول:

(٦) «وقد كتبت أيضا، بكلمات قليلة فى البداية، وبكلمات كثيرة أخيرا، إلى زميلينا القسين المحبوبين ديونيسيوس [٢] وقليمون [٣] اللذين كانا يدينان بنفس رأى استفانوس، وكتب إلى عن نفس الأمور».

هذا ما قيل عن المناقشة السابق ذكرها.

(١) بخصوص ديمتريانوس وثليميدرس وهيلينوس انظر ك ٦ ف ٤٦. وبخصوص ثيوكتستوس انظر ك ٦ ف ١٩ : ١٧

وبخصوص نرمليانوس انظر ك ٦ ف ٢٦ وبخصوص مازابانس انظر ك ٦ ف ٣٩.

(٢) أقيم فيما بعد أمثقا لروما خلفا لزبستوس. انظر فيما يلى ف ٢٧. (٣) كان قسا فى روما وقتئذ.

الفصل السادس

هرطقة سابيلوس

وفي نفس الرسالة يشير أيضا إلى تعاليم سايلوس[١] الهرطوقية، التي ازدادت انتشارا في وقته، ويقول:

«أما عن التعليم الذي أثير الإن في يولميس التي في بتابوليس[٢]، المملوء كفرا وتجديفا على الله القدير الأب، وربنا يسوع المسيح، والمتضمن شكوكا كثيرة بخصوص ابنه الوحيد بكر كل خليقة، الكلمة المتأنس، وقصورا شديدا في معرفة الروح القدس، فنظرا لأنه قد وصلتني رسائل من كلا الطرفين، ومن الإخوة لمناقشة الأمر، فقد كتبت بضع رسائل لمعالجة الموضوع، وضعت فيهما بمساعدة الله كثيرا من التعاليم على قدر استطاعتي - وها أنا أرسل إليك نسخا منها».

الفصل السابع

سقطة الهرطقة الشنيعة .

الرؤيا الإلهية التي رآها ديونيسيوس والقانون الكنسي الذي قبله

(١) وقد روى ديونيسيوس هذا نفسه ما يلي في الرسالة الثالثة من المعمودية التي كتبها إلى فليمون القس الروماني:

«وقد فحصت أعمال وتقاليد الهرطقة، مدنسا عقلي وقتا قصيرا بأرائهم الكريهة، ولكنني حصلت على هذه الفائدة منهم، وهي أنني قد فندت آراءهم بنفسى، وازددت لهم كرها».

(٢) «وعندما حاول أحد الإخوة من القسوس أن يمنعني خشية أن أحمل في تيار شرهم ونجاستهم (الذي قد يدنس نفسى)، وكنت أرى أيضا إنه يقول الحق، أتتني من الله رؤيا شددتني . والكلمة التي أتتني أمرتني قائلة بكل وضوح»:

(٣) «أقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك، لأنك تستطيع أن تصحح كل شيء وتمتحنه، وهذا هو سبب إيمانك من البداية».

«فقبلت الرؤيا على أساس أنها تتفق مع الكلمة الرسولية القائلة لمن هم أقوى منى: كونوا صيارفة ماهرين» [١].

(٤) وبعد التحدث عن كل الهراطقات يضيف قائلا:

«لقد قبلت هذه القاعدة وهذا الترتيب من أيينا الطوباوى هراكلاس [٢] لأن الذين عادوا من الهراطقات، رغم ارتدادهم عن الكنيسة، أو بالأحرى لم يرددوا بل بدا كأنهم قد اجتمعوا معهم واتهموا بالالتجاء لأحد المعلمين الكذبة، فإنه عندما طردهم من الكنيسة لم يقبلهم ثانية، رغم توسلاتهم، إلا بعد أن قصوا علانية كل ما سمعوه من خصومهم. وعندئذ قبلهم دون أن يتطلب منهم المعمودية أخرى. لأنهم كانوا قد قبلوا منه سابقا الروح القدس».

(٥) وأيضا بعد معالجة الموضوع بالتفصيل يضيف ما يأتى:

«وقد علمت أيضا أن هذه [٣] لم تكن بدعة دخلت أفريقيا وحدها، بل أن هذا الرأى كان مقبولا فى أشهر الكنائس منذ زمن طويل أيام الأساقفة الذى سبقونا، وفى مجامع الإخوة فى ايقونية وسنادا، [٤] كما كان مقبولا من أشخاص آخرين كثيرين. وأنا لا أستطيع أن أحتمل بأن أقلب آراءهم، وأطوح بهم إلى الخصام والتزاع. لأنه قيل: لا تنقل تخم صاحبك الذى نصبه أبائك» [٥].

(٦) أما رسالته الرابعة عن المعمودية فقد كتبت إلى ديونيسيوس الرومانى [٦] الذى كان وقتئذ قسا، ولكنه ارتقى إلى أسقفية تلك الكنيسة بعد ذلك بوقت قصير. وواضح مما قاله عنه ديونيسيوس الإسكندرى إنه هو أيضا كان رجلا متعلما مقتلرا، وضمن ما كتبه ذكر له ما يلى عن نوفاتوس:



(١) يقال أنها مقتبسة من (١ تس ٥ : ٢١ و ٢٢).

(٢) بخصوص هراكلاس انظر ك ٦ ف ٣.

(٣) أى إعادة المعمودية.

(٤) مدينة فى فريجية.

(٥) (١٩ : ١٤).

(٦) بخصوص ديونيسيوس الرومانى انظر فيما يلى ف ٢٧.

الفصل الثامن

هرطقة نوفاتوس

«ونحن بحق نشعر بالكراهية نحو نوفاتوس الذى قسم الكنيسة، ودفع ببعض الإخوة إلى الكفر والتجديف، وأدخل تعاليم كثرية عن الله، وأخرى على ربنا يسوع المسيح الكلى الرأفة، مدعيا بأنه غير رحيم. وعلاوة على كل هذا فإنه يرفض المعمودية المقدسة، ويقلب الإيمان والإعتراف اللذين يسبقانها، [١] ويمنع عنهم كلية الروح القدس. إن كان هنالك أى رجاء أن يبقى معهم أو يعود إليهم».

الفصل التاسع

معمودية الهرطقة الخاطئة

(١) أما رسالته الخامسة [١] فقد كتبت إلى زبستوس [٢] أسقف روما. وبعد أن تحدثت كثيرا فى هذه الرسالة عن الهرطقة روى حادثة حدثت فى عصره كما يلى:

«لأننى حقاً أيها الأخ فى حاجة إلى المشورة، وأتنبأ أطلب حكمك فى موضوع عرض على، خشية أن أكون على خطأ».

(٢) «فقد كان أحد الأخوة الذين يجتمعون يعتبر مؤمناً منذ زمن طويل، وكان عضواً فى الجماعة قبل رسامتى، بل قبل رسامة المغبوط هراكلاس [٣] على ما أظن، وكان حاضراً مع من تعمّدوا أخيراً. وعندما سمع الأسئلة والأجوبة أتاني باكياً ونادياً سوء حظي، وسقط عند قدمي، واعترف محتجاً بأن المعمودية التى عمد بها مع الهرطقة لم تكن كهذه المعمودية بأى حال من الأحوال إذ كانت مملوءة كفرًا وتجديفاً».

(٣) وقال إن نفسه قد انكسرت حزناً، وإته ليست له دالة ليرفع عينيه إلى الله لأنه كان موافقاً على تلك الأقوال والأفعال الكثرية. ولهذا طلب أن ينال هذا التطهير الكامل وهذه النعمة الجزيلة.

(١) كنت العادة أن الداخلين إلى الإيمان يكتسبون تحت التعليم مدة طويلة. ومتى حل وقت المعمودية كان على المتعمد أن يلبس صيغة خاصة من الاعتراف.

(١) أنى رسالته الخامسة عن المعمودية. (٢) بخصوص زبستوس انظر ف ٥. (٣) بخصوص هراكلاس انظر ك ٦ ف ٣

(٤) «ولكننى لم أجسر على أن أفعل هذا، وقلت إن شركته الطويلة كافية، لأننى يجب أن لا أجسر على أن أجدد من البداية شخصا سمع الشكر، واشترك فى توريد أمين، ووقف أمام المائدة ومد يديه ليتناول الطعام المبارك، وتناوله فعلا، واشترك وقتا طويلا فى جسد ودم ربنا يسوع المسيح». على أننى بصحته بأن يتشجع ويقرب إلى شركة القديسين بإيمان ثابت ورجاء صالح».

(٥) «لكنه لا يكف عن النحيب، ويتحاشى الإقتراب من المائدة، ويندر أن يحضر الصلاة رغم الإلحاح عليه».

(٦) وعلاوة على هذه لاتزال باقية أيضا رسالة أخرى لنفس الرجل عن المعمودية، موجهة منه رومن أبروشية إلى ريسوس وكنيسة روما. وفيها يناقش الموضوع الذى أثير وقتئذ بحجج أقوى. ولا يزال باقيا أيضا رسالة أخرى بعد هذه موجهة إلى ديونيسيوس الرومانى بخصوص نوسيان. هذا ما قيل عن هذه الأمور.

الفصل العاشر

فاليريان والاضطهاد الذى حل فى عهده

(١) وبعد أن حكم جالوس [١] وغيره من الحكام أقل من ستين قوّضت عروشهم. وتقلد : ماد الإمبراطورية مع ابنه جالينوس.

(٢) أما الظروف التى رواها ديونيسيوس، فنستطيع معرفتها من رسالته إلى هرمانون [٢] التى فيها يقدم الوصف التالى :

«وهذا ما أعلن إلى يوحنا أيضا، لأنه كما يقول: أعطى فما يتكلم بعظائم وتجاديف، وأعطى سلطانا واثنين وأربعين شهرا» [٣].

(١) حكم Gallus وابنه فولوسيان Volusian من أواخر سنة ٢٥١ إلى منتصف سنة ٢٥٣. حيث قلب الإمبراطورية علوه وحليفته إميليان Aemilian. وهذا مريعان ما قتل هو وابنه بعد أربعة أشهر. وخلقه فاليريان Valerian قائد جنوس الأول

(٢) (٣) : ١٣ د

(٢) بخصوص هذه الرسالة انظر ف ١ .

(٣) «والعجيب أن كلا هذين الأمرين حدثا في عهد فاليريان . وعندما نتأمل في أخلاقه السابقة نزداد تعجبا، لأنه كان لطيفا نحو رجال الله، ومحبا لهم، إذ لم يعاملهم أحد من الأباطرة قبله بهذا اللطف وهذه الرقة . وحتى الذين قيل عنهم علانية بأنهم مسيحيون [٤] لم يظهروا لهم مثل تلك المحبة والود والكرم التي أظهرها هو في بداية حكمه لأن بيته بأكمله كان مليئا بالأشخاص الأتقياء، وكان كنيسة الله .

(٤) «ولكن معلم ورئيس مجمع المجوس المصرى أقنعه بأن يغير خطته، وحضه على قتل واضطهاد الأتقياء، لأنهم قاوموا وعطلوا التعاويذ القبيحة الدنسة، إذ كان ولا يزال هنالك أشخاص قادرون على نشر آراء الشياطين، وأغراه على ممارسة أعمال السحر والعرافة وتقديم الذبائح المردولة وقتل أطفال لا حصر لهم، وذبح ذرية الآباء المساكين، وشق بطون الأطفال حديثي الولادة، وتشويه خليفة الله أو تمزيقها إربا، كأنهم بأمثال هذه التصرفات ينالون السعادة .»

(٥) ثم يضيف إلى هذه ما يلي :

«وكانت عظمة حقا تقدمات الشكر [٥] التي أتى بها مكريانوس لأجل الإمبراطورية التي كانت موضوع آماله وأحلامه ويقال إنه كان سابقا وزير خزانة الإمبراطور، ومع ذلك فإنه لم يفعل شيئا يستحق المدح أو يعود بالخير العام، بل تم فيه القول النبوى :

(٦) «ويل لمن يتنبأون من تلقاء ذواتهم دون مراعاة للصالح العام [٦] لأنه لم يدرك أعمال العناية العامة، وأبعد نفسه عن رحمة الله، وهرب من خلاصه لأبعد حد، وبهذا أظهر حقيقة اسمه» [٧]

(٧) وبعد ذلك يقول أيضا :

«لأن فاليريان، إذ أغراه هذا الرجل على هذه الأعمال، حلت به التعبيرات والإهانات وفقا لما قاله إشعياء : هم اختاروا طرقهم ومكرهاتهم التي سرت به أنفسهم . فأنا أيضا أختار ضلالاتهم، وخطاياهم أجلبها عليهم» [٨]

(٤) أى من الأباطرة . كان فيليبس أول إمبراطور سابق قيل عنه أنه مسيحي : ك ٦ ف ٣٤ .

(٥) أى الأرواح النجسة . والمعنى : إنه بما أن الأرواح النجسة وعدته بالقوة ، فقد أظهر شكره لها بأغراء الإمبراطور فاليريان لاضطهاد المسيحيين .

(٦) حز ١٣ : ٢ و ٣ . (٧) اسمه «مكريانوس» مشتق من «مكران» ومعناها : «بعيد» . (٨) إش ٦٦ : ٣ و ٤ .

(٨) «على أن هذا الشخص» [٩] انتهى الملك شهوة جنونية، وهو غير أهل له - وإذا لم يستطع وضع الثوب الملكي على جسده الكسح، قدم ابنه لحمل خطايا أبيهما، [١٠] وقد حق عليهما التصريح الذي صرح به الله: «أفقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى» [١١].

(٩) «لأن الله إذ كدس على رأس ابنه شهواته الردية التي نجح فيها، جلب عليهما شره وبغضته لله».

هذا ما رواه ديونيسيوس عن فاليريان -

الفصل الحادي عشر

الحوادث التي حدثت وقتئذ لديونيسيوس والذين في مصر

(١) أما عن الاضطهاد الذي حدث بوحشية في عهده، والآلام التي تحملها ديونيسيوس مع غيره من أجل تقوى إله الكون، فتبينها كلماته التي كتبها ردا على جرمانوس [١] الأسقف المعاصر الذي حاول الطعن فيه - وهاك كلماته :

(٢) «يقينا أنني في خطر السقوط في حماقة شديدة وغباءة شنيعة لا اضطراري إلى التحدث عن عناية الله العجيبة بنا - ولكن طالما كان قد قيل: [٢] وأما سر الملك فخير أن يكتبكم، وأما أعمال الله فإذاعتها والاعتراف بها كرامة، فإنني سأذيع ظلم جرمانوس».

(٣) «إنني لم أذهب وحدي إلى أمليانوس، [٣] بل ذهب معي زميلي القس مكسيموس [٤] والشمامسة فوستوس [٥] ويوسايوس [٦] وكريمون، وذهب معي أيضا أخ من روما كان حاضرا».

(٩) أي مكريانوس -

(١٠) يقرر ديونيسيوس (ف ٢٣) أن مكريانوس خلع فاليريان في الحرب - وقد سقط فاليريان في أيدي الفرس (سنة ٢٦٠ م) - فنأى الجند بمكريانوس إمبراطورا، ونظروا لعرجه أو لتقدم سنه، أشرك معه ابنه كيتوس ومكريانوس -

(١١) خر ٢٠ : ٥ -

(١) بخصوص جرمانوس ورسالة ديونيسيوس إليه انظر ك ٦ ف ٤٠ : ١ -

(٢) طوييت ١٢ : ٧ -

(٣) وإلى مصر الذي تم على يديه الاضطهاد في الإسكندرية في عهد فاليريان، ثم في عهد جالينوس - وقد تمرد على جالينوس، ولكنه قُتل في السجن -

(٤) بعد موت ديونيسيوس أسقف الإسكندرية، خلفه مكسيموس - انظر ف ٢٨ و ٣٠ و ٣٢ -

(٦) صار فيما بعد أسقفا لكنيسة لادكية ف ٣٢ -

(٥) ك ٦ ف ٤٠ : ٩ -

(٤) «على أن أمليانوس لم يقل لى فى البداية: لا تعقد اجتماعات، [٧] لأن هذا كان أمرا خارجا عن حدود تفكيره، وآخر ما يفكر فيه شخص يطلب إتمام الأمر الاول لأنه لم يكن يبالي باجتماعاتنا، بل كان كل ما يهمه أن لا نكون مسيحيين . وقد أمرنى أن أكف عن أن أكون مسيحيا، ظنا منه بأننى إن تحولت عن المسيحية تبغنى الآخرون .

(٥) «ولكننى أجبته . لا بطريقة خارجة عن حدود اللباقة ولا بكلمات كثيرة، بل قلت: ينبغى أن نطيع الله أكثر من الناس» [٨] وشهدت علانية بأنى أعبد الله الواحد ولا سواه، وأننى لن أنحول عن هذا، ولن أكف عن أن أكون مسيحيا . وعلى أثر ذلك . أمرنا بالذهاب إلى قرية قرب الصحراء تدعى سفرو . [٩]

(٦) لكن اصغ إلى نفس الكلمات التى قالها الضرفان كما سجلت:

«إذ دعى إلى المحاكمة ديونيسيوس ريفرستوس - مكسيموس ومارسيلوس وكريمتون، قال أمليانوس لى: لقد ناقشناكم شفويا عن ائرافة التى أظهرها بحجبتكم حكمتنا .

(٧) «لأنهم أعطوكم الفرصة لتنجروا أنفسكم إن رجعتم إلى ما يتفق مع الطبيعة، وعبدتم الآلهة التى تحرس إمبراطوريتهم، وتركتم ما يحالف الطبيعة . بماذا تجاوبون إذن؟ لأننى لا أظن أنكم تنكرون جليلهم نحن وأفتهم بكم طالما كانوا يريدون أن يردوكم إلى طريق أفضل .

(٨) «فأجاب ديونيسيوس: إن كل البشر لا يعبدون كل الآلهة، بل كل واحد يعبد من يستحسنه . لذلك فإننا نكرم ونعبد الإله الواحد بارى الكل، الذى أعطى الإمبراطورية إلى الجليل الشأن فاليريان وجالينوس المنعم عليهما من الله، ونحن نصلى إليه دواما من أجل إمبراطوريتهم، لكى تبقى غير متزعزعة .

(٩) «فقال لهم أمليانوس الوالى: ومن أمركم أن تعبدوه إن كان إلهام مع تلك التى بالطبيعة آلهة، لأنكم قد أمرتم أن توقروا الآلهة، والآلهة التى يعرفها الجميع . فأجاب ديونيسيوس: نحن لن نعبد آخر .

(١٠) كان جرمانوس قد اتهم ديونيسيوس بإهمال الاجتماعات كالعادة المتبعة . والشهود لإنقاذ حياته . يؤيد هذا ما ورد فى الفقرة (١١) التالية .

(١١) (٩) من الفقرة (١٠) التالية . توضح أن «سفرو» كانت فى ليبيا . (١١) نوح ٢٩ .

(١٠) «فقال لهم أمليانوس الوالى: أنا أرى أنكم ناكروا الجميل، وغير شاعرين برأفة حكامنا. لذلك لن تبقوا فى هذه المدينة، بل سترسلون إلى أقاليم ليبيا، إلى مكان يدعى سفرو. لأننى اخترت هذا المكان كأمر حكامنا. ولن يُسمح لكم ولا لغيركم بأى حال من الأحوال بعقد اجتماعات، أو الدخول إلى مساكنكم.

(١١) «وإن روى أى واحد خارج المكان الذى أمرتم به، أو وُجد فى أى اجتماع عرض نفسه للخطر. لأننا سوف لا نتردد عن القصاص المناسب. فاذهبوا إلى حيث أمرتم.

«وعجلنى بالخروج رغم أننى كنت مريضاً. دون إعطائى مهلة حتى يوماً واحداً. فأية فرصة كانت لى حينئذ لعقد اجتماعات أو عدم عقدها.» [١٠]

(١٢) وبعد ذلك يقول:

«ولكننا بمعونة الرب لم نبطل الاجتماعات العلنية. بل دعوت باجتهاد أوفر أولئك الذين كانوا فى المدينة ليجتمعوا معاً. كأننى كنت معهم. إذ كنت كما قيل حاضراً بالروح ولو كنت غائباً بالجسد.» [١١]

وفى سفرو اجتمعت معنا كنيسة عظيمة من الإخوة الذين تبعونا من المدينة والذين رافقونا من مصر، وهنالك فتح لنا الرب باباً للكلمة.» [١٢]

(١٣) «وفى بداية الأمر اضطهدنا ورجمنا، ولكن فيما بعد ترك الكثيرون من الإخوة العبادة الوثنية، ورجعوا إلى الله. لأنهم إلى ذلك الوقت لم يكونوا قد سمعوا الكلمة إلى أن غرسناها نحن أولاً.

(١٤) «وكأن الله قد أتى بنا إليهم لهذا الغرض. وعندما أتممنا هذه الخدمة، نُقلنا إلى مكان آخر. لأنه يبدو أن أمليانوس أراد أن ينقلنا إلى أمكنة أربأ، وأكثر شبهاً بصحراء ليبيا. لذلك أمرهم أن يجتمعوا من كل الأقطار إلى مريوط، [١٣] وحدد لهم قرى مختلفة فى ذلك القطر، ولكنه أمر بأن نوضع نحن فى أقرب مكان للطريق العام لكى نكون أول من يلقى القبض عليهم. لأنه واضح أنه رتب الأمور بحيث يستطيع أن يلقى القبض على جميعنا بسهولة حينما يريد.

(١٠) انظر الملاحظة (٧) بالصفحة السابقة. (١١) ١ كو ٥ : ٣. (١٢) ٢ كو ٤ : ٣.

(١٣) كانت إقليمياً واسعاً ضمن أقاليم (مديريات «محافظات») مصر. كما كانت أبروشية عظيمة.

(١٥) «وعندما صدر الأمر في بداية الأضر بالذهاب إلى سفرو، لم أكن أعرف المكان، بل لم أسمع عنه من قبل، ومع ذلك ذهبت إليه باشًا مسرورا، ولكن عندما أمرتُ بالانتقال إلى إقليم كولوثيون، فإن من كانوا معنا يعرفون كيف تأثرت بالخبر.

(١٦) «وهنا، سوف أتهم نفسي بنفسي. ففي البداية، حزنت واضطربت جدا. إذ أن تلك الأمكنة، وإن كانت أكثر شهرة، ومعروفة لنا أكثر، إلا أنه كان يقال: بأنها خالية من الإخوة من الأشخاص ذوي الأخلاق الطيبة، ومعرضة للإزعاج من المسافرين وسطو اللصوص.

(١٧) «ولكنني تعزيت لما ذكرني الإخوة بأنها أقرب إلى المدينة، وأنه إن كنت سفرو قد قطعت لنا فرصة واسعة للاختلاط بالإخوة من مصر، وبذا استطعنا أن نزيد الكنيسة اتعلاء، فإن قرب هذا المكان من المدينة سيقدم لنا فرصة أوسع لنرى أجباءنا وأقرب الناس إلينا وأكثرهم معزة. لأنهم يستطيعون أن يلتقوا ويمكثوا معنا، ويمكن عقد اجتماعات خاصة كما لو كنا في أبعد الضواحي. وهذا ما حدث بالفعل.»

وبعد التحدث عن أمور أخرى، كتب ثانياً كما يلي عما حدث له:

(١٨) «يفتخر جرمانوس باعترافات كثيرة، وهو بكل تأكيد يستطيع التحدث عن شذائد كثيرة تحملها. ولكنه يستطيع أن يحصى ما نستطيع نحن إحصاءه من أحكام ومصادرة أملاك ونفى ونهب الممتلكات، وتشهير واحتقار مجد العالم، وعدم مبالاة بتملق الولاة والأعيان، وتهديد الخصوم وصخب وأخطار، واضطهادات وتشريد وأحزان وكل أنواع الضيقات، كما حلّ بي في عهد ديسيوس وسابينوس، ولا تزال مستمرة إلى الآن في عهد أمليانوس؟ ولكن أين رؤى جرمانوس؟ وأين ورد ذكره؟

(١٩) «وسأف الآن عن هذه الحماقة الشديدة التي سقطت فيها بسبب جرمانوس، ولنفس السبب أتحاشى أن أقدم للإخوة وصفا لكل ما حدث.»

(٢٠) ويذكر نفس الكاتب أيضا - في رسالته إلى مودتيوس وديديوس - بعض التفاصيل عن الاضطهاد، كما يلي:

«نظرا لأن شعبنا كثيرون وغير معروفين لكما، فمن باب تحصيل الحاصل أن أذكر أسماءهم. ولكن اعلما أن الرجال والنساء، الصغار والكبار، الخادmates والسيدات، الجند والمدنيين، من كل جنس وعمر، قد انتصروا في جهادهم ونالوا أكاليهم، البعض بالجلد والنار، والآخرين بالسيف.

(٢١) «وفي حالة البعض، لم يكن الوقت الطويل كافيا لإظهارهم مقبولين أمام الرب، كما يبدو أيضا في حالتى أنه لم يمض الوقت الكافى . لذلك أبقانى إلى الوقت الذى يراه مناسبا، قائلا: فى وقت مقبول سمعتك وفى يوم الخلاص أعتك» [١٤]

(٢٢) «ولأنكما استعلمتما عن أحوالنا، وأردتما أن نخبركما عن موقفنا، فقد سمعتما بالتام أننا عندما اقتادونا كأسرى - أى أنا وغايوس وفوستوس وبطرس وبولس- [١٥] قائد المائة والولاية، مع جنودهم وخدمهم، إلى بعض أشخاص من مريوط وجرونا بعثف، لأننا لم نرد اتباعهم .

(٢٣) «أما الآن، فإننا، أنا وغايوس وبطرس، صرنا وحدنا، وحُرِّمنا باقى الإخوة، وأُغلق علينا فى برية ومكان جاف فى ليبيا، يبعد ثلاثة أيام عن باراتونيوم» [١٦]

(٢٤) ويعد ذلك يقول:

«إن القسوس، مكسيموس وديوسقورس وديمثريوس ولوسيوس، أخفوا أنفسهم فى المدينة وزاروا الإخوة خفية . لأن فوستينوس وأكيلا، وهما من أبرز الشخصيات فى العالم، يتجولان فى مصر . أما الشمامسة فوستوس ويوسابيوس وكريمون، فقد نجوا من الويا . وقد شدد الله يوسابيوس وأغدق عليه بعض المواهب من البداية لإتمام الخدمة بنشاط للمعترفين والمسجونين، والقيام بالمهمة الخطرة نحو دفن أجساد الشهداء المباركين الذين أكملوا جهادهم .

(٢٥) «لأن الوالى لا يزال حتى الآن - كما قلت سابقا - يقتل بقسوة كل من يقدمون للمحاكمة . وهو يقتل البعض بتعذيب عنيف، والآخرى بالسجن والقيود . ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم، بل يبحث عما إذا كان أحد قد اقترب منهم فعلا . ومع ذلك، فالله يغيث المكروبين بغيرة الإخوة ومثابرتهم» .

(٢٦) هذا ما قاله ديونييسيوس . ولكن أن يكون معلوما أن يوسابيوس، الذى يدعو شماسا، صار بعد ذلك بوقت قصير أسقفا لكنيسة لاودكية فى سوريا، [١٧] وأن مكسيموس، الذى يتحدث عنه بأنه كان قسا وقتئذ، خلف ديونييسيوس نفسه كأسقف للإسكندرية . [١٨] أما فوستوس الذى كان معه، والذى امتار وقتئذ باعترافه، فقد بقى حيا، حتى وقت الاضطهاد الحاصل فى أيامنا، [١٩] حيث ختم حياته بالاستشهاد بقطع الرأس، وكان قد أصبح شيخا وشبعان أياما .

هذا ما حل بديونييسيوس وقتئذ .

(١٥) انظر ك ٦ ف ٤٠ : ٩ .

(١٤) إش ٤٩ : ٨ .

(١٦) كانت ميناء هامة على البحر الأبيض المتوسط، تبعد ١٥٠ ميلا عن الإسكندرية . أما المكان الذى أخذ إليه، ويعد ثلاثة أيام عن باراتونيوم، فكان يبعد نحو ٦٠ أو ٧٠ ميلا عنها (والأرجح إلى الجنوب)، على أساس حوالى ٢٢ ميلا

(١٨) انظر ف ٢٨ .

(١٧) انظر ف ٣٢ : ٥ فيما يلى .

فى اليوم .

(١٩) أى اضطهاد دقلديانوس الذى بدأ من سنة ٣٠٣ .

الفصل الثاني عشر

الشهداء فى قيصرية فلسطين

وفى أثناء الاضطهاد السابق ذكره الذى حدث فى عهد فاليريان، كان هناك ثلاثة رجال فى قيصرية فلسطين، بارزين جدا بسبب شهادتهم للمسيح، وهؤلاء تزينوا بالاستشهاد الإلهى إذ صاروا طعاما للوحوش. يُدعى أحدهم بريسكوس، والثانى ملخس، واسم الثالث الإسكندر. ويقال إن هؤلاء الرجال الذين عاشوا فى البلاد، تصرفوا فى البداية بجبن، كأنهم كانوا عديمى الاكتراث والتفكير. لأنه لما أعطيت الفرصة لمن يتوقون للجزاء برغبة سماوية، استخفوا بالأمر لثلاثين يوما إكليل الشهادة قبل الوقت. ولكنهم بعد التفكير فى الأمر أسرعوا إلى قيصرية، وتقدموا للقاضى، ولقوا الغاية السابق ذكرها. ويروى أنه علاوة على هؤلاء، لقيت امرأة نفس المصير فى نفس الاضطهاد ونفس المدينة. ولكن قيل أنها كانت تنتمى لحزب مركيون.^[١]

الفصل الثالث عشر

السلام الذى ساد فى عهد جالينوس

(١) وبعد هذا بوقت قصير، وقع فاليريان أسيرا فى أيدي البرابرة.^[١] أما ابنه، فإذ صار الحاكم الوحيد، أدار الحكم بأكثر حكمة. وللحال، أوقف الاضطهاد الحال بنا بنداء علنى، وطلب من الأساقفة أن يمارسوا وظائفهم المعتادة بحرية، وذلك بأمر كتابى جاء فيه:

(٢) «الإمبراطور قيصر بيليوس ليسينيوس جالينوس، بيوس فيلكس أوغسطس، إلى ديونيسيوس وبيناس وديميتريوس والأساقفة الآخرين. لقد أصدرت أمرى بإغداق هباتى على كل العالم، وأن يتعدوا عن أماكن العبادة.^[٢] ولهذا يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمرى لكى لا يزعجكم أحد. وهذا الذى

(١) سبق أن ذكر يوسابيوس الشهداء المكيونيين فى ك ٤ ف ١٥. وإن كانت الكنيسة لم تعتبر أتباع مركيون مسيحيين، إلا أن الدولة كانت تعتبر الجميع مسيحيين.

(١) أسرد ملك الفرس، ربما فى سنة ٢٦٠م، ومات فى الأسر. وبجسر أسره، تولى الإمبراطورية ابنه جالينوس Gallienus الذى كان يشترك معه فى الحكم. (٢) أى أن يتعد الوثنيون عن أماكن العبادة.

تستطيعون فعله الآن شرعا قد سبق أن منحته منذ زمن طويل [٣] لذلك فستولى تنفيذ أمرى هذا الذى أعطيته أوريليوس كيرينيوس المتولى إدارة جميع الشتون .»

هذا ما ترجمته عن اللغة اللاتينية ليسهل فهمه . ولا يزال باقيا أيضا أمر ملكى آخر أصدره ووجهه إلى أساقفة آخرين يسمح لهم فيه بامتلاك أماكن عبادتهم ثانية .

الفصل الرابع عشر

الأساقفة الذين ازدهروا وقتئذ

فى ذلك الوقت، كان زيستوس [١] لا يزال يرأس كنيسة روما، وديمترىانوس [٢] خليفة فابيوس [٣] يرأس كنيسة أنطاكية، وفرميليانوس [٤] يرأس كنيسة قيصرية كبادوكية . وعلاوة على هؤلاء، كان غريغوريوس وأثينودوروس أخوه [٥] صديقا أوريجانوس، يرأسان كنائس بنطس . وإذا مات ثيوكتستوس [٦] أسقف قيصرية فلسطين، نال دومنوس الأسقفية هناك، ولكنه لم يلبث فيها إلا وقتا قصيرا، فخلفه ثيوكتنس [٧] معاصرنا، وكان هو أيضا عضوا فى مدرسة أوريجانوس . أما فى أورشليم، فإنه بعد موت مازابانس، [٨] خلفه هيميانيس [٩] الذى اشتهر بيننا سنوات طويلة .



(٣) يشير إلى الحرية التى يتمتعون بها والتى قد أصدر بها أمرا منذ زمن طويل بعد ارتقائه عرش الإمبراطورية مباشرة، ولكنها لم تنفذ فى مصر فى الحال بسبب مكريانوس الوالى الشرير .

- (١) بخصوص زيستوس الثانى : انظر ف ٥ . (٢) ك ٦ ف ٤٦ . (٣) ك ٦ ف ٣٩ . (٤) ك ٦ ف ٢٦ . (٥) ك ٦ ف ٣٠ . (٦) ك ٦ ف ١٩ . (٧) كان بارزا جدا فى تاريخ الكنيسة، وقد حضر المجمعين اللذين عقدا فى أنطاكية (المذكورين فى ف ٢٧ و ٣٠) للنظر فى هرطقة بولس السيميساطى . (٨) ك ٦ ف ٢٩ . (٩) كان أسقفا لأورشليم من سنة ٢٦٥ - ٢٩٨ م .

الفصل الخامس عشر

استشهاد مارينوس في قيصرية

(١) وفي هذا الوقت، إذ كان السلام قد عاد إلى الكنيسة في كل مكان، [١] قُطعت رأس مارينوس، الذي من قيصرية فلسطين، من أجل شهادته للمسيح بالكيفية الآتية، وقد كان مكرّماً من أجل أعماله الحريّة، وذا شخصية بارزة بسبب نسبه وراثته -

(٢) إن غصن الكرمة [٢] علامة احترام بين الرومانيين، ويقال إن من يحصل عليه يصبح قائد مائة. وإذا خلا مكان، رُشّح له مارينوس بحسب ترتيب الأقدمية. ولكنه، إذ كان على وشك الترقية، تقدم شخص آخر أمام القضاء مدعياً بأنه غير قانوني - وفقاً للقوانين القديمة - أن ينال الشرف الروماني، لأنه مسيحي، ولا يقدم الذبائح للإمبراطور، وأنه هو أحق بالوظيفة.

(٣) فاضطرب القاضي، واسمه أخايوس، وسأل أولاً عن معتقد مارينوس، وعندما علم أنه بصفة مستمرة يعترف بأنه مسيحي، أعطاه فرصة ثلاث ساعات للتفكير.

(٤) وعندما خرج من المحكمة، أخذه على انفراد ثيوتكنس [٣] الأسقف هناك، وتحدث معه، ثم أخذ بيده وقاده إلى الكنيسة. وإذا وقف معه في الهيكل، رفع عباة قليلاً وأشار إلى السيف المعلق على جانبه، وفي نفس الوقت، وضع أمامه كتاب الأناجيل الإلهية، وطلب منه أن يختار أحد الاثنين. ودون أقل تردد، مد يده اليمنى وأخذ السفر الإلهي. فقل له ثيوتكنس: «أثبت إذن، أثبت في الله، وإذا تشدد به، أرجو أن تنال ما اخترت، اذهب بسلام.»

(٥) ولدى عودته مباشرة، صاح الحاجب منادياً إياه إلى المحكمة، إذ كان الوقت المحدد قد كمل. ولما وقف أمام المحكمة، أظهر غيرة شديدة نحو الإيمان. وللحال، أُخرجَ خارجاً، وكمل سعيه بالموت.

(١) إن استشهاد مارينوس في الوقت الذي ساد فيه السلام يرجع إلى أن مكريانوس، عدو المسيحية، كان لا يزال ذا نفوذ واسع في الشرق، وقد تلكأ في تنفيذ أوامر جالينوس.

(٢) كان قائد المائة يحصل على شارة تسمى «غصن الكرمة».

(٣) ف ١٤ - (٣)

الفصل السادس عشر

رواية عن استيرئوس

وقد احتفظ بذكرى استيرئوس أيضا بسبب جرأته النادرة فى هذه الناحية. وهذا كان رومانيا. له كرسى فى مجلس الأعيان، محبوبا من الأباطرة، ومعروفا لدى الجميع بسبب طيب مَحَنَدَه وثروته. وإذا كان حاضرا لدى موت الشهيد، حمل جسده على كتفه، وكفنه بثوب غالى الثمن، وأعد كل ما يلزم لدفنه بكيفية مجيلة، ودفنه دفنا لائقا به.

ويروى أصدقاء هذا الرجل، الذين لا يزالون أحياء، حقائق أخرى كثيرة عنه.

الفصل السابع عشر

العلامات التى تمت فى بانياس عن قدرة مخلصنا العظيمة

بين هذه أيضا، توجد الأعجوبة التالية: فى قيصرية قلس، التى يدعوها الفينيقيون بانياس،^[١] توجد بانياس عند سفح جبل بانيوس، ينبع منها الأردن. ويقال إنه فى أحد الأعياد أقيمت إحدى الضحايا فى الماء، فاختمت بقوة الشيطان بشكل عجيب، مما أذهل جميع الحاضرين. وكان استيرئوس حاضرا فى إحدى المرات إذ كانت هذه الأمور تجرى، وإذا رأى الجماهير منذهلين مما حدث، أشفق عليهم بسبب ضلالتهم. فتطلع إلى فوق إلى السماء، وتضرع إلى الله بالمسيح ليظهر الشيطان الذى أضل الشعب، ويضع حدا لخداع الناس. ويقولون إنه لما صلى هكذا، طفت الضحية فى الحال على وجه الينبوع، وهكذا لم يبق أثر للمعجزة، ولم تتم أية أعجوبة أخرى مطلقا فى ذلك المكان فيما بعد.

(١) قرية صغيرة حاليا بنفس الاسم عند سفح جبل حرمون، مشهورة بأنها أحد منابع الأردن بسبب الينابيع التى تنبع من

تحت صخور جبل حرمون هناك.

الفصل الثامن عشر

التمثال الذى أقامته المرأة نازفة الدم

(١) وطالما كنت قد ذكرت هذه المدينة، فلا أظنه لائقا أن أتجنب ذكر رواية تستحق التسجيل للأجيال المتعاقبة . لأنه يقال إن المرأة نازفة الدم، التى نالت البرء من دائها على يد المخلص، كما نعرف من الإنجيل المقدس، كانت من سكان تلك المدينة، وإن بيتها معروف فيها، وإنه لا تزال باقية هنالك آثار لتعطف المخلص عليها .

(٢) لأنه قد أقيم على حجر مرتفع بباب بيتها تمثال نحاسى لامرأة جاثية، ويدها مبسوطتان كأنها تصلى . وتجاه هذا تمثال من نفس المادة لرجل فى هندام أنيق مرتد عباءة مزدوجة أبيضقة، ماذا يداها نحو المرأة، وعند قدميه، بجانب النصب نفسه، نبات غريب يرتفع إلى هدب العباءة النحاسية، وهو دواء لكل أنواع الامراض .

(٣) ويقولون إن هذا النصب تمثال ليسوع . وقد بقى إلى يومنا هذا، حتى إننا نحن أنفسنا أيضا رأيناه عندما كنا مقيمين فى المدينة .

(٤) وليس غريبا على الذين من الأمم، الذين منذ القدم انتفعوا من المخلص، أن يفعلوا هكذا، طالما كنا قد علمنا أن رسوما مماثلة لرسوليه بولس وبطرس، والمسيح نفسه محفوظة بالتصوير، إذ جرت العادة بين الأقدمين، على ما يظهر، حسب تقليد الأمم، أن يقدموا، بلاميز، مثل هذا الإكرام لمن يعتبرونهم متقدين لهم .



الفصل التاسع عشر

كرسى الأسقفية الذى ليعقوب

أما كرسى يعقوب الذى نال أسقفية كنيسة أورشليم من المخلص نفسه [١] والرسل، والذى كان يسمى أخا المسيح، [٢] كما تبيّنه الأسفار الإلهية، فقد بقى إلى الآن. أما الإخوة الذين خلفوه، فقد أظهروا للجميع الإكرام الذى أظهره القدماء، ولا يزال يظهره رجال العصر الحاضر للقديسين بسبب تقواهم. هذا ما قيل عن هذا الأمر.

الفصل العشرون

رسائل ديونيسيوس الفصحية التي فيها يقدم أيضا قانونا فصحيا

وعلاوة على رسائل ديونيسيوس، السابق ذكرها، فقد كتب أيضا في الوقت رسائله الفصحية [١] التي لا تزال باقية، يستخدم فيها كلمات ثناء وتبجيل عن عيد الفصح. وقد وجه إحدى هذه إلى فلاقيوس، وأخرى إلى دومتيوس وديديموس، بينَ فيها قاعدة ممارسة الفصح لثمانى سنوات، موضحا أنه لا يليق ممارسة عيد الفصح إلا بعد الاعتدال الربيعي. وعلاوة على هذه، أرسل رسالة أخرى إلى زملائه قسوس الإسكندرية، وكذا رسائل أخرى لأشخاص مختلفين أثناء الاضطهاد.

(١) هذا هو رأى السائد قديما. انظر أيضا ك ٢ ف ١. (٢) غل ١ : ١٩. انظر أيضا ك ١ ف ١٢.

(١) قال ناشر الترجمة الإنجليزية: «كانت عادة أساقفة الإسكندرية إرسال رسالة قيل عيد الفصح كل سنة تتضمن بعض النصائح وتحدد وقت العيد. ولا شك أن جميع أساقفة الإسكندرية في تلك الأجيال كتبوا هذه الرسائل، ولكن لم يبق منها سوى بعض لأثناسيوس، وقليل لثاوفيلس، وثلاثين لكيرلس».

الفصل الحادى والعشرون

الحوادث التى تمت فى الإسكندرية

(١) ولم يكد السلام يستقر، حتى عاد [١] إلى الإسكندرية . ولكن، إذ أثرت الفتنة والحرب مرة أخرى، مما جعل الأمر مستحيلا عليه أن يفتقد كل الإخوة الذين بعثرتهم القلائل فى أمكنة مختلفة، فقد وجه إليهم رسالة أخرى يوم عيد الفصح كأنه لا يزال منفيا من الإسكندرية .

(٢) وفى رسالة فصحية أخرى كتبها فيما بعد إلى هيراكس، أحد أساقفة مصر، يذكر الفتنة التى كانت نائرة فى الإسكندرية وقتئذ، وذلك كما يلى:

«أية غرابة إن عسر على الاتصال بالرسائل بمن يقيمون بعيدا طالما كان فى غير مقدورى معالجة نفسى، أو مشاورة أحد لإنقاذ حياتى؟

(٣) «إننى أريد أن أرسل بعض الرسائل لمن هم كأحشائى، [٢] وهم إخوة يعيشون فى بيت واحد، بنفس واحدة، وأبناء كنيسة واحدة، ولكننى لست أعرف كيف أرسل هذه الرسائل . لأنه أيسر أن يعبر الإنسان لا حدود المملكة فحسب، حتى من الشرق إلى الغرب، عن أن يذهب من الإسكندرية إلى الإسكندرية نفسها .

(٤) «فقلب المدينة شائك جدا، واجتيازه أصعب من اجتياز الصحراء الواسعة المقفرة التى عبرها جيلان من بنى إسرائيل . أما موانئنا الهادئة فقد أصبحت كالبحر الذى انشق، وأصبحت له أسوار، وعبره إسرائيل، وابتلع فيه المصريون، لأنها كثيرا ما بدت كالبحر الأحمر بسبب كثرة القتلى فيها .

(٥) «وأما النهر الذى يجرى بجوار المدينة، فكان يبدو أحيانا أجف من البرية، وأشد قفرا من تلك التى إذ عبرها إسرائيل قاسوا مرارة العطش، حتى تذرروا على موسى، ففاضت المياه من الصخرة، بنعمة ذلك الذى يستطيع وحده صنع العجائب .

(٦) «وكانت تفيض بغزارة شديدة حتى غطت كل الأراضى المجاورة والطرق والحقول، مهددة بإعادة الفيضان الذى حدث أيام نوح . وكانت تفيض بصفة مستمرة، وملوثة دواما بالدماء والقتلى والغرقى، كما حدث لفرعون، عن يد موسى، عندما تحولت إلى دم وأنتنت .

(٧) «وأى مياه أخرى تطهر المياه التي تطهر كل شيء؟ كيف يستطيع المحيط العظيم، الذي يعجز البشر عن اجتيازه، أن يطهر هذا البحر المر لو أنه سكب فيه؟ أو كيف يستطيع النهر العظيم، الذي فاض من عدن، أن يطهر هذا الفساد لو أنه سكب رؤوسه الأربعة التي يتفرع إليها عند نهر جيحون؟

(٨) «أو كيف يمكن أن يتطهر الجو وقد تسمم بهذه الأنفاس النجسة؟ فالأبخرة تتصاعد من الأرض، والرياح من البحر، والنسيم من النهر، والضباب من الموانئ، وأصبح الندى كأنه إفرازات الجثث التي تعفنت وتحللت إلى كل العناصر المحيطة بنا.

(٩) «ومع ذلك، فالناس يتعجبون، ولا يستطيعون أن يدركوا من أين هذه الأوبئة المستمرة، والأمراض الشديدة، والأسقام القاتلة من كل نوع، وحالات الهلاك المختلفة، وإفناء البشرية على نطاق واسع، لماذا لم يعد بهذه المدينة مثل تلك الكثرة من السكان، من الأطفال الرضع إلى المتقدمين في السن، كما كانت تضم من قبل من بين أولئك الذين كانت تدعوهم شيوخا أقوياء - فالرجال من سن الأربعين إلى السبعين كانوا وقتئذ أكثر عددا جدا، حتى أصبح عددهم الآن لا يوازي السكان من سن الأربعة عشر إلى الثمانين، عند عمل الإحصائية من أجل مؤونة الطعام العامة.

(١٠) «وأصبح شكل الأصغر كأنه مساوٍ في العمر لمن كانوا سابقا أكبر، ورغم أنهم يرون الجنس البشري في تناقص مستمر، ورغم أن حالات الإفناء العامة في تزايد، فإنهم لا يرتعبون ولا يقشعرون.»



الفصل الثاني والعشرون

الوباء الذى حل بهم

(١) وبعد هذه الحوادث، حلّ مرض وبائى فى إثر الحرب . وإذا اقترب العيد، كتب أيضا إلى الإخوة واصفا الآلام التى نتجت عن هذه المصيبة:

(٢) «قد يبدو لأشخاص آخرين [١] أن هذا الوقت ليس مناسباً للعيد . والواقع أن لا هذا الوقت مناسب لهم ولا غيره . فلا الأوقات المحزنة مناسبة، ولا حتى التى يظنّ أنها مبهجة [٢] نحن الآن لا ترى إلا الدموع، وكل واحد ينوح، والعويل يرن صدهاء كل يوم فى المدينة بسبب كثرة الموتى .

(٣) «لأنه كما كُتب عن أبكار المصريين، هكذا حدث الآن صراخ عظيم . لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت [٣] وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد .

(٤) «فقد حدثت أمور مروعة كثيرة . أولاً أنهم طردونا . ولكننا احتفلنا بالعيد حتى فى ذلك الوقت، ونحن وحدنا، مضطهدون، ومحكوم علينا بالموت من الجميع . وكل مكان كابدنا فيه المصائب كان لنا مكان أعياد، الحقول والبرارى والسفن والقنادق والسجون . أما الشهداء الذين كملوا جهادهم، فقد احتفلوا بأبهج عيد، إذ عيّدوا فى السماء .

(٥) «وبعد هذا، حلّت الحرب والمجاعة، الأمر الذى تحملناه بالسوية مع الوثنيين . أما نحن، فقد تحملنا وحدنا تلك الأمور التى عذبونا بها، وفى نفس الوقت تحملنا نتائج ما عذبوا به بعضهم البعض . ثم اتنا فرحنا بسلام المسيح الذى وهب لنا وحدنا .

(٦) «ولكن بعد أن تمتعنا، نحن وهم، بفترة راحة قصيرة داهمنا هذا الوباء، وقد كان لهم مروعا جدا أشد من أى شىء آخر مخيف، كما كان عديم الاحتمال، أشد من أية مصيبة أخرى، وكما قال أحد كتابهم كان هو الوحيد الذى يتفنى معه كل رجاء، أما لنا فلم يكن الأمر كذلك، بل كان كغيره فرصة للتدريب والاختبار . ومع أننا لم نكن بآمن منه إلا أنه هاجم الوثنيين بأشد قسوة» .

(٧) وبعد ذلك يضيف الآتى:

«ولقد كان أكثر اخوتنا أسخياء حذا فى محبتهم الزائدة وعطفهم الأخوى . فازدادت رابطتهم بعضهم ببعض، وزاروا المرضى بلا خوف، وخدموهم بصفة مستمرة، خادمين إياهم فى المسيح . وماتوا معهم بأعظم فرح متحملين نكبات الآخرين، وناقلين المرضى من جيراتهم إلى أنفسهم، ومتقبلين آلامهم عن طيب خاطر . وكثيرون ممن كانوا يعنون بالمرضى وشددوا غيرهم ماتوا هم أنفسهم ناقلين موتهم إلى أنفسهم . وقد حققوا بالفعل المثل السائر الذى كان يبدو دوماً مجرد تعبير للمجاملة، بأنهم اعتبروا أقدار الآخرين وسيلة لارتحالهم» .

(٨) «والواقع إن صفوة اخوتنا ارتحلوا من هذه الحياة بهذه الكيفية، بما فى ذلك بعض القسوس والشمامسة، وأبرز الشخصيات بين الشعب . وهكذا أصبح هذا النوع من الموت لا يقل شأنًا عن الاستشهاد، بسبب ما تجلى فيه من التقوى العميقة والإيمان القوى» .

(٩) «وقد أخذوا أجساد القديسين على أيديهم، وفى أحضانهم، وأغمضوا عيونهم وأغلقوا أفواههم، وحملوها على أكتافهم، وأخرجوها خارجاً، وتشبثوا بها وعانقوها ورتبوا لها كل ما يليق بها من غسل وأكفان . وبعد قليل كانوا هم أنفسهم يلقون هذه المعاملة، لأن الذين كانوا ينجون من الموت كانوا بصفة مستمرة يلحقون سابقهم» .

(١٠) «أما الوثنيون فكان كل شئ على العكس من هذا . فقد كانوا يهجرون كل من بدأت تدب فيهم أعراض المرض، ويهربون من أعز أصدقائهم . وكانوا يطرحونهم خارجاً فى الشوارع عندما يوشكون على الموت، ويتركبون الموتى كالزبالة دون دفنهم . وكانوا يتجنبون أى اتصال بالموتى، ولكنهم مع كل ما اتخذوه من احتياطات لم ينجوا من الموت» .

(١١) وبعد هذه الرسالة، إذ عاد السلام إلى المدينة، كتب رسالة فصحية أخرى إلى الاخوة فى مصر، ثم رسائل أخرى عديدة علاوة على هذه . وهناك أيضاً رسالة أخرى، لا زالت باقية، عن السبت، وأخرى عن التدريب .

(١٢) وعلاوة على ذلك كتب أيضاً رسالة إلى هرمامون والاخوة فى مصر، متحدثاً فيها بالتفصيل عن شر ديسوس وخلفائه وعن السلام فى عهد جالينوس .

الفصل الثالث والعشرون

حكم جالينوس

(١) ولكن لا شيء أفضل من سماع كلماته وهي كما يلي:

«وبعد أن خسان [١] أحد الأباطرة الذي سبقه، وشن الحرب على آخر [٢] هلك هو وكل أسرته هلاكاً سريعاً كاملاً. على أن جالينوس نودي به في الحال وبالإجماع امبراطوراً قديماً وجديداً، إذ كان قبلهم واستمر بعدهم».

(٢) «لأنه كما قال النبي اشعيا: هوذا الأوليات قد أتت، والحديثات سوف تقوم الآن» [٣] فالسحابة إذ تمر أمام أشعة الشمس تحجبها وقتاً قليلاً، وتظهر بدلاً عنها. ولكن عندما تمر السحابة أو تنقشع تظهر ثانية الشمس التي سبق أن أشرقت. هكذا الحال مع مكريانوس الذي أبرز نفسه، واقترب من امبراطورية جالينوس الكاثنة، فإنه لا يمكن أن يكون له وجود لأنه لم يكن كائناً من قبل. أما الآخر فإنه هو هو كما كان.

(٣) «ومملكته تزدهر الآن بقوة أعظم، ويزداد الناس رؤيتها والسماع بها، وتمتد في كل جهة، كأنها قد طرحت عنها شيخوختها، وتطهرت من أرجاسها الماضية».

(٤) بعد ذلك يبين بالكلمات التالية الزمن الذي كتب فيه هذا:

«وجدت بي أن أذكر أيام سنوات الامبراطورية. لأنني أرى أن أسماء هؤلاء الأشرار قد زالت في وقت قصير، ولو كانوا قد ذاع صيتهم في حياتهم. أما الأمير [٤] التقى المبارك فإذا قد جاوز السنة السابعة يكمل الآن التاسعة التي سنعيد فيها».

(١) أي أن مكريانوس خان فالريان.

(٢) وإذا خان فالريان وقع في أيدي الفرس، وشن الحرب على جالينوس ابنه وخليفته.

(٣) (اش ٤٢ : ٩).

(٤) أي جالينوس. ولم يكن ديونيسيوس مبالغاً في وصفه له لأنه شمل المسيحيين بعطف جزيل.

الفصل الرابع والعشرون

نيپوس وبدعته

(١) وعلاوة على كل هذه فإنه هو الذى كتب أيضا الكتابين عن المواعيد . أما سبب كتابتهما فهو إن نيپوس [١] أحد أساقفة مصر نادى بأن المواعيد التى أعطيت للاتقياء فى الأسفار الإلهية يجب أن تفهم بروح يهودية، وأنه سوف يكون هنالك ألف سنة تقضى فى تمتع جسدى على هذه الأرض .

(٢) وإذا توهم بأنه يستطيع أن يدعم رؤية الشخص من رؤيا يوحنا، كتب كتابا عن هذا الموضوع عنوانه «تفنيد الرأى القائل بتفسير الكتاب مجازيا» [٢] .

(٣) ويقاوم ديونيسيوس هذا الكتاب فى كتابيه عن «المواعيد» . ففى الأول يبين رأيه عن العقيدة، وفى الثانى يتحدث عن رؤيا يوحنا . وإذا يذكر اسم نيپوس فى البداية يكتب عنه ما يلى :

(٤) «ولأنهم يقدمون مؤلفا لنيپوس، يعتمدون عليه كلية، كأنه قد أثبت اثباتا قاطعا أن هنالك سيكون ملك للمسيح على الأرض، فإننى اعترف بتقديرى ومحبتى لنيپوس من نواح أخرى كثيرة، لأجل إيمانه ونشاطه واجتهاده فى الأسفار المقدسة، ولأجل تساييحه العظيمة التى لا يزال الكثيرون من الاخوة يتلذذون بها، ويزداد احترامى له لأنه سبقنا إلى راحته على أن الحق يجب أن يحب ويكرم قبل كل شئ . ومع أننا يجب أن نمتدح ونصادق على كل ما يقال صوابا، دون أى تحيز، فإننا يجب أن نمتحن كل ما يبدو أنه لم يكتب صوابا، ونصححه» .

(٥) «ولقد كان يكفى أن يكون موجودا لشرح رأيه شفويا واقناع مقاوميه دون حاجة إلى تدوين مناقشاته كتابة . ولكن نظرا لأن البعض يظنون أن مؤلفه لا غبار عليه، ونظرا لأن بعض المعلمين يعتبرون أنه لا أهمية للناموس والأنبياء، ولا يتبعون الإنجيل، ويستخفون بالرسائل الرسولية، وينظرون إلى المواعيد - وفق تعليم هذا الكتاب - كأنها أسرار خفية، ولا يسمحون لاختوتنا البسطاء بتكوين آراء سامية

(١) Nepos لم يكن هو الوحيد الذى انحرف فى تفسير الوعد بالالف سنة، بل تعداه الأمر إلى الكثيرين إلى هذا اليوم .

انظر أيضا ك ٣ ف ٣٩ : ١٢ .

(٢) والواضح إنه موجه ضد أوريجانوس ومن تمشوا معه فى رأيه .

رفيعة عن ظهور ربنا المجيد الإلهي، وقيامتنا من الأموات، واجتماعنا معا إليه، وتغييرنا على صورته، بل بالعكس يدفعونهم إلى أن يرجسوا أمورنا تافهة زمنية في ملكوت الله، أمورا كالموجودة الآن - نظرا لأنه هذا هو الموقف، فمن الضروري أن تناقش أخانا نيبوس كأنه موجود».

وبعد ذلك يقول:

(٦) «ولما كنت في اقليم أرسينوى» [٣] حيث سادت هذه التعاليم زمنا طويلا، كما تعلم، الأمر الذي نشأ عنه انشقاق بل ارتداد كنائس برمتها، دعوت قسوس ومعلمي الاخوة في القرى والاخوة الذين أرادوا أيضا الحضور، ونصحتهم بفحص هذا الأمر علانية».

(٧) «وإذ قدمنا إلى هذا الكتاب، كأنه سلاح ماض وحسن لا يغلب، وجلست معهم من الصباح إلى المساء ثلاثة أيام متوالية، جاهدت لتصحيح ما كتب فيه».

(٨) «واغتيطت بمثابرة وإخلاص الاخوة ودمائة خلقهم إذ كنا نبحث بالترتيب وبهدوء المسائل والصعوبات التي تحت البحث، والنقط التي اتفقنا عليها - وقد تحاشينا كلية، ومن دون أن نزاع، الدفاع عن أى رأى كنا نعتقده سابقا، إلا إذا اتضحت صحته - كما أننا لم نتجنب أى اعتراض، واجتهدنا على قدر استطاعتنا أن نثبت ونؤيد الأمور المعروضة علينا وإن اقتنعنا بالبراهين المقدمة لم نخجل من تغيير آرائنا وموافقة الآخرين - بالعكس إننا بكل اخلاص ونزاهة، وقلوب مكشوفة أمام الله، قبلنا كل ما أيده بالبراهين تعاليم الأسفار الإلهية».

(٩) «وأخيرا اعترف منشئ وياعث هذا التعليم - ويدعى كوراسيون - على مسمع كل الاخوة الحاضرين، وشهد لنا بأنه لن يتمسك بعد بهذا الرأي، أو يناقشه، أو يذكره أو يعلم به، إذ اقتنع اقتناعا كلياً بفساده - وأبدى بعض الاخوة الآخرين سرورهم بالمؤتمر، وروح الصفاء والوفاء التي أظهرها الجميع».



الفصل الخامس والحشرون

رؤيا يوحنا [١]

(١) بعد هذا تحدث [٢] هكذا عن رؤيا يوحنا:

«لقد رفض البعض ممن سبقونا السفر وتحاشوه كلية، متقدين أصحابا أصحابا، ومدعين بأنه بلا معنى، وعديم البراهين، وقائلين بأن عنوانه مزور».

(٢) «لأنهم يقولون إنه ليس من تصنيف يوحنا، ولا هو رؤيا، لأنه يحجبه حجاب كثيف من الغموض. ويؤكدون أنه لم يكتبه أى واحد من الرسل، أو القديسين، أو أى واحد من رجال الكنيسة، بل أن كيرنثوس مؤلف الشيعة التى تدعى الكيرنثيون، إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية نسبها إلى يوحنا».

(٣) «وهذا ما نادى به: إن ملكوت المسيح سوف يكون ملكوتا أرضيا، ولأنه كان منغمنا فى ملذات الجسد، وشهوانيا جدا، فقد علم بأن الملكوت سوف يكون قائما على هذه التى أحبها، أى فى شهوة البطون والشهوة الجنسية، أو بتعبير آخر فى الأكل والشرب والتزوج والولائم والذبائح وذبح الضحايا، ظنا منه بأنه تحت هذا الستار يستطيع اشباع شهواته بطريقة أكثر قبولا [٣]».

(٤) «على أننى لم أتجاسر أن أرفض السفر لأن الكثيرين من الأخوة كانوا يجلبونه جدا ولكنتى أعتبر أنه فوق ادراكى، وأن فى كل جزء معانى عجيبة جدا مخفية لأننى إن كنت لا أفهم الكلمات فأظن أن وراءها معنى أعمق».

(٥) «واننى لا أريد أن أقيسها أو أحكم عليها بعقلى، بل أعتبرها أعلى من أن أدركها، تاركا مجالا أوسع للآيمان. ولست أرفض ما لا أدركه، بل بالعكس أتعجب لأننى لا أفهمه».

(٦) بعد هذا يفحص كل سفر الرؤيا ويعد أن يبرهن استحالة فهمه حرفيا يبدأ القول:

«بعد أن أكمل النبى كل النبوة، كما دعيت، يصرح بنبذة من يحفظونها وغبطة نفسه إذ يقول:

طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولى أنا يوحنا الذى كان ينظر ويسمع هذا [٤]»

(٢) أى ديونيسيوس أيضا .

(٤) (رؤ ٢٢ : ٧ و ٨)

(١) انظر ك ٣ ف ٢٤ .

(٣) انظر ك ٣ ف ٢٨ .

(٧) «لأجل هذا لا أنكر أنه كان يدعى يوحنا، وإن هذا السفر من كتابة شخص يدعى يوحنا . وأوافق أيضا أنه من تصنيف رجل قديس ملهم بالروح القدس . ولكنني لا أصدق بأنه هو الرسول ابن زبدي، أخ يعقوب كاتب الإنجيل يوحنا والرسالة الجامعة» [٥]

(٨) لأنني أستطيع الحكم من طبيعة كليهما، ومن صيغة التعابير، ومن مضمون كل السفر، أنه ليس من تصنيفه . لأن الإنجيلي لم يذكر اسمه في أى مكان، ولم يعلن عن ذاته لا في الإنجيل ولا في الرسالة» .

(٩) وبعد ذلك يضيف قائلا:

«يوحنا لم يتحدث قط مشيرا إلى نفسه، أو إلى شخص آخر» [٦] أما كاتب سفر الرؤيا فيقدم نفسه في البادية: اعلان (رؤيا) يسوع المسيح الذى أعطاه له ليرى عبده سريعا . وهو أرسله وبينه بيد ملاكه لعبده يوحنا الذى شهد بكلمة الله وبشهادته بكل ما رآه» [٧]

(١٠) «ثم كتب رسالة أيضا: يوحنا إلى السبع الكنائس التى فى أسيا نعمة لكم وسلام» [٨] أما الإنجيلي فإنه لم يصدر حتى الرسالة الجامعة باسمه، بل يبدأ بسر الرؤيا الإلهية نفسها دون أية مقدمة: الذى كان من البدء، الذى سمعناه ورأيناه بعيوننا» [٩] لأنه من أجل اعلان كهذا بارك الرب أيضا بطرس قائلا: طوبى لك يا سمعان بن يونا لأن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى السماوى» [١٠]

(١١) «واسم يوحنا لم يظهر حتى فى رسالتى يوحنا الثانية والثالثة المشهورتين رغم قصرهما بل تبدأ بهذه الكلمة: الشيخ، دون ذكر أى اسم . أما هذا المؤلف فإنه لم يكتب بذكر اسمه مرة ثم يبدأ مؤلفه، بل يكرره ثانية: أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس من أجل كلمة الله وشهادة يسوع» [١١] وقيل الختام يتحدث هكذا: طوبى لمن يحفظ أقوال نبوة هذا الكتاب، ولى أنا يوحنا الذى كان ينظر ويسمع هذا» [١٢]

(٥) بخصوص الإنجيل والرسالة انظر ك ٣ ف ٢٤ .

(٦) أى لم يتحدث عن نفسه بصيغة المتكلم «أنا يوحنا»، ولا بصيغة الغائب كقوله مثلا «عبد يوحنا» .

(٧) (رؤ ١ : ١ و ٢) . (٨) (رؤ ١ : ٤) . (٩) (١ يو ١ : ١) . (١٠) (مت ١٦ : ١٧) .

(١١) (رؤ ١ : ٩) . (١٢) (رؤ ٢٢ : ٧ و ٨) .

(١٢) «ولكن يجب التسليم بأن كاتب هذه الأمور كان يدعى يوحنا كما يقرر هو . ولو إنه غير واضح من هو يوحنا هذا . لأنه لم يقل ، كما قيل مرارا في الإنجيل ، أنه هو التلميذ المحبوب من الرب، [١٣] أو الذى اتكأ على صدره، [١٤] أو أخ يعقوب، أو الذى شهد وسمع الرب» .

(١٣) «لأنه لو أراد أن يبين نفسه بوضوح لذكر هذه الأمور . ولكنه لم يذكر منها شيئا، بل تحدث عن نفسه كأخينا، وشريكنا، وشاهد ليسوع، ومغبوط لأنه رأى وسمع الرؤى» .

(١٤) «وفى اعتقادي إنه كان هنالك كثيرون بنفس اسم الرسول يوحنا، الذين بسبب محبتهم له وإعجابهم به واقتدائهم به ورغبتهم فى أن يكونوا محبوبين من الرب مثله، اتخذوا نفس اللقب كما يسمى الكثيرون من أبناء المؤمنين بولس وبطرس» .

(١٥) «فمثلا يوجد أيضا يوحنا آخر ملقب مرقس ذكر اسمه فى سفر أعمال الرسل، [١٥] أخذه برنابا وبولس معهما، وقيل عنه أيضا: وكان معهما يوحنا خادما . [١٦] ولكنتى لا أقصد القول أنه هو الذى كتب هذا السفر لأنه لم يكتب إنه ذهب معهما إلى آسيا، بل قيل: ولما اقلع من بافوس بولس ومن معه أتوا إلى برجة بمفيلية . وأما يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم» . [١٧]

(١٦) «ولكنتى أعتقد أنه كان شخصا آخر ممن كانوا فى آسيا، إذ يقولون إنه يوجد نصبان تذكاريان فى أفسس يحمل كل منهما اسم يوحنا» .

(١٧) «ومن مجموعة الآراء، ومن الكلمات وترتيها، يستنتج أن هذا يختلف عن ذلك» . [١٨]

(١٨) «لأن الإنجيل والرسالة يتفقان مع بعضهما، ويبدأن بأسلوب واحد . الأول يقول: فى البدء كان الكلمة، والثانى يقول: الذى كان من البدء . الأول يقول: والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الآب، الثانى يقرر نفس الأمر مع تغيير طفيف: الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة فإن الحياة أظهرت» .

(١٣) انظر (يو ١٣: ٢٣ ، ٢٦: ١٩ ، ٢: ٢٠ ، ٧: ٢١ و٢٠) .

(١٤) (يو ١٣ : ٢٣ ، ٢٥) .

(١٥) (اع ١٢: ١٢ و١٢ ، ١٣: ١٣ و١٣ ، ١٥: ٣٧) . ويخصوص مرقس والإنجيل الثانى انظر ك ٢ ف ١٥ .

(١٦) (اع ١٣ : ٥) .

(١٧) (اع ١٣ : ١٣) .

(١٨) أى أن كاتب سفر الرؤيا يختلف عن كاتب الإنجيل والرسائل .

(١٩) «لأنه يبدأ بهذه متمسكا بها - كما يتضح مما يلي - احتجاجا على من قالوا إن الرب لم يأت في الجسد. ولذلك حرص أيضا على أن يقول: وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به أيضا».

(٢٠) «ثم إنه يتمسك بهذا ولا يتحول عن موضوعه، بل يناقش كل شيء تحت نفس رؤوس المواضيع والأسماء، سوف نذكر بعضها بإيجاز».

(٢١) «والباحث المدقق يجد هذه التعابير تتردد مرارا في كليهما: الحياة، النور، الانتقال من الظلمة. وبصفة مستمرة أيضا ترد هذه العبارات: الحق، النعمة، الفرح، جسد ودم الرب، الدينونة، مغفرة الخطايا، محبة الله من نحوتا، الوصية أن نحب بعضنا بعضا، وأن نحفظ كل الوصايا، دينونة العالم وابلير وضد المسيح، موعد الروح القدس، التبني لله، الإيمان المطلوب منا بصفة مستمرة، الإب والإين. هذه وردت في كل مكان. والواقع أنه يمكن بوضوح أن يرى نفس الطابع الواحد يحمله الإنجيل والرسالة».

(٢٢) «أما سفر الرؤيا فيختلف عن هذه الكتابات وغريب عنها. ولا يمس موضوع السفرين من قريب أو بعيد. ويكاد يخلو من أي تعبير يوجد فيهما».

(٢٣) «والإكثر من هذا الرسالة - ولا تجاوز عن الإنجيل - لا تذكر سفر الرؤيا ولا تتضمن أية إشارة لها، كذلك لا يشير سفر الرؤيا إلى الرسالة. مع أن بولس في رسائله يشير إلى رؤاه ولو لم يدونها منفردة».

(٢٤) «وعلاوة على هذا فإن أسلوب الإنجيل والرسالة يختلف عن أسلوب سفر الرؤيا».

(٢٥) «لأنهما لم يكتبتا فقط دون أي خطأ في اللغة اليونانية بل أيضا بسمو في التعبير والمنطق وفي فحواهما بكليته. إنهما أبعد ما يكون عن ائثار أي بربري أو عامي. لأن الكاتب كانت له على ما يظهر موهبة الحديث، أي موهبة العلم وموهبة التعبير، اللتين وهبه الرب إياهما».

(٢٦) «وأنا لا أنكر أن الكاتب الآخر رأى رؤيا، ونال علما ونبوة. ولكنني مع ذلك أعتقد أن لهجته ولغته لا تتفقان مع اللغة اليونانية الفصحى، بل هو يستعمل اصطلاحات بربرية، وفي بعض المواضع أغلاطا نحوية».

(٢٧) «ولا يعنينا الإشارة إليها، لأنني لا أريد أن يظن أي واحد أنني أذكر هذه الأمور بروح إتهكم، إنما قلت هذا بقصد إيضاح الخلاف بين الكتابات المختلفة».

الفصل السادس والعشرون

رسائل ديونيسيوس

(١) وعلاوة على هذه فلا تزال توجد رسائل أخرى كثيرة «لديونيسيوس»، كتلك التي كتبها ضد سايلليوس، [١] وتلك الموجهة إلى أمون، أسقف كنيسة برنيكي، وأخرى إلى تلسفورس، وواحدة إلى يوفرانور، وأخرى إلى أمون ويوفورس، وكتب أيضا أربعة كتب أخرى عن نفس الموضوع وجهها إلى سمية ديونيسيوس في روما.

(٢) وعلاوة على هذه فإن بين أيدينا الكثير من رسائله، وكتبنا ضخمة كتبت بشكل رسائل، كتلك التي كتبها عن الطبيعة موجهة إلى الشاب تيموثاوس، وواحدة عن التجارب أهداها أيضا إلى يوفرانور.

(٣) وفضلا عن هذا فإنه في رسالة إلى باسيلوس أسقف أبروشيات بتابوليس [٢] يقول إنه كتب تفسيراً لبداية سفر الجامعة: - ثم أنه ترك لنا أيضا رسائل مختلفة موجهة لنفس هذا الشخص.

هذا ما كتبه ديونيسيوس من المصنفات العديدة.

والآن وقد تم وصفنا لهذه الأمور، اسمح لنا بأن نوضح للإجيال القادمة طبيعة جيلنا.



(١) انظر ف ٦ .

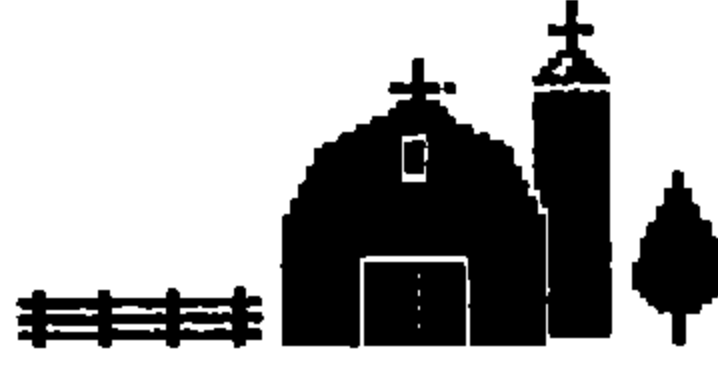
(٢) أي الخمس المدن الغربية . وكانت اقليما كبيرا غرب القطر المصري .

الفصل السابع والعشرون

بولس السميساطى والبدعة التى أدخلها فى أنطاكية

(١) بعد أن رأس زيسطوس كنيسة روما إحدى عشرة سنة خلقه ديونيسيوس سمي ديونيسيوس الاسكندري . وحوالى نفس الوقت مات ديمتريانوس [١] فى انطاكية ونال تلك الأسقفية بولس السميساطى . [٢]

(٢) ولأنه كان يعتقد اعتقادات وضيعة عن المسيح - مخالفة لتعاليم الكنيسة - أى أنه كان فى طبيعته انسانا عاديا، فقد توسلوا إلى ديونيسيوس الاسكندري ليحضر المجمع . ولما لم يتمكن من الحضور بسبب تقدمه فى السن وضعف جسمه أعطى رأيه فى الموضوع الذى تحت البحث برسالة أرسلها اليهم . ولكن جميع رعاة الكنائس من كل جهة أسرعوا ليجتمعوا فى انطاكية كأنهم قد اجتمعوا ضد مبدد قطع المسيح .



(١) انظر ك ٦ ف ٤٦ .

(٢) كان من أكبر هراطقة الكنيسة فى العصور الأولى . وقد كان أسقفا لانطاكية وفى نفس الوقت نائبا للملكة زنوبيا ملكة بالميرا . وكانت رسامته أسقفا حوالى سنة ٢٦٠ وخلعه سنة ٢٦٥ . وقد أعاد بولس هذا بدعة أرتيمون (ك ٥ ف ٢٨) القائلة بأن المسيح كان مجرد انسان ولو أنه كان ممثلا قوة إلهية من وقت ميلاده، وليس فقط من وقت معموديته، كما كان يدعى الأيسونيون . ووافق أيضا على ميلاده من الروح القدس . وقد أنكر أقنوم «الكلمة» وأقنوم الروح القدس، معتبرا إياهما مجرد قوتين فى الله كقوتى العقل والتفكير فى الإنسان، ولكنه اعتقد أن «الكلمة» حل فى المسيح بمقياس أكبر مما حل فى رسل الله السابقين . وصرح بأن المسيح بقى خاليا من الخطية وأنه تغلب على خطية أجدادنا وعندئذ صار مخلص الجنس البشرى . وقد عقدت مجامع مختلفة فى أنطاكية بقصد حرمة فلم تفلح، وأخيرا حرمه أحد المجمع فخلفه دومنوس وكان ذلك حوالى سنة ٢٦٨ .

الفصل الثامن والعشرون

أساقفة ذلك العصر البارزون

(١) ومن بين هؤلاء كان فرمليانوس [١] العظيم أسقف قيصرية كبادوكية، والاخوان غريغوريوس [٢] واثنودورس، وبعض الرعاة من كنائس بنطس، وهيلينوس [٣] أسقف أبروشية عرسوس، ونيكوماس أسقف أيقونية. وعلاوة على هؤلاء هيمينايس [٤] أسقف كنيسة أورشليم، وثيوتكنس أسقف كنيسة قيصرية المجاورة. يضاف إلى هؤلاء مكسيموس الذي رأس الاخوة في بوسترا [٥] بكيفية ممتازة. وإن أراد أحد احصاءهم لوجد آخرين كثيرين، علاوة على القسوس والشمامسة الذين اجتمعوا وقتئذ لنفس الغرض في المدينة السابق ذكرها [٦] ولكن هؤلاء كانوا أبرزهم.

(٢) وحينما اجتمع كل هؤلاء في أوقات مختلفة لبحث هذه المواضيع، كانت الحجج والامثلة تناقش في كل اجتماع. وكان أنصار السميساطى يحاولون أن يداروا ويخفوا هرطقته، وحاول الآخرون بكل غاية أن يفضحوا ويعلنوا هرطقته وتجديفه على المسيح.

(٣) وفي نفس الوقت مات ديونيسيوس في السنة الثانية عشرة من حكم جالينوس بعد أن لبث أسقفا لاسكندرية سبع عشرة سنة، وخلفه مكسيموس.

(٤) وبعد أن لبث جالينوس في الحكم خمس عشرة سنة خلفه كلوديوس الذي سلم الحكم إلى أوريليان بعد سنتين.



(٢) غريغوريوس صانع العجائب. انظر ك ٦ ف ٣٠.

(١) ك ٦ ف ٢٦.

(٦) انطاكية

(٥) ك ٦ ف ٣٣.

(٤) ف ١٤.

(٣) ك ٦ ف ٤٦ : ٣.

الفصل التاسع والعشرون

وبعد أن دحض ملخيون - أحد القسوس الفلاسفة - آراء بولس ،
صدر الحكم بحرمه

- (١) وفي أثناء حكمه عقد مجمع آخر مؤلف من أساقفة كثيرين ، وكشف عن منشئ الهرطقة في انطاكية ، وفضحت تعاليمه الكاذبة أمام الجميع ، فحرم من الكنيسة الجامعة تحت السماء .
- (٢) وقد أخرج ملخيون من مخبئه ودحض آراءه . وهذا كان رجلا متعلما في نواح أخرى ، وكان رئيسا لمدرسة الفلسفة اليونانية في انطاكية . ونظرا لسمو إيمانه بالمسيح ، رسم قسا لتلك الأبروشية . وإذا ناقشه هذا الرجل مناقشة خطيرة دونها الكتاب الحاضرون ، ولا زالت باقية إلى الآن ، استطاع وحده أن يكشف حقيقة الرجل الذي ضلل وخدع الآخرين .

الفصل الثلاثون

رسالة الأساقفة ضد بولس

- (١) أما الرعاة الذين اجتمعوا من أجل هذا الأمر فقد أعدوا بإجماع الآراء رسالة موجهة إلى ديونيسيوس أسقف روما ومكسيموس أسقف الإسكندرية ، وأرسلوها إلى جميع الأقطار . وفي هذه بينوا للجميع غيرتهم وهرطقة بولس ، والحجج والمناقشات التي دارت معه ، كما بينوا حياة الرجل وتصرفاته . وخلق بنا أن ندون في الوقت الحاضر الاقتباسات التالية من كتابتهم :
- (٢) «إلى ديونيسيوس ومكسيموس ، وإلى كل زملائنا الخدام في كل العالم ، الأساقفة والقسوس والشمامسة ، وإلى كل الكنيسة الجامعة تحت السماء ، هيلينوس وهيمانيس وثيوفيلس وثيوتكنس ومكسيموس وبروكلوس ونيكوماس واليانوس ويولس وبولانس وبروتوجينيس وهيراكس واوطاخى وثيودوروس وملخيون ولوسيوس وجميع الباقيين المقيمين معنا في المدن والأمم المجاورة ، أساقفة وقسوس وشمامسة ، وكناثس الله . سلام للاخوة المحبوبين في الرب» .

(٣) وبعد ذلك بقليل بدأوا قائلين:

«لقد أرسلنا ودعونا أساقفة كثيرين من أماكن بعيدة ليخلصونا من هذه التعاليم المميتة كديونييسيوس الإسكندري وفرمليانوس الكبادوكي، هذين المباركين. أما الأول فإذ اعتبر منشئ هذه البدعة غير جدير بأن يوجه إليه أى خطاب أرسل رسالة إلى أنطاكية موجهة لا إليه بل إلى كل الأبروشية، وقد أثبتنا صورتها فيما بعد».

(٤) «وأما فرمليانوس فقد أتى مرتين، وشجب بدعته، كما نعرف، ونشهد نحن الذين كنا موجودين، وكما يعرف آخرون كثيرون. ولكنه إذ وعد بتغيير آرائه صدقه، ورجا أن تتخذ الإجراءات اللازمة دون أن تلحق أية اهانة للكلمة. ولذلك أرجأ الأمر إذ خدعه ذاك الذى أنكر حتى إلهه وربّه، ولم يحفظ الإيمان الذى كان يعتقد سابقا».

(٥) «ولقد كان فرمليانوس الآن فى طريقه ثانية إلى أنطاكية، ووصل حتى طرسوس، لأنه علم بالإختبار شره وانكاره لله. ولكنه مات بينما كنا مجتمعين ومستظرين وصوله».

(٦) وبعد التحدث عن أمور أخرى وصفوا فيما يلى نوع الحياة التى عاشوها: «ولأنه قد انحرف عن جادة الإيمان، وارتد بعد المناداة بتعاليم وضعية زائفة، فليس من الضروري - طالما كان قد أخرج خارجا - إصدار أى حكم على تصرفاته».

(٧) «فمثلا مع أنه كان سابقا فقيرا معدما، لم يرث أية ثروة من آبائه، ولم يجن أية ثروة من تجارة أو أى عمل آخر، إلا أنه الآن أصبح يمتلك ثروة طائلة بسبب شروره وانتهاكه حرمة المعابد وسلبه للاخوة، وحرمان المظلومين من حقوقهم، ووعدهم لهم بمساعدتهم نظير أجر معين مع أنه يضلّهم، وينهب أولئك الذين فى ضيقهم يكونون مستعدين أن يعطوا ليصطلحوا مع ظالمهم، طائنين أن التقوى تجارة» [١٠].

(٨) «أو كغطرسته وكبريائه وانتفاخه وادعائه الكرامة العالمية، مفضلا أن يدعى نائب الملكة عن أن يدعى أسقفًا، وزهوه وهو يسير فى الأسواق قارئا بعض الرسائل بصوت مسموع وهو يمشى علنا يحف به حرس وتتقدمه وتبعه الجماهير، حتى أصبح الإيمان مكروها بسبب كبريائه وغطرسة قلبه».

(٩) «أو كممارسة الألاعيب الخداعة فى الاجتماعات الكنسية، محاولا تمجيد نفسه وتضليل الآخرين واذهال عقول البسطاء، معدا لنفسه محكمة وعرشا مرتفعا، الأمر الذى لا يليق به كتلميذ للمسيح، ومكانا سرىا كحكام العالم، ضاربا بيده على فخذه، ويقدميه عند الدخول إلى المحكمة».

«أو كتسوييخه واهانتة لمن لا يصفقون له، ويلوحون بمناديلهم، كما يحدث فى المسارح، ولا يصيحون ويقفزون كالرجال والنساء المحيطين به، الذين يصغون إليه بهذه الطريقة الشائنة، بل يصغون

بوقار كأنهم فى بيت الله . أو كمهاجمته العنيفة العلانية لمفسرى الكلمة ممن غادروا هذه الحياة، وتعظيمه لنفسه لا كأسقف بل كفيلسوف ومشعوذ» .

(١٠) «وابطاله التراثيم الموجهة إلى ربنا يسوع المسيح كأنها اختراعات عصرية للرجال العصريين، وتدريبه النسوة لانشاد التراثيم لشخصه وسط الكنيسة يوم عيد الفصح العظيم، مما تقشعر له الأبدان عند سماعها، ومحاولته اقناع الأساقفة والقسوس فى الأقاليم والمدن المجاورة الذين يتمنّونه، لعلهم يتبعون نفس الخطة فى اختلاطهم بالشعب» .

(١١) «وقد رفض الاعتراف بأن ابن الله نزل من السماء، وهذا ما سنيينه فيما بعد . وليس هذا مجرد كلام، بل قد قامت عليه الأدلة الكثيرة من الكتابات التى أرسلناها إليكم، والأدهى من هذا قوله أن يسوع المسيح من أسفل» [٢] أما من يرمون له ويمدحونه بين الشعب فيقولون إن معلمهم الفاجر نزل ملاكا من السماء . وذلك المتغطرس لم يأمر بمنع هذه، بل لا يستكف حينما يقال بحضوره» .

(١٢) «وهناك النساء اللاتى يسميهن أهل انطاكية «أمينات الدار» المتمميات له وللقسوس والشمامسة الذين معه . وبالرغم من أنه يعرف هؤلاء الأشخاص وأثبت عليهم جريمتهم، إلا أنه تستر على هذه الخطية وخطاياهم الأخرى الشنيعة، ولكى يكونوا مدينين له، ولكى لا يجروا على اتهامه بسبب أقواله وأفعاله الخبيثة خوفا على أنفسهم، على أنه قد جعلهم أيضا أثرياء، لهذا أحبه الطامعون فى هذا الثراء واعجبوا به» .

(١٣) «نحن نعلم أيها الأحباء أن الأسقف وكل الالكليروس يجب أن يكونوا أمثله للشعب فى كل الأعمال الصالحة . ونحن لا نجعل كم من أشخاص قد سقطوا . أو تشككوا، بسبب النسوة اللاتى أتوا بهن . لذلك فحتى لو افترضنا أنه لم يرتكب أى عمل خاطئ إلا أنه كان يجب أن يتجنب التشكك الناشئ من أمر كهذا، لثلا يعثر أحدا، أو يدفع الآخرين للاقتداء به» .

(١٤) «وكيف يستطيع توبيخ أو تحذير أى شخص آخر من الاختلاط الكثير بالنساء لثلا يسقط كما هو مكتوب، [٣] إن كان هو نفسه قد طرد واحدة . ومعه الآن اثنتان جميلتان متوردتا الوجه، يأخذهما معه أينما ذهب، وفى نفس الوقت يعيش فى البذخ والتنعيم؟» .

(١٥) «بسبب هذه الأمور يكتب الجميع وينوحون . ولكنهم إذ يخشون ظلمه وبطشه، لا يجروون على اتهامه» .

(١٦) «لكن كما قلنا إذ كان يجوز للمرء استدعاء الرجل لمحاسبتة عن هذه التصرفات لو كانت عقيدته سليمة، ولو كان معدودا معنا، فإننا لا نراه من الضرورى أن نطلب منه تفسيراً لهذه الأمور طالما كان قد أهان السر، وطالما كان يتمشدد مفاخرها بهرطقة أرتيماس [٤] (لأنه لماذا لا نذكر أباه؟» .

(٢) قارن هذه بما ورد فى يو ٣ : ٣١ «الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع» . (٣) حكمة يشوع بن سيراخ (ص ٢٥) .

(٤) بخصوص ارتيماس أو ارتيمون انظر ك ٥ ف ٢٨ .

(١٧) وبعد ذلك أضافوا هذه الكلمات فى ختام الرسالة:

«لذلك اضطررنا لحرمه طالما كان مقاوما لله، ورافضا الطاعة، واضطررنا لاقامة أسقف آخر للكنيسة الجامعة بدلا منه. ونعتقد أننا بإرشاد الهى قد أقمنا دومنوس المتزين بكل الصفات اللائقة بالأسقف، وهو ابن لديمتريانوس المبارك، الذى سبق أن رأس نفس الابروشية بكيفية ممتازة. وقد أعلمناكم بهذا لكى تكتبوا إليه المشايخون لارقيماس».

(١٨) وحالما سقط بولس من الأسقفية، ومن الإيمان المستقيم، أقيم دومنوس - كما قيل - أسقفا لكنيسة انطاكية.

(١٩) ولكن إذ رفض بولس تسليم بناء الكنيسة التجيء إلى الامبراطور أوريليان، فحسم الأمر بالعدل، وأمر بتسليم البناء لمن يراه أساقفة ايطاليا ومدينة روما. وهكذا طرد هذا الشخص من الكنيسة، بفضيحة شنيعة، بأمر السلطات العالمية.

(٢٠) هكذا كانت معاملة أوريليان لنا وقتئذ. ولكنه فى أثناء حكمه غير تفكيره من جهتنا، وأوحى إليه بعض المستشارين وليشير علينا اضطهادا. وصارت مباحثة كبيرة عن هذا من كل جانب.

(٢١) وإذا كان على وشك تنفيذ هذا، وكان على أهبة التوقيع على الأوامر ضدنا، حلت به الدينونة الإلهية، ومنعته من إتمام غرضه وهو على حافة تنفيذه، وبذلك بين الله بكيفية ظاهرة يراها الجميع بوضوح أن حكام هذا العالم لن يستطيعوا مقاومة كنائس المسيح، إلا إن سمحت بذلك اليد التى تحميها، بتدبير إلهى سماوى، من أجل التأديب والتقويم، وفى الأوقات التى تراها مناسبة.

(٢٢) وبعد أن حكم أوريليان ست سنوات [٥] خلفه برويس. وهذا حكم عددا مماثلا من السنين وخلفه كاروس وابناه كارينوس ونيوميريانوس. وبعد أن حكموا أقل من ثلاث سنوات آل الحكم إلى دقلديانوس وشركائه، [٦] وفى عصرهم حدث الإضطهاد الذى نعانى مرارته، مع ما تبعه من هدم الكنائس.

(٢٣) وقبل ذلك بوقت قصير مات ديونيسيوس أسقف روما بعد أن ظل فى مركزه تسع سنوات، وخلفه فيلكس.

(٥) حكم من سنة ٢٧٠ - ٢٧٥ وخلفه تاشيتوس الذى لم يحكم سوى ستة شهور وهذا خلفه برويس (٢٧٦ - ٢٨٢) ثم جاء بعده كاروس وابناه، وبعدهم دقلديانوس سنة ٢٨٤.

(٦) اشرك معه مكسيميان فى الحكم سنة ٢٨٦ وأرسله ليحكم الغرب بلقب أوغسطس. وفى سنة ٢٩٣ أقام قنستطينوس كلورس وغاليريوس بلقب قيصرين، أعطى الأول حكم بلاد الغال وبريطانيا والثانى بحر الادرياتيك. وظل مسكيميان فى افريقيا وايطاليا، وأبقى دقلديانوس لنفسه مقاطعات آسيا. وقد أصدر أمره المشهور فى ٢٣ فبراير سنة ٣٠٣ باضطهاد المسيحيين، الأمر الذى سنقرأ عنه فى الكتاب التالى.

الفصل الحادي والثلاثون

هرطقة المانيكيين [١] المضلة التي بدأت وقتئذ

(١) فى هذا الوقت ظهر ذلك الرجل المجنون [٢] واسمه مشتق من هرطقته الجنونية، وحصن نفسه بقلب أوضاع عقله وتفكيره، كما أبرزه ابليس، الشيطان، عدو الله، لهلاك كثيرين. وقد كانت حياته وحشية فى القول والفعل، وطبيعته شيطانية جنونية. ونتيجة لهذا تظاهر بموقف كموقف المسيح. وإذا انتفخ فى جنونه نادى بنفسه بأنه البارقليط، الروح القدس نفسه. من ثم اقتدى بالمسيح فاختر اثني عشر تلميذا كشرقاء له فى تعليمه الجديد.

(٢) ومزج معا تعاليم مزورة وكفرية، جمعها من بعض الآباء الالحادية التى انقرضت منذ عهد طويل، وبعث بها، كسموم قاتلة، من القرس إلى هذا الجزء من العالم الذى نعيش فيه. وإليه يرجع ذلك الاسم البغيض «المانيكيون» الذى لا يزال سائدا بين الكثيرين.

هذا هو أساس ذلك «العلم الكاذب الاسم [٣]» الذى برز وقتئذ



(١) Maniceans أو «المانيين» نسبة إلى مانى.

(٢) كلمة «مانى» معناها الرجل المجنون. وقد ظهر فى أواخر القرن الثالث. وكان فيلسوفا من بلاد القرس. حاول إيجاد ديانة توفق بين الديانة الفارسية والبوذية والمسيحية. وقد رحب به سابور الأول ملك القرس فى بداية الأمر. ولكن كهنة المجوس ثاروا ضده فاضطر إلى الهروب من البلاد. وإذا عاد تبعه جمع كثير ولكن الملك فاراتس الأول حكم عليه بالاعدام سنة ٢٧٦. وقد انتشرت شيعته بسرعة بين المسيحيين وظلت أجيالا عديدة. وما جعلها محببة للكثيرين من المفكرين، ومن بينهم أوغسطينوس، غموض تعاليمها، واحكام نظامها، وتظاهرها بحل مشكلة الشر، ومظهرها نحو القداسة والتشف. ونظريتها الأساسية الاعتقاد بوجود إلهين، إله للخير وإله للشر، إله للنور وإله للظلمة.

(٣) (١ نى ٦ : ٢٠).

الفصل الثاني والثلاثون

رجال الكنيسة البارزون فى عصرنا ومن منهم بقى حيا حتى هدم الكنائس

(١) وإذ رأس الكنيسة فى روما وقتئذ فيلكس خمس سنوات خلفه أوتيخيانوس . ولكنه فى أقل من عشرة شهور ترك المركز إلى كايوس الذى عاصرناه . وهذا شغله نحو خمس عشرة سنة، وبدوره خلفه ماركيلينوس الذى جرفه الإضطهاد .

(٢) وفى نفس الوقت تقريبا ارتقى تيمائوس أسقفية أنطاكية بعد دومنوس، ثم خلفه كيرلس الذى عاصرناه . وفى عصره تعرفنا بدوروثيوس، أحد رجال العلم بين معاصريه، الذى تشرف بمركز القسوسية فى أنطاكية . وقد كان محبا للجمال فى الإلهيات، وانكب على دراسة اللغة العبرانية، حتى صار يقرأ الأسفار العبرانية بسهولة .

(٣) وكان يتمنى لخرى التفكير، ولم يكن يجهل مبادئ العلوم اليونانية [١] وعلاوة على هذا فقد كان خصيا منذ ولادته [٢] ولهذا أخذه الامبراطور [٣] إلى أسرته - كأن ذلك كان بمعجزة - وكرمه بإقامته مشرفا على أعمال الصباغة الإرجوانية فى مدينة صور . وقد سمعناه يفسر الكتاب المقدس بحكمة فى الكنيسة .

(٤) وبعد كيرلس أعطيت أسقفية أبروشية أنطاكية إلى تيرانس . وفى عصره هدمت الكنائس . أما يوساييوس [٤] الذى أتى من مدينة الإسكندرية فقد تولى إدارة أبروشيات لادوكية بعد سقراط، وقد نقل إلى هناك بمناسبة بحث موضوع بولس . فقد ذهب لهذه الغاية إلى سوريا، ومنعه

(١) قارن ذلك بما ورد فى ك ٦ ف ١٨ : ٣ .

(٢) يقضى القانون الأول من مجمع نيقية أن من خصى نفسه وجب عزله عن خدمته . أما من خصاه الأطباء أو الأعداء - وبالتالي من كان خصيا منذ ولادته - فلا مانع من بقائه بالخدمة .

(٣) أى دقلديانوس .

(٤) انظر ف ١١ : ٢٦ . كان شماسا فى كنيسة الاسكندرية . وكان قد حضر أحد المجامع الاولى فى أنطاكية التى عقدت لبحث موضوع بولس السميصى والأرجح أنه كان ممثلا لديونييسيوس الذى منعه شيخوخته من الحضور (ف ٢٧) . وإذ تعرف به أهل لادوكية هناك أجبروه على قبول أسقفية كنيتهم وكانت شاغرة وقتئذ .

الغيورون في الروحانيات من العودة إلى وطنه، وكان مثلاً رائعاً، بين معاصرينا، في الروحانيات، كما سبق أن اتضح من كلمات ديونيسيوس السابق اقتباسها. [٥]

(٦) وقد خلفه أناتول. [٦] وهكذا رأينا خير خلف لخير سلف كما يقولون وهو أيضاً كان اسكندري المولد. وكان أقدر علماء عصرنا في الفلسفة اليونانية، كالرياضيات، والهندسة والفلك والمنطق والنظريات الطبيعية. وكان كذلك أبرز البارزين في علم البلاغة. ويقال أنه لهذا السبب طلب منه أهل الإسكندرية أن يؤسس بها مدرسة لتدريس فلسفة أرسطوطاليس. [٧]

(٧) ويروون عنه أعمالاً أخرى كثيرة جليلة أثناء حصار بيروكيوم [٨] بالإسكندرية، أكرم بسببها من جميع ذوى المناصب الرفيعة، ولكنني سأقدم ما يلي فقط كمثال لهذه الأعمال.

(٨) يقال أن الخبز نفذ من المحاصرين، حتى أصبح احتمال العدو من الخارج أيسر من احتمال المجاعة، أما هو فإذا كان موجوداً أمداهم بالخبز بالكيفية التالية. لما كان الجزء الآخر من المدينة متحالفاً مع الجيش الروماني، وبالتالي لم يكن تحت الحصار، فقد أرسل أناتول إلى يوساييوس (لأنه كان لا يزال هناك قبل نقله إلى سوريا، وكان بين غير المحاصرين، كما كان يتمتع بسمعة طيبة وصيت عظيم وصل حتى إلى القائد الروماني) وأعلمه بمن كانوا يهلكون في الحصار بسبب المجاعة.

(٩) ولما علم هذا رجا القائد الروماني لكي يعفو عن الهاربين من العدو، وهذه أعظم منه ممكنة، وإذا أجيب طلبه أبلغ الأمر إلى أناتول. وحالما وصلت الرسالة أبلغ الأمر إلى مجلس الأعيان بالإسكندرية، واقترح في بداية الأمر أن يعقد الجميع صلحاً من الرومانيين. ولكنه إذ أدرك أن هذه النصيحة أغضبتهم قال «ولكنني أعتقد أنكم لا تقاومونني إن قدمت النصيحة بأن تخرجوا من المدينة الأشخاص الذين يصح تسميتهم «كمالة عدد»، والذين ليس لنا من ورائهم أقل نفع بأي حال من الأحوال، كالنساء المتقدمات في السن، والأطفال، والشيوخ، فيذهبون أينما أرادوا. لأنه لماذا نبقي بلا

(٥) ف ١١ : ٢٦.

(٦) يبرز بعلمه ورجاحة عقله في الإسكندرية. ولم تكن له أية وظيفة كنسية. وبعد انتهاء حصار الإسكندرية هجرها فرسمه ثيوتكنس أسقف قيصرية مساعد أسقف، وزامله وقتاً قصيراً. وبعد موت صديقه يوساييوس، ألزمه أهل لاودكية على قبول منصب الأسقفية. وما هو جدير بلفت النظر اختيار كنيسة لاودكية اثنين من كنيسة الإسكندرية لشغل مركز الأسقفية.

(٧) أو على نظام فلسفة أرسطوطاليس.

(٨) حتى من أحياء الإسكندرية الثلاثة وكانت تقطنه العائلة المالكة واليونانيون.

ميرر أولئك الذين لابد أن يموتوا سريعا؟ ولماذا نهلك بالجوع العجزة والمشوهى الأجساد فى الوقت الذى يجب أن نوفر الطعام فقط للرجال والشباب، ونوزع الخبز الضرورى لمن يحتاج الأمر اليهم لحماية المدينة؟».

(١٠) بأمثال هذه الحجج أقنع المجتمعين - وإذ وقف أولا أعطى صوته بأن كل الجماعة رجالا أو سيدات، الذين لا يحتاج لهم الأمر فى الجيش يجب أن يغادروا المدينة، لأنهم أن بقوا واستمروا فى المدينة بلا ميرر، لم يبق لهم أى أمل فى النجاة، بل لابد أن يهلكوا من المجاعة.

(١١) وإذ وافق كل الباقين فى مجلس الأعيان على هذا أنقذ كل المحاصرين تقريبا. وقد رتب إن الذين يتمون إلى الكنيسة يجب أن ينجوا أولا، وبعد ذلك سائر سكان المدينة، من كل الأعمار، ليس فقط الفئات التى تتضمنها الأوامر، بل جماهير أخرى تحت ستار هذه الفئات، متخفين فى زى ملابس السيدات، ويتدبره خرجوا من الأبواب ليلا وهربوا إلى محلة الرومانيين. وهنالك استقبلهم جميعا يوسايوس كأب وطبيب، وكانوا قد وهنت قواهم بسبب الحصار الطويل، وهكذا أنقذهم بكل أنواع العناية والحكمة.

(١٢) ولقد تشرفت كنيسة لاودكية براعيين كهذين أتيا بعناية الله وتديره من الإسكندرية إلى تلك المدينة بعد الحرب السابق ذكرها.

(١٣) لم يكتب أناطول كتبا كثيرة، ولكن مما وصل إلينا من الرسائل القليلة نستطيع أن نتيقن فصاحته وسعة اطلاعه. فى هذه يبين بصفة خاصة آراءه عن الفصح. ويبدو أنه من الضرورى أن نثبت هنا الاقتباسات التالية منها:

بعض قوانين أناطول الفصحية

(١٤) «أما الهلال الجديد للشهر الأول فى السنة الأولى، فهو بداية كل دورة ذات تسع عشرة سنة، وذلك فى اليوم السادس والعشرين من الشهر المصرى فامنيوث، [٩] أو فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديستروس بحسب الشهور المقدونية، أو قبل شهر ابريل بأحد عشر يوما بحسب تقويم الرومانيين».

(٩) كان هو الشهر السابع المصرى وكانت بدايته تعادل ٢٥ فبراير.

(١٥) «فى اليوم المذكور، السادس والعشرين من شهر فامينوث، لا تدخل الشمس البرج الأول فقط بل تكون قد بدأت تمر فعلا فيه منذ اليوم الرابع - وقد اعتادوا تسمية هذا البرج بالأثنى عشرى، أو الاعتدال الشمسى، أو بداية الشهور، أو رأس الدورة، أو نقطة بداية الدورة الكوكبية - على أنهم يسمون الشهر الذى يسبقه بآخر الشهور، أو البرج الثانى عشر، أو الأثنى عشرى الأخير، أو نهاية الدورة الكوكبية - لذلك فإننا نعتقد بأن من يضعون الشهر الأول فيه، وبموجبه يحددون اليوم الرابع عشر الخاص بالفصح، يرتكبون خطأ جسيما» .

(١٦) «وليس هذا رأينا، بل قد كان معروفا لليهود منذ القديم، حتى قبل المسيح، وكانوا يحافظون عليه بدقة، هذا ما يكمن معرفته مما قاله فيلو ويوسيفوس وموساوس . وليس مما قاله هؤلاء فقط بل أيضا ممن هم أسبق منهم، أن الاغاثوييولان الملقبان بالمعلمين، وارسطوبولس الشهير [١٠] الذى اختاره بطليموس فيلادلفوس وأبوه ليكون ضمن السبعين الذين ترجموا الأسفار اليهودية المقدسة الإلهية، والذى أهدى كتبه التفسيرية عن ناموس موسى إلى نفس الملكين» .

(١٧) «ويقول هؤلاء الكتاب، فى تفسيرهم للخروج، إن الجميع يجب أن يذبحوا تقدمات الفصح بعد الاعتدال الربيعى فى منتصف الشهر الأول، ولكن هذا يحدث إذ تكون الشمس مارة فى برج الشمس الأول، أو كما يلقبه البعض دورة البرج، ويضيف أرسطوبولس إلى هذا أنه من الضرورى لعيد الفصح لا أن تمر الشمس فى برج الاعتدال فقط بل القمر أيضا» .

(١٨) «لأنه كما يوجد برجان للاعتدال الربيعى والاعتدال الخريفى، مقابلان لبعضهما تماما، وبما أن عيد الفصح حدد له اليوم الرابع عشر من الشهر، مبتدئا من المساء، فإن القمر يحتل موقفا مقابل الشمس على خطا مستقيم، كما يرى فى حالة البدر الكامل، وتكون الشمس فى برج الاعتدال الربيعى، والقمر بالضرورة فى برج الاعتدال الخريفى» .

(١٩) «وأنا أعلم أنهم تحدثوا عن أمور أخرى كثيرة، بعضها محتملة التصديق، وأخرى تقرب أن تكون مصدقة تصديقا مطلقا، وبها حاولوا تقديم البراهين على أنه من الضرورى جدا حفظ الفصح وعيد الفطير بعد الاعتدال - على أننى أتحاشى طلب هذا النوع من البراهين عن أمور أزيل عنها برقع ناموس

(١٠) فيلسوف اسكتلدى عاش فى القرن الثانى قبل المسيح . وكان خبيرا بالفلسفة اليونانية .

موسى، حتى أننا الآن أخيراً ننظر دواما بوجه مكشوف، كما فى مرآة، المسيح وتعاليم المسيح وآلامه [١١] أما أن شهر العبرانيين الأول كان قريبا من الاعتدال فهذا ما تبينه أيضا تعاليم سفر أخنوخ [١٢] .

(٢٠) وترك نفس الكاتب أيضا مؤلفا عن «القوانين الحسائية» فى عشرة كتب، وبراهين أخرى عن خبرته ومقدرته فى الروحيات . -

(٢١) وقد رسمه أولا ثيوتكنس أسقف قيصرية فلسطين أسقفا، قاصدا بذلك أن يخلقه فى أبروشيته بعد موته . ولقد رأسا معا الكنيسة فترة قصيرة . على أن المجمع الذى عقد للنظر فى قضية بولس استدعاه إلى انطاكية . وبينما هو يجتاز مدينة لاودكية حجرة الاخوة هناك إذ كان يوسابيوس قد مات .

(٢٢) وبعد أن أرتحل من هذه الحياة كان استفانوس هو آخر أسقف فى تلك الأبروشية قبل الاضطهاد . وكان الكثيرون يعجبون به بسبب درايته بالفلسفة وسائر العلوم اليونانية . ولكن إيمانه لم يكن فى نفس القوة كما دل على ذلك ازدياد الاضطهاد الذى أظهره جبانا لا فيلسوفا حقيقيا .

(٢٣) على أن هذا لم يسبب للكنيسة أذى خطيرا، لأن ثيودوتس أصلح أحوالهم إذ أقامه الله نفسه مخلص الجميع أسقفا لتلك الأبروشية بعد ذلك مباشرة . وقد أثبت بأعماله إنه خالق باسمه النبيل [١٣] وبمركزه كأسقف . لأنه تفوق فى فن طب الأجساد وفن شفاء الأرواح . ولم يعادله انسان آخر فى الشفقة والإخلاص والعطف والغيرة فى مساعدة المحتاجين إلى مساعدته . وكان أيضا منكبا على دراسة الروحيات . هكذا كانت حياة هذا الرجل .

(٢٤) وفى قيصرية فلسطين أقيم أغابيوس خلفا لثيوتكنس الذى أكمل وأجبات الأسقفية بكل غيرة . والذى نعرفه أنه هو أيضا جاهد بكل نشاط، وأظهر حكمة عظيمة فى رعاية شعبه، ومظهرا، بصفة خاصة، عناية لأجل الفقراء بسخاء .

(١١) ٢ كو ٣ : ١٨ .

(١٢) أحد الأسفار المزعوم أنها ضمن أسفار العهد القديم . رسالة يهوذا عدد ١٤ والكنيسة الاثيوبية هى الوحيدة التى تعتقد بقانونيته .

(٢٥-) وفي عصره تعرفنا بيمفيلوس، [١٤] ذلك الرجل الفصيح، الفيلسوف، الذي اعتبر جديرا برتبة القسوسية في تلك الأبروشية. وليس بالأمر الهين أن نبين طبيعة ذلك الرجل أو من أين أتى. على أننا قد بينا - في مؤلفنا الخاص عنه - جميع تفاصيل حياته والمدرسة التي أسسها، والمحن التي احتملها في اعترافات كثيرة أثناء الإضطهاد، واكليل الشهادة الذي توج به أخيرا. ولقد كان في الواقع أبرز جميع من كانوا هناك.

(٢٦) ومن أقرب الأشخاص إلى عصرنا بيوريوس [١٥] أحد قسوس الاسكندرية، وميليتيوس أسقف كنائس بنطس، ويندر أن يوجد نظيرهما.

(٢٧) اشتهر الأول بفقره الشديد وعلومه الفلسفية الغزيرة، وكان عميقا في التأملات الروحية، مجدا في تفسير الروحيات والمباحثات العلنية في الكنيسة. أما ميليتيوس الذي لقبه العلماء «عسل اتيكا» فقد وصفه الجميع بأنه برز في كل أنواع العلوم، ومن المستحيل وصف براعته الخطابية وصفا كافيا. قد يقال إنه ملك هذه الموهبة بالطبيعة، ولكن من ذا الذي يفوقه في سموا اختباره وسعة اطلاعه؟

(٢٨) لأنك لو اخترته ولو مرة واحدة في جميع أنواع العلوم لقلت إنه أقدر وأمهر المعلمين. وعلاوة علي هذا فقد كانت فضائله سامية جدا. وقد راقبناه جيدا في أيام الاضطهاد عندما هرب من نيرانها سبع سنوات كاملة في أقاليم فلسطين.

(٢٩) وقد أقيم زامبداس أسقفا على كنيسة اورشليم بعد الأسقف هيمينائس السابق ذكره. [١٦] وهذا مات بعد وقت قصير وارتقى هرمون - الأخير قبل الاضطهاد الحاصل على عصرنا - الكرسي الرسولي الذي بقي هناك حتى العصر الحاضر.

(١٣) ثيودوتس معناها عطية الله.

(١٤) كان بيفيلوس قسا في قيصرية وهو معلم يوسايوس صاحب هذا الكتاب. وقد أكمل دراسته في الإسكندرية. جمع مكتبة عظيمة في قيصرية كانت أهم مرجع ليوسايوس. وكان شغوقا جدا بأورييجانوس حتى إنه كتب - بمساعدة يوسايوس - مؤلفا في «الدفاع عن أورييجانوس» في خمسة كتب - وأضاف إليها يوسايوس سادسا.

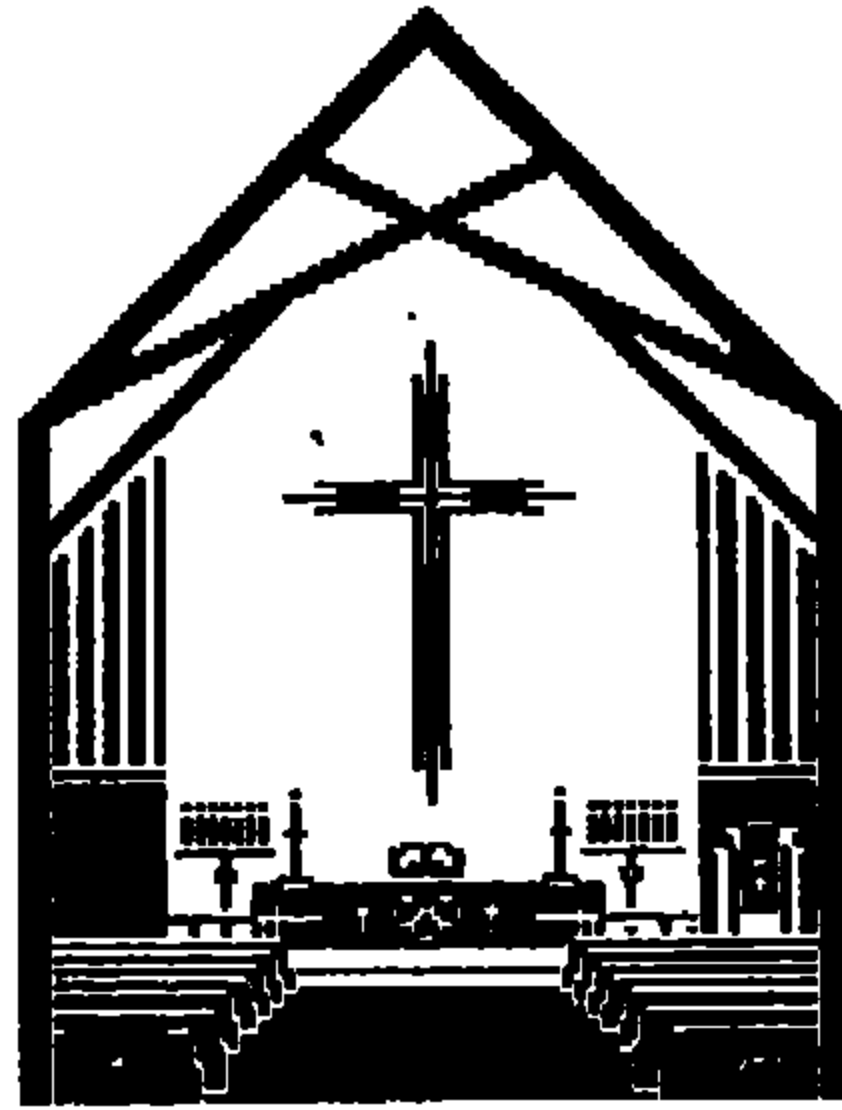
(١٥) Pierlus كان من زقدر الشخصيات حتى دعى «أورييجانوس الصغير».

(١٦) ف ١٤.

(٣٠) وفي الإسكندرية أقيم ثيودور (ثأونا) [١٧] خلفا لمكسيموس [١٨] الذي ظل أسقفًا ثمانى عشرة سنة بعد موت ديونيسيوس . [١٩] وفي عصره اشتهر اكيلا الذي أقيم قسا في الإسكندرية في نفس الوقت مع بيروس . وقد عهدت إليه ادارة مدرسة الإيمان المقدس . وأظهر ثمار الفلسفة بكيفية ممتازة، كما كان مبشرا قديرا .

(٣١) وبعد أن ظل ثيودور في الأسقفية تسع عشرة سنة أقيم بطرس [٢٠] أسقفًا في الإسكندرية، «وكان بارزا جدا بينهم اثنى عشرة سنة كاملة، قضى منها أقل من ثلاث سنوات في ادارة الكنيسة قبل الاضطهاد، كما قضى بقية أيام حياته في الزهد الشديد، وعنى بأحوال الكنائس العامة جهارا . لهذا قطعت رأسه في السنة التاسعة من الاضطهاد، وكلل باكليل الشهادة .

(٣٢) وإذ دونا في هذه الكتب وصف آباء الكنيسة من ولادة مخلصنا إلى هدم أماكن العبادة ، وهي فترة ثلاثمائة وخمس سنوات . اسمح لى بالانتقال إلى نضال أولئك الذين كافحوا في أيامنا من أجل المسيحية ، لكى نترك للأجيال القادمة وصفا كتابيا عن مدى وعظمة هذا النضال .



(١٧) قال ناشر الترجمة الانكليزية لهذا المؤلف إن ثيموناس كتب رسالة هامة وعجيبة إلى لوسيان رئيس وزراء الامبراطور، تتضمن بعض نصائح له فيما يتعلق بمهام مركزه، وإن الرسالة لا تزال باقية إلى الآن . وترجمت إلى الانكليزية ونشرت بالمجلد السادس من كتاب «الآباء السابقين لمجمع نيقية» بالصفحات ١٥٨ - ١٦١ . ويرجح الناشر أن الامبراطور المشار إليه هو دقلديانوس .

(١٨) ف ٢٨ . (١٩) فيما يتعلق بديونيسيوس انظر بصفة خاصة ك ٦ ف ٤٠ . (٢٠) هو الأنبا بطرس خاتم الشهداء والبطريرك السابع عشر . وقد ورد ذكره أيضا في ك ٨ ف ١٣ ، ك ٩ ف ٦ . قال ناشر الترجمة الانكليزية إنه كتب ١٤ قانونا تتضمن بعض الارشادات للساقيين ولا تزال باقية ، وقد نشرت في كتاب «الآباء السابقين لمجمع نيقية» ص ٢٦٩ - ٢٧٨ ، كما كتب مؤلفا عن الفصح ، وآخر عن اللاهوت، وثالثا عن مية المخلص ، وآخر عن النفس .

الكتاب الثامن

مقدمة

وإذ بينا فى سبعة كتب الحوادث التى حدثت من وقت الرسل، نراه مناسبا - فى هذا الكتاب الثامن - أن ندون للأجيال القادمة قليلا من أهم حوادث عصرنا التى تستحق التسجيل الدائم - ونبدأ روايتنا من هذه النقطة -

الفصل الأول

الحوادث السابقة للاضطهاد الذى تم فى عصرنا

- (١) إنه لأمر فوق طاقتنا أن نصف بطريقة ملائمة مدى وطبيعة المجد والحرية اللتين أكرمت بهما بين جميع البشر، يونانيين وبربريين، قبل الاضطهاد الحاصل فى عصرنا، كلمة تقوى إله الكون، التى أعلنت للعالم فى المسيح.
- (٢) يؤيد هذا ما وجدته شعبنا من حظوى لدى الحكام - إذ أنهم عهدوا إليهم بحكم المقاطعات - وبسبب الترحيب العظيم الذى رحبوا به بتعاليمهم أعفوه من هم تقديم الذبائح للأوثان.
- (٣) وهل هنالك أية ضرورة للتحديث عن فى القصور الملكية والحكام الرئيسيين الذين سمحوا لأعضاء عائلاتهم وزوجاتهم^[١] وأطفالهم وخدمهم بالتحدث أمامهم علانية عن الكلمة الإلهية والحياة الروحية، كما سمحوا لهم أيضا بالإفتخار بحرية إيمانهم. والواقع إنهم كانوا يجلسونهم جدا، وكانوا يفضلونهم عن زملائهم الخدام.
- (٤) من بين هؤلاء دوروثيوس^[٢] وهو من اتقى الجميع وأكثرهم اخلاصا لهم، ولذا فإنهم بصفة خاصة يكرمونه بين ذوى المناصب الرفيعة. واشتهر معه أيضا جورجوس^[٣] وكثيرون ممن استحقوا نفس الإكرام بسبب كلمة الله.

(١) كانت بريسكا زوجة دقلديانوس، وفاليريا أخته، وكلا زوجة غاليريوس، تعطف على المسيحيين.

(٢) ورد ذكره أيضا فى ف ٦.

(٣) ورد ذكره أيضا فى ف ٦ وكان من البيت الملكى، وقد شق مع دوروثيوس وآخرين بسبب حريق قصر نيكوميديا.

(٥) وكان المرء يستطيع أن يرى قادة كل الكنائس ينالون أعظم اكرام من الولاة والحكام .

وكيف يستطيع أى امرئ وصف تلك الاجتماعات العظيمة، والجماهير التى اكتظت معا فى كل مدينة، والاجتماعات الرائعة فى بيوت الصلاة . الأمر الذى بسببه لم يكتفوا بالأبنية القديمة بل أنسوا كنائس عظيمة جديدة فى كل المدن .

(٦) لم يكن الحسد حائلا دون تقدم هذه الأمور التى تقدمت تدريجيا، ونمت وازدادت يوما بعد يوم، كما إنه لم يستطيع أى روح شرير أن يفترى عليهم، أو يعطلهم بالتدابير البشرية طالما كانت اليد الإلهية السماوية تسهر على شعبه وتحرسهم .

(٧) ولكن عندما سقطنا فى التراخى والكسل - بسبب زيادة الحرية - وصرنا نحسد ونهين بعضنا بعضا، ونشهر العداة ضد بعضنا البعض، فالرؤساء يهاجمون الرؤساء بالكلمات القارسة كالخراش، والشعب يؤلب الأحزاب ضد الشعب، وبلغ الرياء والنفاق أعظم حدود الشر، فإن العدل الإلهى، ممتزجا بالصبر والاحتمال وطول الأناة، سمح بإزعاج الأسقفية بلطف واعتدال .--

(٨) بدأ هذا الاضطهاد بالإخوة الذين فى الجيش . ولكننا لم تكن لنا الغيرة الكافية للدفاع عن اللاهوت، كأننا قد فقدنا كل احساس، وظن البعض كالملاحدين أن شئوننا متروكة بغير رعاية، وهكذا أضفنا شرا إلى شر . والذين كانوا يوقرون رعاتنا نبذوا قيود التقوى فصاروا يحاربون بعضهم بعضا، ولم يفعلوا شيئا آخر سوى تكديس المنازعات، والتهديدات، والغيرة، والعداوة، والبغض نحو بعضهم البعض، كالطغاة الذين يتلهفون على اظهار قوة بطشهم . وتمت فيهم كلمة أرميا «غطى السيد بغضبه ابنة صهيون . ألقى من السماء إلى الأرض فخر اسرائيل ولم يذكر موطنه قدميه فى يوم غضبه . ابتلع السيد أيضا كل ما هو جميل فى اسرائيل، نقض كل حصونه .» [٤]

(٩) ووفقا لما تنبأت به المزامير «نقض عهد عبده . نجس مقدسه فى التراب - بتخريب الكنائس - هدم كل حصونه وجعل قلاعه جبانة . نهب كل عابرى الطريق جمهور الشعب . صار عارا عند جيرانه . لأنه رفع يمين أعدائه، ورد معونة سيفه، ولم يأخذ نصيبه فى الحرب . بل حرمه من التطهير، وألقى عرشه إلى الأرض . قصر أيام زمانه . وفوق الكل سكب عليه خزيا» . [٥]



الفصل الثاني

هدم الكنائس

(١) كل هذا تم فينا عندما رأينا بأعيننا بيوت الصلاة تهدم إلى الأساس، والأسفار المقدسة الإلهية تلقى في النار وسط الأسواق، ورعاة الكنائس يختبئون بخزى هنا وهناك، ويلقى القبض عليهم بحالة مزرية ويهزأ بهم من أعدائهم. كذلك أيضا عندما تمت الكلمة النبوية «انسكب الهوان على الرؤساء وأضلهم في تيه بلا طريق» [١].

(٢) وليس هذا مجالنا لوصف البلايا المحزنة التي حلت بهم أخيرا، لأننا لا نراه لائقا أن نسجل انقساماتهم وتصرفاتهم المعيبة بعضمه نحو بعض قبل الاضطهاد. لذلك اعتزمنا أن لا نروى عنهم شيئا إلا ما نراه ضروريا لظهار العدل الإلهي.

(٣) لذا فلن نذكر شيئا عمن تزعموا أمام الاضطهاد، أو الذين انكسرت بهم السفينة من أجل الخلاص، أو الذين غرقوا في أعماق الطوفان بارادتهم. بل سندون بصفة عامة في هذا السفر التاريخي تلك الحوادث فقط التي قد تكون نافعة لنا أولا، وبعد ذلك للأجيال القادمة. فلنبدا إذن بوصف موجز عن المعارك المقدسة التي انخرط فيها شهود الكلمة الإلهي.

(٤) في السنة التاسعة عشرة من حكم دقلديانوس، [٢] في شهر ديستروس، الذي يسميه الرومانيون مارس، إذ كان عيد آلام المخلص قد قرب، أذيعت أوامر ملكية في كل مكان تأمر بهدم الكنائس إلى الأساس، وحرق الكتب المقدسة في النار، وطرد جميع ذوى المناصب الرفيعة، وحرمان خدم البيت من الحرية إذ أصرروا على الاعتراف بالمسيحية.

(٥) هذا هو الأمر الأول الصادر ضدنا. وبعد ذلك بوقت قصير صدرت أوامر أخرى تأمر بأن جميع رؤساء الكنائس في كل مكان يجب أن يزجوا في السجن أولا، وبعد ذلك يلزموا بالذبح للاوثان بعد استخدام كل حيلة معهم.



(١) (مز ١٠٧ : ٤٠).

(٢) بدأ حكم دقلديانوس في ١٧ سبتمبر سنة ٢٨٤ فتكون السنة التاسعة عشرة قد بدأت في ١٧ سبتمبر ٣٠٣.

الفصل الثالث

طبيعة المعارك التي تحملوها في الاضطهاد

(١) والواقع إن الكثيرين من رؤساء الكنائس تحملوا بحماسة آلاما مبرحة، وقدموا أمثله للكفاح النبيل . على آخرين كثيرين إذ خارت عزائمهم بسبب الخوف، وهنت قواهم بسهولة في بداية الأمر . أما الباقون فقد تحمل كل واحد أنواعا مختلفة من التعذيب . فجلد الواحد بالعصى، وعذب الآخر بالأمشاط المديبة بكيفية لا تحتمل، حتى إنها كانت تسبب الموت الشنيع للبعض .

(٢) ومكابد للآخرين معارك مختلفة، فالواحد كان المحيطون به يدفعونه بالقوة ويجرونه إلى الذبائح النجسة الكريهة، ومن ثم يطردهونه كأنه قد ضحى للأوثان، مع أنه لم يضح . والآخر مع إنه لم يقرب إليها على الإطلاق، ولا مر أن نجس، كان ينصرف حاملا التهمة في صمت، إن قال الآخرون أنه ضحى للأوثان . والآخر إذ كان يرفع وهو على وشك الموت، كان يطرح جانبا كأنه قد مات فعلا .

(٣) والآخر إن وجد راقدا على الأرض كل يسجر مسافة طويلة من قدميه، ويحسب ضمن من ذبحوا للأوثان . والواحد كان يصرخ ويصوت عال يشهد بأنه يرفض أن يضحى . والآخر يصيح بأنه مسيحي، مفاخرا بالاعتراف بالاسم المخلص والآخر يحتج بأنه لم ولن يضحى . ولكنهم كانوا يضربون على الفم ويسكتون بواسطة فرقة كبيرة من الجنود أتى بهم لهذا الغرض .

(٤) وكانوا يضربون على الوجه والخذ ويطردون بعنف . وكما كان أعداء التقوى يبذلون كل ما في وسعهم ليتظاهروا بأنهم أتموا غرضهم .

ولكن كل هذه الأمور لم تجدهم نفعا ولم تنلهم غرضهم من الشهداء الأطهار، الذين لا تكفى كلماتنا لكتابة وصف دقيق عنهم .



الفصل الرابع

**شهداء الله المشهورون الذين ملأوا كل مكان بذكرياتهم
ونالوا أكاليل مختلفة دفاعا عن المسيحية**

(١) ونحن نستطيع التحدث عن الكثيرين ممن اظهروا غيرة عجيبة من أجل ديانة إله الكون، ليس فقط منذ بدء الاضطهاد العام، بل قبل ذلك بوقت طويل، إذ كان السلام لا يزال سائداً.

(٢) لأنه بالرغم من أن ذلك الذي تشدد تظاهر الآن كأنه قد استيقظ من نوم عميق، إلا أنه منذ عهد ديسيوس وقالريان كان يتآمر سرا ضد الكنائس وبدون انذار. وهو لم يشهر الحرب ضد جميعنا مرة واحدة، بل بدأ مجهوده أولا مع من في الجيش فقط. لأنه افترض امكانية أخذ الباقين بسهولة لو إنه هجم على هؤلاء أولا وأخضعهم. لذلك كان الكثيرون من الجند يعيشون حياة العزلة لكي لا ينكروا عبادتهم لخالق الكون.

(٣) لأنه لما بدأ قائد الجيش - أيا كان - يضطهد الجند، عازلا إياهم في جماعات، وفارزا أولئك المدرجين في الجيش، مخيرا إياهم بين الطاعة لينالوا شرف مراكزهم، أو الحرمان منها إن رفضوا اطاعة الأوامر، فإن عددا كبيرا من جند ملكوت المسيح لم يترددوا في أن يفضلوا في الحال الاعتراف به عن المجد المزعوم، والمراكز التي كانوا يتمتعون بها.

(٤) وكانوا، الواحد بعد الآخر، من وقت لآخر، لا يخسرون مراكزهم فحسب، بل ينالون الموت من أجل ثباتهم المبارك. على أن منشئ هذه المؤامرة بدأ الأمر باعتدال، وإلى ذلك الوقت لم يلجأ إلى سفك الدماء، إلا في بعض حالات قليلة. لأن كثرة عدد المؤمنين بعثت فيه الخوف على ما يظهر، ومنعته من اشهار الحرب مرة واحدة ضد الجميع.

(٥) ولكنه لما هجم بأكثر جسارة، فإنه يستحيل علينا التحدث عن عدد ونوع شهداء الله بين سكان كل المدن والممالك.



الفصل الخامس

الذين في نيكوميديا [١]

- (١) وحالما أذيع الأمر الملكي ضد الكنائس في نيكوميديا تقدم شخص معين، لم يكن حامل الذكر - بل ذا مركز رفيع، حركته الغيرة لله واشتعلت فيه نيران الإيمان، وأمسك بالأمر الملكي إذ كان معلقا علانية، ومزقه اربا كشيء دنس وقح - [٢] وقد تم هذا بينما كان اثنان من الملوك [٣] في نفس المدينة - كان الاول أكبر الجميع سنا، والثاني يحتل رابع مكان في الحكم بعده -
- (٢) على أن هذا الشخص، وقد كان أول شهداء ذلك المكان، بعد أن أبرز نفسه بهذه الكيفية، تحمل تلك الآلام التي كان محتما أن تتج عن جرأة كهذه، وظل محتفظا بالثبات وبهجة الروح حتى الموت -

الفصل السادس

الذين في القصر

- (١) وقد أبرز هذا العصر شهداء أجلاء، كان يتغنى بمدحهم، اشتهروا بالشجاعة، سواء بين اليونانيين أو البربريين، في شخص دوروثيوس [١] والخدم الذين كانوا معه في القصر - ومع أنهم نالوا من سادتهم اكرام، وعوملوا منهم كأبنائهم، فقد حسبوا الاهانات والمحن من أجل المسيحية، وأنواع الموت الكثيرة التي اخترعت من أجلهم غنى أعظم من كل أمجاد وتنعمات هذه الحياة -

(١) عاصمة يثينيا - جعلها دقلديانوس عاصمة الامبراطورية في الشرق -

(٢) ويقال إن هذا الشخص هو القديس العظيم مارجرجس -

(٣) أي دقلديانوس وغاليروس -

ولنصف الآن الكيفية التي بها أنهى أحدهم حياته، وترك لقرائنا أن يستتجوا من حالته الام الآخرين .

(٢) فقد قدم شخص فى المدينة السابق ذكرها أمام الحاكمين السابق التحدث عنهما، وأمر بأن يضحي للاوثان، ولكنه إذ رفض صدر الأمر بأن يعرى ويرفع ويضرب بالعصى على كل جسمه إلى أن يطيع ما أمر به رغم أنه بعد أن يغلب على أمره .

(٣) ولكنه إذ لم تزعزعه هذه الآلام، وقد ظهرت عظامه، مزجوا خلا وملحا وصبوا المزيج على أجزاء جسمه المثيرة . وإذ هزأ بهذه الآلام أتوا بمشواة ونار، ووضعت بقية جسمه على النار، كاللحم الذى يشوى للاكل، ولم يتم ذلك فى الحال بل قليلا قليلا لئلا يموت سريعا . ولم يسمح لمن وضعوه فوق كومة الحطب المعدة للاحراق بأن يكفوا إلا إن أطاع الأوامر بعد هذه الآلام .

(٤) ولكنه تلقى الأمر بثبات، وأسلم الروح بانتصار عظيم، بينما كان التعذيب لا يزال مستمرا . هكذا كان استشهاد أحد خدم القصر، الذى كان جديرا باسمه، إذ كان يدعى بطرس .

(٥) وسنضرب صفحا عن استشهاد الباقيين - من باب الإيجاز - ولو لم يكونوا أقل منه، ذاكرين فقط دوروثيوس وجورجونيوس، مع كثيرين من خدم البيت الملكى أنهوا حياتهم شتقا، بعد الام متنوعة، حاملين علامات النصر الإلهى .

(٦) فى هذا الوقت قطعت رأس أنثيموس رئيس كنيسة نيكوميديا من أجل شهادته للمسيح . وقد أضيف إليه عدد غفير من الشهداء، إذ شبت النيران فى تلك الأيام فى قصر نيكوميديا، ولست أدري كيف شبت، ولكن شعبنا اتهم زورا باشعالها . وقد حكم بالاعدام على عائلات بأكملها من من الاتقياء فى ذلك المكان بناء على أمر ملكى، البعض بالسيف، والآخرى بالنار . وقيل إن الرجال والنساء كانوا يندفعون إلى النار بغيرة الهية لا توصف . وربط منفذو الاعدام كثيرين آخرين، ووضعوهم فى سفن، وألقوهم فى أعماق البحر .

(٧) أما سادتهم فقد رأوا أنه من الضرورى اخراج جثث خدم الامبراطور التى كانت قد دفنت بتوقير واجلال وطرحها فى البحر لئلا يعبدها أحد كآلهة وهى فى قبورها كزعمهم .

هذا ما حدث فى نيكوميديا فى بداية الاضطهاد .

(٨) وبعد ذلك بقليل حاول بعض الأشخاص فى المملكة التى تدعى ملتين، [٢] وآخرون فى

سوريا، أن يقلبوا الحكومة، فصدر أمر ملكي يأمر بأن يزج رؤساء الكنائس في كل مكان في السجون ويوثقوا بالقيود.

(٩) أما ما روى بعد هذا فإنه يفوق كل وصف . فقد سجن عدد وفير في كل مكان، وامتلات السجون، في كل الأرجاء، المعدة للقتلة ولصوص المقابر، وبالأساقفة والقسوس والشمامسة، والقراء وطاردى الأرواح النجسة، حتى لم يبق فيها مكان للمجرمين.

(١٠) وإذ صدرت أوامر ملكية أخرى بعد الأمر الأول، أمرة باطلاق من في السجون أحرارا إن ذبحوا للاوثان، أما من يرفضون فيجب أن يعذبوا بألوان مختلفة من التعذيب . وكيف يستطيع أى امرئ إحصاء عدد الشهداء العظيم في كل قطر، سيما في افريقيا، وموريتانيا، وطيبة، ومصر؟ ومن هذه المملكة الأخيرة ذهب الكثيرون إلى مدن وأقطار أخرى، وتلألت نجومهم بالاستشهاد.

الفصل السابع

المصريون في فينيقية

(١) ونحن نعرف الذين برزوا منهم في فلسطين، وكذا من كانوا في صور بفينيقية - [١] ومن ذا الذى رآهم ولم يدهش بسبب الجلدات التى لا حصر لها والثبات العجيب الذى أظهره فى أثنائها أولئك الأبطال؟ وصراعهم، بعد الجلد مباشرة، مع الوحوش الكاسرة، إذ طرحوا أمام النمر والدبب والخنازير البرية والثيران التى نخست بالنيران والحديد المحمى، وقوة الاحتمال العجيبة التى أظهرها هؤلاء النبلاء فى وجه كل أنواع الوحوش البرية .

(٢) ونحن أنفسنا كنا حاضرين عندما تمت هذه الحوادث، ودونا قوة مخلصنا يسوع المسيح الإلهية التى تجلت وأظهرت نفسها بقوة فى الشهداء . وقد ظلت الوحوش الملتهمة البشر وقتا طويلا لا تتجاسر على أن تلمس أو تقترب من أجساد أعزاء الله هؤلاء، بل هجمت على الآخرين الذين كانوا

(١) كما ورد فى «شهداء فلسطين» التالى لهذا الكتاب الثامن نرى أن الكثيرين من مسيحي مصر أرسلوا إلى فلسطين للعمل مناجمها، وذلك فى السنة السادسة من الإضطهاد وما بعدها.

يستحثونها من الخارج ويحفزونها . ولم يجرؤ قط على أن تمس الأبطال المباركين وهم واقفون وحدهم عرايا يلوحون بأيديهم إليها ليقربوها إلى أنفسهم حسب الأوامر الصادرة إليهم . ولكنها كلما هجمت عليهم كانت تقف وتراجع كأن قوة إلهية قد صدتها .

(٣) ظل هذا وقتا طويلا ، وأحدث دهشة كبيرة للمتفرجين . ولما كان الوحش الأول لا يفعل شيئا كان يطلق سراح وحش ثان وثالث ، ضد نفس الشهيد الواحد .

(٤) ولم يكن المرء يتمالك نفسه من الدهشة أمام الثبات الذي لا يقهر ، الذي أبداه هؤلاء المباركون ، والصبر الذي لا يتزعزع الذي أظهره أولئك الذين كانت أجسادهم لا تزال غضة . فكنت ترى شابا لم يكمل بعد السنة الثانية والعشرين واقفا غير موثق ، وباسطا يديه على شكل صليب ، بعقل غير متخوف ، أو مرتعب ، منشغلا في صلاة حارة لله ، دون أن يتراجع على الإطلاق عن المكان الذي وقف فيه ، بينما تكاد النمرور والذبب تلمس جسده وهي تنفث تهديدا وقتلا . ومع ذلك ظلت أفواهها مغلقة (ولست أدري كيف كان ذلك) بقوة إلهية لا تدرك ، وعادت ثانية إلى مكانها .

هذا ما كان من أمر هذا الشخص .

(٥) وكنت ترى آخرين - لأنهم كانوا خمسة - طرحوا أمام ثور برى كان يقذف في الهواء بقرنيه كل من اقترب إليه من الخارج ، ويمزقه ، ويتركه بين حي وميت . ولكنه عندما هجم بوحشية على الشهداء الإطهار ، وكانوا واقفين وحدهم ، لم يستطع أن يقترب منهم . ورغم أنه رفس بقدميه ، أو بهز قرنيه في كل جهة ، ونفث تهديدا وقتلا ، بسبب تهيجه من الحديد المحمى الذي كان ينخس به ، فقد تراجع إلى الوراء بقوة إلهية . وإذا لم يلحق بهم أى أذى أطلقوا عليهم وحوشا أخرى .

(٦) وأخيرا ، وبعد هذه الهجمات المروعة عليهم ، قتلوا جميعا بالسيف . وبدلا من دفنهم في الأرض طرحوا في أعماق البحر .



الفصل الثامن

الذين فى مصر [١]

(١) هذا ما كان من أمر نضال هؤلاء المصريين الذين كافحوا ببسالة من أجل المسيحية فى مدينة صور . ولكتنا نعجب أيضا بمن استشهدوا فى وطنهم ، حيث مات ميتات مختلفة ألوف من الرجال والنساء والأطفال ، محتقرين الحياة الحاضرة من أجل تعاليم مخلصنا .

(٢) فالبعض ألقوا فى النيران بعد كشط أجسادهم ، وجلدها جلادات قاسية جدا ، وأنواع لا عدد لها من التعذيب بطريقة تقشعر منها الأبدان ، حتى من مجرد سماعها . والبعض أغرقوا فى البحر . والبعض قدموا رؤوسهم بشجاعة لمن قطعوها . والبعض ماتوا تحت أيدي معذبيهم . والآخرى هلكوا جوعا ، وآخرون صلبوا ، بعضهم بالطريقة المعتادة لصلب المجرمين ، والآخرى بطريقة أشنع إذ كانوا يسمرون على الصليب ورؤوسهم منكسة إلى أسفل ، ويتركون أحياء على الصليب حتى يموتوا جوعا .

الفصل التاسع

الذين فى طيبة [١]

(١) من المستحيل وصف التعذيبات التى تكبدها الشهداء فى طيبة . فقد كانت تكشط كل أجسادهم بالمحار بدل المناجل حتى يموتوا . وكانت النساء توثقن من إحدى القدمين ويرفعن فى الجوامع بأكينات خاصة ، ويأجسامهن عارية ويعرض هذا المنظر المخجل القاسى لكل المتفرجين .

(٢) والآخرى كانوا يقضون إذ يوثقون لفروع الأشجار وجذوعها . لأنهم كانوا يقربون أضخم الفروع إلى بعضها بأكينات ، ويوثقون إليها أطراف الشهداء ، ثم يتركون الفروع لتعود إلى وضعها الأصلى ، وهكذا تتمزق فى الحال أعضاء من دبروا لهم هذه الطريقة .

(١) قال ناشر الترجمة الانكليزية : لم يقاس أى جزء فى العالم المسيحى أثناء تلك السنوات ما قاسته منطقة الظالم مكسيمينوس الذى كان يحكم على مصر وسوريا .

(١) Thebais أحد الأقاليم الثلاثة التى كانت تتكون منها مصر . وكانت طيبة كما يقول الناشر تقع بين مصر السفلى واثيوبيا .

(٣) استمرت كل هذه الأمور لا أياما قليلة أو وقتا قصيرا بل سنوات طويلة . فى بعض الأحيان كان يحكم بالاعدام على أكثر من عشرة، وفى أحيان أخرى على أكثر من عشرين . وفى بعض الأحيان كان العدد لا يقل عن ثلاثين، بعد ذلك وصل إلى ستين . وفى أحيان أخرى كان يقتل فى يوم واحد مائة رجل عدا الأطفال والنساء، بعد أن يعانون ألوانا مختلفة من التعذيب .

(٤) ونحن أيضا إذ كنا معانين الأمر بأنفسنا رأينا جماهير غفيرة فى يوم واحد، كان البعض تقطع رؤوسهم، والآخرى يعذبون بالنيران . حتى كل حد السيف، وإذا ضعف انكسر، ووهنت قوى منفذى الاعدام فكانوا يتبادلون الأمر معا للاستراحة .

(٥) وشاهدنا الحماسة العجيبة جدا، والنشاط والغيرة التى أبداهما من آمنوا بمسيح الله . لأنه حالما كان يصدر الحكم على أول شخص كان الباقيون يندفعون الواحد تلو الآخر إلى كرسى القضاء، ويعترفون بأنهم مسيحيون . وكانوا لا يبالغون بأشد أنواع التعذيب فيعترفون بكل جرأة وبسالة بديانة إله الكون . وكانوا يتقبلون حكم الموت النهائى بفرح وضحك وبسالة . لذلك كانوا يرفعون ويتهللون ويقدمون التساييح والتشكرات لإله الكون إلى النفس الأخير .

(٦) كان هؤلاء يدعون فعلا إلى العجب والدهشة، ولكن الذين يدعون إلى دهشة أشد هم أولئك الأشخاص الذين يمتازون بسبب ثروتهم أو محتدهم أو مراكزهم أو علمهم وفلسفتهم . الذين حسبوا كل شئ ثانويا بجانب الديانة الحقيقية والإيمان بمخلصنا وربنا يسوع المسيح .

(٧) من بين هؤلاء فيلورومس [٢] الذى كان يشغل مركزا ممتازا فى الحكومة الامبراطورية بالإسكندرية، والذى كان يجرى العدل كل يوم . وكان يحف به حرس حربى كما يليق بمقامه ومركزه الرومانى الرفيع . وكذا فيلياس أسقف كنيسة ثمويس، [٣] وهو رجل اشتهر بمحبته لوطنه والخدمات التى أداها لبلاده وعلومه الفيلسوفية .

(٨) ورغم أن الكثيرين من أقارب هذين الشخصين وأصدقائهما، والكثيرين من ذوى المناصب الرفيعة، بل القاضى نفسه، رجوهما بالحاح أن يشفقوا على نفسيهما ويرحما أولادهما وزوجتيهما إلا أنهما لم تؤثر فيهما كل هذه التوسلات ليختارا الحياة ويحتقرا أوامر مخلصنا فيما يتعلق بالاعتراف والأفكار . ولكنهما ثبتا أمام تهديدات وإهانات القاضى، بكل بسالة وعزم ثابت، بل بنفس تقية محبة لله . وأخيرا قطعت رأس كل منهما .

(٢) قال عنه فالسيوس إنه كان وزير المالية فى مصر .

(٣) Thmuis كانت مدينة مشهورة فى الوجهة البحرى . أما فيلياس Phileas فكان من أقدر رجال الكنيسة .

الفصل الحاشر

كتابات فيلياس الشهيد في وصف حوادث الإسكندرية

(١) وطالما كنا قد ذكرنا بأن فيلياس كانت له شهرة عظيمة في العلوم العالمية فليشهد لنفسه في العبارة المقتبسة من كتاباته التي يكشف لنا فيها عن شخصيته، وفي نفس الوقت يصف - بتدقيق أكثر منا - الاستشهادات التي حدثت في عصره في الإسكندرية .

(٢) «إن الشهداء الباركين الذين كانوا معنا، إذ كانت أمامهم كل هذه الأمثلة، والعينات المباركة المعطاة لنا في الأسفار المقدسة، لم يترددوا مطلقاً، بل ثبتوا أعين نفوسهم باخلاص نحو الله العلى، وإذ ركزوا تفكيرهم في الموت من أجل المسيحية، ثبتوا في دعوتهم بعزم وطيد . لأنهم عرفوا أن ربنا يسوع المسيح تأنس من أجلنا لكي يقطع كل خطية، ويمدنا بوسائل دخول الحياة الأبدية . لأنه لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد - وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه حتى الموت موت الصليب» [١]

(٣) «وإذ كان هؤلاء الشهداء حاملو المسيح غيورين أيضاً للمواهب الأفضل، تحملوا كل المحن وكل أنواع المؤامرات والتعذيب، لأمرة واحدة فقط، بل بعضهم مرتين . وبالرغم من أن الخراس تنافسوا مع بعضهم البعض في تهديدهم بكل الأنواع والطرق، لا بالكلام فقط بل بالأعمال، فإنهم لم يشنوا عن عزمهم، لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج» [٢]

(٤) «وأية كلمات تستطيع وصف شجاعتهم وبسالتهم وسط كل تعذيب؟ وإذ أعطيت الحرية لكل من أراد الإساءة إليهم كان البعض يضربونهم بالعصى، والآخرين بهراوات، والآخرين بجلدات، والبعض بكرابيج، وآخرون بحبال» .

(٥) «أما النظارة فقد اختلفت درجت هياجهم، والكل أظهروا سخطا شديداً . وكان البعض يشدون على الدهق، [٣] وقد أوثقت أيديهم خلفهم، وكل عضو يشد بآلة خاصة . بعد ذلك يؤمر المعتدون بتمزيق كل أجسادهم بالأت التعذيب، ليس فقط جنبهم كما هو مع القتلة، بل أيضاً بطونهم وركبهم وخلودهم . والآخرون كانوا يرفعون إلى فوق ويعلقون من إحدى أيديهم، فيقاسون الأهوال المروعة وذلك بجذب أطرافهم ومفاصلهم . وغيرهم كانوا يوثقون إلى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم، بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق على القيود التي ربطوا بها والتي كانوا يحكمون ربطها جداً» .

(٢) (١ يور ٤ : ١٨) .

(١) (في ٢ : ٦ - ٨) .

(٣) خشبتان فيهما ثقبان يقطب بهما على ساقى المذنب .

(٦) «كل هذه قاسوها، لا فى الفترة التى كان الحاكم يتحدث معهم فيها، بل طول النهار . لأنه إذ كان يجتاز إلى غيرهم كان يترك الأولين لحراسته موظفين تحت سلطته، لكى يراقب إن كان أحدهم قد انقلب من التعذيب ويدت عليه علامات التسليم . ثم إنه كان يأمر بأن يوثقوا فى سلاسل بلا رحمة، وعندما يصلون إلى النفس الأخير كانوا يطرحون على الأرض ويخرون خارجا» .

(٧) «لأنه أمر بأن لا توجه إلينا أية عناية قط، بل كانوا يفكرون ويتصرفون كأنه لا وجود لنا بعد . وهكذا اخترع أعداؤنا هذا النوع من التعذيب علاوة على الجلد» .

(٨) «وبعد هذه الثورات كان يوضع البعض على الدهق، وتمد قدما الواحد فى الثقوب الأربعة حتى يضطر للرقاد على ظهره فوق الدهق، وهو عاجز عن الانتصاب بسبب الجروح الجديدة التى غطت كل جسده نتيجة الجلد . والآخرين كانوا يلقون على الأرض فينالون أقسى أنواع التعذيب، فيرى المتفرجون مظاهر قسوة أشد هولا، إذ كانوا يحملون فى أجسادهم علامات التعذيب المختلفة التى اخترعوها» .

(٩) «وبينما كانت هذه الأمور تجرى كان البعض يموتون تحت التعذيب، مخجلين الخصم بشاتهم العجيب . والآخرين كانوا يطرحون فى السجون وهم يوشكون أن يفارقوا الحياة، وبعد أن يتجرعوا مرارة آلامهم يموتون فى أيام قليلة . أما الباقون، فإذا كانوا يشفون بسبب ما يلقونه من عناية، كانوا ينالون ثقة بمرور الوقت، ويحجزهم طويلا فى السجن» .

(١٠) «ولما كانوا يؤمرون بأن يختاروا اما الإعفاء من التعذيب إن لمسوا الذبائح الدنسة، ويذا ينالون منهم الحرية اللعينة، أو الحكم عليهم بالموت إن رفضوا أن يذبحوا، فإنهم كانوا لا يترددون، بل كانوا يسارعون إلى الموت بابتهاج، لأنهم عرفوا ما سبق أن أعلنته الكتب المقدسة، لأنه قيل: من ذبح لإلهة أخرى يهلك، [٤] وقيل أيضا: لا يكن لك إلهة أخرى أمامى [٥]» .

(١١) هذه هى كلمات الشهيد الفيلسوف الحقيقى محب الله التى وجهها إلى الإخوة فى أبروشيته، وكان لا يزال فى السجن، وقبل أن يصدر عليه الحكم النهائى . وفيها بين لهم ظروفه الخاصة، وفى نفس الوقت حثهم على الثبات فى ديانة المسيح حتى بعد أن رأى الموت يقترب إليه .

(١٢) ولماذا نطيل التأمل فى هذه الأمور ونستمر فى اضافة أمثلة جديدة عن نضال الشهداء الإطهار فى كل العالم سيما إذا عرفنا أنهم كانوا لا يعاملون بمقتضى أى قانون، بل كان يهجم عليهم كأعداء فى الحرب .

الفصل الحادي عشر

الذين فى فريجية

(١) كانت هنالك مدينة صغيرة فى فريجية، لا يقطنها إلا المسيحيون، وقد أحيطت كلها بالجند أثناء وجود الرجال فيها . فألقوا النار فيها، وأحرقوهم مع النساء والأطفال وهم يدعون المسيح، وقد فعلوا هذا لأن كل سكان المدينة، والوالى نفسه والحاكم وكل الموظفين وجميع الشعب اعترفوا بأنهم مسيحيون، ورفضوا بتاتا اطاعة من أمروهم بعبادة الأوثان .

(٢) وكان هنالك شخص آخر ذو مركز رفيع رومانى يدعى أدوكتس، من عائلة ايطالية شريفة، ارتقى اسمى المناصب تحت الأباطرة، حتى أنه شغل مناصب القضاء السامية بلا لوم، بل وصل إلى مركز وزير المالية . وعلاوة على هذه فقد فاق فى أعمال التقوى والاعتراف بمسيح الله، وكلل بأكاليل الشهادة . وقد ناضل من أجل المسيحية وهو لا يزال يشغل مركز وزير المالية .

الفصل الثانى عشر

آخرون كثيرون - رجالا ونساء - تحملوا الآلام بطرق مختلفة

(١) ولماذا يحتاج الأمر لذكر الباقيين بالاسم، أو احصاء عدد الجماهير من الرجال، أو تصوير الآلام المختلفة التى تكبدها شهداء المسيح العجيبون؟ فقد قتل البعض بالفاس كما حدث فى بلاد العرب . وكسرت أطراف البعض كما حدث فى كبادوكية . ورفع البعض إلى فوق من أقدامهم، منكسة رؤوسهم إلى أسفل، وأشعلت نار هادئة تحتهم، فاختنقوا بالدخان المتصاعد من الخشب المشتعل، كما حدث فى بلاد ما بين النهرين . والآخرون شوهوا بقطع أنوفهم وآذانهم وأيديهم، ثم قطعت باقى أعضاء جسمهم اربا كما حدث فى الإسكندرية .

(٢) ولماذا نعيد إلى الذاكرة أولئك الذين شويت أجسادهم فى انطاكية، لا بقصد قتلهم بل لاطالة تعذيبهم، أو الذين فضلوا دفع أيديهم اليمنى فى النار عن أن يلمسوا الذبائح الدنسة . والبعض ألقوا بأنفسهم من فوق المنازل المرتفعة لتجنب الوقوع فى أيدي أعدائهم، مفضلين الموت على قسوة الأشرار .

(٣) وقد كانت هنالك شخصية طاهرة - فى النفس متميزة بفضيلتها، وفى الجسم امرأة - برزت أكثر من جميع من فى أنطاكية بسبب ثروتها وأسرتها وصيتها، ريت ابنتها على مبادئ التقوى، وكانت فى زهرة العمر. وقد حسدهن الجميع، فاتخذت كل وسيلة للعثور عليهن فى مخبأهن. وعندما تأكد الجميع من عدم وجودهن استدعين بخدمة إلى أنطاكية. وهكذا أوقعن فى شرك الجند. وعندما رأت المرأة أنها وابنتها لا حول لهن ولا قوة، وعرفت ما ينوى الرجال فعله فيهن من قبائح، بل هتك عفتهم، الأمر الذى لا يحتمل، وهو أشد الأهوال شناعة، نصحت نفسها والفتاتين بضرورة عدم الازدعان حتى لسماع هذا. لأنها قالت إن تسليم نفوسهم لعبودية الشياطين أشر من كل أنواع الموت. ووضعت أمامها الوسيلة الوحيدة للخلاص من كل هذا - وهى الالتجاء إلى المسيح.

(٤) عندئذ أصغيتا إلى نصيحتها. وبعد ترتيب ملابسهن انتحيتا ناحية فى الطريق، وطلبتا من الحراس فرصة قصيرة للعزلة، وبعد ذلك ألقين بأنفسهن فى نهر بجانب الطريق. وهكذا تخلصن من الحياة.

(٥) ولكن كانت هنالك عذراوان أخريان فى نفس المدينة (أنطاكية)، خدمتا الله فى كل شئ، وكانتا أختين شقيقتين، تحدرتا من أسرة عريقة، وبرزتا فى الحياة، وكانتا فى عنفوان الشباب جميلتين، راجحتى العقل، حسنتى السلوك، متوقدتى الغيرة، فأمر عابدوا الشياطين بطرحهما فى البحر، وهذا ما تم فعلا، كأن الأرض لا تحتمل سموا كهذا.

(٦) وفى بنطس تكبد آخرون ألما تقشعر الأبدان من مجرد سماعها. فقد ثقت أصابعهم بأخشاب حادة تحت أظافرهم. وصب فوق ظهور الآخرين رصاص مغلى، وأحرقوا فى أكثر أعضاء الجسم حساسية.

(٧) وتحمل الآخرون على بطونهم وأعضائهم السرية تعذيبات مخجلة قاسية لا يمكن ذكرها اخترعها القضاة كمظاهر للحكمة، وهى لم تظهر إلا قسوتهم. ثم إنهم كانوا بصفة مستمرة يستدعون أنواعا جديدة من التعذيب، كأنهم كانوا يحاولون ربح جوائز فى السباق بمنافستهم بعضهم لبعض.

(٨) ولكنهم فى ختام هذه المصائب، لما عجزوا نهائيا عن تدبير أنواع من القسوة أشد، ووهنت قواهم من تنفيذ أحكام الموت، وشبعوا بل بشموا من سفك الدماء، تحولوا إلى معاملة اعتبروها رحمة إنسانية، وهى أنهم تظاهروا بأنهم قد كفوا عن أن يدبروا أهوالا ضدنا.

(٩) لأنهم قالوا إنه لا يليق أن تتلطف المدن بدماء شعبهم، أو أن تشوه سمعة حكومتهم، الرحمة بالجميع، بسبب القسوة المتناهية، بل بالأحرى يجب أن تشمل الرحمة والانسانية الجميع، وأنا يجب أن لا يحكم علينا بالموت فيما بعد. لأنه يجب أبطال توقيع هذه العقوبة علينا بسبب انسانية الحكام.

(١٠) لذلك أمروا بقلع عيوننا، وجذع أحد أطرافنا. واعتبرت هذه في نظرهم شفقة، وأخف أنواع القصاص لنا. ونتيجة لهذه المعاملة الرحمة التي اتبعها معنا الأشرار يستحيل التحدث عن العدد الذي لا يحصى ممن فقئت عيونهم اليمنى أولا بالسيف، ثم كويت بالنار، أو الذين شلت أقدامهم اليسرى بحرق المفاصل، ثم حكم عليهم بعدئذ بالعمل في مناجم النحاس بقصد التنكيل بهم أكثر مما هو بقصد الخدمة. وعلاوة على هذه كلها كابد آخرون أنواعا أخرى من المحن يستحيل سردها، لأن قوة احتمالهم العظيمة تفوق كل وصف.

(١١) وفي كل هذا النضال أضاء شهداء المسيح النبلاء العالم كله؟ وأذهلوا في كل مكان كل من شهد بسالتهم وقد تجلت فيهم أدلة قوة مخلصنا الحقيقية الإلهية التي لا يعبر عنها، ومن المتعذر، إن لم يكن من المستحيل، ذكر كل واحد باسمه.

الفصل الثالث عشر

أساقفة الكنيسة الذين برهنوا بدمائهم على نقاء الديانة التي كرزوا بها

(١) أما عن رؤساء الكنيسة الذين استشهدوا في المدن الرئيسية فإن أول شهيد لملكوت المسيح نذكره بين الأتقياء هو اثيموس [١] أسقف كنيسة نيكوميديا الذي قطعت رأسه.

(٢) وكان بين شهداء انطاكية لوسيان، [٢] وهو قس في تلك الأبروشية، سمت حياته كل السمو. فإنه في نيكوميديا، أمام الامبراطور، نادى بملكوت المسيح السماوى، أولا بدفاع شفوى، وبعد ذلك بالأعمال أيضا.

(٣) وكان أبرز شهداء فينيقية أولئك الرعاة الاجلاء الذين أقيموا على قطع المسيح الروحي، وهم تيرانيون أسقف كنيسة صور، وزنويوس وكان قسا في كنيسة صيدا، وسلوانس [٣] أسقف كنائس أميسا.

(٤) وقد جُعل آخر هؤلاء - مع غيره - طعاما للوحوش في أميسا، وهكذا حسب في عداد الشهداء. أما الاثنان الاخران فقد مجدا كلمة الله في انطاكية بصبرهما حتى الموت. فالأسقف [٤] ألقى في أعماق البحر. أما زنويوس، وكان طبيبا ماهرا، فقد مات بسبب تعذيب شديد لقيه على جنيبه.

(٥) أما عن شهداء فلسطين فقد قطعت رأس سلوانس [٥] أسقف كنائس غزة مع تسعة وثلاثين آخرين في مناجم النحاس بفينو [٦] وهناك أيضا أحرق الأسقفان المصريان يليوس [٧] ونيلوس مع غيرهما.

(٦) بين هؤلاء يجب أن نذكر بمفيلوس، وهو قس كان مجد أبروشية قيسرية، وكان من أبرز رجال عصرنا، وقد سجلنا أعماله العظيمة في المكان المناسب [٨].

(٧) وبين الذين قتلوا بحاله مجيدة في الإسكندرية وفي كل أرجاء مصر وطيبة يجب أن يذكر أولا بطرس [٩] أسقف الإسكندرية، وهو من أبرز معلمي ديانة المسيح. ومن القسوس معه فوستوس [١٠] وديوس وأمونيوس، وهم شهداء للمسيح كاملون، وأيضشا فيلياس [١١] وهيسيكيوس وباخوميوس وثيودوروس وهم أساقفة في الكنائس المصرية. وعلاوة عليهم أشخاص آخرون كثيرون بارزون أحيت ذكراهم أبروشيات بلادهم وأقاليمهم.

وليس من اختصاصنا أن نصف نضال من قاسوا الاهوال من أجل الديانة الإلهية في العالم كله، وتحدث بدقة عما حدث لكل منهم. فهذا أمر خليك بمن شهدوا الحوادث بأنفسهم، ولكنني سأصف في مؤلف آخر [١٢] تلك التي رأيتها بنفسى، وذلك لفائدة الأجيال القادمة.

(٣) ك ٩ ف ٦. (٤) أى تيرانيون. (٥) ورد ذكره أيضا «في شهداء فلسطين» بالفصلين ٧ و ١٢.

(٦) كانت فينو مدينة في شرق الأردن اشتهرت بمناجمها النحاسية.

(٧) انظر «شهداء فلسطين» ف ١٣. (٨) ك ٧ ف ٣٢. (٩) ك ٧ ف ٣٢.

(١٠) هو على الأرجح نفس الشماس الوارد ذكره في ك ٦ ف ٤٠، ك ٧ ف ١١. (١١) ف ٩.

(١٢) يشير إلى مؤلفه التالى «شهداء فلسطين».

(٨) أما في هذا المؤلف فساُضيف إلى ما قدمت تلك الأوامر النسخة [١٣] التي أصدرها مضطهدونا، والحوادث التي حصلت في بدء الاضطهاد، مما يكون نافعا للقراء.

(٩) أي كلمات تكفى لوصف عظمة تقدم ونجاح الحكومة الرومانية قبل اشهار الحرب علينا، إذ كان الحكم في سلام ومحبة معنا؟ في ذلك الوقت كان ذو المناصب الرفيعة، الذين لبثوا في مراكزهم عشر سنوات أو عشرين، يقضون وقتهم في هدوء وسلام في الولائم والحفلات والألعاب العامة، بكل بهجة وحبور.

(١٠) وإذا كانت سلطتهم تنمو هكذا تدريجيا دون أي مكدر، وتزداد يوما بعد يوم، غيروا موقفهم السلمي من نحونا فجأة، وبدأوا يشهرون حربا بلا هوادة. ولكن لم تقصر السنة الثانية على هذه الحركة حتي حدثت ثورة في كل الحكومة وقبلت كل شيء.

(١١) لأن مرضا شديدا حل برئيس القوم السابق التحدث عنهم، اختل معه توازن فهمه. فاعتزل في حياة انفرادية مع الشخص التالي له في مركزة [١٤] ولم يكّد يفعل هذا حتى انقسمت الامبراطورية كلها. الأمر الذي لم يكتب أنه حدث نظيره من قبل.

(١٢) وبعد ذلك بقليل ختم الامبراطور قسطنطيوس حياته بموت طبيعي، وقد كان كل أيام حياته رحيما برعاياه ومحبا للكلمة الإلهي. ويموته ترك بدلا عنه ابنه قسطنطين كامبراطور وأوغسطس [١٥]. وكان أول من اعتبر إلها، ونال بعد موته كل اكرام يمكن تقديمه لامبراطور. وكان أرق امبراطور، وأكثرهم شفقة ورحمة.

(١٣) كان هو الوحيد بين أباطرة عصرنا الذي قضى كل وقت حكمه بكيفية تتناسب مع مركزه. وعلاوة على هذا فقد تصرف مع الجميع بكل رقة وصلاح. ولم يشهر ضدنا أقل حرب، بل حفظ الاتقياء الذين كانوا تحت ادارته دون أن يمسه أقل أذى. لم يهدم أبنية الكنائس ولا دبر أي شيء آخر ضدنا. وكانت خاتمة حياته مكرمة، ومثلثة الطوبى. فهو الوحيد الذي ترك الامبراطورية في حالة سعيدة ومجيدة لابنه خليفة له، وهذا كان في كل ناحية حكما حسيما تقيا.

(١٣) أي التي تسخ ما قبلها.

(١٤) في أول مايو سنة ٣٠٥ تنازل دقلديانوس عن العرش هو ومكسيميان، أي بعد ستين من تاريخ اصدار أول أوامره.

(١٥) مات قسطنطيوس في يورك ببريطانيا في ٢٥ يولية سنة ٣٠٦ وخلفه قسطنطين العظيم صديق المسيحية والمسيحيين.

(١٤) تولى الحكم مباشرة ابنه قسطنطين، إذ نودى به امبراطورا ساميا وأوغسطسا من قبل الجند، بل من قبل الله نفسه ملك الجميع، قبل ذلك بوقت طويل . وقد اقتدى بتقوى أبيه وعطفه على تعاليمنا . هذا ما كان من أمره .

ولكن بعد هذا أقام الحكام بالاجماع ليسينيوس امبراطورا وأوغسطسا .

(١٥) على أن هذه الأمور أغضبت مكسيمينوس جدا، لأنه إلى ذلك الوقت كان الجميع يطلقون عليه لقب قيصر فقط . لهذا فإنه إذ كان مستبدا جدا قبض على السلطة بنفسه، وأقام نفسه أوغسطسا . وفي نفس الوقت مات مئة شنيعة ذاك الذى ذكرنا عنه أنه استأنف سلطته بعد تنازله، [١٦] وذلك بعد أن اكتشفت مؤامراته ضد قسطنطين . وقد كان هو أول من أيدت أوامره وتمائيله وآثاره العامة، وذلك بسبب شروره وفجوره .

الفصل الرابع عشر

صفات أعداء المسيحية

(١) أما مكستيسوس ابنه الذى حكم فى روما فإنه، فى بداية الأمر تظاهر بالايمان بتعاليمنا تملقا للشعب الرومانى، وترضيه له . ولهذا أمر رعاياه بالكف عن اضطهاد المسيحيين متظاهرا بالتدين، لكى يظهر أنه أكثر رحمة وشفقة من سابقه .

(٢) ولكنه لم يبرهن بأعماله أنه هو الشخص المتظر، بل أسرع إلى كل أنواع الشر، ولم يكف عن أى نوع من النجاسة والفساد، مرتكبا رذيلة الزنى، وكل ضروب الفجور . لأنه إذ فصل بعض الزوجات عن أزواجهن الشرعيين، دنسهن وأعادهن بمتهى الخزى إلى أزواجهن . ولم يرتكب هذا مع المجهولين وغير المعروفين فقط، بل أساء بنوع خاص إلى أبرز أعضاء مجلس الأعيان الرومانى .

(٣) وقد ضجر منه جدا كل رعاياه، الشعب والحكام، الشرفاء والأدنياء، بسبب مظالمه البغيضة . كذلك لم تكن هنالك وسيلة للانتقاذ من بطش هذا الطاغية بالرغم أنهم لزموا الصمت، متحملين العبودية المرة .

(١٦) الإشارة هنا إلى أوغسطس مكسيميان، الذى بعد أن تنازل عن العرش أقنعه ابنه مكستيسوس بالخروج من عزله والعدول عن تنازله . وبعد ذلك شق نفسه .

فى احدى المرات سلط حراسه على الشعب لقتلهم لآتفه الأسباب المقتعلة . فقتل عدد غفير من عامة الشعب الرومانيين ، فى وسط المدينة ، لا بحراب وأسلحة السكيشين والبربريين ، بل بأسلحة أهل وطنهم .

(٤) ومن المستحيل احصاء عدد أعضاء مجلس الأعيان الذين قتلوا لأجل ثروتهم ، فقد كانت الجماهير العديدة تقتل بسبب الادعاءات المختلفة .

(٥) ولجأ الطاغية إلى السحر ليتوج به كل شروره . وفى تنبؤاته الكاذبة كان يشق الحوامل ، يفحص احشاء الأطفال حديثى الولادة . كان يقتل السباع ، ويمارس أنواعا مختلفة من الأعمال الكريهة لاستحضار الشياطين ، وتجنب الحروب ، وكان كل غرضه من هذه الوسائل أن تكون النصره بجانبه .

(٦) ومن المستحيل أن نذكر الطرق التى بها ظلم هذا الطاغية رعاياه فى روما حتى إنهم وصلوا إلى حالة مجاعة شديدة ، أعوزتهم فيها ضروريات الحياة مما لم يسبق له مثيل فى روما ، أو فى أى مكان آخر كما روى لنا معاصروننا .

(٧) على أن مكسيمينوس الطاغية فى الشرق ، إذ أقام معاهدة صداقة سرية مع الطاغية الرومانى ، كما لو كان مع أخ فى الشر ، سعى لاختفائها زمنا طويلا . ولكنها إذ اكتشفت أخيرا ، نال ما يستحقه من قصاص [١] .

(٨) والعجيب أنه كان على وفاق فى الشر مع الطاغية فى روما ، بل فاقه فيه . لأنه أكرم رؤساء العرافين والمنجمين والسحرة بأرفع الرتب . وإذ كان فى غاية الجبن خاضعا للخرافات كان ينقاد إلى ضلالات الاصنام والشياطين . والواقع إنه كان لا يجروء على أن يحرك اصبعه دون الإلتجاء إلى العرافين والألهة .

(٩) لذلك اضطهدنا بعنف أشد من سابقه ، وبصفة مستمرة . وأمر بإقامة الهياكل فى كل مدينة ، وسرعة إعادة الاحراش المقدسة [٢] التى كانت قد أزيلت على مر الزمن ، وعين كهنة للاصنام فى كل مكان ، فى كل مدينة ، وأقام عليهم فى كل مقاطعة موظفا سياسيا ، كرئيس كهنة ، كان يميز نفسه بصفة خاصة فى كل أنواع الخدمة ، تحف به ثلة من الجنود وحرس خاص . ومنح جميع المشعوذين وظائف ادارية ، مع أعظم الامتيازات ، كأنهم أتقياء ومحبيون من الآلهة .

(١) بخصوص ماهدة مكسيمينوس مع مكستوس . وحربه مع لسينوس وموته انظر ك ٩ ف ٩ . وبخصوص اغتصابه لقب أوغسطس انظر الفصلين السابقين ١٣ : ٥ ، ١٢ : ٣ (السوارى) تقام للعبادة الوثنية ، وترتكب فيها أقبح الرذائل (تث ٧) .

(٢) كانت الأحراش .

(١٠) ومن ذلك الوقت فصاعدا ثقل لا على مدينة أو مقاطعة واحدة، بل على جميع الأقطار الخاضعة له بفرض ضرائب فادحة من الذهب والفضة والبضائع، وباجراء محاكمات ظالمة، وتوقيع غرامات متنوعة . واغتصب من الأثرياء أملاكهم التي ورثوها عن أجدادهم، ومنح ثروات طائلة ومبالغ جسيمة للمتملقين المحيطين به .

(١١) ووصل إلى درجة كبيرة من الحماسة وأسرف في السكر حتى أرتبك عقله، وجن بالملذات . وفي حالة السكر كان يصدر الأوامر التي يندم عليها في حالة الصحو . ولم يسمح لأى واحد بالتفوق عليه في الدعارة والخلاعة، بل كان يحرض من حوله . حكاما وزعية على ارتكاب القبائح، وكان يدفع الجيش إلى الحياة الفاسدة وكل أنواع الرذيلة، ويشجع الحكام والقواد على اساءة رعاياهم بالسلب والنهب والطمع، كأنهم كانوا حكاما معه .

(١٢) وهل هنالك حاجة لذكر تصرفات الرجل الشهوانية المخجلة، أو احصاء العدد الوفير ممن ارتكب معهن الزنى؟ لأنه لم يكن ممكنا أن يمر في مدينة دون افساد النساء، واغتصاب العذارى بصفة مستمرة .

(١٣) وفي هذا أفلح مع الجميع عدا المسيحيين . لأنهم إذ احتقروا الموت ولم يبالوا ببطشه . فالرجال احتملوا النار والسيوف والصلب والوحوش وأعماق البحر وقطع الاطراف والحرق وفقأ العيون وتشويه كل الجسد والجوع والعمل في المناجم والقيود . وفي هذه جميعا أظهروا الصبر دفاعا عن المسيحية، دون أن يحولوا إلى الأصنام الإكرام اللائق بالله .

(١٤) والنساء لم يكن أقل من الرجال بسالة في الدفاع عن تعاليم الكلمة الإلهية، إذ اشتركن في النضال مع الرجال، ونلن معهم نصيبا مساويا من الأكليل من أجل الفضيلة . وعندما كانوا يجروهم لأغراض دنسة كن يفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة .

(١٥) وقد انتصرت احدى هؤلاء اللاتي قبض عليهن الطاغية لأجل الأغراض الدنسة، وهى امرأة مسيحية سامية جليلة القدر بارزة جدا فى الإسكندرية - انتصرت على روح مكسيمينوس الشهوانية بشباتها العجيب . فإنها إذ كانت رفيعة القدر بالنسبة إلى ثروتها وأسرتها وتعليمها حسبت كل هذه نفاية بجانب العفة . وقد حرصها مرارا، ولكن بالرغم من أنها كانت مستعدة للموت فإنه لم يقتلها لأن شهوته كانت أقوى من غضبه .

(١٦) لذلك عاقبها بالنفى واستولى على كل أملاكها . وكثيرات أخر لم يستطعن حتى الاصغاء إلى تهديد الحكام الوثنيين بهتك أعراضهن، فتحملن كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت .

والواقع إن هؤلاء النسوة خليقات بالإعجاب والتقدير . ولكن الإعجاب يزداد بتلك المرأة فى روما التى كانت أنبل وأكثر عفة من الجميع، التى أراد الطاغية مكستىوس اغتصابها، متشبها بمكسيمينوس فى تصرفاته .

(١٧) لأنها إذ علمت أن الذين يخدمون الطاغية فى مثل هذه القبائح موجودون فى البيت (وكانت هى أيضا مسيحية)، وأن زوجها، ولو كان حاكما فى روما، ويسمح لهم بأخذها واقتيادها إلى الطاغية، طلبت أن تعطى لها فرصة للترين، فدخلت غرفتها، وإذا كانت وحدها طعنت نفسها بسيف، وماتت فى الحال تاركة جثتها لمن جاء لدفنها . وهكذا بينت بأعمالها، بقوة أشد جدا من أى كلمات، لجميع الأجيال الحاضرة واللاحقة، إن الفضيلة التى يغلب بها المسيحيون هى أقوى ما يمتلكون .

(١٨) هكذا كانت حياة الشر التى سلكها فى وقت واحد الطاغيان اللذان حكما الشرق والغرب . ومن ذا الذى يتردد فى الحكم، بعد فحص دقيق، على أن اضطهادهم آياتا هو سبب هذه الشرور التى حلت بهم، سيما وأن هذه الفوضى المتناهية لم تكف إلا بعد حصول المسيحيين على الحرية؟

الفصل الخامس عشر

الحوادث التى حلت بالوثنيين

(١) وفى أثناء سنوات الاضطهاد بأكملها [١] كانوا هم بصفة مستمرة يتآمرون ضد بعضهم البعض ويحاربون بعضهم البعض . فالبحر تعذرت الملاحة فيه، ولم يكن ممكنا للناس الابحار من أى ميناء دون تعريض أنفسهم لكل أنواع الثورات، إذ كانوا يمدون على آلات التعذيب ويجلدون على جنبهم للتأكد، بعد تعذيبات متنوعة، عما إذا كانوا قد أتوا من عند العدو . وأخيرا كانوا يعاقبون بالصلب أو بالنار .

(٢) وعلاوة على هذا فقد كانت الدروع والتروس والسهام والحرايب وسائر المعدات الحربية تعد بصفة مستمرة، والسفن والأدوات الحربية البحرية تجمع فى كل مكان . ولم يكن أحد يتوقع شيئا سوى هجوم الأعداء عليه أى يوم . وفضلا عن هذا فقد حلت بهم المجاعات والأوبئة، وفى المكان المناسب [٢] سنين الضرورى منها .

(١) صدر أول أمر لداقلديانوس فى ٢٤ فبراير سنة ٣٠٣ وانتهى الاضطهاد بالأمر الذى أصدره قسطنطين فى أواخر سنة

٣١٢ فيكون قد استمر عشر سنوات .

(٢) ك ٩ ف ٧ .

الفصل السادس عشر

تغير الأمور إلى أفضل

(١) هكذا سارت الأمور طول مدة الاضطهاد . ولكنه فى السنة العاشرة توقف نهائيا بنعمة الله ، إذ بدأ يتناقص بعد السنة الثامنة . لأنه عندما تعطفت علينا النعمة الإلهية السماوية غير حكامنا رأيهم بكيفية عجيبة جدا ، حتى نفس الأشخاص الذين أشهروا علينا الحرب ، وألغوا الأوامر السابقة ، وأطفأوا نار الاضطهاد العظيمة التى كانت مشتعله ، وبدلوها بأوامر رحيمة من نحونا .

(٢) ولكن هذا لم يكن نتيجة تدخل أية يد بشرية ، ولا كان نتيجة شفقة حكامنا أو محبتهم للبشر . حاشا ، لأنهم منذ البداية حتى ذلك الوقت كانوا كل يوم يزدادون امعانا فى اضطهادنا ، وبصفة مستمرة يخترعون تعذيبا بوسائل أشد عنفا . بل كان ظاهرا أن هذا راجع إلى تدخل العناية الإلهية ، فمن الناحية الواحدة اصطلحوا مع شعبه ، ومن الناحية الأخرى هجموا على مدبر [١] هذه الشرور ، وأظهروا مخطئهم عليه إذ كان هو السبب فى كل الأحوال التى ارتكبت طول مدة الاضطهاد .

(٣) ومع أنه كان من الضرورى أن تتم هذه كلها وفقا للعدل الإلهى ، إلا أن الكلمة قال «ويل لمن تأتى به العثرة» [٢] لذلك حل به القصاص من قبل الله ، مبتدئا بجسمه ، ومتقدما إلى نفسه [٣] .

(٤) لأن خراجا ظهر فى وسط أجزاء جسمه السرية ، وانتشرت منه قروح ردية حتى وصلت إلى أحشائه الداخلية . وانبعثت منها ديدان كثيرة جدا لا توصف ، ورائحة قاتلة ، لأنه قبل المرض تحول جسمه ، بسبب نهمه ، إلى كمية من الشحم ، وهذه تعفنت فصار منظره كريها جدا لكل من يقترب منه .

(٥) وقد مات بعض الأطباء إذ لم يتحملوا قط تلك الرائحة الكريهة ، وقتل الآخرون بلا رحمة إذ عجزوا عن تقديم أية مساعدة لأن الجسم كله انتفخ وأصبح عديم الشفاء .



(٢) (مت ١٨ : ٧) .

(١) أى غالوريوس .

(٣) ضرب غالوريوس بقروح ردية عافت منها المدينة كلها ، ورجال القصر ، وذلك قبل نهاية عام ٣١٠ ومات فى

الفصل السابع عشر

إلغاء الحكام لأوامرهم السابقة

(١) وبعد ارتكاب كل هذه الشرور العديدة بدأ يفكر فى الأحوال التى نكل بها الأتقياء . وإذا رجع إلى نفسه كان أول ما فعله أنه اعترف أولا لاله الكون علانية ثم استدعى أتباعه وأمرهم بإيقاف اضطهاد المسيحيين دون إبطاء ، واصدار أمر ملكى يحثونهم فيه على بناء كنائسهم ، وإقامة شعائرهم الدينية كالاعتاد ، وتقديم الصلوات من أجل الامبراطور . وللحال وضع كلامه موضع التنفيذ .

(٢) ونشرت الأوامر الملكية فى المدن متضمنة إيقاف التصرفات التى كانت تجرى ضدنا . وهاك نص أحدها :

(٣) «الامبراطور قيصر غالوريوس مكسيمينوس ، انفكتس ، أوغسطس ، رئيس الكهنة مكسيموس ، قاهر الألمان ، قاهر المصريين ، قاهر أهل طيبة ، قاهر السرماتيين خمس مرات ، قاهر الفرس ، قاهر أهل كربات مرتين قاهر الأرمن سبع مرات ، قاهر الميدين ، قاهر الاديابين ، المحامى عن حقوق الشعب للمرة العشرين ، الامبراطور للمرة التاسعة عشرة ، الوالى للمرة الثامنة ، أب مملكته ، نائب الوالى » .

(٤) والامبراطور قيصر فلافيوس فالوريوس قسطنطينوس ، ييوس فيلكس انفكتس أوغسطس رئيس الكهنة مكسيموس ، المحامى عن حقوق الشعب ، الامبراطور للمرة الخامسة ، الوالى ، أب مملكته ، نائب الوالى .

(٥) والامبراطور قيصر فالوريوس ليسينيوس ، ييوس فيلكس انفكتس أوغسطس رئيس الكهنة مكسيموس ، المحامى عن حقوق الشعب للمرة الرابعة ، والامبراطور للمرة الثالثة ، الوالى ، أب مملكته ، نائب الوالى . إلى شعب بلادهم سلام » .

(٦) «بين الأمور الأخرى التى رتبناها للصالح العام سبق أن أبدينا الرغبة لرد كل شىء إلى الحالة اللاتقة بالقوانين القديمة ونظام الرومانيين العام ، ولضمان رجوع المسيحيين الذين هجروا ديانة أجدادهم إلى حالة طيبة » .

(٧) «لأنه قد استولى عليهم الكبرياء إلى حد ما ، وغلبت عليهم الغباوة ، حتى إنهم لم يتبعوا الفرائض القديمة التى سبق أن أسسها أجدادهم ، بل أقاموا لأنفسهم قوانين حسب أهوائهم ، واتبعوها ، وهكذا اجتمعوا جماعات متفرقة فى أماكن مختلفة » .

(٨) «ولما أصدرنا هذا الأمر الملكى بضرورة رجوعهم إلى الفرائض التى أسسها الأقدمون خضع الكثيرون أمام الخطر، ولكن عددا وفيرا جدا تضايقوا وتحملوا كل أنواع الموت».

(٩) «ونظرا لأن الكثيرين استمروا فى حماقتهم، ونحن نلاحظ أنهم لا يقدمون للآلهة السماوية العبادة اللائقة، ولا يقدمون الإكرام لإله المسيحيين، فمراعاة لمحبتنا للبشرية، وعادتنا الثابتة، التى اعتدنا بموجبها أن نصفح عن الجميع، اعتزمنا أ يشمل صفحتنا هذه الأمور أيضا بكل سرور، حتى يرجعوا إلى مسيحيتهم مرة أخرى، ويعيدوا بناء الأماكن التى اعتادوا الاجتماع فيها، على شرط أن لا يعملوا شيئا ضد النظام. وفى رسالة أخرى سوف نبين للولاة ما يجب عليهم اتباعه».

(١٠) «وبناء على هذا الصفح الذى ادعناه يجب أن يتضرعوا لإلههم من أجل سلامتنا وسلامة الشعب، ولكى يتم الصالح لهم ولعامة الشعب فى كل مكان، ولكى يعيشوا فى بيوتهم آمنين».

(١١) هذه هى فحوى الأمر الملكى. مترجمة بدقة على قدر الإمكان من اللغة الرومانية إلى اليونانية. وقد حان الوقت للتأمل فيما يحدث بعد هذه الأمور.

وقد وجدنا ما يلى فى بعض النسخ فى الكتاب الثامن

(١) أما الذى أصدر هذا الأمر فإنه بعد هذا الإعراف مباشرة تخلص من آلامه ثم مات. ويقال إنه كان هو الباعث الأسمى لنكبة الاضطهاد، إذ كان قد سعى قبل حركة الأباطرة الآخرين بوقت طويل أن يحول المسيحيين فى الجيش عن الأيمان، وقبل كل شئ جميع من فى بيته، مجردا البعض من الرتب الحربية، ومسيئا إلى الآخرين بطريقة مخزية جدا، ومهددا غيرهم بالموت، وأخيرا موعزا إلى شركائه فى الامبراطورية بالاضطهاد العام. وليس من اللائق التجاوز عن ذكر موت هؤلاء الأباطرة.

(٢) فإنه إذ كان أربعة منهم متمتعين بالسلطة المطلقة تنازل المتقدمون فى السن والمركز عن الحكم كما بينا - ولم يكن قد مر على الاضطهاد ستان - وقضوا بقية أيام حياتهم فى عزلة.

(٣) وكانت نهاية حياتهم كما يلى. إن المتقدم فيهم فى المركز والسن مات بعد ضعف جسمانى طويل أليم جدا [١] وأنهى التالى له حياته شتقا، وقد فعل هذا وفقا لنبوة شيطانية بسبب جرائمه الكثيرة [٢].

(١) مات دقلديانوس سنة ٣١٣ فى سن السابعة والستين وقد برحت بجسمه الأمراض.

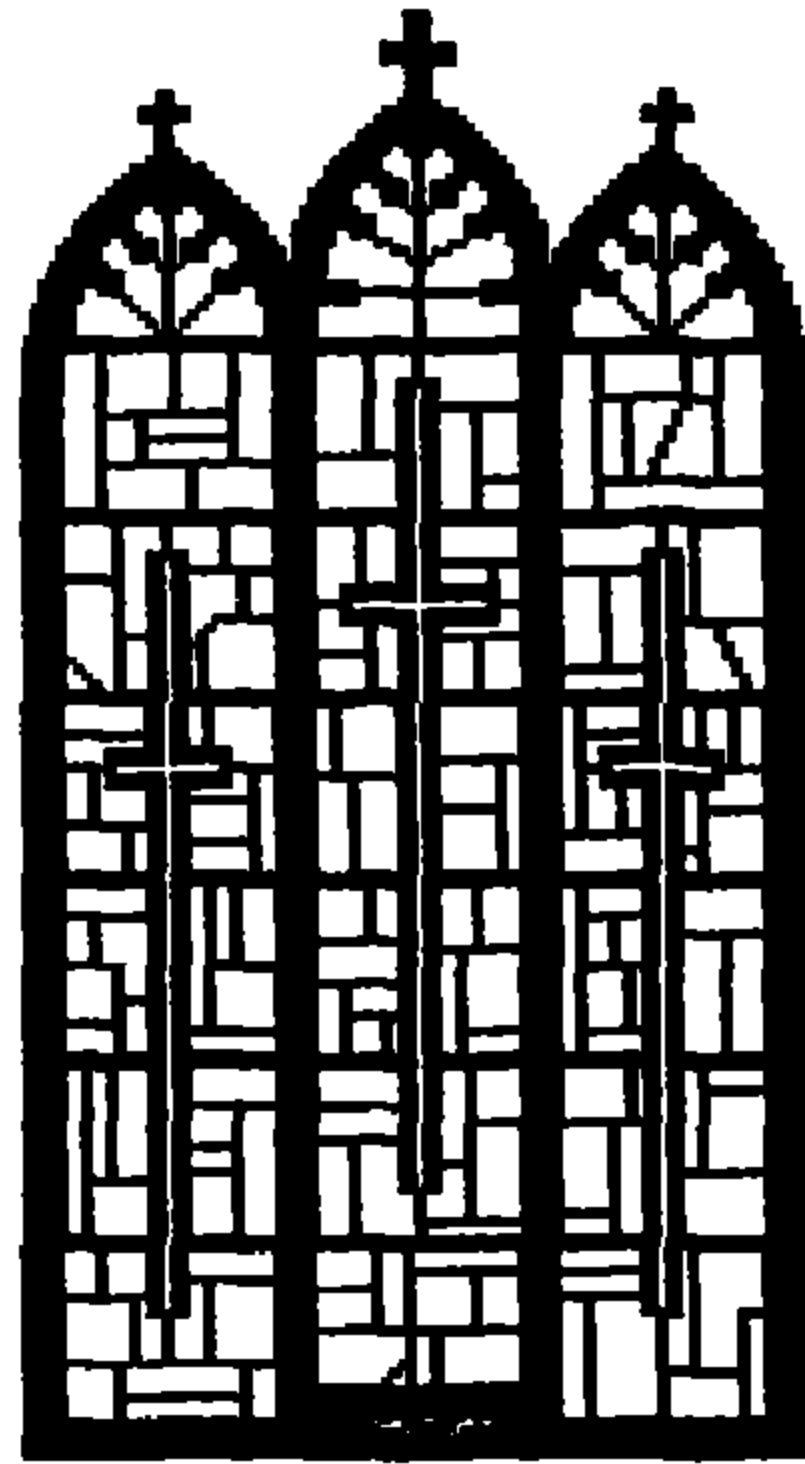
(٢) بخصوص موت مكسيميان انظر ف ١٣ : ١٥.

(٤) أما عمن جاءوا بعدهما فإن الأخير [٣] السابق التحدث عنه كمنشئ للاضطهاد، عانى تلك الأمور السابق الإشارة إليها. أما من سبقه أى الامبراطور الكثير الشفقة والرحمة قسطنطيوس، فقد قضى كل أيام حكمه بحالة تتفق مع مركزه. وعلاوة على هذا فقد تصرف نحو الجميع بكل خير وصلاح. ولم يكن له أقل نصيب فى الحرب ضدنا، وحفظ الأتقياء الذين تحت ادارته دون أن يمسه أقل ضرر. ولم يهدم أبنية الكنائس ولا دبر شيئا آخر ضدنا، وكانت خاتمة حياته سعيدة ومثلثة الطوبى. وهو الوحيد الذى ترك امبراطوريته بعد موته بحالة سعيدة مجيدة لابنه [٤] خليفة له، وهذا كان فى كل ناحية حكيمًا تقيا. وقد تولى الحكم فى الحال، إذ نادى به الجنود امبراطورا ساميا وأوغسطسا.

(٥) واقتدى بتقوى أبيه ورضائه على تعاليمنا.

هكذا كانت ميّات الاربعة الذين كتبنا عنهم، التى حدثت فى أوقات مختلفة.

(٦) من بين هؤلاء أذاع جهارا للجميع الشخص الوحيد المشار إليه أعلاه [٥] - مع من اشتركوا فى الحكم فيما بعد - الاعتراف السابق ذكره، وذلك بالأمر الكتابي الذى أصدره.



(٣) أى غالريوس. انظر ف ١٦ فيما يختص بمرضه وموته. (٤) قسطنطين. (٥) أى غالريوس.



شهداء فلسطين

شهداء فلسطين

وجدنا ما يلى أيضا فى احدى النسخ ملحقا بالكتاب الثامن

وفى السنة التاسعة عشر من حكم دقلديانوس، فى شهر راتشيكوس، الذى يدعوه الرومانيون ابريل، نحو عيد آلام مخلصنا، بينما كان فلافيانوس واليا على اقليم فلسطين، أذيعت رسائل فى كل مكان تأمر بهدم الكنائس حتى الاساس، واحراق الكتب المقدسة بالنار، وعزل كل الموظفين، وحرمان خدم البيت من الحرية، إن أصروا على الإعتراف بالمسيحية.

هكذا كانت قسوة الأمر الأول الصادر ضدنا. على أن رسائل أخرى صدرت بعد ذلك بقليل تأمر بأن يزج فى السجن جميع أساقفة الكنائس فى كل مكان، ويعد ذلك تستخدم كل حيلة لالزامهم بالذبح للاوثان.

الفصل الأول

(١) كان أول شهداء فلسطين بروكوبيوس الذى قبل أن يسجن صرح، حال ظهوره أمام محكمة الوالى، بأنه لا يعرف إلا واحدا يقدم له الذبائح، وذلك عندما أمر بأن يذبح للآلهة المزعومة، وعندما أمر بتقديم سكيب للباطرة الاربعة نطق بعبارة أغضبتهم فقطعت رأسه فى الحال.

وكانت العبارة مقتبسة من الشاعر [١] القائل :

حكم الكثيرين ليس بصالح

فليكن هناك حاكم واحد وملك واحد

(٢) كان اليوم السابع من شهر ديسيوس، [٢] أى السابع قبل منتصف يونية بحساب الرومانيين، واليوم الرابع من الاسبوع، حينما قدم هذا المثال الأول فى قيصرية فلسطين.

(٣) بعد ذلك تحمل كثيرون من رؤساء كنائس المملكة فى نفس المدينة أهوالا كثيرة، وقدموا للناظرين مثلا فى النضال النيل. ولكن غيرهم خارت نفوسهم رعبا، وضعفوا لأول وهلة. أما الآخرون فقد تحمل كل واحد أنواعا مختلفة من التعذيب، كالجلدات بلا عدد، وكشط الجلد، وتمزيق الجنب، والقيود غير المحتملة التى بسببها خلعت أيدي البعض.

(٢) أى شهر يونية.

(١) مقتبسة من الياذة هومر.

(٤) غير أنهم تحملوا ما حل بهم، وفقا لمقاصد الله غير المدركة . وكان يقبض على يدي الواحد، ويؤخذ إلى المذبح، وتدفع إلى يده اليمنى تلك الذبيحة الدنسة، ثم يخلى سبيله كأنه قد ذبح للاوثان . وكان الآخر لا يمسه ولكنه كان يخلى سبيله في سكون إذا ما قال الآخرون بأنه قد ذبح . وكان يؤخذ الآخر بين الحياة والموت، ثم يطرح جانباً كأنه قد مات فعلاً، وتفك قيوده، ويحسب في عداد الذين ذبحوا . وعندما كان يصبح آخر شاهداً بأنه لن يطيع، كان يضرب على الفم، ويخرسه جماعة ممن أتى بهم لهذا الغرض، ويدفع خارجاً بعنف، ولو لم يكن قد ذبح . وهكذا اعتبروا أنهم قد تمموا غرضهم .

(٥) أما الوحيدان اللذان من كل هذا العدد كللا بأكاليل الشهادة فهما حلفى وزكا . وقد قطعت رأس كل منهما كالشهيد السابق، بعد أن كابدا الجلد، وكشط الجلد، والوثق الشديدة، والتعذيبات الإضافية، والمحن الأخرى المتنوعة، وبعد أن مدت أقدامهما ليلاً ونهاراً في أربعة ثقوب في الدهق في اليوم السابع عشر من شهر ديوس - أي الخامس عشر قبل أول ديسمبر بحساب الرومانيين - وبعد أن اعترفا بالإله الواحد الوحيد ويسوع المسيح ملكاً، كأنهما قد نطقا بتجديفاً .

الفصل الثاني

(١) أما ما حل برومانوس في نفس اليوم في انطاكية فحرى بالتدوين أيضاً . كان هذا مواطناً فلسطينياً، وشماساً وطارداً للارواح في أبروشية قيصرية . وإذ كان حاضراً لدى هدم الكنائس رأى رجالاً كثيرين من النساء والأطفال صاعدين زرافات إلى الأصنام ليذبحوا لها . ولكنه بسبب غيرته الشديدة للمسيحية لم يحتمل المنظر، فوبخهم بصوت مرتفع .

(٢) وإذ قبض عليه بسبب جرأته، برهن على أنه من أنبل الشهود للحق . لأنه عندما أخبره القاضى بأنه يجب أن يموت حرقاً تقبل الحكم بوجهه باش وجنان ثابت، وعندئذ أخرج خارجاً . ولما شد علي المقمطة، وكدمت أكوام الخشب حول جسمه، وكانوا ينتظرون وصول الامبراطور قبل اشعال النار صرخ قائلاً «أين النار التي أعدت لي؟» .

(٣) وإذ قال هذا استدعى ثانية للمثول بين يدي الامبراطور، وعذب بتعذيب غير عادي بقطع لسانه . ولكنه تحمل هذا ببسالة، وبرهن للجميع بأعماله أن القوة الإلهية تحمل مع كل من يتحملون أية صعوبة من أجل المسيحية . مخففة الامهم ومشددة غيرتهم . ولما علم ذلك الرجل النبيل بهذه الطريقة الغريبة من التعذيب لم يفزع . بل أخرج لسانه بارتياح، وقدمه بكل سرور لمن قطعه .

(٤) وبعد هذا التعذيب زج به فى السجن، وليث فيه وقتا طويلا، وأخيرا إذ اقترب عيد الامبراطور العشرون[١] حيث منحت الحرية لجميع من كانوا فى القيود طبقا للعادة المتبعة، بقى هو وحده مشدودة قدماء فى خمسة ثقوب الدهق، ومن ثم شتى، وهكذا نال اكليل الشهادة كرهبته .

(٥) وبالرغم من أنه كان خارج بلاده إلا أنه كان مواطنا فلسطينيا، ومن اللائق اعتباره ضمن شهداء فلسطين .

حدثت هذه الأمور على هذا الوجه فى السنة الأولى، عندما كان الاضطهاد موجها إلى رؤساء الكنيسة فقط .

الفصل الثالث

(١) وفى السنة الثانية اشتد جدا الاضطهاد الموجه إلينا، فى ذلك الوقت كان أوربانوس[١] واليا لتلك المنطقة، ووصلته أوامر من الامبراطور تأمر بأن جميع الشعب يجب أن يذبحوا للاوثان فى الحال، فى المدن المختلفة، ويقدموا إليها سكائب[٢] .

وفى غزة - إحدى مدن فلسطين - عانى تيموثاوس تعذيبات لا تحصى، ثم عرض لتار بطيئة ضعيفة . وإذ قدم بصبره فى كل الامه دليلا قويا على التقوى الحقيقية من نحو الله حمل اكليل النصر الذى يحمله أبطال الإيمان . وفى نفس الوقت أظهر أغايوس[٣] وتكلا معاصرنا ثباتا عجيبا فحكم عليهما بأن يجعلا طعاما للوحوش .

(٢) ومن ذا الذى شهد هذه الأمور دون أن يعجب بهما، أو من ذا الذى سمع بأنبائها دون أن يدهش؟ لأنه عندما كان الوثنيون فى كل مكان يحتفلون بأحد الأعياد ويقيمون المعارض المعتادة أطلق نداء بأنه علاوة على المسامرات الأخرى سي طرح للوحوش أولئك الذين حكم عليهم أخيرا بهذا .

(١) انظر ك ٨ ف ٢ .

(١) انظر ايضا ف ٤ و ٧ و ٨ .

(٢) هذا هو الأمر الملكى الرابع الذى أصدره دقلديانوس سنة ٣٠٤ .

(٣) انظر ف ٦ .

(٣) ولما ازداد انتشار هذه الأنباء في كل مكان تقدم ستة من الشبان، وهم تيمولوس من أهل بنطس، وديونيسيوس من طرابلس في فينيقية، وروميلوس وهو شماس مساعد في أبروشية ديومبوليس، [٤] ويسييس والإسكندر وهما مصريان، وشخص آخر باسم الإسكندر من غزة . وإذ أوثقت أيدي الجميع أولا، ذهبوا مسرعين إلى أوريانوس الذي كان موشكا أن يفتح المعرض، وأظهروا حماسة شديدة نحو الاستشهاد . واعترفوا بأنهم مسيحيون، وبترحيبهم بكل الأهوال أظهروا أن الذين يفتخرون بديانة إله الكون لا يخشون أمام هجمات الوحوش .

(٤) وللحال طرحوا في السجن بعد أن بعثوا اندهاشا عجيبا جدا في نفس الوالى والذين معه . وبعد أيام قليلة أضيف إليهم اثنان آخران . أحدهما اسمه أغايوس، وقد تحمل في اعترافات سابقة أهوالا مروعة في أشكال متنوعة . والثانى اسمه ديونيسيوس، وكان قد أمدهم بضروريات الحياة . جميع هؤلاء الثمانية قطعت رؤوسهم في يوم واحد بقيصرية، في اليوم الرابع والعشرين من شهر ديستروس، وهو اليوم التاسع قبل بداية ابريل .

(٥) وفي نفس الوقت حدث تغيير بين الأباطرة، فالأول اعتزل بكرامة، والثانى اعتزل ليتفرغ لشؤنه الخاصة، [٥] وابتدأت الشئون العامة تضطرب .

(٦) وبعد ذلك بقليل ابتدأت الحكومة الرومانية تنقسم على ذاتها، ونشبت بينهم حرب مروعة . [٦] ولم تستقر الأمور أثناء هذا الانقسام وما تبعه من اضطرابات إلا بعد استقرار السلام من نحونا في كل أرجاء الامبراطورية الرومانية .

(٧) لأنه لما استتب هذا السلام للجميع . كبزوغ نور النهار بعد ليل حالك الظلام، استتبت الأمور العامة في الحكومة الرومانية، وصارت سعيدة وهادئة، وعاد الوثام القديم بين الواحد والاخر . على أننا مستحدث بالتفصيل عن هذه الأمور في الوقت المناسب والإن لنعد إلى سير الحوادث الطيعى .



(٤) هي نفسها لدة (اع ٩ : ٣٢) وكانت أسقفية عظيمة .

(٥) اعتزل كل من دقلديانوس ومكسيميان في أول مايو سنة ٣٠٥ . انظر ك ٨ ف ١٣ .

(٦) لما اغتصب مكستيسوس الملك في روما سنة ٣٠٦ . انظر ك ٨ ف ١٣ .

الفصل الرابع

(١) وإذا وصل إلى الحكم وقتئذ مكسيمينوس قبصر، حصن نفسه لاضطهادنا بكيفية أشنع من سابقه، كأنه أراد أن يظهر للجميع دلائل عداوته لله التي ولد فيها، ودلائل شروره وقجوره.

(٢) ونتيجة لهذا حدث انزعاج وتشتتوا هنا وهناك، ومحاولين النجاة من الخطر بأية طريقة من الطرق، وحدث اضطراب في كل مكان.

وأية كلمات تكفى لوصف المحبة الإلهية، والجرأة اللتين أظهرهما، في الاعتراف بالله، الحمل الوديع الهادي، أعنى الشهيد أيفانيوس، الذي أظهر أمام أعين الجميع في أبواب قيصرية مثالا عسجيا لتقوى الله الوحيد.

(٣) لم يكن في ذلك الوقت قد اكتمل العشرين من العمر. وكان قد صرف أولا وقتا طويلا في بريتوس، [١] للتزود من العلوم اليونانية العالمية، إذ كان يتمي إلى أسرة غنية جدا، وبما يدهش أن تروى كيف أنه، في مدينة كهذه، تغلب على الشهوات الشبابة، وتمسك بأهداب القضيعة. لم تدنس القوة الجسدية ولا رفاقاؤه الشبان. وعاش حياة العفة والقضيعة والطهارة والتقوى وفقا للتعاليم المسيحية وحياة معلميه.

(٤) وإن كان من الضروري ذكر بلاده، وتقديم الإكرام اللائق بها، لانتاجها بطلا عظيما من أبطال التقوى كهذا، فلنفعل هذا بسرور.

(٥) لقد أتى الشاب من باجي - إن كان أحد يعرف المكان - وهي مدينة هامة في لسيا. وبعد عودته من دراسته في بريتوس لم يحتمل أن يعيش مع أبيه وأقاربه، رغم أن أباه كان يحتل أبرز مركز في وطنه، وذلك لم يرضوا أن يعيشوا وفق نوااميس المسيحية. لهذا ترك أسرته سرا كأنه كان مقتادا بالروح القدس، وبمتمضي فلسفة حقيقية روحانية طبيعية، معتبرا هذا أفضل مما يعتبر أنه أمجاد العالم، ومحتقرا كل الملذات الجسدية. وإذا لم يعبا بحاجياته اليومية بسبب إيمانه ورجائه بالله، قاده الروح القدس إلى مدينة قيصرية حيث كان قد أعد له اكليل الشهادة من أجل التقوى.

(٦) وإذا لبث معنا هناك، متناقشا معنا في الأسفار الإلهية بكل اجتهاد فترة قصيرة، ومدربا نفسه بكل غيرة، ختم حياته خاتمة تدهش كل من يراها لو أنها رؤيت مرة أخرى.

(١) هي بيروت الحالية. وقد ازدهرت فيها مدرسة للادييات والقانون أجيالا طويلة.

(٧) ومن ذا الذى أن سمع عنها لا يعجب بحق بشجاعته، وجراته، وثباته، بل بالعمل الجرىء نفسه الذى برهن على غير متأججة نحو المسيحية وروح فوق الطبيعة البشرية .

(٨) لأنه فى الهجوم الثانى ضدنا فى عهد مكسيمينوس، فى السنة الثالثة من الاضطهاد، صدرت أوامر الطاغية للمرة الأولى، تأمر حكام المدن ببذل كل مجهود بأسرع ما يمكن ليدفعوا جميع الشعب على الذبح للأوثان . وفى كل أرجاء مدينة قيصرية كان السعاة يستدعون الرجال والنساء والأطفال - بأمر الوالى - إلى هياكل الأوثان . وعلاوة على هذا فقد كان رؤساء الألوف ينادون كل واحد باسمه من قوائم بأيديهم، وكان عدد وافر جدا من الأشرار يتدفعون معا من كل الأحياء .

عندئذ تقدم هذا الشاب بلا خوف، ودون أن يعلم أحد بنواياه، وغافلنا نحن الذين نعيش معه فى البيت، كما غافل كل جماعة الجنود الذين كانوا يحيطون بالوالى، واندفع إلى أوربانوس وهو يقدم السكائب، وأمسكه يمينه دون أقل خوف، ومنعه فى الحال من تقديم ذبيحته . وبمهارة وقوة اقناع وارشاد إلهى قدم إليه النصيح للعدول عن ضلالتة، لأنه ليس من اللائق أن يهجر الإله الواحد الوحيد، ويذبح للأوثان والشياطين .

(٩) والمرجح أن الشاب فعل هذا بقوة إلهية دفعته إلى الأمام، وجعلت الجميع يصيحون، عقب عمله، بأن المسيحيين الذين كهذا الشاب لن يتركوا عبادة إله الكون التى سبق أن اختاروها لأنفسهم، وأنهم ليسوا أرفع من التهديدات وما يتبعها من أهوال فحسب، بل هم فوق ذلك فى غاية الجرأة ليتكلموا بلسان لا يتلعثم، بل إن أمكن ليدعوا حتى مضطهديهم ليتحولوا عن جهالتهم، ويعترفوا بالإله الواحد الحقيقى .

(١٠) وعلى أثر هذا مزق الوالى فى الحال ومن كانوا معه - وهذا ما كان منتظرا بعد عمل جرىء كهذا - ذلك الشخص الذى نتحدث عنه، كأنه قد مزقته وحوش كاسرة . وإذا تحمل ببسالة ضربات إليمة لا حصر لها على كل جسده زج به فى السجن فى الحال .

(١١) وهناك شد المعذبون قدميه فى الدهق يوما وليلة، وفى اليوم التالى أحضر أمام القاضى . وعندما حاولوا أن يضطروه إلى التسليم أظهر كل ثبات تحت الآلام والتعذيبات المروعة . فقد مزق جنباه لا مرة ولا مرتين بل مرات كثيرة، حتى ظهرت العظام، بل الأحشاء نفسها . ولطم كثيرا جدا على وجهه وعنقه حتى لم يستطع من عرفوه طويلا أن يميزوا وجهه المستفخ .

(١٢) ولكنه إذ لم يستسلم تحت هذا التعذيب، غطى المعذبون قدميه - حسب الأوامر الصادرة إليهم - بأقمشة كتانية مبللة بالزيت، وأشعلوا فيها النار. ولن تستطيع أية كلمات التعبير عن الآلام التي كابدها المغبوط من جراء هذا. لأن النار التهمت لحمه ووصلت إلى العظام، حتى إن سوائل الجسد ذابت وتساقت كالشمع.

(١٣) وإذا لم يستطع خصومه إخضاعه بهذا، ووجدوا أنفسهم بأنهم قد غلبوا على أمرهم، وعجزوا عن إدراك ثباته الذي فوق الطبيعة البشرية، طرحوه ثانية في السجن. ثم أحضر أمام القاضي للمرة الثالثة فاعترف نفس الاعتراف. وإذا كان على وشك أن يموت إلقى أخيرا في أعماق البحر.

(١٤) على أن ما حدث عقب هذا مباشرة يتعذر جدا على ما لم يروه تصديقه. ومع تأكيدنا من هذا إلا أننا يجب أن ندون الحادث، سيما وقد شهد جميع سكان قيصرية. لأنه لم يكن هنالك أحد - من أى سن لم يشهد هذا المنظر العجيب.

(١٥) لأنه حالما طرحوا هذا الشاب المبارك، المثلث الغبطة، في أعماق البحر حدث اضطراب غير عادي وأهاج البحر وكل الشاطئ، حتى تزعزعت منه الأرض وكل المدينة. وفي نفس الوقت ثار البحر ثورة عجيبة فجائية، وقذف أمام أبواب المدينة جسد الشهيد الطاهر كأنه لم يطق أن يحتويه.

وهكذا كان موت ابفيانوس العجيب، الذي حدث في اليوم الثاني من شهر زانتيكوس، وهو اليوم الرابع قبل التاسع من ابريل، فكان اليوم يوم الاستعداد. [٢]

الفصل الخامس

(١) وفي نفس الوقت تقريبا، في مدينة صور، أحيط شاب اسمه أولييانوس باوكسيد خام بعد أن عذب بقسوة وجلد بعنف، ثم ربط معه كلب وأحد الزحافات السامة، أفعوان، وألقى في البحر. لذا رأيت من المناسب ذكره بمناسبة التحدث عن استشهاد ابفيانوس.

(٢) وبعد ذلك بوقت قصير عانى أديسيوس، وهو أخ ابفيانوس لا في الرب فقط بل بالجسد أيضا، لأنهما ابنا أب أرضى واحد، عانى نفس الآلام بعد اعترافات كثيرة جدا، وبعد تعذيبات مبرحة في قيود، وبعد أن حكم عليه الوالي بالشغل في مناجم فلسطين. وقد تصرف في هذه كلها بطريقة فلسفية حقيقية، لأنه كان أكثر علما من أخيه، في الدراسات الفلسفية.

(٢) أى الجمعة. وهذا اصطلاح يهودى كان لا يزال مستعملا.

(٣) وأخيرا تصرف كأخيه عندما مثل في مدينة الاسكندرية أمام القاضى الذى كان يحاكم المسيحيين، منكلا بهم فوق الحد، فأحيانا يهين الرجال المقدسين بطرق متنوعة، وأحيانا أخرى يسلم النساء المحتشمات، بل العذارى الفضليات إلى القوادين لأغراض مخجلة . لأنه لما رأى أن هذه الأمور لا تحمل تقدم إلى القاضى بكل جرأة وبكلماته وتصرفاته أغرق القاضى فى لجنة من العار والفضيحة . وبعد أن نال أنواعا متنوعة من التعذيب نتيجة لهذا كابد موتا مشابها لموت أخيه، إذ طرح فى البحر . ولكن هذه حدثت له كما قلت، بهذه الكيفية بعد ذلك بوقت وجيز .

الفصل السادس

(١) وفى السنة الرابعة من الاضطهاد الذى وجه إلينا، فى اليوم الثانى عشر قبل أول ديسمبر، وهو اليوم العشرين من شهر ديوس، فى اليوم السابق للسبت، وكان الطاغية مكسيمينوس حاضرا يحتفل بعيد ميلاده بمظاهر غاية فى الترف، حدثت الحادثة التالية فى مدينة قيصرية، وهى حرية بالتدوين .

(٢) كانت العادة القديمة تقضى بأنه عند حضور الامبراطور تعرض للمتفرجين مناظر أكثر فخامة من أى وقت آخر، وكانت تعرض مناظر جديدة وغريبة بدلا من المسليات العادية، كعرض حيوانات أحضرت من الهند أو اثيوبيا أو أماكن أخرى، أو عرض تمرينات رياضية تدهش المتفرجين، فكان من الضرورى وقتئذ، نظرا لأن الامبراطور كان يقدم العرض بنفسه، اضافة أمور أكثر غرابة إلى المناظر . وماذا عساها تكون هذه الأمور؟

(٣) أتى بأحد المدافعين عن تعليمنا، وأقيم فى الوسط، وتحمل الكفاح من أجل الديانة الحقيقية الوحيدة . كان هذا هو أغايوس الذى، كما قدمنا سابقا، [١] كان مع تكلا التى دفعت طعاما للوحوش . وهو أيضا سار ثلاث مرات أو أكثر مع المجرمين من السجن إلى المرسح . وفى كل مرة كان يستبقى لنضال آخر بعد أن يقدم له القاضى التهديدات المتنوعة، أما شفقة به، أو رجاء أن يغير رأيه . على أنه فى هذه المرة، إذ كان الامبراطور حاضرا . أخرج كأنه قد أبقي لهذه الفرصة إلى أن تتم فيه كلمة المخلص التى أعلنها لرسله بمعرفة إلهية إنهم يجب أن يساقوا أمام ملوك من أجل شهادتهم له [٢] .

(٤) وقد أخذ فى وسط المرسح مع أحد المجرمين الذى يقال إنه كان متهما بقتل سيده .

(٥) ولكن قاتل سيده هذا لما طرح للوحوش اعتبر مستحقا للشفقة والإنسانية مثل باراباس في أيام مخلصنا . وامتلاً المرسح بأصوات الهتاف والإستحسان لأن القاتل أنقذه الامبراطور، واعتبر خليقاً بالإكرام والحرية .

(٦) أما بطل الإيمان فقد استدعاه الطاغية أولاً، ووعده بالحرية إن أنكر الإيمان . ولكنه شهيد بصوت مرتفع أنه مستعد لتحمل كل ما يوقع عليه بسرور، لا من أجل أى خطأ بل من أجل ديانة خالق الكون .

(٧) وإذا قال هذا أقرن القول بالفعل، واندفع ليلتقى بدب أطلقوا سراحه عليه، مسلماً نفسه باغتيال ليلتهمه . وبعد هذا، إذ كان لا يزال تتردد أنفاسه، طرح في السجن . وإذا عاش يوماً آخر ربطت حجارة في قدميه وأغرق في أعماق البحر .
هذا ما كان من أمر استشهاد أغابوس .

الفصل السابع

(١) وفي قيصرية أيضاً، عندما استمر الاضطهاد إلى السنة الخامسة، في اليوم الثانى من شهر زاثيكوس، أى اليوم الرابع قبل التاسع من أبريل، فى نفس يوم الرب، يوم قيامة مخلصنا، صعدت فتاة عذراء تدعى ثيودوسيا من أهل صور، وهى فتاة رزينة مؤمنة لم تكتمل الثامنة عشرة من عمرها بعد - صعدت إلى بعض المسجونين الذين كانوا يشهدون للمكوت المسيح وجالسين أمام كرسى القضاء، وحيثهم، ورجتهم أن يذكروها عندما يمثلون أمام الرب .

(٢) وللحال ألقى الجند القبض عليها وساقوها إلى الوالى كأنها قد ارتكبت فعلاً شائناً أما هو فسرعان ما انقض عليها كمجنون، أو كوحش مفترس فى هيجانه، وعذبها تعذيباً مبرحاً فى جنبها وثديها حتى وصل إلى العظام، وإذا كانت لا تزال تتردد فيها الأنفاس، واقفة بثغر باش بالرغم مما تكبدته، أمر بطرحها فى أمواج البحر . ولما فرغ منها انتقل إلى المعترفين الآخرين، وأمر بتشغيلهم جميعاً بمناجم النحاس فى فينو بفلسطين .

(٣) وبعد ذلك فى الخامس من شهر ديوس، التاسع من نوفمبر بحساب الرومانيين، وفى نفس المدينة، حكم على سلوانس، [١] الذى كان وقتئذ قسا ومعتزفاً، والذى أكرم بالأسقفية بعد ذلك بقليل، ثم مات شهيداً - حكم عليه ومن معه من الرجال الذين أظهروا منتهى الثبات دفاعاً عن الإيمان، بالشغل فى نفس مناجم النحاس، بعد أن صدر الأمر بتعجيز مفصل القدم بكيه بالنار.

(٤) وفى نفس الوقت سلم إلى النار رجلاً اشتهر باعتراقات أخرى كثيرة. هذا هو دومينوس، الذى كان مشهوراً بين جميع من بفلسطين بسبب جرأته الزائدة. بعد ذلك دبر نفس القاضى، (وكان قاسياً فيما يدبره من تعذيب، ومخترعاً للمؤامرات ضد تعاليم المسيح) ضد ذلك الرجل التقى أنواعاً من القصاص لم يسمع بها قط. هذا حكم على ثلاثة بملاكمة الوحوش انفرادياً. ثم سلم أوكستيوس للوحوش لالتهامه، وكان شيخاً وقوراً. وخصى أشخاصاً آخرين فى مقتبل العمر، ثم حكم عليهم بالشغل فى نفس المناجم. وطرح آخرون فى السجن بعد تعذيبهم بقسوة.

بين هؤلاء صديقى الحميم جداً بمفيلوس [٢] الذى كان أشهر شهداء عصرنا بسبب تحليه بكل فضيلة.

(٥) وقد اختبره أوربانوس أولاً فى الخطابة والفلسفة. وبعد ذلك حاول الزامه بالذبح للأوثان. وإذ رأى أنه رفض، ولم يبال بتهديده بأى حال من الأحوال، احتدم غضبه وأمر بتعذيبه بأقسى أنواع العذاب.

(٦) وبعد أن اشبع ذلك الوحش رغبته بهذه التعذيبات بكشط جنبيه بصفة مستمرة وغطاء الخنزى أمام الجميع، دفعه فى السجن مع باقى المعترفين.

(٧) أما القصاص الذى سوف يتاله من العدل الإلهى، ذلك الذى أساء إلى شهداء المسيح، من أجل قسوته على القديسين، فيمكن استنتاجه بسهولة من مقدماته التى بها حل عليه القصاص الإلهى فى الحال، بعد فترة قصيرة من قساوته الشنيعة ضد بمفيلوس، وكان لا يزال فى الحكم، لأن ذاك الذى كان بالأمس فقط يقضى فى المحكمة العليا، تحرسه ثلة من الجنود، ويحكم على كل أمة فلسطين، والذى كان نديماً وصديقاً حميماً للطاغية نفسه، وجليسه على المائدة، جرد من رتبته فجأة فى ليلة واحدة، وغطاه الخنزى والخسجل أمام من كانوا سابقاً معجبين به، كأنه هو الامبراطور. وأظهر منتهى الجبن والخنوثة، وصار يصيح كأمراة، ويتقدم التوسلات لكل الشعب الذى كان يحكمه. أما مكسيمينوس نفسه، الذى كان

أوريانوس يفتخر بوقاحة بمحبته له، كأنه قد أحبه بسبب إساءته لنا . فقد جلس في قيصرية نفسها قاضيا في منتهى القسوة، وحكم عليه بالموت من أجل الجرائم التي ثبتت ادانته بها .

(٨) ويكفى أن نمر علي هذه مر الكرام . وقد يأتي اليوم الذي يتسع فيه الوقت للتحديث عن نهاية ومصير أولئك الفجار الذين حاربونا، [٣] أي مكسيمينوس نفسه ومن معه .

الفصل الثامن

(١) وظلت العاصفة هائجة ضدنا بصفة مستمرة حتي السنة السادسة . وقبل هذا الوقت كان هنالك عدد وافر جدا من المعترفين بالإيمان في المحجر الذي يسمى بروفيري بطيبة، والذي اشتق اسمه من الحجارة الموجودة هناك . من بين هؤلاء ارسل للوالى بفلسطين سبعة وتسعون رجلا مع النساء والأطفال . ولما اعترفوا بإله الكون وبالمسيح أمر فرمليانوس، الذي كان قد أرسل إلى هناك واليا مكان أوريانوس، بأن يتم تعجيزهم بحرق عضلات مفصل القدم الأيسر، وأن تقلع العين اليمنى ثم تحرق حتى القاع بقضبان حديدية محماة، وهذا بناء على تعليمات الامبراطور . وبعد ذلك أرسلهم إلى المناجم في ذلك الإقليم، ليعانوا مشقة العمل القاسى، والالام العنيفة .

(٢) على أنه لم يكتف بأن يعانى هؤلاء فقط تلك الالام بحرمانهم من أعينهم، بل امتد طغيانه إلى أهل فلسطين أيضا، الذين سبق أن ذكرنا أنهم حكم عليهم بمصارعة الوحوش وقضى بعدم تقديم أى طعام إليهم من المخازن الملكية .

وإذ قدموا لهذا السبب، لا أمام الرؤساء فحسب بل أيضا أمام مكسيمينوس نفسه .

(٣) وأبدوا ثباتا عجيبا جدا في اعترافاتهم بتحمل الجوع والجلدات العنيفة، نالوا قصاصا مماثلا لأولئك السابق ذكرهم، واشترك معهم معترفون آخرون في مدينة قيصرية .

(٤) وبعد ذلك مباشرة ألقى التبض في غزة على آخرين كانوا مجتمعين ليسمعوا الكتاب المقدس، وعانى البعض نفس الالام فى أقدامهم وأعينهم، وقاسى آخرون أهوالا أشد وتعذيبات مبرحة فى جنبهم .

(٣) ورد الحديث عن . . . فى ك ٩ ١ . وأما أوريانوس فلم . . . آخر من . . .

فرمليانوس فقد . . . إلى . . .

(٥) من بين هؤلاء شخصية ممتازة، هي في الجسم امرأة وفي قوة الإدراك رجل، لم تحتل التهديد بالزنى، وهاجمت مباشرة ذلك الطاغية الذي سلم الحكم لقضاة قساة القلوب كأولئك. فجلدت أولا، ثم رفعت إلى فوق على خشبة، ومزق جنبها.

(٦) وإذا كان هؤلاء المعذبون يعذبونها بلا توقف وبقسوة كأمر القاضي برزت امرأة أخرى، وطدت العزم على أن تظل عذراء، وكانت وضعية المظهر محترقة الشكل، ولكنها من الناحية الأخرى قوية النفس، متحلية بقوة ادراك أقوى من جسمها. وإذا لم تحتل أعمال القسوة والوحشية أظهرت بسالة دونها بسالة المحاربين اليونانيين، ثم صاحت إلى القاضي من وسط الإزدحام «إلى متى يطول تعذيبكم القاسى لأختي؟» فاحتدم غضبه وأمر بالقاء القبض على المرأة في الحال.

(٧) وعلى أثر ذلك قدمت، وإذا نادى بنسبها باسم المحلل السرى، طلب منها أولا بالكلام أن تذبح للاوثان. ولما رفضت جروها عنفا إلى المذبح. ولكن أختها مسيرت في غيرتها الأولى، فرفضت المذبح بكل جرأة وشجاعة، وقلبت بما كان عليه من نيران.

(٨) وللحال زار القاضي كوحش مفترس وعذبت بمتتية الفسورة في جنبها مما لم يرتكبه معه أحد آخر من قبل، محاولا أن يشبع نفسه بالتطلع إلى جسمها المسلخ. ولما أشبع جنونه أوثقهما معا، هذه المرأة وتلك التي دعتها أختها، وحكم عليهما بالحرق. ويقال إن الأولى من غزة والثانية، واسمها فالتينا من قيصرية، وكانت معروفة لدى الكثيرين.

(٩) وكيف استطاع وصف الاستشهاد الذي أكرم به بولس المثلث الغبطة وصفا لائقا، فقد حكم عليه بالموت معهما في وقت واحد وبحكم واحد. وفي وقت استشهاديه، وكان منفذ الحكم على وشك قطع رأسه طلب مهلة وجيزة.

(١٠) وإذا منحت له رفع صوتا واضحا أولا، متضرعا لله من أجل زملائه المسيحيين، طالبا لهم الصفح ورد الحرية إليهم سريعا. ثم طلب رجوع اليهود إلى الله بالمسيح. وطلب نفس الطلبة من أجل السامريين. وتضرع من أجل الأميين العائشين في الضلال دون معرفة الله، لكي يعرفوه ويقبلوا الديانة الحقّة. كذلك لم يهمل الجماهير المختلطة الواقعة حوله.

(١١) بعد كل هذه -- يا لقوة الصبر وطول الأناة التي لا يعبر عنها -- توسل إلى إله الكون من أجل القاضي الذي حكم عليه بالموت، ومن أجل أعظم الحكام، وكذا من أجل الشخص الذي كان مريعا أن يقطع رأسه، على مسمع منه وكل الحاضرين، طالبا أن لا تحسب عليهم خطيتهم من نحوه.

(١٢) وإذ صلى من أجل كل هؤلاء بصوت مرتفع، وحرك في الجميع عاطفة الشفقة، وأسأل عيونهم بالدموع كشخص يحكم عليه بالموت ظلماً، استعد للأمر من تلقاء ذاته، ومد عنقه العارية للسيف، فكلل بأكليل الشهادة الإلهية. وقد تم هذا في اليوم الخامس والعشرين من شهر بانيموس، وهو اليوم الثامن قبل بداية أغسطس.

(١٣) هكذا كان ختام حياة هؤلاء الأشخاص. ولكن، بعد ذلك بفترة وجيزة، عانى مائة وثلاثون بطلاً من أبطال الاعتراف بالمسيح، وكانوا من أرض مصر، نفس الآلام في أقدامهم وأعينهم مع الأشخاص السابقين، وذلك في مصر نفسها، وبأمر مكسيمينوس، ثم أرسلوا إلى المناجم السابق ذكرها في فلسطين. ولكن بعضاً منهم حكم عليهم بالشغل في مناجم كيليكية.

الفصل التاسع

(١) بعد أمثال هذه التصرفات النبيلة التي أظهرها شهداء المسيح البارزون، خفت وطأة نيران الاضطهاد، بل أطفأتها دساؤهم الطاهرة، ومنحت الراحة والحرية لمن كانوا يعملون في محاجر طيبة من أجل المسيح، وبدأنا نتنسم هواء نقياً فرصة قصيرة. ولكن بسبب حافز جديد لا أعلمه هاج ثانية ضد المسيحيين ذاك الذي كانت له قوة الاضطهاد.

(٢) وللحال أذيعت في كل مكان بكل مقاطعة رسائل [١] من مكسيمينوس ضدنا. وقد حث الولاة والقائد الحربي القضاة والموظفين في كل المدن - بأوامر ورسائل ومنشورات عامة - لكي ينفذوا أمر الامبراطور القاضي بأن يعاد بناء مذابح الأوثان على جناح السرعة، وأن يقدم جميع الرجال والنساء والأولاد، حتى الأطفال الرضع، الذبائح والسكائب، وأنه يجب بذل كل جهد وعناية لدفعهم على أن يتذوقوا التقديمات الكريهة، وأن ما يباع في السوق يجب أن يندس بسكائب الذبائح، وأن يقف الحراس أمام الحمامات ليدنسوا بالذبائح الكريهة كل من يدخلون للاغتسال فيها.

(٣) ولما بدى بتنفيذ هذه الأوامر تضايق شعبنا جداً في بدء الأمر بطبيعة الحال. وحتى الوثنيون غير المؤمنين استاءوا جداً من قسوة وسخافة لتلك الاجراءات التي بدت في أنظارهم متطرفة وعبثاً ثقيلاً. وعندما اشتدت العاصفة على الجميع في كل الأقطار بعثت قوة مخلصنا الإلهية ثانية جرأة واقداماً وبسالة في نفوس أبطاله حتى استخفوا بالتهديدات.

(١) هذا هو المنشور الخامس.

(٤) وقد انضم ثلاثة من المؤمنين معا واندفعوا نحو الحاكم وهو يذبح للأوثان وصرخوا إليه ليكف عن ضلالتة، مبينين له أنه لا إله آخر سوى بارىء وخالق الكون . ولما سألهم عن شخصيتهم أجابوا بشجاعة بأنهم مسيحيون .

(٥) فاشتد غضب فرمليانوس وحكم عليهم فى الحال بالإعدام دون توقيع أى تعذيب . كان اسم الأكبر أنطونينوس، والثانى زيناس وكان من أهل اليوثيروبوليس، والثالث جرمانوس . وقد حدث هذا فى اليوم الثالث عشر من شهر ديوس أى منتصف نوفمبر .

(٦) وكان مرافقا لهم فى نفس اليوم أناثاس، وهى امرأة من سيثوبوليس تحلت باكليل العذراوية . ضحيح إنها لم تفعل ما فعلوه ولكنهم جروها عنقا وقدموها للقاضى .

(٧) فجلدت وأهينت بقسوة بمعرفة مكسيس . والى الإقليم المجاور . وقد تجرأ على ارتكاب كل هذا دون علم السلطات العليا . وهذا كان رجلا أشهر من اسمه، سفاك دماء، فى منتهى القسوة، مذموما من كل معارفه، هذا الرجل جرد المرأة الفاضلة من كل ملابسها، حتى أنها لم تتغط إلا من حقوبها حتى قدميها، أما باقى جسمها فكان عاريا . ثم قادها فى كل مدينة قيصرية، واعتبره أمرا عظيما أن يضربها بالكراييج وهم يجرونها فى الأسواق .

(٨) وبعد هذه المعاملة أظهرت منتهى الثبات لما مثلت أمام كرسى الحاكم نفسه . وحكم عليها القاضى بالحرق حية . ثم إنه أيضا تهادى فى ثورة غضبه إلى أقصى حد، وتعدى نواميس الطبيعة، إذ لم يخجل من منعه دفن جثث القديسين المجردة من الحياة .

(٩) وهكذا أمر بترك الموتى فى العراء طعاما للوحوش وحراستهم نهارا وليلا . وظل عدد كبير من الرجال يحرسون على مراقبة تنفيذ هذه الأوامر الوحشية الهمجية أياما طويلة، وكانوا يتطلعون من أماكن مراقبتهم للتأكد من أن الأجساد لم تسرق، كان هذا أمر حري بالإهتمام . وصارت الوحوش والكلاب والطيور الجارحة تنثر الأشلاء هنا وهناك، وأصبحت المدينة كلها مليئة بالأحشاء والعظام البشرية .

(١٠) فلم يظهر شيء آخر قط أشد رعبا وهولا حتى فى أعين الذين أبغضونا سابقا . ولو أنهم لم يرثوا لحال الذين ارتكبت ضدهم هذه الأهوال بقدر ما تألموا للتكثير بسبب الثورة ضدهم شخصا وضد شركائهم فى الطبيعة البشرية .

(١١) فقد كانت ترى بجانب الأبواب مناظر يجل عنها كل وصف، لأن لحوم البشر لم تلتهم فى مكان واحد فحسب، بل كانت تتناثر فى كل مكان، حتى قال البعض إن الأشلاء وكتلا لحمية وبعض أجزاء من الأحشاء كانت ترى حتى داخل البوابات .

(١٢) وبعد أن استمرت هذه الأمور أياما عدة حدث حادث عجيب . كان الجو صافيا براقا، ومنظر السماء رائقا جدا . وإذ بنقط ماء كثيرة تسقط كالدموع فجأة من الأعمدة التي تستند عليها الأقيّة العامة وذلك في كل أرجاء المدينة . وابتلت الأسواق والشوارع، وبالرغم من عدم وجود ضباب في الجو، برذاذ من الماء لست أعلم من أين جاء . عندئذ قيل في الحال في كل مكان إن الأرض لم تحتمل هذه القبائح فسكبت الدموع بكيفية سرية، وإن الحجارة والأخشاب عديمة الحياة بكّت بسبب ما حدث، وذلك توبيخا لطبيعة الناس عديمة الإحساس التي لم تعرف سيلا للرحمة . وأنا أعلم جيدا أن هذه الرواية قد تبدو خرافية في نظر من يأتى بعدنا، ولكنها ليست كذلك في نظر الذين تأيد لهم الحق في ذات الوقت .

الفصل العاشر

(١) وفي اليوم الرابع عشر من شهر أبلايوس التالي، أى التاسع عشر قبل أول يناير، ألقى القبض ثانية على بعض أشخاص من مصر بمعرفة من كانوا يفحصون كل من يجتاز الأبواب . وكانوا قد أرسلوا لخدمة المعترفين في كيليكية . فحكم عليهم بنفس الحكم الصادر ضد من أرسلوا لخدمتهم، إذ شوهوا في عيونهم وأقدامهم . وقد أظهر ثلاثة منهم في أشقلون، حيث سجنوا، شجاعة عجيبة جدا في تحمل أنواع الاستشهاد المختلفة . حكم على أحدهم، واسمه ارس، بالطرح في النار، وقطعت رأسا الباقيين، واسمهما برويس والياس .

(٢) وفي اليوم الحادى عشر من شهر أودينيوس، وهو اليوم الثالث قبل منتصف يناير، وفي نفس مدينة قيصرية، قدم بطرس الناسك الملقب أبشالوم برهانا، بالنار، على إيمانه بمسيح الله، وكان بطرس هذا من قرية انيا على حدود اليوثيروبوليس، وكان كالذهب الخالص . وبالرغم من أن القاضى، ومن حوله رجوه مرارا أن يشفق على نفسه وينجى شبابه، فإنه لم يبال بهم، مفضلا الرجاء في إله الكون على كل شيء، بل على الحياة نفسها . وفي نفس الوقت كان هنالك شخص اسمه اسكلبيوس، يزعم أنه أسقف من شيعة مركيون، ويعتقد أنه غيور على المسيحية، «ولكن ليس حسب المعرفة» [١] وهذا ختم حياته حرقا بنفس الطريقة . هذا ما كان من هذه الأمور التي تمت على هذا النحو .

الفصل الحادي عشر

- (١) وقد حان الوقت الآن لوصف منظر بمفيلوس [١] ارائع، وهو رجل عزيز على جدا، ومنظر الذين كملوا جهادهم معه . كانوا كلهم اثني عشر، إذ حسبوا خليقين بالنعمة الرسولية وعدد الرسل .
- (٢) كان بمفيلوس قبايدهم، والوحيد الذي أكرم بركة القسوسية في قيصرية . وقد اشتهر بكل فضيلة جميع أيام حياته، ونبذ العالم واحتقاره، واشراك للمحتاجين في ممتلكاته، والأزدراء بكل الأمجاد الأرضية، والحياة الفلسفية النسكية . وفاق الجميع في عصرنا بصفة خاصة في الإنكباب على الأسفار الإلهية، والجهد الذي لا يكل في كل ما يعهد إليه . ومساعدته لأقاربه ومعارفه .
- (٣) وفي مؤلف خاص عن حياته، متضمن ثلاثة كتب، بينا سمو فضيلته، وإذا لفتنا الآن أنظاراً محبى الأطلاع إلى هذا المؤلف، لتأمل في الشهداء بالترتيب .
- (٤) لقد نزل فالس إلى ساحة الكفاح، وهو الثاني بعد بمفيلوس . وكان مكرماً من أجل نسبته الوقورة . وكان شماساً من اليسا، [٢] متقدماً في السن، منظره في غاية الوقار، واسع الاطلاع على لأسفار الإلهية أكثر من أى شخص آخر . حفظها على ظهر قلب حتى أنه لم يكن فى حاجة لتدريج إتيها إن أراد استعادة أية فقرة من الكتاب المقدس .
- (٥) والثالث بولس من مدينة يثا . اشتهر بينهم بشدة غيرته وحرارة روحه . وقبل استشهاده عنى الأمرين بالكى بالنار .
- وبعد أن ظل هؤلاء فى السجن سنتين كاملتين وصل بعض الاخوة من مصر وقت استشهاده واشتركوا معهم فى آلامهم .
- (٦) وكانوا قد رافقوا المعترفين فى كيليكية للعمل معهم فى مناجمها، ثم شرعوا فى العودة لأوطانهم . وفى مدخل أبواب قيصرية سألهم الحراس - وكانوا ذو أخلاق شرسة - عن شخصيتهم والمكان الذى قدموا منه . فقالوا الحق، وقبض عليهم كمجرمين متلبسين بجريمتهم . وكانوا خمسة .
- (٧) ولدى مثلهم أمام الطاغية أظهروا أمامه منتهى الجرأة، فدفعوا إلى السجن فى الحال . وفى اليوم التالى، وكان موافقاً التاسع عشر من شهر بيريتيوس، أو الرابع عشر قبل شهر مارس بحساب الرومانيين، قدموا إلى القاضى ومعهم بمفيلوس ورفقاؤه السابق ذكرهم . وفى بداية الأمر اختبر ثبات هؤلاء المصريين الذى لم يلن، وذلك بكل أنواع التعذيب، وباختراع آلات غريبة متنوعة .

(٨) وبعد توقيع هذه الأحوال على زعيمهم سأل أولاً عن شخصيته . واجابة على هذا سمع اسم نبي معين بدلا من اسمه . لأنه جرت العادة تلقب أنفسهم بأسماء أخرى بدل الأسماء الوثنية التي أطلقها عليهم آباؤهم إن كانت هنالك أسماء كهذه قد أطلقت عليهم . فكنت تسمعهم يلقبون أنفسهم ايليا أو ارميا أو اشعيا أو صموئيل أو دانيال، مظهرين بأنهم في الحقيقة يهود لا غش فيهم واسرائيل الله الحقيقيون، لا بالأعمال فقط بل أيضا بالأسماء التي حملوها . ولما سمع فرمليانوس اسما كهذا من الشهيد ولم يكن يعرف قوة الكلمة سأل عن اسم مملكته .

(٩) غير أنه أعطى جوابا آخر مماثلا للأول قائلا إن اورشليم هي وطنه، معنا بذلك قول بولس «وأما اورشليم العليا التي هي أمتنا جميعا فهي حرة» [٣] وأيضا «قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي اورشليم السماوية» [٤]

(١٠) هذا ما قصده . ولكن القاضى إذ افترق في الأرضيات سعى بإجتهاد أن يعرف أية مدينة هي هذه، وموقعها في العالم . ولذلك لجأ إلى التعذيب، ليعترف بالحقيقة . وأما الرجل، وكانت يدها مربوطتين خلف ظهره، وقدماه مضغوطتين بماكينة غريبة، فقد أكد أنه تكلم الحق .

(١١) وإذا سئل مرارا عن المدينة التي تحدث عنها وموقعها قال إنها وطن الأتقياء فقط، لأنه لا يدخلها آخرون، وإنها تقع في الشرق البعيد في مشرق الشمس .

(١٢) وقد تحدث عن هذه الأمور بفلسفته وفق ادراكه، ولم يستطيعوا أن يزحزحوه قيد شعرة بالتعذيبات التي أوقعوها على كل من جنيته . ولم تظهر عليه علامات الشعور بالامه كأنه لم يكن له لحم أو جسيم . وإذا تحير القاضى لم يطق صبرا، ظانا أن المسيحيين معتمرون تأسيس مدينة في مكان ما معادية للرومانين . فاستعلم كثيرا عن هذا، وسأل أين توجد تلك البلاد التي في الشرق .

(١٣) وعندما مزق جسم الشاب بجلدات قاسية طويلا، وعذبه بكل أنواع التعذيب، وجد أنه لم يتزحزح عن اصراره على أقواله، وحكم عليه بالموت . هذا هو المنظر الذي مثلوه مع هذا الشخص . وبعد تعذيب الباقيين تعذبا مماثلا تصرف معهم بنفس الكيفية .

(١٤) ولما كلت قواه، وأدرك أن تعذيبه لهؤلاء الأشخاص غير مجد، وكان قد أشبع رغبته، تقدم إلى بمفيلوس ورفاقه، وعندما علم أنهم سبق أن أظهروا غيرة من نحو الإيمان لا تتزحزح رغم التعذيب الشديد، سألهم عما إذا كانوا مستعدين أن يطيعوا الإن . ولما تلقى من كل واحد هذه الإجابة الواحدة، كآخر كلمة يشهدون بهافي استشهادهم، حكم عليهم بنفس عقوبة الآخرين .

(١٥) وإذا تم هذا كان هنالك شاب من خدم بمفيلوس تربى فى الحياة الفضلى التى هذبه فيها سيده . هذا لما علم بالحكم الذى حكم به على سيده صرخ وسط الازدحام طالبا دفن أجسادهم .

(١٦) وللحال برهن القاضى على أنه لم يكن انسانا بل وحشا ، أو أشد وحشية من الوحش ، ولم يراع من الشاب ، وسأله نفس السؤال . ولما رأى أنه قد اعترف بأنه مسيحى ثار ثورة عنيفة كأنه قد جرح بسهم حاد ، وأمر المعتدين باستعمال أقصى قوتهم معه .

(١٧) ولما رأى إنه رفض الذبح للأوثان كما أمر ، أمرهم بكشط جلده بصفة مستمرة حتى يصلوا إلى العظم والأحشاء ، كأنه لم يكن لحما بشريا ، بل حجارة ، أو خشبا ، أو أى شىء عديم الحياة . وبعد ثبات طويل رأى أن كل ذلك عبث ، لأن الرجل فقد النطق والشعور بعد أن أصبح جسده منهوك القوى بسبب التعذيب .

(١٨) وإذا كان القاضى عديم الشعور ، لا يمتلك ذرة من الإنسانية ، أمر بوضعه فى نار بطيئة ، ففارقت روحه الجسد قبل موت سيده الأرضى ، رغم أنه دخل المعمة بعده . وكان الأشخاص الذين أظهروا غيره من أجل الآخرين يتظرون دورهم .

(١٩) وهكذا كان المرء يستطيع أن يرى بروفيرى [٥] كرجل خرج ظافرا من كل موقعة ، جسده مغطى بالتراب ، أما طلعتة فقد كانت باشة رغم كل تلك الآلام ، متقدما للموت بشجاعة نادرة وثبات عجيب . وإذا كان ممتلئا بالروح القدس ، مرتديا الثوب الفلسفى الذى تغطى به كعباءة ، أو ما إلى أصدقائه يرزاة عما أراد ، محتفظا بيشاشة الوجه حتى وهو مشدود على الخشبة التى أعدت له . وعندما أشعلت النيران حوله فى شكل دائرة وعلى بعد قليل منه ، وصار يستنشق اللهب فى فمه ، ظل مستمرا فى صمته ببسالة نادرة منذ تلك اللحظة حتى مات بعد الكلمة الوحيدة التى نطق بها إذ مسته اللهب ، صارخا وطالبا معونة يسوع ابن الله . هكذا كان نضال بروفيرى .

(٢٠) وقد نقل رسول اسمه سلوكس أنباء موته إلى بمفيلوس . وكان هذا الرسول أحد المعترفين فى الجيش . ولأنه حمل رسالة كهذه اعتبر فى الحال مستحقا لنفس المصير . لأنه حالما روى أنباء موت بروفيرى ، وحيا أحد الشهداء بقلبه ، ألقى بعض الجنود القبض عليه ، وقادوه إلى الوالى ، الذى أمر بموته فى الحال ، كأنه أراد أن يعجل فى رقعة سابقة فى الطريق إلى السماء .

(٢١) كان هذا الرجل من كبادوكية، وكان من زمرة الجنود المختارة، ونال حظا وافرا في النواحي المعتبرة بين الرومانيين. إذ كان يفوق أقرانه الجنود في القامة والقوة البدنية والفخامة والشجاعة، حتى كان مظهره موضوع حديث الجميع، وشكله موضوع إعجابهم بسبب حجمه وتناسب أجزاء جسمه.

(٢٢) وفي بداية الاضطهاد برز جدا في نضال الاعتراف، وذلك بصبره على الجلدات التي تحملها. وبعد ترك الجيش وضع نصب عينيه الاقتداء بالنسك، وظهر كأنه أسقف ونصير للآيتام والأرامل اللواتي لا سند لهن، وللمتألمين بسبب الفقر أو المرض، كأنه أباهم وولى أمرهم. ولعله لهذا السبب اعتبر خليقا بدعوة خاصة للاستشهاد وجهت إليه من الله الذي يسر بهذه الأمور أكثر من دخان الذبائح ودمائها.

(٢٣) وكان هو العاشر بين الأبطال الذين سبق أن ذكرنا أنهم أنهوا حياتهم في يوم واحد. في هذا اليوم لاق بأن يفتح الباب الرئيسي الموصل إلى ملكوت السماء لدخول الشهيد بمفيلوس ومن معه.

(٢٤) وعلى أثر سلوكس جاء ثيودولس، وهو شيخ تقى وقور، كان أحد خدم الوالى، احترامه فرمليانوس نفسه أكثر من كل من فى بيته بسبب تقدمه فى السن، ولأنه كان أباً للجيل الثالث، وأيضا بسبب الرقة واللفظ والأمانة التى أظهرها نحوه. وإذ اقتفى آثار سلوكس لما قدم أمام سيده غضب عليه سيده أكثر مما غضب على من تقدموه، وحكم عليه بالاستشهاد على الصليب كالمخلص.

(٢٥) وإذ كان عدد الشهداء السابق التحدث عنهم يتقصه واحد ليكملوا اثنى عشر جاء يوليانوس لتكلمته. وكان قد وصل مباشرة من الخارج، ولم يكدر يدخل باب المدينة حتى سمع بالشهداء، وهو لا يزال فى الطريق، فاندفع فى الحال ليراهم. ولما رأى هياكل القديسين منبطحة على الأرض عانقهم وقبلهم جميعا ممتلئا فرحا.

(٢٦) أما سفاكو الدماء فقد ألقوا القبض عليه فى الحال وهو يفعل هذا، ثم ساقوه إلى فرمليانوس. وكعادته حكم عليه بالطرح فى نار بطيئة. وعلى أثر هذا قفز يوليانوس فرحا. وبصوت مرتفع شكر الرب الذى حسبه أهلا لمثل هذه الأمور، ونال اكليل الشهادة.

(٢٧) وقد كان كبادوكيا مولدا، وفى سلوكه حريصا، أمينا مخلصا، غيورا فى كل النواحي، مقودا بالروح القدس نفسه.

هكذا كانت الجماعة التى حسبت خليفة بالاستشهاد مع بمفيلوس.

(٢٨) وبأمر الحاكم الفاجر تركت أجسادهم الطاهرة المباركة طعاما للوحوش مدة أربعة أيام وأربع ليالٍ والغريب أنه بعناية خاصة من الله لم يقترب إليها شيء، لا وحوش ضارية، ولا طيور جارحة، ولا كلاب، ولذا رفعت سليمة، وبعد الاستعدادات المناسبة دفنت بالطريقة العادية.

(٢٩) ولما أذيعت في كل مكان أنباء ما تم لهؤلاء الأشخاص، أتى اديانوس ويوبوليس من المملكة التي تدعى منجانيا إلى قيصرية لرؤية المعترفين الباقين، فسئلا أيضا في باب المدينة عن سبب مجيئهما، وإذا اعترفا بالحق قدما إلى فرمليانوس. أما هو فكعادته عذبهما من دون إبطاء بتعذيب شديد في أجنابهما، ثم حكم عليهما بالطرح للوحوش.

(٣٠) وبعد يومين، في اليوم الخامس من شهر ديستروس، أي الثالث قبل التاسع من مارس، وكان معتبرا يوم ميلاد الإله الحارس لقيصرية، طرح اديانوس لأسد، ثم قتل بالسيف فيما بعد. أما يوبوليس فقد قُدم كزميله للوحوش، وذلك بعد يومين، أي في التاسع من مارس، أو السابع من شهر ديستروس، وبعد أن رجاء القاضي أن يتمتع بالحرية المزعومة وذلك بأن يذبح للأوثان، فضل الموت الشريف من أجل الإيمان عن الحياة الزائلة. فطُرح للوحوش كزميله. وكان آخر الشهداء في قيصرية، فختم قائمة الأبطال.

(٣١) ومن المناسب هنا أيضا أن تروى كيف أن غضب السماء حل في وقت وجيز على الولاة الفجار، وكذا على الطغاة أنفسهم. لأن فرمليانوس هذا نفسه الذي أساء إلى شهداء المسيح قتل بالسيف بعد أن غانى أقصى قصاص مع الآخرين.

هكذا كانت حالات الاستشهاد التي حدثت بقيصرية أثناء كل فترة الاضطهاد.



الفصل الثاني عشر

ولعله من الأفضل التجاوز عن جميع الحوادث الأخرى التي حدثت في نفس الوقت كتلك التي حدثت لأساقفة الكنائس الذين عوضا عن رعاية قطع المسيح العاقلين الذين ترأسوا عليهم بطريقة غير لائقة جعلهم العدل الإلهي حارسي جمال، [١] تلك الحيوانات غير العاقلة، المعوجة جدا في هيئة جسمها، أو دفعهم للعناية بخيل الامبراطور. والتجاوز أيضا عن الأهانات والتعيرات والتعذيبات التي تحملوها من رؤساء وحكام الامبراطورية بسبب أواني الكنيسة المقدمة وخزائنها. وعلاوة على هذه شهوة السلطة التي بدت من الكثيرين، والرسامة غير الشرعية، والانشقاقات بين المعترفين أنفسهم. وأيضا البدع التي اخترعت باحكام ضد البقية في الكنيسة، التي ابتدعها الأعضاء الجدد المشاغبون، الذين أضافوا بدعة على بدعة، ودفعوها في الكنيسة بين مصائب الاضطهاد، مكومين مصيبة فوق مصيبة. وأراه من اللائق تجنب وتحاشي وصف هذه الأمور كما قلت في البداية [٢] والاقتصار على ذكر تلك الأمور النيلة التي تستحق المدح، وفقا للكلمة المقدسة «إن كانت فضيلة وإن كان مدح» [٣] إنني اعتبره أكثر لياقة إن أروى وأكتب وأقدم للسامعين من المؤمنين أبناء الشهداء الأبطال. وبعد ذلك أرى أنه من الأفضل توزيع الكتاب كله بالتحدث عن السلام الذي ظهر لنا من السماء.

الفصل الثالث عشر

(١) ولما تمت السنة السابعة في نضالنا بدأت تخف تدريجيا وطأة الاجراءات العدائية التي استمرت حتى السنة الثامنة. كان قد جمع عدد عظيم من المعترفين، وأتى بهم إلى مناجم النحاس في فلسطين، وكانوا يتصرفون بجرأة عظيمة حتى إنهم بنوا أماكن للعبادة. أما حاكم الإقليم، وكان رجلا شريرا قاسيا، كما دل على ذلك تصرفه مع الشهداء، فإنه لما أتى هناك وعلم بالأمور التي تمت، نقلها إلى الامبراطور، وكتب ما راق له من اتهامات.

(٢) ولأنه كان قد عين مشرفا على المناجم قسم جماعة المعترفين، كما لو كان بأمر ملكي، وأرسل البعض للإقامة في قبرص، وآخرين إلى لبنان، وشئت آخرين في أنحاء مختلفة من فلسطين، وأمرهم بالعمل في أعمال مختلفة.

(١) كان من ضمن القصصات بين الرومانيين أن يحكم على الأحرار بالعناية بخيل الامبراطور وجماله والقيام بأعمال

(٣) (في ٤ : ٨).

(٢) ك ٨ ف ٢ : ٢ و ٣.

أخرى مماثلة.

(٣) واختار الأربعة الذين بدا له أنهم هم القسادة، وأرسلهم إلى قائد الجيوش في ذلك الاقليم . وهؤلاء هم ييلوس ونيلوس [١] وهما أسقفان مصريان، ثم قس، وشخص آخر يدعى بترموثيوس، كان معروفا بغيرته نحو الجميع . فأمرهم قائد الجيش بانكار الإيمان، ولما رفضوا حكم عليهم بالموت حرقا .

(٤) وكان هناك آخرون حكم عليهم بالاقامة في مكان منعزل، وهؤلاء هم المعترفون الذين بسبب تقدمهم في السن أو تشوه أجسادهم أو ضعفات بدنية أخرى أعفوا من الخدمة وقد ترأس عليهم سلواتس، وهو أسقف من غزة، وقدم مثالا حيا للمسيحية الحقّة .

(٥) وإذ برز هذا الرجل بسبب اعترافاته في كل أنواع الكفاح، من أول يوم في الاضطهاد حتى نهايته، حافظت عليه العناية كل ذلك الوقت لكي يكون خاتمة كل الكفاح في فلسطين .

(٦) وكان معه كثيرون من مصر، بينهم يوحنا الذي فاق أبناء عصرنا في قوة الذاكرة . وكان قد فقد نظره من قبل . ومع هذا فإنه بسبب سموه في الاعتراف أتلفت قدمه بالكي مع غيره، وبالرغم من فقد بصره فقد حكم عليه بنفس الحكم بالطرح في النار، وكانت كل تصرفات المعذنين بلا رحمة ولا شفقة، بل في منتهى القسوة والوحشية .

(٧) ولأنه هكذا كانت طبيعة هذا الشخص فإن المرء لا يدهش بسبب طباعه وحياته الفلسفية، أو بسبب قوة ذاكرته . لأنه نقش أسفارا برمتها من الكتاب المقدس «لا في ألواح حجرية» كما يقول الرسول المبارك، ولا على جلود حيوانات، ولا على ورق يبله السوس والزمن، بل في ألواح قلب لحمية» [٢] في نفس نقية شفاقة، وفي بصيرة القلب الطاهرة . حتى بذلك يتمكن من استعادة أية فقرة من الكتاب سواء من التاموس، أو الأنبياء، أو الأسفار التاريخية، أو الأناجيل، أو كتابات الرسل، في أي وقت أراد، كما من كثر مليء بالكلمات .

(٨) واعترف بأنني قد ذهلت عندما رأيت الرجل لأول مرة، إذ كان واقفا وسط جماعة كبيرة يردد بعض فقرات من الكتاب المقدس . وعندما سمعت صوته فقط خيل إلى أنه كان يقرأ حسب العادة المتبعة في الاجتماعات . ولكن لما اقتربت منه وأدركت ما كان يفعل، وشاهدت جميع الباقيين وقوفا حوله بأعين سليمة بينما كان هو لا يستخدم سوى عيني قلبه، ومع ذلك فكان يتكلم طبيعيا كني، ويفوق جدا سليمي الأجساد، كان من المستحيل إن لا أجد إله، وأدهش كل الدهشة . وبدا لي أنني أرى في هذه الأمور تأييدا قويا لتلك الحقيقة وهي إن الرجولة الحقّة لا تتضمن في الهيئة الجسمية بل في النفس والفهم وحدهما، لأنه بجسمه المشوه أظهر سمو وعظمة القوة التي كانت بداخله .

(١) بخصوص ييلوس ونيلوس انظر ك ٨ ف ١٣ . وقد دعى ييلوس أيضا بولس .

(٢) (٢) (٢ كور ٣ : ٣) .

(٩) أما الذين ذكرنا عنهم أنهم أقاموا في مكان منعزل، متممين واجباتهم العادية نحو الصوم والصلاة والممارسات الأخرى، فقد رأى الله نفسه أنه من المناسب أن يكرمهم بأن يمد لهم يمينه استجابة لهم، فإن العدو اللدود، الذي تحصنوا ضده بقوة بصلواتهم لله، لم يعد يطيقهم وعزم على قتلهم وبادتهم عن وجه الأرض لأنهم أتعبوه.

(١٠) وقد سمح له الله بإتمام هذا دون أن يصدده عن الشر الذي أراده، لكي يتألوا جزاء كفاحهم الطويل. لذلك قطعت رؤوس تسعة وثلاثين في يوم واحد بناء على أمر مكسيمينوس اللعين.

(١١) تمت حالات الاستشهاد هذه في فلسطين في ثمانية أعوام كاملة. وهذا هو وصف الاضطهاد الذي حدث في أيامنا، وإذ بدأ بهدم الكنائس، ازداد جدا بقيام الحكام ضدنا من وقت لآخر. في هذا الهجوم استشهد الكثيرون جدا ممن جاهدوا لأجل الإيمان في الأقطار الممتدة من ليبيا، وكل أرجاء مصر وسوريا، ومن الشرق إلى الليريكون.

(١٢) أما الممالك الأبعد، كإيطاليا وصقلية وبلاد الغال، والأقطار التي في غروب الشمس كاسبانيا وموريتانيا وأفريقيا، فقد عانت آلام الاضطهاد أقل من ستين، واعتبرت خليقة بالسلام وافتقاد العناية الإلهية في وقت أسرع. وأشفقت السماء على وحدة قصد هؤلاء الناس وإيمانهم.

(١٣) لأن ما لم يدون قط من قبل في تواريخ الحكومة الرومانية حيث أولا في أيامنا بعكس كل انتظار، إذ انقسمت الامبراطورية إلى قسمين [٣] أثناء الاضطهاد الذي حدث في أيامنا. وقد تمتع بالسلام الاخوة المقيمون في الأقطار السابق التحدث عنها، أما المقيمون في الأرجاء الأخرى فقد تحملوا المحن التي لا حصر لها.

(١٤) ولكن عندما تعطفت النعمة الإلهية وأظهرت رعايتها من نحونا أيضا غير حكامنا تفكيرهم بكيفية عجيبة ونشروا منشورا [٤] بالغاء الاجراءات السابقة، مع أنهم هم بعينهم الذين شنوا علينا الحرب من قبل. وبأوامر رقيقة، وقرارات حكيمة، أطفأوا النيران السابق اشعالها لالتهامنا. وكان لزاما علينا الإشارة إلى هذا.

انتهى كتاب يوسابيوس بمفيلي

عمن استشهدوا في فلسطين

(٣) بخصوص تقسام الامبراطورية إلى قسمين انظر ك ٨ ف ١٣.

(٤) هو الذي أصدره غالوريوس في ربيع سنة ٣١١. انظر ك ٨ ف ١٧.

الكتاب التاسع

الفصل الأول

الهدنة المزعومة

(١) أما أمر الالغاء الامبراطورى [١] السابق الاشارة إليه فقد علق فى جميع أرجاء آسيا، والأقطار المجاورة. وبعد هذا رأينا مكسيمينوس الطاغية فى الشرق، وهو رجل لم يوجد أشرم منه، عدو لدود لديانة إله الكون، لم يعجبه مطلقا محتويات الأمر المذكور، ولذلك فإنه بدلا من ارساله إلى الولاية الخاضعين له أعطاهم أوامر شقوية لتخفيف وطأة الحرب ضدنا.

(٢) لأنه إذ لم يستطع بأي حال مقاومة قرار رؤسائه، وأخفى الأمر الصادر، وحرص على عدم اظهاره فى المنطقة الخاضعة له، أعطى أمرا شقويا للولاية الخاضعين له بتخفيف الاضطهاد ضدنا. أما هم فقد نقلوا الأمر إلى بعضهم البعض كتابة.

(٣) وقد نقل ساينوس على الأقل رغبة الامبراطور إلى ولاية الأقاليم فى رسالة لاتينية. وكان ساينوس هذا يحتل أرفع منصب بينهم. وهاك ترجمة الرسالة:

(٤) «لقد سبق لأصحاب الجلالة سادتنا المبجلين الأباطرة إن وجهوا تفكير كل الناس بصفة مستمرة وغير متأججة للسلوك فى سبيل الحياة التقية المستقيمة، حتى يقدم العبادة الواجبة للالهة الخالدة أولئك أيضا الذى يعيشون حياة لا تتفق مع الرومانيين. على أن عناد البعض وعزمهم الذى لا يلىق ذهباً إلى أبعد حد حتى إنهم لم يتحولوا قيد شعرة عن قصدهم رغم ما أعطى إليهم من أوامر، ولا خارت نفوسهم رغم ما هددوا به من قصاص.

(٥) «ونظرا لأن الكثيرين عرضوا أنفسهم للخطر بمثل هذه التصرفات، فإن أصحاب الجلالة، سادتنا العظماء الأباطرة بسبب ما جبلوا عليه من نبيل وتقوى وجدوا أنه مما يتنافى مع مقاصد جلالتهم أن يعرضوا أناسا للخطر لسبب كهذا، فأمرُوا خادمتهم الأمين، أقصد شخصى، لكى أكتب إلى قطنتك بأنه إن وجد أى مسيحي منشغلا فى العبادة التى يتمسك بها شعبه وجب عليك أن لا تزعمجه أو تعرضه للخطر، وإن لا تظنه ضروريا أن تعاقب أى واحد لهذا السبب. فقد دل الاختبار الطويل على أنهم لن يترحزوا عن تصميمهم بأي حال.

(٦) لذلك أحرص على أن تكتب لأولياء الأمور والقضاة ورؤساء كل مدينة لكي يعرفوا أنه ليس من الضروري أن يهتموا فيما بعد بهذا الأمر.

(٧) وبناء على هذا اعتقد أن القصد من الكتابة قد أصبح معلوما لهم يقينا، فنقلوا الرغبة الامبراطورية إلى الولاة والقضاء والرؤساء في كل اقليم كتابة . على أنهم لم يقتصروا على الكتابة بل سعوا بأسرع ما يمكن لإتمام رغبة الامبراطور المزعومة بالإفعال أيضا . فوهبوا الحرية لمن سبقوا أن سجنوهم من أجل اعترافهم بالله، وأطلقوا سراح من كانوا قد أرسلوهم إلى المناجم للاقتصاص منهم، لأنهم ظنوا خطأ أن هذه هي ارادة الامبراطور الحقيقية .

(٨) ولما تمت هذه الأمور على هذا الوجه كان المرء يستطيع أن يرى في كل مدينة - كنور أنتو - في ليلة مظلمة - الجماهير مجتمعة، والجماعات مكتظة، والاجتماعات تعقد حسب عاداتهم . ودهش كل واحد من الوثنيين غير المؤمنين دهشة عظيمة، متعجبين من هذا التحول العجيب، ومعلنين بأنهم المسيحيين إله عظيم، وأنه هو الإله الحق وحده .

(٩) وظهر ثانية بعض من شعبنا ممن تحملوا نيران الاضطهاد بشجاعة وأمانة، مظهريين كل صراحة وبسالة الجميع . أما الذين اعتل إيمانهم وتزعزعت نفوسهم أمام العاصفة فقد طلبوا الشفـ بالخاص، متوسلين إلى الأقوياء أن يمدوا إليهم يد الخلاص، ومتضرعين إلى الله ليرحمهم .

(١٠) وعندئذ عاد أيضا إلى أوطانهم أولئك الأبطال النبلاء الذين كانوا قد أرسلوا إلى المناجم، وذلك بعد منحهم الحرية . وكانوا يمشون في كل مدينة معبرين عن فرحهم، وممثلين سرورا لا يعبر عنه، وجراة لا تفصح عنها الكلمات .

(١١) وكان بينهم في رحلتهم جماهير كثيرة في الطرق العامة والأسواق، مسبحين الله بترانيم ومزامير، وكنت ترى أولئك الذين كانوا قبل ذلك بقليل قد طردوا من أوطانهم في قيود بمتهى القسوة، عائدين إلى بيوتهم بوجوه باشة، لدرجة أن هنأنا على ما حدث حتى أولئك الذين كانوا يتعطشون لدمائنا من قبل، وذلك عندما رأوا تلك الأمور العجيبة غير المتوقعة .



الفصل الثاني

رد الفعل الذي حدث عقب ذلك

(١) على أن الطاغية الذي حكم الأقطار الشرقية كما قلنا، مبغض الصلاح، وعدو كل رجل فاضل، لم يعد يحتمل هذا - والواقع أنه لم يسمح بأن تسير الأحوال على هذا المتوال سوى ستة أشهر [١] - فاخترع كل وسيلة ممكنة لتدمير السلام، وحاول في بداية الأمر أن يصدنا عن الاجتماع في المقابر متذرعا بحجة معينة [٢].

(٢) وعندئذ أرسل - بتحريض من بعض الأشرار - سفارة إلى نفسه ضدنا، محرضا أهل انطاكية بأن يطلبوا منه منة عظمى هي أن لا يسمح للمسيحيين بأي حال من الأحوال بالاقامة في بلادهم، وحرّض غيرهم سرا ليفعلوا نفس الأمر - وكان ثيوتكنس [٣] هو مدبر كل هذا في انطاكية - وهو رجل صارم وشرير ودجال، لا تتفق صفاته مع اسمه [٤] ويبدو أنه كان والي المدينة.

الفصل الثالث

التمثال الذي أقيم حديثا في أنطاكية

وبعد أن أشهر هذا الرجل كل أنواع الحرب ضدنا، وأمر بالحث عن شعبنا في مخابنتهم كأنهم لصوص أئمة، ولفق كل أنواع المذمة والتهم ضدنا، وقتل عددا وفيرا، أقام أخير تمثالا للجوبيتر فيليوس مع بعض الشعوذات والأعمال السحرية، وبعد أن اخترع للتمثال صورة دنسة من التعاليم والأسرار المنذرة بالشر، ووسائل بغیضة للتطهير، عرض شعوذته بأقوال ادعى أنه مستعد للنطق بها حتى للامبراطور - ويتملقات أرضت الحاكم هيّج الشياطين ضد المسيحيين قائلا إن الإله أمر بطرد المسيحيين - كأعداء له - خارج حدود المدينة والأقاليم المجاورة .

(١) صدر قرار غالوريوس في ابريل سنة ٣١١ (ك ٨ ف ١٧) ولذا فيكون تغيير مكسيمين لخطته قد تم حوالي شهر اكتوبر .

(٢) لعل هذه الحجة أن الاجتماعات الليلية في قبور الشهداء بما يتبعها من تحمس وغيره غير مرغوب فيها .

(٣) قيل بأنه مرتد عن المسيحية . (٤) كلمة ثيوتكنس معناها ابن الله .

الفصل الرابع

التذكارات التي أقيمت ضدنا

- (١) والواقع إن نجاح الرجل الذي تزعم هذه الحركة أغرى كل الموظفين الآخرين في المدن الواقعة في نفس المنطقة لاقامة تذكارات مماثل . وإذ رأى حكام المقاطعات أن هذا يرضى الامبراطور اقترحوا على رعاياهم أن يفعلوا نفس الأمر .
- (٢) ولما أعلن الطاغية بأمر ملكي رضاه على تصرفاتهم اشتعلت نيران الاضطهاد ضدنا من جديد . وأقام مكسيمينوس نفسه الكهنة للتماثيل في المدن ورؤساء كهنة أيضا . وهؤلاء الاخرون أخذوا من أبرز الشخصيات في الحياة العامة، الذين أظهروا براعة في كل المراكز التي احتلوها، والذين اشتعلوا غيرة لخدمة التماثيل التي عبدوها .
- (٣) وبالإيجاز إن خرافات الامبراطور الشاذة دفعت في الواقع كل رعاياه - حكاما وشعبا - لارتكاب كل شيء ضدنا ارضاء له ؛ ظانين أنهم يمكنهم اظهار شكرهم له من أجل كل ما نالوه منه من امتيازات بتدبير القتل ضدنا واظهار أي علامات جديدة للحقد علينا .

الفصل الخامس

سفر الأعمال المزور

- (١) وإذ زوروا سفرا عن أعمال بيلاطس ومخلصنا، مليئا بكل أنواع التجديف على المسيح، أرسلوه بموافقة الامبراطور، إلى كل أرجاء الامبراطورية الخاضعة له، مع أوامر كتابية تأمر بأنه يجب تعليقه علنا أمام أنظار الجميع في كل مكان، في الريف والمدن، وأن المدرسين يجب أن يعلموه لتلاميذهم، بدلا من دروسهم العادية، وأنه يجب دراسته وحفظه عن ظهر قلب .
- (٢) وإذ كانت هذه الأمور تحدث تقدم قائد حربي آخر يسميه الرومانيون دكس وألقى القبض على بعض النسوة الساقطات في سوق دمشق بفينيقية، ويتهددهم بالتعذيب ألزمهن على كتابة تصريح بأنهن كن قبلا مسيحيات، وأنهن كن يرتكبن أعمالهن الفاضحة، وكن يرتكبن الرذيلة في ذات كنائسهن، وصرحن بمثالب أخرى كثيرة ضد ديانتنا كما أرادهن أن يقلن . وأخذ آخر أقوالهم كتابة نقلها إلى الإمبراطور الذي أمر بإذاعة هذه الوثائق أيضا في كل مكان وفي كل مدينة .

الفصل السادس

أولئك الذين استشهدوا في ذلك الوقت

(١) وبعد ذلك بقليل صار هذا القائد الحربي قاتل نفسه، ونال جزاء شره. ولكتنا اضطررنا ثانية لتحمل النفي والاضطهاد العنيف، وثار الحكام ضدنا بقسوة مرة أخرى في كل مقاطعة، حتى ألقى القبض على البعض ممن برزوا جدا في فهم الكلمة الإلهية، وحكم عليهم بالموت بدون رافة. وإذا اعترف ثلاثة منهم في مدينة أميسا بفسينقية بأنهم مسيحيون ألقوا طعاما للوحوش. من بينهم الأسقف سلوانس، [١] وكان متقدما في السن، قضى في مركزه أربعين سنة كاملة.

(٢) وفي نفس الوقت تقريبا إذ ألقى القبض - بلا مبرر وعلى غير انتظار - على بطرس أيضا الذي ترأس على أبروشيات الاسكندرية بكيفية ممتازة جدا، وكان مشلا أعلى للأسقف، بسبب سمو حياته، ودراسته للكتب المقدسة، قطعت رأسه في الحال ودون سؤاله، كأنما كان ذلك بأمر مكسيمينوس. ولقى معه أيضا نفس المصير أساقفة آخرون كثيرون من مصر.

(٣) أما لوسيان، [٢] وكان قسا في أبروشية أنطاكية، ممتازا جدا في كل ناحية، عائشا حياة نقية، واشتهر بسعة اطلاعه في الروحانيات، فقد أحضر إلى مدينة نيكوميديا، وتصادف أن كان الامبراطور مقيما بها وقتئذ. وبعد أن قدم أمام الحاكم دفاعا عن الإيمان الذي اعتنقه ألقى في السجن وحكم عليه بالموت.

(٤) هذه هي المحن التي حلت بنا في فترة قصيرة على يدى مكسيمينوس، عدو الفضيلة، وهكذا كان يبدو أن هذا الاضطهاد الذي وجه إلينا كان أشد قسوة من سابقه.



(١) ك ٨ ف ١٣ : ٣ و ٤.

(٢) ك ٨ ف ١٣ وكان لوسيان هذا من أكبر علماء الكنيسة الأولى. وقد أعد الترجمة السبعينية ترجمة منقحة. وكتب بعض الكتب عن الإيمان وبعض الرسائل وتفسيرا لسفر أيوب.

الفصل السابع

الأمر الملكي الذى صدر ضدنا ونقش على الأعمدة

(١) وقد نقشت على أعمدة نحاسية وسط المدن التذكارات [١] التى أقيمت ضدنا، وصور من الأوامر الملكية التى صدرت ردا عليها، وهذه طريقة لم تتبع قط فى أى مكان آخر . وكان يسمع من أفواه صبية المدارس كل يوم اسما يسوع ويلاطس، وسفر الأعمال الذى زور بوقلحة وتهور [٢] .

(٢) ويدونى أنه من الضرورى أن نثبت هنا وثيقة مكسيمينوس التى علقت الأعمدة. لكى تضع فى نفس الوقت غطرسة الرجل مبغض الله، والانتقام الإلهى الذى لا ينسى، والمبغض الشر . والذى يحل بالعجز، الذى تعقبه وحل به . والذى تحت ضغطه سلك الطريق المعكوس ضدنا بعد ذلك بقليل، وأيد ذلك بقوانين مكتوبة .

أما الوثيقة فتراها فى الكلمات الآتية :

صورة ترجمة الأمر الملكى الذى أصدره

مكسيمينوس ردا على التذكارات التى

أقيمت ضدنا . وقد أخذ من عمود فى مدينة صور

(٣) «وأخيرا، استطاعت قوة العقل البشرى الضعيفة أن تزيج كل ضباب مظلم وكل ضلالة استأثرت قبل الآن حواس البشر، وأحاطتهم بظلمة الجهل المدمرة . واستطاعت كذلك أن تبين أنها تسترشد بالعناية الرحيمة التى للالهة الخالدة .

(٤) «ومما يفوق التصديق مقدار شكرنا وسرورنا ورضائنا بسبب ما قدمتموه من برهان على ثباتكم وتقواكم . لأن كل واحد كان يعرف حتى قبل الآن مقدار الولاء والاحترام اللذين كنتم تقدمونهما للالهة الخالدة، مظهرين لا إيماننا متضمنا فى مجرد الكلمات الجوفاء، بل أعمالا مجيدة مستمرة عجيبة :

(٥) «لذلك يليق أن تلقب مديتكم بحق كرسيا ومقرا للالهة الخالدة . وهى على الأقل تبدو - من علامات كثيرة - أنها تزدهر وتنمو بفضل وجود الإلهة السماوية فيها .

(٦) «وهذا مدينتكم عندما أدركت أن أصحاب تلك الضلالة الممقوتة قد بدأوا ينتشرون ثانية، ويشعلون أعظم نيران ملتبهة كثيران أطفئت وبدأت جذوتها تشتعل ثانية - هوذا مدينتكم، بغض النظر عن كل الامتيازات الخاصة - وعن طلباتها السابقة لمصلحتها، لجأت في الحال لقداستنا كما لمركز كل ديانته طالبة العلاج والمعونة.

(٧) «وواضح أن الإلهة قد وهبتكم هذا العقل الراجح بسبب إيمانكم وتقواكم.

«لذلك فإن جويستر، الإله العظيم المقتدر، الذى يرأس مدينتكم المزدهرة ويحافظ على آلهة أجدادكم، وعلى زوجاتكم وأولادكم، وعلى مساكنكم وبيوتكم من كل وبأ مهلك، قد غرس فى نفوسكم تلك العزيمة السليمة مبينا ومبرهنا كيف هو مجيد وسام وجميل ممارسة العبادة والشعائر المقدسة للإلهة الخالدة بالإحترام اللائق.

(٨) «لأنه من ذا الجاهل أو الخالى من كل فهم الذى لا يدرك أنه بسبب عناية الإلهة لا ترفض الأرض البذار التى تزرع فيها، ولا تخيب رجاء الزارع، وإن الحروب الأثيمة ليست محتمة على الأرض، وإن الأجساد البالية تنحدر إلى الموت تحت تأثير الجو الفاسد، وإن البحر لا يتفخ ويعلو بفعل الرياح العاتية، وأن الأعاصير غير المنتظرة لا تسبب عنها العواصف المدمرة، وأن الأرض، مغذية الجميع وأم الجميع، لا تتزعزع أعماقها بفعل الهزات العنيفة، وإن الجبال التى عليها لا تغوص فى الثغرات المتسعة - لا يجهل أحد أن كل هذه الشرور، وغيرها مما هو أشر منها، كثيرا مما حدثت حتى الآن.

(٩) «وقد حدثت كل هذه المصائب بسبب الأخطاء المدمرة المنبعثة من غرور هؤلاء الأشرار الباطل، عندما تملك على نفوسهم، ونكاد نقول إنه غطى كل الأرضى بالحزى والعار».

(١٠) وبعد هذه الكلمات أضاف قائلا:

«فلينظروا إلى المحاصيل القائمة المزدهرة تتمايل فى الحقول الفسيحة، وإلى المراعى الزاهية بنباتها وأزهارها بسبب الأمطار الغزيرة وأعتدال الجو وجماله

(١١) «وأخيرا فليفرح الجميع لأن قوة مارس[٣] الجبار المقتدر المهوب قد أرضتها تقوانا وذبائحنا وتبجيلنا. وليتمتعوا إذن بالسلام الكامل الثابت، وليردد غبطة كل الذين ابتعدوا عن تلك الضلالة وعادوا إلي التفكير السليم الصحيح، كمن قد نجوا من عاصفة فجائية أو من مرض شديد، ليحصلوا ثمار السعادة باقى أيام حياتهم.

(١٢) «أما إذا أصروا على ضلالتهم اللعينة فليطردوا من مدينتك ومقاطعتك كما أردت، لكي تستطيع مدينتك - إذ تتحرر من كل دنس وكفر - ممارسة الشعائر المقدسة للإلهة الخالدة بالإكرام اللائق، وفقا لغيرتك الممدوحة في هذا الأمر، ووفقا لميولها الوطنية».

(١٣) «ولكن لكي تعرف كيف كانت طلبتك في هذا الأمر مقبولة لدينا، ومقدار استعدادنا لاغداق البركات طوعا دون تذكارات أو طلبات، فإننا نسمح لقداستك، بأن تسأل أى هبة - مهما عظمت - مكافأة لك على ميولك الصالحة هذه».

(١٤) «أسأل الآن أن يتم هذا وأن تناله، لأنك لابد أن تحصل عليه دون ابطاء» وإذا ما منح هذا لمدينتك قدم دليلا مستمرا على تقواك نحو الإلهة الخالدة، وعلى أنك قد حصلت، من جودنا وكرمنا، على مكافأة طيبة لاختيارك هذا، فيراها أولادك وأولاد أولادك».

(١٥) هذا ما نشر ضدنا في كل المقاطعات وقطع عنا كل رجاء في أى خير، على الأقل من البشر، حتى يفضل لو أمكن المختارون أيضا[٤] في هذه الأمور، وفقا للقول الإلهي».

(١٦) والواقع إنه عندما كاد ينقطع الرجاء عند الأغلبية بيتنا، وعندما كاد منفذو الأمر الملكي المشار إليه يكملون رحلتهم إلى بعض الإماكن، أظهر الله، حامى كنيسة، بغتة، تدخل السماء للدفاع عنا، وأوقف تيجر الطاغية علينا».

الفصل الثامن

الضربات التي حلت في مجاعات وأوبئة وحروب ، بمناسبة هذه الأمور

(١) ولقد كفت أمطار فصل الشتاء العادية أن تهطل على الأرض بغزارتها المعتادة، فظهرت مجاعة على غير انتظار، ثم حلت الأوبئة علاوة على هذا، ومرض شنيع آخر عبارة عن قرحة قيل عنها بحق أنها جمة بالنسبة لمظهرها الناري . وإذ كانت هذه القرحة تنتشر في كل الجسم كانت تعرض الحياة للخطر . وعندما كانت تصيب العينين كانت تحرم جماهير من الرجال والنساء والأطفال من البصر .

(٢) وفضلا عن هذا فقد اضطر الطاغية إلى محاربة الأرمن الذين كانوا منذ القديم أصدقاء الرومانيين وحلفاءهم . ولأنهم كانوا هم أيضا مسيحيين وغيورين في عبادتهم لله حاول عدو الله أن يلزمهم على الذبح للأصنام والشرطيين، وبهذا جعل الأصدقاء أعداء، والحلفاء خصوما .

(٣) كل هذه الأمور حدثت فجأة في وقت واحد فحطمت كبرياء الطاغية وتبجحه على الله .
لأنه سبق أن افتخر بأنه بسبب غيرته للاصنام وعداوته لنا لم تحصل في عهده مجاعات أو أوبئة أو
حروب . وإذ حلت عليه هذه الأمور كلها معا في وقت واحد في الحال بينت على أنها كانت مقدمة
لخرافه .

(٤) وقد اندحر هو نفسه بقواته في الحرب مع الأرمن ، أما بقية سكان المدن الخاضعة له فقد
حلت بهم المجاعة والأوبئة بشكل مرعب ، حتى بيع مكيال الحنطة الواحد بألفين وخمسمائة درهم
يوناني . [١]

(٥) وكان عدد الذين ماتوا في المدن لا يحصى ، أما عدد الذين ماتوا في الريف والقرى فكان
أكثر ، حتى كادت قوائم الضرائب التي كانت سابقا تتضمن عددا وفيرا جدا من سكان القرى تصبح
بيضاء ، إذ قضت المجاعة والأوبئة على الجميع تقريبا بمتهى السرعة .

(٦) وكان البعض يتمنون التخلص من أثمن ما يملكون لمن توفر لديهم الطعام في نظير أقل لقمة
من الطعام ، وباع الآخرون ممتلكاتهم قليلا قليلا حتى أصبحوا في أشد حالات الفاقة والعوز . كان
البعض يعضغون القش ويأكلون الأعشاب الكريهة ، فأتلفوا بذلك صحتهم .

(٧) وكانت بعض النساء من أشرف العائلات في المدن تتجولن في الأسواق للاستجداء ، وكانت
تتبن عليهن دلائل الثراء السابق من احتشامهن في مظهرهن ووقارهن في هيتهن .

(٨) وإذ حل الضنك بالبعض وأصبحوا على حافة الموت تعثروا وتمايلوا هنا وهناك ، وكانوا
أضعف من أن يستطيعوا الوقوف ، فسقطوا في وسط الشوارع ، وكانوا وهم منطرحين يتوسلون أن تعطى
إليهم لقمة خبز صغيرة ، وفي آخر نفس يصرخون قائلين : جائع . ولم تكن لهم قدرة إلا على أن يبعثوا
هذه الصرخة الأليمة جدا .

(٩) أما الآخرون الذين كان يبدو أنهم توفر لديهم الطعام فقد اندهشوا من كثرة عدد الشحاذين ،
وبعد أن ورعوا كميات كبيرة تقست قلوبهم أخيرا متوقعين أنهم هم أنفسهم أيضا سوف يعانون سريعا
نفس المصائب كهؤلاء الشحاذين .

وهكذا ظلت الجثث العارية منطرحية وسط الأسواق والأزقة أيام طويلة دون أن تدفن ، فكانت
منظرا أليما جدا لمن شاهدها .

(١) الدرهم اليوناني عملة فضية كانت توازي قيمته نحو خمسة قروش .

(١٠) وأصبح البعض أيضا طعاما للكلاب، الأمر الذى لآجله بدأ الأحياء يقتلون الكلاب لئلا تجن قتلهم الناس .

(١١) والأسوأ من هذه تلك الأوبئة التى كانت تقضى على بيوت وعائلات برمتها سيما الذين لم تتمكن منهم المجاعة بسبب توفر الطعام لديهم . وكذا التهم الموت سريعا للأثرياء والحكام والولاة وكثيرين من ذوى المناصب الرفيعة، كأن المجاعة قد تركتهم لتقضى عليهم الأوبئة . ولهذا امتلأ كل مكان نحيبا، ولم يكن يرى أو يسمع فى كل زقاق أو سوق أو شارع سوى أصوات البكاء، المقترنة بالآلات العادية وأصوات النادين .

(١٢) وبهذه الكيفية قضى الموت على عائلات برمتها فى وقت وجيز مستخدما فى حربه الشعواء هذين السلاحين: الأوبئة والمجاعة، حتى كان المرء يرى جثتين أو ثلاثة محمولة فى وقت واحد .

(١٣) هكذا كان جزاء افتخار مكسيمينوس وجزاء الاجراءات التى اتخذتها المدن ضدنا . وعندئذ ظهرت لكل الوثنيين أدلة غيرة المسيحيين وتقواهم .

(١٤) لأنهم وحدهم وسط تلك المصائب أظهروا عطفهم وإنسانيتهم بأعمالهم . ففى كل يوم استمر البعض فى اظهار عنايتهم نحو الموتى ودفنهم . إذ كان هنالك كثيرون لا يجدون من يعنى بهم . والآخرين كانوا يجمعون فى مكان واحد من عضتهم المجاعة بأنيابها فى كل المدينة ويقدمون الطعام إليهم جميعا . وهكذا أديعت بين الجميع هذه الآباء فمجدوا إله المسيحيين، وإذا اقتنعوا بالحقائق نفسها اعترفوا بأن المسيحيين هم الوحيدون الاتقياء والمتدينون .

(١٥) وبعد أن تمت هذه الأمور هكذا أعاد إلينا الله، حامى المسيحيين العظيم، ضياء شمس عنايته من نحونا، بعد أن أعلن عن الحوادث السابق وصفها غضبه على جميع الناس بسبب الشرور العظيمة التى جلبوها علينا . وهكذا أضاء علينا بنور السلام بكيفية عجيبة وسط الظلمة المدلهمة، وبين للجميع أن الله نفسه كان هو الذى يدبر أمورنا دوما . صحيح أن الله يؤدب شعبه من وقت لآخر ويفتقدهم، ولكنه بعد التأديب الكافى يعود ويظهر الرحمة والشفقة لمن يرجونه .



الفصل التاسع

انتصار الأباطرة محبوبى الله

(١) وهكذا رأينا أن قسطنطين السابق ذكره [١] الامبراطور المولود من امبراطور، الابن اليلر لأب تقى حكيم، وليسينيوس ثلثية، [٢] وهما امبراطوران محبوبان من الله، مكرمان على قدم المساواة من أجل ذكائهما وتقواهما، عندما حركهما الله مخلص الجميع وسيد الكل، وأهاجمها قسطنطين الطاغين الشريرين، واشتبكا فى الحرب معهما. وكان الله ظهيرا لهما، اندحر مكستىوس [٣] فى روما أمام قسطنطين بكيفية عجيبة. أما طاغية الشرق [٤] فلم يعمر طويلا بعده بل لقى حتفه بكيفية مخجلة على يدى ليسينيوس الذى لم يكن قد جن بعد. [٥]

(٢) أما قسطنطين الذى كان متقدما فى المقام وفى المركز الامبراطورى، فإنه فى بداية الأمر أشفق على من ظلموا فى روما. وإذا لجأ بالصلاة إلى إله السماء، وكلمته يسوع المسيح نفسه مخلص الجميع، كعود له، تقدم بكل جيشه، معتزما أن يرد إلى أهل روما حريتهم السليقة.

(٣) غير أن مكستىوس، إذ اتكل بالأحرى على أعمال الشعوة أكثر من اتكاله على ولاء رعيته، لم يجسر على التقدم أبعد من أبواب المدينة، بل حصن كل مكان ومنطقة ومدينة، كانت قد استعبدت له، بجوار روما وفى كل ايطاليا، يفرق هائلة العدد وجنود لا عدد لهم. أما الامبراطور فقد اتكل على الله، وهجم على أول وثلى وثالث جيش للطاغية وقهرهم أجمعين. وإذا غزا الجزء الأكبر من ايطاليا اقرب جندا من روما.

(٤) ولكى لا يضطر لاشهار الحرب على أهل روما من أجل الطاغية جذبه الله نفسه، كما بسلاسل، وأبعده عن أبواب المدينة، وأيد تلك التهديدات السابق تدوينها فى الكتب المقدسة عن الأشرار، والتي لا يصدقها الأغلبية كأنها خرافة، ولكن المؤمنين يصدقونها - أيدها الله، بالإيجاز، بالعمل نفسه، أيدها للجميع، للمؤمنين ولغير المؤمنين، الذين رأوا الأعجوبة بأعينهم.

(١) ك ٨ ف ١٣.

(٢) كان كل من قسطنطين وليسينيوس يحمل لقب أوغسطس ولكن قسطنطين كان متقدما.

(٣) بخصوص مكستىوس انظر ك ٨ ف ١٤.

(٤) أى مكسيمينوس. انظر فصل ١٠ التالى.

(٥) إشارة إلى عداوة ليسينيوس للمسيحيين التى ظهرت بعد ذلك بضع سنوات ونشأ عنها اضطهادهم.

(٥) وكما حدث فى أيام موسى نفسه وأيام جنس العبرانيين أحباء الله عندما «ألقي مركبات فرعون وجيشه فى البحر . وأغرق أفضل جنوده المركبية فى بحر سوف وغطاهم باللحجج» [٦] هكذا حدث لمكستىوس وجنوده وحرسه، فأنهم «قد هبطوا فى الأعماق كحجر» [٧] عندما هرب أمام قوة الله المرافقة لقسطنطين، وجاز النهر القائم فى طريقه، الذى كان قد أنشأ فوقه قنطرة من السفن، وهكذا أعد بنفسه وسيلة هلاكه .

(٦) ويستطيع المرء أن يقول عنه إنه «حفر حفرة وفتحها فسقط فى الهوة التى صنع . يرجع تعبته على رأسه . وعلى تاجه يهبط ظلمه» [٨]

(٧) فإن القنطرة القائمة فوق النهر إذ انكسرت ولم يعد هناك مجال للعبور اختفت السفن والرجال فى الأعماق فى الحال، وكان أول من اختفى ذاك الرجل الشرير نفسه، ثم حاملو الدروع، وكما تنبأت الأقوال الإلهية «غاصوا كالرصاص فى مياه غامرة» [٩]

(٨) وهكذا استطاع من نالوا النصر من الله، أن يتغنوا، إن لم يكن بالقول فعلى الأقل بالفعل، كما تغنى موسى خادم الله العظيم ومن معه ضد ذلك العاتى القديم قائلين «لنرسم للرب فإنه بعظمة مجد ذاته . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر، قد صار معينا وحاميا لخلاصى»، [١٠] «من مثلك بين الإلهة يارب . من مثلك معتزا فى القداسة، عجيبا فى المجد، صانعا عجائب» [١١]

(٩) ترنم قسطنطين بهذه التسيحة وأمثالها، بأعماله نفسها، لله الملك المطلق ومصدر نصرته، وذلك عندما دخل روما ظافرا . وللحال استقبله جميع أعضاء مجلس الأعيان وباقي الشخصيات البارزة، مع أهل روما، والأطفال والنساء، كمنقذهم ومخلصهم . والمحسن إليهم، بأعين براقة ونفوس مستبشرة، بهتافات الفرح العظيم والغبطة التى لا تحصى .

(١٠) أما هو فإنه لم يغتبط بسبب الهتافات، ولم ينتفخ بسبب التساييح، إذ كان قد تأصلت فيه تقوى الله . ولكنه، وقد رأى أن معونته كانت من قبل الله، أمر فى الحال بأن يوضع فى يد تمثاله تذكارات لآلام المخلص . ولما وضعه ووضع علامة الصليب المخلص فى يمين التمثال، فى أظهر مكان فى روما، أمر بنقش الكتابة التالية عليه باللغة الرومانية:

(٧) (خر ١٥ : ٥) .

(٩) (خر ١٥ : ١٠) .

(١١) (خر ١٥ : ١١) .

(٦) (خر ١٥ : ٤ و ٥) .

(٨) (مز ٧ : ١٥ و ١٦) .

(١٠) (خر ١٥ : ١ و ٢) حسب الترجمة السبعينية .

(١١) «بهذه العلامة المقتدرة» [١٢] دليل الشجاعة الحقيقي، أنقذت مدينتكم وحررتها من نير الطاغية، وفضلا عن هذا فإنني إذ حررت مجلس الأعيان وشعب روما قد أعدتهم إلى مقامهم السامي السابق ومجدهم».

(١٢) وبعد هذا بارك الله قسطنطين نفسه والأمبراطور ليسينيوس، الذي لم يكن قد أصيب بعد بالجنون الذي تردى فيه فيما بعد، وسبحاه كمصدر لكل بركاتهما، وبنفس واحدة ورأى واحد أصدر أمرا ملكيا كاملا [١٣] في مصلحة المسيحيين، وأرسلا وصفا للعجائب التي صنعها الله لهم، والانتصار على الطاغية، مع صورة من الأمر نفسه، إلى مكسيمينوس الذي كان لا يزال يحكم على أمم الشرق مدعيا صداقتها.

(١٣) أما هو فإنه كطاغية تألم جدا مما علمه. ولكنه إذ لم يرد أن يظهر خضوعه لأحد آخر، ومن الناحية الأخرى لم يرد أن يبطل الأوامر الصادرة، خوفا من مصدريها، اضطر أن يوجه إلى الولاة الخاضعين له هذه الرسالة الأولى في مصلحة المسيحيين، مزورا أمورا نسبها إلى نفسه لم يفعلها هو قط.

ترجمة رسالة الطاغية مكسيمينوس

«جيوفينوس مكسيمينوس أوغسطس إلى ساينوس» [١٤] إنني واثق من أن الأمر واضح لفطنتك ولجميع الناس أن سيدنا وأبونا دقلديانوس ومكسيميانوس لما رأيا أن كل الناس تقريبا يهجرون عبادة الآلهة.

(١٤) «وينضمون إلى جماعة المسيحيين أمرا بحق أن جميع من تركوا عبادة تلك الإلهة الخالدة يجب أن يعادوا إلى عبادة الإلهة بالتأديب العلني والقصاص».

(١٥) «ولكني لما أتيت في بداية الأمر إلى الشبرق في ظروف طيبة، وعلمت أن رجلا كثيرين جدا في بعض الأماكن، ممن يستطيعون تأدية الكثير من الخدمات العامة قد تفاهم القضية للسبب المتقدم ذكره، أصدرت أمرا لكل القضية بعدم معاملة أي واحد من الأقاليم بالقسوة، بل بالأحرى يعيدونهم إلى عبادة الإلهة بالتملقات والنصائح».

(١٢) أثناء حربه ظهر له صليب من نور في كبد السماء ظهرا وكتبت تحته هذه العبارة «بهذا تغلب».

(١٣) هذا هو الأمر المشهور الذي صدر في ميلان سنة ٣١٢ ويرى نصه في ك ١٠ ف ٥.

(١٤) ف ١ : ٣.

(١٦) «ولما أطاع القضاة هذه التعليمات بناء على أمرى حدث أنه لم ينف أو يوبخ أحد ممن كانوا يعيشون في أقاليم الشرق، بل بالأحرى أعيدوا إلى عبادة الإلهة دون استخدام أية قسوة معهم».

(١٧) «غير أنني لما ذهبت فيما بعد إلى نيكوميديا السنة الماضية في ظروف طيبة، وأقيمت هناك، أتى إلى أهالي المدينة بتماثيل الإلهة متوسلين إلى بشدة إن لا يسمح لشعب كهذا بالإقامة في بلادهم».

(١٨) ولكن لما علمت أن أشخاصا كثيرين من تلك الديانة يعيشون في تلك الأقاليم أجبت بأننى أشكرهم من أجل طلبتهم، لكننى أرى بأنها لم تقدم من الجميع، ولذا فإن بقى أحد متمسكا بتلك الخرافات فلكل واحد الحق بأن يتصرف كما يشاء، حتى ولو أراد التمسك بعبادة الإلهة».

(١٩) ومع ذلك فقد رأيت من الضرورى اعطاء اجابة مرضية لسكان نيكوميديا والمدن الأخرى التى تقدمت إلى نفس الطلب بالحاح، أى أن لا يسمح لأحد من المسيحيين بالسكن في مدنها (أولا لأن هذه الخطة اتبعها الاباطرة السابقون جميعهم، وثانيا لأنها ترضى الإلهة التى ترعى جميع البشر وحكومة الدولة نفسها) كما رأيت من الضرورى أيضا تأييد الطلبة التى قدموها بصدد عبادة الهتهم».

(٢٠) «وبالرغم من إنه قد أرسلت قبل الآن رسائل خاصة إلى فطتكم، وأعطيت الأوامر أيضا بعدم اتخاذ اجراءات صارمة ضد أولئك المواطنين الذين يريدون سلوك ذلك الطريق، بل يجب معاملتهم باللطف والاعتدال، إلا أنه لكى لا يتحملوا أية اهانات أو اغتصاب على أيدي الجنود أو غيرهم، فقد رأيت من المناسب أن أذكر فطتكم في هذه الرسالة أيضا لاقتناع المواطنين بالتملقات والنصائح لكى يدركوا عناية الإلهة».

(٢١) «ولذا فإن اعتزم أى واحد، بمحض اختياره، عبادة الإلهة فمن المناسب أن يرحب به. أما إن أراد أحد البقاء في ديانته فاتركه لحرية».

(٢٢) «ومما يليق بفطتك أن تلاحظ اتمام ما أوكل إليك، وتذكر أنه لم يعط لأحد السلطان لظلم مواطنينا بالاهاتات والسلب والاغتصاب، لأنه من اللائق كما كتب سابقا استمالة مواطنينا إلى عبادة الإلهة بالنصائح والتملقات بالأحرى. ولكى يصل أمرنا هذا إلى علم جميع مواطنينا فمن المحتم عليك اذاعة الأوامر الصادرة بمنشور تصدره أنت».

(٢٣) ونظرا لأن الضرورة حتمت عليه أن يفعل هذا، ولم يصدر الأمر بإرادته، فلم يعتبره أحد بأنه مخلص يمكن الوثوق فيه، لأنه سبق أن أظهر عدم ثباته وخداعه بعد اعتراف بمائل سابق».

(٢٤) فلم يجرؤ أحد من شعبنا على عقد اجتماعات أو حتى على الظهور علنا، لأن رسالته لم تتضمن شيئا عن هذا، إنما أمرت بملاحظة عدم ايذائنا، ولم تأمر بالسماح لنا بعد الاجتماعات أو بناء الكنائس أو ممارسة شيء من طقوسنا العادية.

(٢٥) مع أن قسطنطين ولسينيوس، المدافعين عن السلام والتقوى، كتبوا له بالسماح بهذا، وصرحا به لكل رعاياهما بالأوامر الكتابية التي أصدرها. أما ذلك الرجل الفاجر فلم يخضع لهذا الأمر إلى أن اضطر أخيرا لاطاعته رغم ارادته عندما دفعه إلى ذلك العدل الإلهي.

الفصل الجاشر

انقلاب الطغاة، والكلمات التي نطقوا بها قبل موتهم

(١) أما الظروف التي دفعته لسلوك هذه الطريق فكانت كالآتي: إنه إذ لم يعد قادرا بعد على إبقاء عظمة الحكم الذي أوكل إليه بغير استحقاق، نظرا لافتقاره للحكمة والفهم، أدار الشئون بطريقة منحطة، وافتخر بكل الأشياء وكبرياء وغطرسة دون أي مبرر. بل افتخر حتى على أقرانه في الامبراطورية الذين كانوا أسمر منه من كل وجه، من ناحية الأصل والنسب والتعليم والثقافة والذكاء، وفوق الكل من ناحية الاعتدال والتقوى نحو الإله الحق. ولذا بدأ يتصرف بجرأة ووقاحة، ويتحل لنفسه أسمر رتبة.

(٢) وإذ جن في حماقته نقض المعاهدات التي أبرمها مع ليسينيوس وشن حربا شعواء. وفي وقت وجيز سبب الفوضى والارتباك في كل الأمور، وأهاج كل مدينة، وجمع كل قواته المتضمنة عددا وفيرا جدا من الجنود، وذهب لمحاربتة معتمدا على ثقته في الشياطين التي ظنّها الهة، وعلى عدد جنوده.

(٣) ولما دخل الحرب [١] حرم من بعد النظر الإلهي، وأعطيت النصر إلى ليسينيوس الذي كان يحكم وقتئذ بمساعدة الله الواحد الوحيد إله الجميع.

(٤) فأولا أيد الجيش الذي كان يعتمد عليه. وإذ تنحى عنه كل حرسه، وتركوه وحيدا، وهربوا للظاهر، نزع سرا وبأسرع ما يمكن الملابس الملكية التي لم تكن في الواقع خليقة به. واختلط بالجميع بمتهى النذالة والجبن، ثم هرب واختبأ في الحقول والقرى. وبالرغم من حرصه على انقاذ نفسه فإنه لم ينج من أيدي أعدائه إلا بشق النفس، وأعلن بأفعاله صدق وأمانة الأقوال الإلهية القائلة:

(١) نشبت هذه الحرب بين ليسينيوس ومكسيمين في ٣٠ أبريل سنة ٣١٣ في أدرنة.

(٥) «لن يخلص الملك بقوة الجيش . الجبار لا ينقذ بعظم القوة . باطل هو الفرس لاجل الخلاص ويشلدة قوته لا ينجى . هوذا عينا الرب على خائفيه على الراجين رحمته لينجى من الموت أنفسهم» [٢].

(٦) وهكذا ذهب الطاغية إلى بلاده يغطيه الحزى . وفى ثورته الجنونية قتل أولا الكثيرين من كهنة وأنبياء الآلهة التى سبق أن أعجب بها، والتى أوحى إليه الاشتباك فى الحرب، فخدعته وضلته وفوق الكل خائنته من جهة سلامته . وإذ أعطى المجد لاله المسيحيين، وسن قانونا كاملا فى سبيل حريتهم، أصيب فى الحال بمرض قاتل وفارق الحياة دون أمهال . أما القانون الذى سنه فكان كالاتى :

صورة الأمر الملكى الذى أصدره الطاغية فى مصلحة المسيحيين مترجما عن اللغة الرومانية

(٧) «الامبراطور قيصر كايوس فالريوس مكسيموس، جرمانيكوس، سارماتيكوس، بيوس، فيلكس، انفكتس، أوغسطس . نعتقد أنه من الواضح أن لا أحد يجهل، بل بالأحرى كل من يتطلع إلى الماضى يعلم ويدرك أننا فى كل ناحية نعى دواما بخير مواطنينا، ونتمنى أن نخدمهم بكل ما يعود بالخير على الجميع، والنفع العام، وكل ما يؤدى إلى المصلحة العامة ويتفق مع آراء كل واحد .

(٨) «لذلك فإنه عندما اتضح لنا قبل الآن إنه تحت ستار أوامر أبويننا الجليلين دقلديانوس ومكسيميانوس، التى كانت تحرم عقد اجتماعات المسيحيين، ارتكب الموظفون حوادث كثيرة للسلب والنهب، وإن تلك الشرور كانت فى تزايد مستمر لحراب مواطنينا، الذين نود دواما أن نبدل معهم عناية كاملة، وإن بمتلكاتهم كانت تبدد نتيجة لهذا، أرسلت رسائل فى العام الماضى إلى حاكم كل مقاطعة، أمرنا فيها أنه إن أراد أحد تأدية أى نوع من الشعائر الدينية يجب السماح له بإتمام غايته من دون مناقضة، ويجب أن لا يعوقه أو يمنعه أى واحد، ويجب أن تمنح الحرية للجميع ليتصرفوا كما يريدون دون خوف أو شك .

(٩) «على أننا لا نطبق أن نرى بعض القضاة يحرفون أوامرنا، ويعطون شعبنا فرصة للشك فى معنى تدبيراتنا، ويجعلونهم يتلكأون فى تأدية الشعائر الدينية التى يستريحون لها .

(١٠) «فلا مكان انتزاع كل أثر للشك أو الخوف في المستقبل؛ أمرنا بإذاعة هذا الأمر الملكي، لكي يتضح للجميع أن كل من أراد اعتناق هذا المذهب وهذه الديانة سمح له بناء على منحتنا هذه، وإن كل واحد مصرح له باعتناق الديانة التي يختارها، وفقا لعادته كما يريد، وكما يحلو له، ومصرح لهم كذلك ببناء بيوت الرب».

(١١) «ولكى تزداد منحتنا هذه عظمة رأينا أنه من المناسب أن نأمر أيضا بأنه إن كانت هنالك بيوت أو أراض تملكها المسيحيون شرعا قبل الآن ولكنها صارت ملكا للحكومة بناء على أمر أبويتنا، أو صودرت في أية مدينة، سواء كانت قد بيعت أو قدمت هدية لأى واحد، وجب اعادتها إلى ملاكها الاصلين المسيحيين، لكي يعرف كل واحد في هذه أيضا تقوانا وعنايتنا».

(١٢) هذه هي كلمات الطاغية التي أذاعها بعد سنة تقريبا من الأوامر التي سبق أن أصدرها ضد المسيحيين ونقشها على أعمدة [٣٠] وذلك الذى كنا فى عينه قبل ذلك بقليل فجارا وكفاراً وقتلة، حتى لم يسمح لنا بالإقامة فى أية مدينة، أو حتى قرية أو صحراء، هو بنفسه أصدر الأوامر دفاعاً عن المسيحيين الذين كانوا منذ فترة وجيزة يقتلون بالنيران والسيوف، بالوحوش الكاسرة والطيور الجارحة، بحضور الطاغية نفسه، وعانوا كل أنواع التعذيب والقصاص، وأشر أنواع الموت كمخلوقات تعة، وكفجار أئمة، ولكنه الآن أصبح يعترف بهم كأصحاب ديانة، ويسمح لهم ببناء الكنائس، وقد اعترف الطاغية نفسه وشهد بأن لهم بعض الحقوق».

(١٣) وإذا اعترف هذه الاعترافات، كأنه قد نال شيئاً من المنفعة بسببهم، تحمل آلاماً لعلها أقل مما كان يستحق، وإذا ضربه الله ضربه مفاجئة هلك فى الحملة الثانية الحربية».

(١٤) على أن موته لم يكن موت أبطال الحرب الذين إذ يحاربون بشجاعة من أجل الفضيلة والاصدقاء كثيراً ما يموتون موتاً مجيداً. لأنه إذ كان جيشه لا يزال فى ساحة القتال، ولبث هو فى البيت مختبئاً، نال القصاص الذى استحقه كعدو لله. لأن الله ضربه ضربة مفاجئة فى كل جسمه، وحلت به آلام مبرحة. فسقط على الأرض منطرحاً. وأضناه الجوع. وذاب كل جسمه بنار غير منظورة أرسلها الله، حتى تغير كل منظره ولم يترك سوى شبح تحول بمرور الزمن إلى هيكل من العظام الجافة، حتى كان الذين ينظرون إليه يعتقدون أن جسمه لم يكن إلا مقبرة لنفسه التى دفنت فى جسم مات فعلاً وذاب وفنى عن آخره».

(١٥) وإذا أفته الحرارة بعنف فى أعماق نخاعه. تفجرت عيناه وسقطتا من وقبيهما فصار أعمى. وعندما كانت أنفاسه لا تزال تتردد اعترف بالرب. ثم تمنى الموت، وأخيراً أسلم الروح، بعد اعترافه أنه كابد هذه الأمور بسبب اضطهاده للمسيح».

الفصل الحادي عشر

الهلاك النهائي لأعداء المسيحية

(١) وعندما اكتسح من الطريق مكسيمينوس الباقي الوحيد من أعداء المسيحية، [١] وأشرهم أجمعين، بدأ تجديد الكنائس من أساسها بنعمة الله ملك الكل، وأضاءت كلمة المسيح لمجد إله الكون حاصلة على حرية أوفر من قبل، بينما غطى الخزي والعار أعداء المسيحية الفجار.

(٢) لأن مكسيمينوس نفسه إذ أعلن عنه الأباطرة أولاً أنه عدو عام، أطلقت عنه نداءات عامة أنه شرير جدا ومحقوت وطاغية مبغض لله: أما الصور التي علقت في كل مدينة تكريماً له أو لأولاده نزع بعضها من أماكنها وطرحت إلى الأرض ومزقت، ومحيت وجوه الأخرى بطمسها بطلاء أسود. وأما التماثيل التي كانت قد أقيمت تكريماً له فقد طرحت إلى الأرض كذلك ثم حطمت، وعرضت لسخرية الذين أرادوا اهانتها، والاساءة إليها.

(٣) كذلك ألغيت كل الامتيازات التي كانت تقدم لباقي أعداء المسيحية، وقتل جميع من كانوا يناصرون مكسيمينوس، سيما الذين أكرمهم بالمناصب الرفيعة مكافأة لهم على تملقهم إياه، والذين تصرفوا تصرفات معية نحو تعاليمنا.

(٤) مثل بوسيتيوس أعز أصدقائه. الذي أكرمه وكافاه أكثر من الجميع، والذي عين والياً للمرة الثانية والثالثة، والذي أقامه رئيساً للوزراء. وكذلك كالسيانوس الذي رقى أيضاً إلى كل رتبة، والذي اشتهر بكثرة حوادث القتل التي لا تحصى التي ارتكبها ضد المسيحيين في مصر. وكثيرين آخرين، علاوة على هذين، امتد على أيديهم طغيان مكسيمينوس.

(٥) وكذلك ثيوتكنس [٢] الذي اقتص منه العدل الذي لم يتغافل قط عن جرائمه ضد المسيحيين. لأنه عندما أقام التمثال في أنطاكية [٣] بدا كأنه في أسعد حال، وكان مكسيمينوس قد أقامه والياً.

(١) مات مكسيميان عام ٣١٠، وغاليريوس ٣١١، ومكسيوس عام ٣١٢، وفيلديانوس عام ٣١٣.

(٢) فصل ٢.

(٣) أنظر ف ٣.

(٦) غير أن ليسينيوس لما نزل إلى مدينة انطاكية بحث عن المحتالين، وعذب الأنبياء والكهنة الذين يتمون إلى التمثال المقام حديثا، سائلا إياهم عن سبب التجائهم إلى الغش والخداع. وتحت ضغط التعذيب لم يستطيعوا فيما بعد إخفاء الأمر، وصرحوا بأن السر في كل هذا الخداع يرجع إلى دهاء ثيوتكنس. ولذلك فإنه بعد اعطاء كل واحد منهم ما يستحقه من قصاص أمر باعدام ثيوتكنس نفسه أولا، ثم عذب المتأمرين معه في الخداع بأشد أنواع التعذيب.

(٧) وأضيف إلى هؤلاء جميعهم أيضا أبناء مكسيمينوس، الذين أشركهم في العظمة الامبراطورية بوضع أسمائهم على التماثيل واللوحات التذكارية. أما أقارب الطاغية، الذين انتفخوا، وفي كبريائهم اضطهدوا كل الناس، فقد حل بهم نفس قصاص أولئك السابق ذكرهم، كما عانوا أشد درجات الحزى والعار. لأنهم لم يستمعوا إلى التعليم، ولا عرفوا أو فهموا النصيحة الواردة في الكلمة المقدسة:

(٨) «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده». تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره». [٤]

(٩) وهكذا إذ أبعد الأشرار تثبيت الحكم وتوطد لقسطنطين وليسينيوس اللذين كانا خليقين به. وهذان إذ طهرا العالم أولا من العداوة لله، شاعرين بالبركات التي أغدقها عليهما، أظهرتا محبتهما للفضيلة ولله، وتقواهما وشكرهما لله، بتدبيرهما الصالح الذي أجرياه في مصلحة المسيحيين. [٥]



الكتاب العاشر

الفصل الأول

السلام الذى منحنا الله إياه

(١) ينبغي تقديم الحمد لله، القادر على كل شيء، مدير وملك الكون، من أجل كل الأشياء، والشكر الأعظم ليسوع المسيح مخلص نفوسنا وقاديتها، الذى به نتوسل أن يدوم لنا السلام وطبدا لا تزعزعه الاضطرابات الخارجية أو اضطرابات العقل.

(٢) ونظرا لأننا بناء على رغبتك أيها العزيز بولينس [١] قد أضفنا هذا الكتاب العاشر من تاريخ الكنيسة إلى الكتب السابقة فإتينا سنوجه إليك، معلنين أنك ختم المؤلف كله.

(٣) وخلق بنا أن نضيف التسييح اللائق من أجل إعادة بناء الكنائس اطاعة للروح القدس الذى يقدم إلينا النصيحة فى الكلمات التالية «ارغموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب . خلصته يمينه وذراع قدسه . أعلن الرب خلاصه . لعيون الأمم كشف بره» [٢]

(٤) وبناء على القول الذى يأمرنا بأن نرسم ترنيمة جديدة لنبدأ بأن نبين أنه بعد تلك المناظر المربعة المظلمة التى وصفناها قد سمح لنا الآن أن نرى ونمارس تلك الأمور التى اشتهى أن يراها على الأرض الكثيرون ممن سبقونا من الأبرار وشهداء الله ولم يروا، وأن يسمعوها ولم يسمعوها [٣]

(٥) على أنهم أسرعوا فحصلوا على أمور أفضل جدا [٤] إذ حملوا إلى السماء وفردوس السعادة الإلهية . ونحن نعتز أن هذه الأشياء أعظم مما نستحق، ولذا فقد دهشنا للنعمة التى أعلنتها باعث المواهب العظمى، وإتينا بحق نعجب به، ونعبده بكل قوة نفوسنا، شاهدين لصدق الأقوال المدونة التى قيل فيها:

(٦) «هلموا انظروا أعمال الرب . العجائب التى صنع على الأرض . ينقل الحروب إلى أقاصى العالم . يكرس القوس ويقطع الرمح . الدروع يحرقها بالنار» [٥] وإذا اغتبطنا بهذه الأمور التى تمت بوضوح فى أيامنا لتبدأ الآن بروايتنا .

(٧) ان جميع أعداء الله هلكوا بالطريقة السابق ايضاحها، [٦] وهكذا اكتسحوا فجأة من نظر البشر . فتمت أيضا الأقوال الإلهية «قد رأيت الشرير عاتيا وارفا مثل أرز لبنان عبرت فإذا هو ليس بموجود . طلبت مكانه فلم يوجد» [٧]

(١) Paulinus أسقف صور، وصار فيما بعد أسقفا لانتاكية . (٢) (مز ٩٨ : ١ و ٢) . (٣) (مت ١٣ : ١٧) .

(٤) (فى ١ : ٢٣) . (٥) (مز ٤٦ : ٨ و ٩) . (٦) انظر ك ٩ ف ١٠ و ١١ . (٧) (مز ٣٧ : ٣٥ و ٣٦) .

(٨) وأخيرا أشرق نهار صحو جميل لا تتخلله السحب وأضاء بأشعة نور سماوى كنائس المسيح فى كل العالم . وحتى الذين لم يكونوا من جماعتنا لم يُحرّموا من الاشتراك فى نفس البركات، أو على الأقل من الانتفاع بمزاياها والتمتع بجزء من النعم التى أغدقها علينا الله . [٨]

الفصل الثانى

إعادة بناء الكنائس

(١) وهكذا تحرر كل الناس من ظلم الطغاة، وإذ تخلصوا من المساوىء السابقة اعترف الواحد بهذه الطريقة والآخر بطريقة أخرى بأن المحامى عن الإتيقاء هو الإله الواحد الحقيقى . ونحن الذين ألقينا رجاءنا على مسيح الله كان لنا بصفة خاصة حبور لا ينطق به، وأشرق على جميعنا فرح عظيم حينما رأينا إن كل مكان كان قبل ذلك بقليل قد أخربه الطغاة، قد بدأ يستعيد الحياة كأنه قد قام من ربا طويل الأمد محمل بالموت، وأن الهياكل قد بدأت تبنى ثانية من أساسها إلى ارتفاع شاهق، وتتخذ شكلا أفخم جدا من الهياكل القديمة التى هدمت .

(٢) على أن الحكام الرئيسيين أيدوا لنا كرم الله وجوده ورحمته بكيفية أعم، وذلك باصدار أوامر متكررة فى مصلحة المسيحيين . كذلك أرسل الامبراطور رسائل شخصية إلى الأساقفة مع امتيازات وهدايا مالية . ولعلنا لا نكون مخطئين إن أثبتنا هذه الوثائق مترجمة من اللغة الرومانية إلى اليونانية فى المكان المناسب من هذا الكتاب [١] كأنها قد نقشت على لوحة مقدمة، لكى تبقى تذكارا لكل من يأتى بعدنا .



(٨) بمقتضى الأمر الذى أصدره قسطنطين ولينينيوس منحت الحرية الدينية كاملة لا للمسيحيين فحسب بل لكل انسان مهما اختلفت ديانتة أو عقيدته .

الفصل الثالث

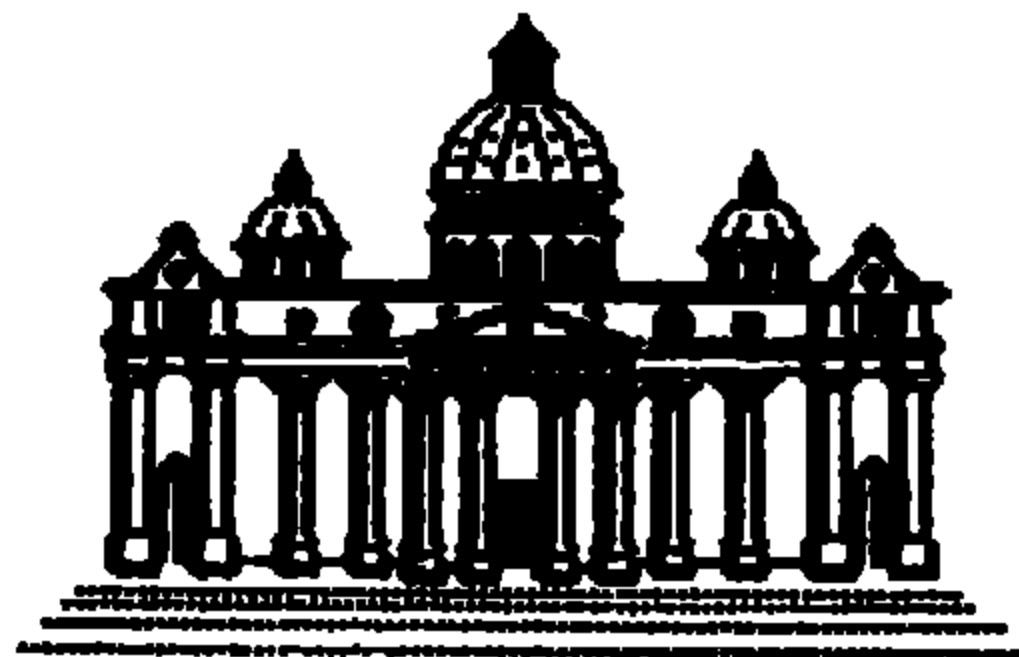
صلوات التكريس في كل مكان

(١) بعد هذا رؤى المنظر الذي كنا أجمعين نتوق إليه ونصلى من أجله . فقد أقيمت في المدن ولائم وأعياد لتكريس بيوت الصلاة الجديدة، واجتمع الأساقفة، وأتى الغرباء معا من الخارج، وتبدلت المحبة بين شعب وشعب، واتحد أعضاء جسد المسيح في توافق تام .

(٢) عندئذ تم القول النبوي الذي تنبأ رمزيا عما كان سيحدث «فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه وكل مفصل إلى مفصله» [١] وكمل ما سبق أن أعلن بحق بالتعبيرات الغامضة في هذه العبارة الكريمة .

(٣) وسادت كل الأعضاء حركة نشاط واحدة للروح القدس، وكان الجميع بنفس واحدة، وغيره وإيمان واحد، وهتف الجميع بترنيمة واحدة مسبحين الله . ومارس رؤساء الكنائس خدمات كاملة، وتمموا الشعائر المقدسة، وأدبت فرائض الكنائس المهيبة، هنا بانشاد المزامير وقراءة الكلمة التي ائتمننا عليها الله، وهناك بتأدية الخدمات الإلهية الجليلة، وأجريت الرموز السرية للام المخلص .

(٤) وفي نفس الوقت رأينا الناس من كل الأعمار، ذكورا وإناثا، يقدمون من كل قلوبهم الأكرام لله مصدر كل بركاتهم وذلك بالصلوات والتشكرات بعقول فرحة ونفوس جزلة . وقدم كل واحد من الأساقفة الحاضرين، كل على قدر طاقته، خطب حمد وثناء، وهكذا أضافوا للاجتماع جلالات ومهابة .



الفصل الرابع

خطاب تهليلي من أجل عظمة وفخامة الأمور

(١) ومن بين ذوى المؤهلات المعتدلة ، كان هناك من كتب بحثا، [١] وقد تقدم هذا الكاتب في حضرة الكثيرين من الرعاة الذين كانوا قد اجتمعوا كأنهم في اجتماع كنسى . وإذا كانوا جالسين في حالة هدوء وروعة، وجه الخطاب التالى إلى أحدهم، وكان أسقفا محبوبا من الله، ممتازا في كل شيء؛ [٢] ثم على يديه وبغيرته، هيكل صور الذى كان أفخم المباني فى فينيقية .

خطاب تهليلي من أجل بناء الكنائس موجه إلى بولينس أسقف صور

(٢) «أيها الأحباء وكهنة الله، اللابسين الثياب المقدسة والمتوجين بأكاليل المجد السماوية، المسحة الإلهية وثوب الروح القدس الكهنوتى، وأنت [٣] يا فخر هيكل الله المقدس الجديد، يا من وهبك حكمة الشيوخ، ومع ذلك فإنك تظهر أفعالا ثمينة، وتصرفات الشباب فى فضيلة مزدهرة، يا من وهبك الله نفعك المهيمن على كل العالم امتياز بناء وتجديد هذا البيت الأرضى للمسيح كلمته الوحيد وابنه البكر ولعروسه المقدسة الإلهية. [٤]

(٣) «إن المرء يستطيع أن يدعوك بصليلى [٥] آخر، مهندس خيمة الاجتماع الإلهية، أو سليمان ملك أورشليم جديد أفضل، أو زربابل آخر أضاف لهيكل الله مجدا أعظم من المجد الأول. [٦]

(٤) «وأنتم [٧] أيضا يا صغار قطع المسيح المقدس، مسكن الكلمات الصالحة، مدرسة الحكمة، محفل الإيمان رفيعى القدر .

(١) هو يوسابيوس نفسه . (٢) هو بولينس أسقف صور . انظر ف ١ : ٢ . (٣) أى بولينس . (٤) (رو ٢١ : ٢) . (٥) (خر ٣٥ : ٣٠ الخ) . (٦) (حج ٢ : ٩) . (٧) يوجه يوسابيوس الحديث أولا إلى الاكليروس المجتمعين بصفة عامة، ثم إلى بولينس بصفة خاصة . وأخيرا إلى الشعب داعيا أيهم صغار، مسكن، مدرسة، محل .

(٥) «لقد سُمِحَ لنا منذ وقت طويل برفع الترانيم والتسابيح لله، عندما عرفنا من الأسفار الإلهية، التي تُقرأ على مسامعنا، علامات الله العجيبة والبركات التي أغدقها الرب على البشر بالأعمال المدهشة، وتعلمنا أن نقول: اللهم بأذاننا قد سمعنا . آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القَدَم . [٨]

(٦) «أما الآن، ولم نعد ندرك الذراع الرفيعة [٩] ويمين الله السماوية الجزيلة التحنن وملك الكل بمجرد الإشاعة أو الخبر، بل أصبحنا نرى من نفس الأفعال، وبأعيننا، أن التصريحات المدونة منذ عهود حقيقة إنما هي أمينة وصادقة، فيليق بنا أن نرفع ترنيمة انتصار ثانية، ونهتف بصوت عال قائلين: كما سمعنا، هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا . [١٠]

(٧) «وأية مدينة يقصد المرنم سوى هذه المدينة المشيدة حديثا التي شيدها الله، التي هي كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته . [١١] والتي يصرح عنها أيضا قول إلهي آخر قائلا: قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله . [١٢] وبما أن الله الكلي التحنن قد جمعنا معا إليها بنعمة ابنه الوحيد، فليترنم بصوت عال كل من دُعِيَ وليقل: فرحت عندما قالوا لي إلى بيت الرب نذهب . [١٣] وأيضا: يا رب أحببت جمال بيتك وموضع مسكن مجدك . [١٤]

(٨) «ولنكرم، لا واحدا فواحدا فحسب، بل كلنا معا بروح واحدة ونفس واحدة، ونرفع الصلوات عاليا قائلين: عظيم هو الرب ويليق به التسبيح جدا في مدينة إلهنا في جبل قدسه . [١٥] لأنه عظيم حقا، وبيته عظيم، مرتفع وفسيح . . . وأبرع جمالا من بنى البشر . [١٦] . . . عظيم هو الرب الصانع العجائب العظام وحده . [١٧] عظيم . . . عظيم هو ذاك . . . الفاعل عظام وأمورا لا تفحص وعجائب مجيدة لا تعد . [١٨] عظيم هو الذي . . . يغير الأوقات والأزمنة الذي يرفع ملوكا ويخفض ملوكا . [١٩] الذي يقسيم . . . المسكين من التراب ويرفع الفقير من المذلة . [٢٠] الذي . . . أنزل الأعزاء من عروشهم ورفع المتضعين من التراب أشبع الجياع خيرات وحطم أذرع المتكبرين . [٢١]

-
- | | | | |
|----------------------------------|-------------------------|--------------------|---------------------|
| (٨) (مز ٤٤ : ١) . | (٩) (خر ٦ : ٦) . | (١٠) (مز ٤٨ : ٨) . | (١١) (١ : ٣ : ١٥) . |
| (١٢) (مز ٨٧ : ٣) . | (١٣) (مز ١٢٢ : ١) . | (١٤) (مز ٢٦ : ٨) . | (١٥) (مز ٤٨ : ١٥) . |
| (١٦) (مز ٤٥ : ٢) . | (١٧) (مز ١٣٦ : ٤) . | (١٨) (أى ٩ : ١٠) . | (١٩) (٢ : ٢١) . |
| (٢٠) (١ صم ٢ : ٨ ، مز ١١٣ : ٧) . | (٢١) (لر ١ : ٥٢ و ٥٣) . | | |

(٩) «ليس فقط من أجل المؤمنين بل أيضا من أجل غير المؤمنين أيد ما دون من الحوادث القديمة، وذلك الصانع المعجزات، الفاعل العظام، سيد الكل، خالق العالم كله، القادر على كل شيء، الكلى الرحمة، الإله الواحد الوحيد - فلنرسم له ترنيمة جديدة، [٢٢] لذلك الذى هو وحده... الصانع العجائب العظام، لأن إلى الأبد رحمته [٢٣] لذلك الذى... ضرب ملوكا عظماء وقتل ملوكا أعزاء لأن إلى الأبد رحمته، [٢٤] لأن... الرب فى مذلتنا ذكرنا ونجنا من أعدائنا [٢٥]

(١٠) «ولنرفع الصوت عاليا بلا انقطاع بهذه الكلمات لأب الكون، ولنكرم بشفاها ذاك الذى هو مصدر خيراتنا، معلم المعرفة الإلهية، معلم الديانة الحق، مهلك الأشرار، وقاتل الفجار، مصلح الحياة، أى يسوع مخلصنا نحن الذين كنا فى حالة اليأس والقنوط.

(١١) «لأنه هو وحده، كابن كلى الرحمة لأب كلى الرحمة، قد ارتضى - وفق قصد صلاح أبيه - باتخاذ طبيعتنا نحن الذين كنا منطرحين فى الفساد، وكطبيب جليل القدر تنازل من أجل انقاذ المرضى ليفحص أوجاعهم، ويعالج قروحهم القلرية، وينقل لنفسه الألم من شقاء الآخرين - وهكذا نحن أيضا أنقذنا أنفسنا من مخالف الموت، نحن الذين لم نكن مرضى فحسب ومصابين بقروح ردية وجروح مميتة وفى عداد الموتى، بل كنا منطرحين فعلا بين الموتى - لأنه لم يكن هنالك أحد آخر ممن فى السماء خال من العطب يستطيع أن يخدم لحلاص الكثيرين.

(١٢) «أما هو فإنه وحده إذ وصل إلى عمق فسادنا، وهو وحده حمل أوجاعنا، وتحمل وحده القصاص الذى كنا نستحقه من أجل آثامنا، وأعادنا إلى الحياة، نحن الذين لم نكن نصف أموات فحسب، بل كنا فى المدافن والقبور، وبالكلية دنسين وغارقين فى الشرور - قد خلصنا قديما، ويخلصنا الآن، بغيرته المباركة، على غير انتظار أى واحد، بل على غير انتظارنا نحن أنفسنا، ويغدق علينا من بركات الأب، ذاك الذى هو واهب الحياة والنور، طيبنا العظيم وملكتنا وربنا مسيح الله.

(١٣) «لأنه عندما كان كل الجنس البشرى مدفونا فى ليل مظلم وفى أعماق الظلام بسبب خداع الشياطين الأثيمة، وقوة الأرواح المبغضة لله، فك قيود فجورنا المحكمة بمجرد ظهوره كنويان الشمع، وذلك بأشعة نوره.

(٢٣) (مز ١٣٦ : ٤).

(٢٥) (مز ١٣٦ : ٢٣ و ٢٤).

(٢٢) (مز ٩٦ : ١).

(٢٤) (مز ١٣٦ : ١٧ و ١٨).

(١٤) «ولكن عندما انفجر مرجل غضب الشيطان الحنود الحقود محب الشر، بسبب هذه النعمة والرحمة، ووجه نحونا كل قواته الجهنمية، وعندما وجه جنونه الوحشى فى بداية الأمر - ككلب جن يعض بأسنانه الحجارة التى تلقى عليه، ويصب جام غضبة فوق الهاجمين عليه بالانتقام من القذائف عديمة الحياة التى توجه إليه - وجه جنونه نحو حجارة المقدس ومواد البيوت عديمة الحياة، وأقفر الكنائس، على الأقل كما توهم . وبعد ذلك انبعثت منه أصوات مرعبة، وأخرى كأصوات الشعابين، أحيانا بتهديدات الطغاة الفجار، وأحيانا أخرى بأوامر الحكام الأشرار التجديفية، وصار يتقياً موتاً، وينفث سمومه المهلكة فى النفوس التى ألقى القبض عليها، ويكاد يقتلهم بذبائحه الميتة للأصنام الميتة، ومحرضاً كل وحش فى شكل انسان، وكل همجى للهجوم علينا .

(١٥) «وبعد ذلك ظهر بغته من جديد ملاك المشورة العظمى [٢٦] ورئيس جند الله [٢٧] . بعد أن أظهر جنود ملكوته الأبطال تدريباً كافياً بالصبر والاحتمال فى كل شيء، ومن ثم ظهر من جديد فجأة واكتسح وأفنى أعداءه ومبغضيه، حتى لم يبق أثر ولا لأسمائهم . أما أصدقاؤه وأقاربه فقد رفعهم إلى أسمى مجد، ليس فقط أمام كل الناس بل أيضاً أمام القوات السماوية، أمام الشمس والقمر والنجوم أمام كل السماء والأرض .

(١٦) «حتى رأينا الحكام الرئيسيين الإن - الأمر الذى لم يحصل قط من قبل - يصقون على وجوه الأصنام الميتة، لشعورهم بما نالوه منه من كرامة، ويطأون بأقدامهم شعائر الشياطين الدنسة، ويهزأون بالضلالة القديمة المسلمة إليهم من آبائهم، ويعترفون بالإله الواحد الوحيد المحسن للجميع بما فى ذلك أنفسهم . ويعترفون بالمسيح ابن الله ملك الكل، وينقشون فوق الآثار أنه هو المخلص، ويسجلون بحروف خالدة، وسط المدينة التى تحكم كل الأرض، أعماله العادلة وانتصاراته على الفجار . وهكذا نرى أن يسوع المسيح مخلصنا هو الواحد الوحيد منذ الأزل الذى اعترف به، حتى من أرفع من على الأرض، ليس فقط بأنه هو ملك الكل بين البشر، بل أيضاً بأنه هو الإبن الحقيقى لأب الكل، والذى يعبد على أساس أنه هو الله ذاته، وهذا حق .

(١٧) «لأنه أى ملك عاش على الأرض حصل على هذا الإمتياز أن يملا أسمع وألسنة كل البشر على الأرض باسمه؟ أى ملك بعد أن وضع مثل هذا الشرائع الصالحة الحكيمة استطاع أن يذيعها من أقصاء الأرض إلى أقصائها، حتى أصبحت تقرأ بصفة دائمة فى أسمع كل البشر؟

(١٨) «من ذا الذى استطاع أن يبطل العوائد الوحشية الهمجية بين الأمم غير المتمدنة بنواميسه الرقيقة المليئة بمحبة البشر؟ من ذا الذى هوجم من الكل دهورا كاملة قد أظهر هذه القوة الفائقة الطبيعة البشرية بإردياده ازدهار كل يوم، واستمراره فتيا طول حياته؟»

(١٩) «من ذا الذى أسس أمة لم يسمع بها فى القديم ومع ذلك فهى الآن ليست مختفية فى أحد أركان الأرض، بل هى متشرة فى كل مكان تحت الشمس؟ من ذا الذى حصن جنوده بأسلحة التقوى حتى أصبحت نفوسهم، وهى أصلب من الماس، تتلألا فى الصراع مع خصومها؟»

(٢٠) «أى ملك يسود ملكه إلى مثل هذا المدى، ويقود جنوده حتى بعد موته، ويعلمن ظفروه بأعدائه، ويملا كل مكان ومملكة ومدينة، يونانية أو بربرية، بمساكنه الملكية والهيكل الإلهية بقرايينها المقدسة، كهذا الهيكل بزِيناته الفخمة وقرايينه المقدسة العظيمة والجليلة بالحقيقة، التى تستحق كل اعجاب وتقدير، والتى هى علامات واضحة عن عظمة مخلصنا؟ لأنه الآن أيضا قال فصنعت، هو أمر فخلقت[٢٨] وحل هنالك أية فائدة ترجى من مقاومة إشارة ملك الكل وكلمة الله نفسه.

(٢١) «إن الأمر ليتطلب بحثا خاصا لتوضيح كل هذا بدقة. وأيضا لوصف مقدار غير الفعلة فى عيني الله المعبود، الذى يتطلع إلى الهيكل الحى المكون منا جميعا، ويقيس البيت المكون من حجارة حية متحركة، المبنى بناء طيا ووطيدا على أساس الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية الرئيسى هو يسوع المسيح نفسه، الذى لم يرفض فقط من بنائى ذلك البناء القديم الذى لم يبق له أثر، بل أيضا من بنائى ذاك البناء المكون من معظم البشر، الذى لا يزال باقيا[٢٩] ويا لهم من مهندسين أشرار لأعمال شريرة. لكن الإرب قد سر به وقتئذ، ولا يزال، وجعله رأس الزاوية لكنيستنا الحاضرة الجامعة.

(٢٢) «من ذا الذى يرى هذا الهيكل الحى لله المكون منا، هذا القدس الأعظم الإلهى بالحق، الذى لا يرى منحراة الداخل للجماهير، وهو مقدس بل قدس أقداس، فيتجاسر على اعلانه؟ من ذا الذى يقوى حتى على التطلع داخل الحجاب المقدس إلا كاهن الجميع الأعظم، الذى لا وحده الحق بأن يسبرغور أسرار كل نفس عاقلة؟»

(٢٨) (مز ٣٣ : ٩).

(٢٩) يشير يوسايوس أولا إلى كنيسة المسيح عندما يتحدث عن «الهيكل الحى المكون منا جميعا» ثم إلى اليهود عن التحدث عن ذلك «البناء القديم الذى لم يبق له أثر»، وأخيرا إلى الوثنيين عندما يتحدث عن «ذلك البناء المكون من معظم البشر الذى لا يزال باقيا».

(٢٣) «ولكن هذا الحق أعطى لآخر، لواحد وحيداً، ليكون ثانياً له» [٢٠] فى نفس العمل، أى لرئيس هذا الجيش الذى أكرمه الكاهن الأعظم الأول نفسه بأعطائه المكان الثانى فى هذا القدس، راعى قطعهم الإلهى، الذى ربح شعبكم بتدبير الاب، كأنه قد أقامه عبده ونائبه، هرون آخر أو ملكيصادق آخر، مشبه بابن الله، باق معه دوماً وفقاً لصلواتكم أجمعين المتحدة.

(٢٤) «إذا فليعط له وحده هذا الحق أن يرعى ويشرف على حالة نفوسكم الداخلية، إن لم يكن فى المكان الأول فعلى الأقل فى المكان الثانى بعد الكاهن الأعظم الأول. فليعط له لأنه بالاختبار ويطول الزمن قد خبر كل واحد بدقة، وبغيرته ورعايته قد ثبتكم أجمعين فى التقوى والإيمان، وهو وحده دون سواء القادر أن يعطى حساباً - مطابقاً للواقع - عن تلك الأمور التى أتمها هو بنفسه بالمعونة الإلهية.

(٢٥) «أما عن كاهنتنا الأعظم الأول فقد قيل: لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الاب يعمل» [٣١] هكذا أيضاً كان الحال مع ذاك الشخص [٣٢] فإنه إذ تطلع إليه كأول معلم. ببصيرة الذهن صافية، متخذاً كل ما رآه يصنعه كإنموذج أصلى، كان يصنع صوراً له بمتهى الدقة على قدر استطاعته. ولم يكن أقل من بصليلى الذى ملأه الله نفسه من روح الحكمة والفهم، [٣٣] ومن معرفة أخرى فنية وعلمية، ودعاه لكى يصنع الهيكل المشيد حسب المثال السماوى فى رموز.

(٢٦) «وهذا الشخص أيضاً إذ حمل فى نفسه صورة المسيح الكامل، الكلمة والحكمة والنور، صنع هذا الهيكل الفخيم لله العلى، وفقاً لإنموذج الهيكل الأعظم، كصورة منظورة لغير المنظور، ومن المستحيل تقديم وصف لعظمة النفس التى تجلت فى عمله، ورجاحة العقل، والمنافسة التى أبدتوها جميعكم والتى ظهرت فى عزة نفس المكتبيين الذين حاولوا أن لا يكونوا دونه فى اتمام نفس الغرض. وما هو جدير بالذكر قبل كل شيء أنه لم يغض الطرف عن هذا المكان الذى غطته حيل أعدائنا بكل أنواع القاذورات، ولا استسلم لشر من سببوا هذه الأمور، مع أنه كان من الممكن أن يختار مكاناً آخر، إذ كانت هنالك أمكنة أخرى كثيرة مناسبة فى المدينة، حيث كان من الممكن أن تقل الجهود ويتحرر من التعب.

(٢٧) «ولكنه إذ نهض أولاً للعمل. ثم شدد عزائم جميع الشعب بالغيرة، وجعل من جميعهم كتلة واحدة، دخل معمعة النضال الأول. لأنه ظن أن هذه الكنيسة التى حاصرها العدو بصفة خاصة، وإلى كابدت معنا ولأجلنا نفس الاضطهاد فى أول الأمر كأم ثكلية، يجب أن تفرح معنا برحمة الله الكلى الرحمة.

(٣١) (يو ٥ : ١٩).

(٣٠) انظر مقدمة الكتاب عن رأى يوسابيوس فى لاهوت المسيح.

(٣٣) (خر ٣٥ : ٣١).

(٣٢) أى بولينس.

(٢٨) «وعندما طرد الراعى الأعظم الوحوش والذئاب وكل حيوان مفترس، وكما تصرّح الأقوال الإلهية: هشم أضراس الأسود» [٣٤] رآه من الخير أن يجمع بينها ثانية فى نفس المكان وبطريقة عادلة جدا أقام قطيعها ليخزى العدو والمتقم [٣٥] ويقضى على جرأة أعداء الله الوقحة.

(٢٩) «أما الآن فإن مبغضى الله ليس لهم وجود، لأنهم لم يكونوا قط من قبل. وبعد أن حل بهم الضيق، ولبث الضيق وقتا قصيرا، نزل بهم القصاص العادل، وجلبوا على أنفسهم وأصدقائهم وأقاربهم الخراب الكامل، وهكذا برهنت الوقائع على صدق التصريحات المدونة منذ القديم فى السجلات المقدسة. فى هذه التصريحات تقول الكلمة الإلهية - ضمن ما تقول - ما يأتى عنهم:

(٣٠) «الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لقتل مستقيمي القلب. سيفهم يدخل فى قلبهم وأقواسهم تتكسر» [٣٦] وأيضا: يبيد ذكرهم بصوت [٣٧] وأيضا: محوت اسمهم إلى الدهر والابد [٣٨] لأنهم أيضا عندما كانوا فى شدة صرخوا ولا مخلص، إلى الرب فلم يستجب لهم [٣٩] أوثقت أقدامهم معا هم سقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا [٤٠] وما سبق اعلانه فى هذه الكلمات: يارب فى مدينتك تحتقر خيالهم [٤١] قد تبينت صحته فى أعين الجميع.

(٣١) ولكنهم إذ أشهروا الحرب على الله كالجبابرة ماتوا بهذه الطريقة. أما تلك التى أقفرت ورفضت من الناس فقد بلغت حد الكمال الذى نراه، وذلك نتيجة لصبرها نحو الله، حتى قيلت فيها نبوة أشعيا:

(٣٢) «افرحى أيتها البرية العطشة. ليبتهج القفر ويزهر كالنرجس. تزهو الأماكن المقفرة وتبتهج» [٤٢]... تشدى أيتها الأيادى المسترخية والركب المرتعشة، تشددوا يا خافى القلوب. تتقوا ولا تخافوا. هوذا الهنا يتقم ويجازى. هو يأتى ويخلصنا [٤٣] لأنه كما يقول: قد انفجرت فى البرية مياه وبركة فى الأرض العطشة. وتصير الأرض الناشفة مراعى مروية والمعطشة ينابيع ماء» [٤٤]

(٣٣) «لقد دونت فى الأسفار المقدسة هذه الأمور التى تنبىء بها منذ أحقاب طويلة، ولكنها لم تعد تنقل إلينا بمجرد الخبر بل كحقائق. فهذه البرية، هذه الأرض الناشفة، هذه الأرملة المهجورة التى

-
- | | | |
|--|-----------------------|-------------------------|
| (٣٤) (مز ٥٨ : ٦). | (٣٥) (مز ٨ : ٢). | (٣٦) (مز ٣٧ : ١٤ و ١٥). |
| (٣٧) (مز ٦ : ٩ حسب الترجمة السبعينية). | (٣٨) (مز ٩ : ٥). | (٣٩) (مز ١٨ : ٤١). |
| (٤٠) (مز ٢٠ : ٨). | (٤١) (مز ٧٣ : ٢٠). | (٤٢) (اش ٣٥ : ١ و ٢). |
| (٤٣) (اش ٣٥ : ٣ و ٤). | (٤٤) (اش ٣٥ : ٦ و ٧). | |

قطعوا أبوابها بالفؤوس كأخشاب فى غابة، التى كسروها بالفؤوس والمعاول، [٤٥] والتى أبادوا كتبها أيضا، وأحرقوا بالنار مقدس الله وذنسوا للأرض مكن اسمه، [٤٦] التى قلعها كل عابرى الطريق، وهدموا أسوارها، وأفسدها الخنزير من الوعر، ورعاها وحش البرية، [٤٧] قد أصبحت الآن كنزجس بقوة المسيح العجيبة عندما سرت مشيئته. لأنها فى ذلك الوقت أيضا قد أدبها كاب رحيم، لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله. [٤٨]

(٣٤) «وبعد أن نالت التأديب بقدر محدود حسبما اقتضت الحالة أمرت بأن تفرح من جديد، وهى الآن تزهو كالنرجس، ويفيح عيورها الإلهى بين كل البشر. لأنه قيل: قد انفجرت فى البرية مياه، [٤٩] وهى ينبوع الحميم المخلص الذى يهب التجديد الإلهى. [٥٠] وتلك التى كانت برية قبل ذلك بقليل صارت الآن مراعى مروية، وتفجرت ينابيع مياه فى المعطشة [٥١] والأيدى التى كانت مسترخية تشددت بالحق، [٥٢] وهذه الأعمال براهين قوية ومقنعة عن الأيدى المتشددة. وأيضا الركب التى كانت مرتعشة وضعيفة استردت قوتها العادية وصارت تتحرك إلى الأمام فى طريق المعرفة الإلهية، مرعة إلى قطع الراعى الكلى الرحمة.

(٣٥) «وإن كان هنالك أشخاص قد روعت نفوسهم بسبب تهديدات الطغاة، فهؤلاء لا تغفل عنهم الكلمة المخلصة كعديمى الشفاء، بل يشفيهم أيضا ويحثهم على قبول التعزية الإلهية قائلا: تعزوا يا خائفى القلوب. تشددوا لا تخافوا. [٥٣]

(٣٦) «وهذا زربابلنا الجديد السامى، إذ سمع الكلمة التى سبق أن أعلنت بأن تلك التى جعلت برية من قبل الله يجب أن تتمتع بهذه الأمور بعد السبى المار، ورجة الخراب، لم يتفاض عن الجسم الميت، بل بصلوات وتضرعات استعطف الآب بموافقتكم أجمعين، وتوسل إلى القادر وحده أن يهب حياة للموتى، كحليفه والعامل معه، فأقام الساقطة بعد أن طهرها وأنقذها من أمراضها. ولم يلبسها ثوبها القديم، بل الثوب الذى عرفه من الأقوال المقدسة القائلة بوضوح: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. [٥٤]

(٣٧) «وإذ شغلت مساحة أوسع جدا حصن الدار الخارجية بسور يحيط بكل المساحة ويصير كحصن للبناء كله. [٥٥]

(٤٥) (مز ٧٤ : ٥ و ٦).	(٤٦) (مز ٧٤ : ٧).	(٤٧) (مز ٨٠ : ١٢ و ١٣).
(٤٨) (عب ١٢ : ١٦).	(٤٩) (اش ٣٥ : ٦).	(٥٠) (تى ٣ : ٥).
(٥١) (اش ٣٥ : ٧).	(٥٢) (اش ٣٥ : ٣).	(٥٣) (اش ٣٥ : ٤).
(٥٤) (حج ٢ : ٩).	(٥٥) هذا الوصف وما يليه هو عن كنيسة صور.	

(٣٨) وأقام دهليزا فسيحا ومرتفعاً يستقبل أشعة الشمس المشرقة . وقدم للواقفين خارج هذه الدائرة المقدسة منظراً كاملاً عما فى الداخل ، ليحول نظر غير المؤمنين إلى المداخل ، حتى لا يمر أحد دون التأثير بذكريات الحراب السابق ، والتحول الحاضر الذى لا يصدق . وكان قصده أن هذا الذى يمر إذا ما تأثر بما رآه انجذب وأغرى على الدخول بمجرد النظر .

(٣٩) « وإذا ما عبر أحد الأبواب لا يسمح له بالدخول إلى المقدس مباشرة بأقدام دنسة غير مغسولة . ولكنه ترك مسافة كافية بين الهيكل والمدخل الخارجى ، وأحاطها وزينها بأربعة أروقة مستعرضة ، وبذلك جعل مسافة مربعة الجوانب ، أقيمت فيها أعمدة على كل جانب ، وصلها بأحجية خشبية شبكية مرتفعة ارتفاعاً معقولاً ، وترك مساحة مكشوفة فى الوسط حتى يرى الجو منها ، ويدخل منها الهواء النقى وأشعة الشمس .

(٤٠) « وهنا وضع رموزاً للتطهير المقدس ، بإقامة أحواض مياه مقابل الهيكل ، تستطيع تقديم مياه كافية يغتسل بها الداخلون إلى المقدس . هذا أول مكان لاستراحة الداخلين . وهو فى نفس البوت يقدم منظراً جميلاً فخماً لكل واحد . وموضعها مناسباً للمحتاجين إلى التعاليم الأولية .

(٤١) « وبعد اجتياز هذا المنظر جعل مداخل مكشوفة إلى الهيكل ، داخلها دهاليز أخرى كثيرة ، جاعلاً ثلاثة أبواب على جانب واحد ، تواجه أشعة الشمس أيضاً . وقد زين الباب الأوسط بصفائح من البرونز والحديد المشغول ، وكانت هذه الزينات البارزة آية فى الجمال . وجعله أعلى وأوسع من البابين الآخرين ، كأنهما قد أقيما حارسين له ، أو لاحدى الملكات .

(٤٢) « وينفس الكيفية رتب عدد الدجاليز المتصلة بالمرات على كل جانب من جوانب الهيكل كله ، وجعل فوقها فتحات مختلفة إلى المبنى لادخال نور كاف ، وزينها بحفر دقيق على الخشب . أما البيت الملكى فقد جهز بمواد أجمل وأفخم ، وانفق عليه بمتهى السخاء .

(٤٣) « ويبدو لى أنه من الاسراف أن أصف هنا بالتفصيل طول وعرض البناء ، وفخامته وعظمتها التى تفوق كل وصف ، ومنظر النقوش الرائع ، ومنارتيه الشاهقتين المرتفعتين إلى السماء ، وأخشاب لبنان الشمينة التى تعلوهما ، التى لم تغفل عن ذكرها الأقوال الإلهية قائلة : تفرح أشجار الرب وأرز لبنان الذى غرسه . [٥٦]

(٤٤) «وَهَلْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لَوْصَفِ الْمَهَارَةِ الْفَنِيَّةِ فِي فَنِّ الْبِنَاءِ، وَالْجَمَالِ الْمُتَقَطِّعِ النَّظِيرِ فِي كُلِّ جُزْءٍ، إِنْ كَانَتْ شَهَادَةُ الْعَيْنِ لَا تَدْعُ مَجَالًا لِسَمْعِ الْأُذُنِ؟ لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ الْهَيْكَلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَضَعَ فِيهِ كِرَاسِيَّ مَرْتَفَعَةً أَكْرَامًا لِلرُّؤُسَاءِ، وَمَقَاعِدَ عَادِيَّةً رَتَبَتْ فِي تَسْيِيقِ حَسَنِ بَيْتِ الْبِنَاءِ، وَأَخِيرًا وَضَعَ فِي الْوَسْطِ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ، أَيْ الْمَذْبَحِ، وَلَكِنْ يَكُونُ مَعْزُولًا عَنِ الْجُمْهُورِ أَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ خَشْبِيٍّ مَشْبُكِيٍّ، مَشْغُولٍ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ، فَكَانَ مَنْظَرًا جَمِيلًا لِلنَّاضِرِينَ.»

(٤٥) «وَلَمْ يَهْمَلْ حَتَّى الْأَرْضِيَّةَ، لِأَنَّهُ زَيَّنَ هَذِهِ أَيْضًا بِرُخَامٍ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَأَخِيرًا انْتَقَلَ إِلَى خَارِجِ الْهَيْكَلِ، فَعَمِلَ مَصَاطِبَ فَيْسِحَةً، وَأَبْنَى فَخْمَةً عَلَى كِلَا الْجَانِبَيْنِ، كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِالْكَنِيسَةِ، وَمُتَّصِلَةً كَذَلِكَ بِمَدَاخِلِ الْمَبْنَى. وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي أَقَامَهَا مَلَكُنَا الْعَظِيمُ مُحِبُّ السَّلَامِ سَلِيمَانُ، الَّذِي بَنَى هَيْكَلَ اللَّهِ، وَذَلِكَ لِلَّذِينَ لَا يَزَالُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّطْهِيرِ وَرَشِّ الْمَاءِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَهَكَذَا لَمْ تَعُدِ النَّبُوءَةُ السَّابِقُ ذَكَرَهَا مَجْرَدَ كَلِمَاتٍ بَلْ حَقِيقَةٍ. لِأَنَّهُ قَدْ تَمَّ أَيْضًا الْآنَ حَقًّا مَا قِيلَ.»

(٤٦) «أَنْ مَجْدَ هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ أَعْظَمُ مِنْ مَجْدِ الْأَوَّلِ [٥٧] فَكَانَ ضَرُورِيًّا وَلَا تَقَا أَنَّهُ كَمَا ذَاقَ رَاعِيهَا وَزَيْبَهَا الْمَوْتَ مَرَّةً مِنْ أَجْلِهَا، وَبَعْدَ الْإِمَامَةِ غَيْرِ ذَلِكَ الْجَسَدِ الْمُتَوَاضِعِ الَّذِي اتَّخَذَهُ نِيَابَةً عَنْهَا إِلَى جَسَدٍ مُجِيدٍ سَامٍ، نَاقِلًا ذَلِكَ الْجَسَدَ مِنَ الْفَسَادِ إِلَى عَدَمِ الْفَسَادِ، هَكَذَا كَانَ يَجِبُ أَنَّهَا هِيَ أَيْضًا تَسْتَمْتِعُ بِتَدْيِيرِ الْمَخْلُصِ. لِأَنَّهَا إِذْ قِيلَتْ مِنْهُ وَعَدَا بِأُمُورٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ تَرِيدُ أَنْ تَشَارَكَ جَوْقَهُ مَلَائِكَةُ النُّورِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ إِلَى الْأَبَدِ فِي مَجْدِ التَّجْدِيدِ [٥٨] الْأَعْظَمِ بِقِيَامَةِ أَجْسَادٍ غَيْرِ فُسَادَةٍ فِي فِرْدَوْسِ اللَّهِ الْأَعْلَى مِنَ السَّمَوَاتِ مَعَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نَفْسَهُ الْمُحْسَنَ لِلْجَمِيعِ وَمَخْلُصَ الْكُلِّ.»

(٤٧) «أَمَّا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ فَإِنَّ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِيمَا قَبْلَ أَرْمَلَةٍ وَمَقْفَرَةٍ قَدْ التَّحَفَّتْ بِنِعْمَةٍ بِهِذِهِ الزَّهْوَرِ، وَأَصْبَحَتْ حَقًّا كَنُرْجَسَةٍ كَمَا تَقُولُ النَّبُوءَةُ [٥٩] وَإِذْ قِيلَتْ ثُوبُ الْعَرَسِ وَاكْلِيلُ الْجَمَالِ تَعَلَّمَتْ مِنْ أَسْعِيَاءِ أَنْ تَرْقُصَ وَتَقْدُمَ تَشْكُرَاتَهَا إِلَى اللَّهِ الْمَلِكِ فِي كَلِمَاتِ التَّوْقِيرِ وَالتَّبْجِيلِ.»

(٤٨) «فَلْنَسْتَمِعْ إِلَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ: تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِالرَّبِّ لِأَنَّهُ أَلْبَسَنِي ثُوبَ الْخُلَاصِ وَرَدَّاءَ الْبَهْجَةِ، زَيْتَنِي كَعَرِيسٍ بِاَكْلِيلِ زَهْوَرٍ، وَجَمَلَنِي كَعُرُوسٍ بِحُلَى. وَكَأَرْضٍ تَخْرُجُ نَبَاتُهَا وَكُجْنَةٌ تَنْبِتُ مَزْرُوعَاتُهَا، هَكَذَا الرَّبُّ إِلَهُ يَنْبِتُ بَرًا وَتَسْيِيحًا أَمَامَ كُلِّ الْأُمَمِ [٦٠].»

(٥٨) (مت ١٩ : ٢٨).

(٥٧) (حج ٢ : ٩).

(٦٠) (اش ٦١ : ١٠ و ١١).

(٥٩) (اش ٣٥ : ١).

(٤٩) «بهذه الكلمات تهلل . ويكلمات مائلة يرد عليها العريس السماوى يسوع المسيح الكلمة نفسه» استمع إلى الرب وهو يقول: لا تخافى إن كنت قد خزيت، ولا تخجلى إن كنت قد وبخت، لأنك تسين الخزى السابق، وعار تملك لا تذكرينه بعده. [٦١] ليس [٦٢] كامرأة مهجورة وخائرة النفس دعاك الرب، ليس كامرأة رذلت منذ صباها قال الهك . لحيفة تركتك ولكن بمراحم عظيمة سارحمتك . بغضب ضئيل حجت وجهى عنك ولكن بمراحم أبدية أرحمتك قال الرب الذى فداك. [٦٣]

(٥٠) «استيقظى استيقظى يا من شربت من يد الرب كأس غضبه . لأنك شربت كأس الخراب . آتية غضبى ومصصتها . ولم يكن لك من يعزيك من جميع بنيك الذين ولدتهم . ولم يكن من يمسك بيدك. [٦٤] هاأنذا قد أخذت من يدك كأس الخراب . آتية غضبى . لا تعودين تشربينها فيما بعد . وأضعها فى يد معذيك الذين أذلوك. [٦٥]

(٥١) «استيقظى البسى قوتك . البسى مجدك . انتفضى من التراب وقومى . اجلسى وأنحلى من ربط عنقك. [٦٦] ارفعى عينيك حواليك وانظرى بنيك قد اجتمعوا معا . هوذا قد اجتمعوا معا وأتوا إليك . حى أنا يقول الرب إنك تلبسينهم كلهم كحلى تنطقين بهم كحلى عروس . لأن خربك وبراريك وأرض خرابك تكون الآن ضيقة جدا بسبب الساكنين فيك . ويتباعد عنك مبتلعوك .

(٥٢) «ويقول أيضا بنو ثكلك فى أذنيك . ضيق على المكان وسعى لى لأسكن . فتقولين فى قلبك من ولد لى هؤلاء؟ أنا ثكلى وأرملة وهؤلاء من رباهم لى؟ أنا متروكة وحدى وهؤلاء أين كانوا لى. [٦٧]

(٥٣) «هذه هى الأمور التى تنبأ بها اشعياء، والتى سجلت عنا فى الأسفار المقدسة منذ القديم . وكان من الضرورى فى وقت ما أن نتيين صدقها من اتمامها .

(٥٤) «لأنه عندما تحدث العريس، الكلمة، بهذه اللهجة مع العروس، الكنيسة المقدسة الطاهرة، وكانت (العروس) خربة، ومنطرحة كجثة هامة، وانقطع عنها كل رجاء فى أعين البشر، قال اشيين العريس، [٦٨] وفقا لصلواتكم المتحدة أجمعين، كما كان لاثقا . مد أيديكم وأقامها وأيقظها بأمر الله ملك الكل، وبإعلان قوة يسوع المسيح . وإذا أقامها أسسها كما تعلم من الوصف المعطى فى الأقوال المقدسة .

(٦٢) كلمة «ليس» غير موجودة إلا فى الترجمة السبعينية .

(٦٤) (اش ٥١ : ١٧ و ١٨) .

(٦٦) (اش ٥٢ : ١ و ٢) .

(٦٨) يقصد بولينس .

(٦١) (اش ٥٤ : ٤) .

(٦٣) (اش ٥٤ : ٦ - ٨) .

(٦٥) (اش ٥١ : ٢٢ و ٢٣) .

(٦٧) (اش ٤٩ : ١٨ - ٢١) .

(٥٥) «والواقع إن هذا أمر عجيب جدا، ويفوق كل عقل، سيما الذين لا يهتمون إلا بالمظاهر الخارجية. والأعجب من العجب هو التماذج الأصلية وصورها العقلية ونماذجها الإلهية، أعنى صور البناء الروحي فى نفوسنا.

(٥٦) «هذا ما خلقه ابن الله نفسه على صورته، جاعلا فيه فى كل مكان ومن جميع الوجوه مثال الله، طبيعة غير فاسدة، غير جسدية، عاقلة، خالية من كل مادة أرضية، خليفة وهبت ذكاءها الخاص. وعندما دعاها من عدم الوجود إلى الوجود جعلها عروسا طاهرة، هيكلًا مقدسا بالتتمام لنفسه وللآب. هذا أيضا ما يصرح به بكل وضوح ويعترف به فى الكلمات التالية «إنى سأسكن فيهم وأسير فيهم. وأكون إلههم وهو يكونون شعبى» [٦٩] هذه هى النفس الكاملة المطهرة التى خلقت من البدء لتحمل صورة الكلمة السماوى.

(٥٧) «ولكنها عندما صارت باختيارها شهوانية ومحبة للشر، وذلك بحسد وغيره ابليس الخيث، تركها الله، وصارت فريسة سهلة، وسريعة الوصول إليها عن سبقوا أن حسدوها طويلا، كأنها قد حرمت ممن يحميها. وإذ هجمت عليها قوات وآلات الأعداء غير المنظورين والخصماء الروحيين، سقطت سقوطا مروعا، حتى لم يبق فيها حجر من أحجار الفضيلة على حجر، بل انطرحت على الأرض ميتة بالكلية، مجردة تجريدا كاملا من أفكارها الطبيعية عن الله.

(٥٨) «وإذ كانت منطرحة هكذا، تلك التى خلقت على صورة الله، فلم يكن خنزير يرى مما تراه فى الغاية، هو الذى سطا عليها، بل أضلها شيطان مخرب ووحوش روحية بشهواتها كما بسهام نارية من شرورها، وأحرقت بالنار مقدس الله المقدس بالحق، وذنست إلى الأرض مسكن اسمه. وإذ دفنت تلك المسكينة التعسة وسط أكوام من التراب أبادت كل رجاء فى الخلاص.

(٥٩) «على أن الكلمة الإلهى المخلص حاميا أعاد إليها الحياة مرة أخرى، فنالت الرحمة من الآب كلى الرحمة، بعد أن تحملت القصاص الذى استحقه من أجل خطاياها.

(٦٠) «وبعد أن حطم أولا نفوس أكبر الحكام استخدم الرؤساء الأتقياء محبوبى الله، فظهر الأرض كلها من جميع الظالمين الأشرار، ومن الطغاة أنفسهم مبغضى الله. وإذ أبرر وأظهر جليا أحياءه، الذين كانوا مكرسين لله مدى الحياة، وكانوا مخبئين تحت حماه وسط عاصفة الشرور، أكرمهم بمواهب الروح القدس العظمى التى كانوا يستحقونها. وبواسطتهم أيضا طهر ونقى بالفؤوس والمعاول (أى كلمات التعنيف) النفوس التى كانت قبل ذلك بقليل مغطاة بالقاذورات ومثقلة بكل أنواع الأدران والأوساخ.

(٦١) وبعد أن ظهر تربة عقولكم، ونقاها استودعها نهائيا لهذا القائد الكلى الحكمة محبوب الله، الذى وهب الحكمة وبعد النظر، ومواهب أخرى، والذى لم يكف عن البناء لقدرته على فحص وتمييز عقول الذين سلموا إليه منذ أول يوم إلى الآن. وهوذا الآن قد أعد الذهب الصافى والفضة النقية والحجارة الثمينة فى جميعكم، وهكذا تمت من أجلكم مرة أخرى - فعلا لا قولاً - النبوة المقدسة الرمزية القائلة:

(٦٢) «هأنذا أجعل حجارتك اثمدا، وأساساتك ياقوتا أزرق، وشرفك ياقوتا، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل أسوارك حجارة كريمة. وكل بنيك يكونون متعلمين من الله، ويتمتع بنوك بسلام كامل. وبالبر تبين» [٧٠]

(٦٣) «ولكى يبنى بالبر قسم جميع الشعب حسب قوتهم. فالبعض حصنهم فقط بسياج خارجى إذ سيج حولهم بإيمان لا يتداعى، وهؤلاء هم أغلبية الشعب الذين لم يكونوا يستطيعون أن يحتملوا بناء أعظم. والآخرين سمح لهم بدخول البناء، أمرا إياهم بالوقوف على الباب ليكونوا كمرشدين لمن يجب أن يدخلوا، وهؤلاء يصح تشييمهم بحق بأروقة الهيكل. والآخرين دعمهم بالأعمدة الأولى القائمة فى الخارج بجوار الصالة المربعة الجوانب، معلما إياهم المبادئ الأولية فى الإنساجيل الإربعة. وآخرون اتحدتهم معا بجوار الكنيسة ذاتها على الجانبين، وهؤلاء هم الموعوظون الذين لا يزالون فى حالة نمو وتقدم، وليسوا مبعدين عن منظر الإلهيات الداخلى المعطى للمؤمنين.

(٦٤) «وحينما يأخذ من بين هؤلاء تلك النفوس التى تطهرت كالذهب بالغسل الإلهى [٧١] يدعمها بأعمدة أفضل بكثير من الأعمدة الخارجية، مصنوعة من تعاليم الكتاب المقدس الداخلية الرمزية، ويضيئها بشبايك.

(٦٥) «وبعد أن يزين كل الهيكل برواق عظيم من مجد ملك الكل الإله الواحد، ويضع على كلا الجانبين سلطان الآب والمسيح والروح القدس كأتوار أخرى، يبين بكل وضوح وجلال فى البناء بأكمله جمال وجلال الحق بكل تفاضيله. وبعد أن يختار من كل الأرجاء أحجار النفوس الحية المتحركة المعدة أعدادا حسنا يبنى منها كل البيت الملكى العظيم المجيد المستلئ نورا من الداخل ومن الخارج، لأن جسمهم - علاوة على النفس والذهن - قد صار مجيدا بزينة الطهارة والعفة.

(٦٦) «وفى هذا الهيكل توجد أيضا عروش وعدد وفير من الكراسى والمقاعد، وفى كل تلك النفوس تستقر مواهب الروح القدس، كما رأى الرسل القديسون فى القديم ومن كان معهم حينما ظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم» [٧٢]

(٦٧) «أما قائد كل الجماعة فمن المعقول أن نعتقد بأن المسيح نفسه يحل فيه بملكه، وكذا فى من

يحتلون المرتبة الثانية بعده على قدر ما يستطيع كل واحد أن يقبل قوة المسيح والروح القدس . وتجعل نفوس البعض مقاعد للملائكة، وهؤلاء هم الذين توكل إلى كل واحد مهمة التعليم والرعاية .

(٦٨) «أما الهيكل العظيم الجليل الفريد فماذا يمكن أن يكون سوى قدس أقداً نفس الكاهن الذى على الكل؟ وإذ يقف عن يمينه المسيح نفسه رئيس كهنة المسكونة الأعظم، ابن الله الوحيد، فإنه يتقبل بثغر باسم ويد ممتدة البخور العطر من الجميع، والذبايح غير الدموية غير المادية المقدمة فى صلواتهم، ويحملها للآب السماوى وإله الكون، وهو نفسه يعبد أولاً، ويقدم وحده للآب الأكرام اللائق به، متوسلاً إليه أيضاً أن يستمر على الدوام رحيماً بنا ومتعظاً علينا .

(٦٩) «هذا هو الهيكل العظيم الذى بناه خالق الكون العظيم، الكلمة، فى كل أرجاء العالم، جاعلاً إياه صورة مدركة على الأرض لتلك الأمور الأعلى من قبة السماء لكى يكرم أبوه ويعبد فى كل الخليقة بما فيها الكائنات العاقلة على الأرض .

(٧٠) «أما المنطقة التى فوق السماوات وأشياء الأرضيات التى فيها، وأورشليم العليا، [٧٣] وجبل صهيون السماوى، ومدينة الله الحى السماوية، التى فيها أجواق ملائكة لا تعد وكنيسة الإبركار المكتوبة أسماؤهم فى السماء - هذه تسبح الخالق وضابط الكون بترانيم التسبيح التى لا ينطق بها ولا نستطيع أن ندركها، ومن من البشر الفانين يستطيع تأدية هذا؟ لأنه: ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه [٧٤]

(٧١) «وإن كنا نحن، رجالاً وأطفالاً ونساء، صغاراً وكباراً، قد أصبحنا فعلاً شركاء - جزئياً - فى هذه الأمور، فعلينا جميعاً بروح واحد ونفس واحدة أن لا نكف عن الاعتراف بمن أغدق علينا بمثل هذه الخيرات، وعن تسييحه، ذاك الذى يغفر جميع ذنوبنا . الذى يشفى كل أمراضنا، الذى يفدى من الهلاك حياتنا، الذى يكللنا بالرحمة والرافة الذى يشبع بالخير رغباتنا . [٧٥] لأنه لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا [٧٦] كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا . كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفية . [٧٧]

(٧٢) «وإذ نستعيد هذه الذكريات فى مخيلتنا، الآن وكل الأوقات القادمة، ونفكر بعقولنا ليلاً ونهاراً، كل ساعة وكل لحظة فى منشئ هذا العيد العظيم الحالى، وهذا اليوم الرائع الجليل، فلنحبه ونعبده بكل قوى النفس . وإذ نقوم الآن لتوسل إليه بصوت عال أن يظللنا فى حظيرته ويحفظنا فيها إلى النهاية، مانحاً إيانا إلى الأبد سلامه الدائم الذى لا يتزعزع، بالمسيح يسوع مخلصنا، الذى به يليق له المجد إلى أبد الأبد، آمين .»

(٧٥) (مز ١٠٣ : ٣ - ٥) .

(٧٤) (١ كو ٢ : ٩) .

(٧٣) (عب ١٢ : ٢٢ و ٢٣) .

(٧٧) (مز ١٠٣ : ١٢ و ١٣) .

(٧٦) (مز ١٠٣ : ١٠) .

الفصل الخامس

صور القوانين الإمبراطورية

(١). ولنصف أخيرا صور الأوامر الإمبراطورية التي أصدرها قسطنطين ولسينيوس مترجمة من

اللغة الرومانية .

صور الأوامر الإمبراطورية مترجمة من اللغة الرومانية

(٢) «إننا إذ أدركنا منذ عهد طويل أن الحرية الدينية يجب أن لا يحرم منها أحد، بل يجب أن

يترك لحكم ورغبة كل فرد أن يتم واجباته الدينية وفق اختياره، أصدرنا الأوامر بأن كل إنسان، من
المسيحيين وغيرهم، يجب أن يحتفظ بعقيدته وديانته .

(٣) «ولكن نظرا لأن في تلك الأوامر، التي منحت بمقتضاها الحرية لهم، قد أضيفت حالات

مختلفة كثيرة على ما يظهر، فبعضهم ربما يكونون، قد امتنعوا عن مراعاتها بعد قليل .

(٤) «وعندما حضرنا إلى ميلان في ظروف طيبة، أنا قسطنطين وأوغسطس وأنا ليسيونيوس

أوغسطس، وتأملنا في كل ما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب، اعتزمنا فيما اعتزمناه، أو على

الأصح اعتزمنا أول كل شيء، أن نصدر الأوامر التي تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة، أي

تلك التي تحفظ الإكرام لله وتقواه . أي أننا اعتزمنا منح المسيحيين، وكذا كل الناس الحرية لاتباع الديانة

التي يختارونها، أي أية ديانة سماوية توافقنا وتوافق كل من يعيش تحت حكمنا .

(٥) «لذلك قررنا، بقصد سليم مستقيم، أن لا يحرم أي واحد من الحرية لاختيار واتباع ديانة

المسيحيين، وأن تعطى الحرية لكل واحد لإعتناق الديانة التي يراها ملائمة لنفسه، لكي يظهر لنا الله في

كل شيء لطفه المعهود وعنايته المعتادة .

(٦) «وقد رأينا مناسبا أن نكتب بأنه قد تركت نهائيا تلك الحالات، التي تضمنتها رسالتنا

السابقة عن المسيحيين، السابق ارسالها إلى فطنتكم، فإسرها الغاء كل ما يبدو قاسيا جدا وغير متفق مع

لطفنا، وكل من يريد اتباع ديانة المسيحيين فليسمع له بهذا دون ازعاج .

(٧) «واعتزمنا أن نوكل هذا كلية إلى رعايتكم، لكي تعرف أننا منحنا لهؤلاء المسيحيين كامل الحرية لممارسة فرائض ديانتهم».

(٨) «وطالما كنا قد منحناهم هذا الحق باختيارنا، فمن ذلك تدرك فطنتكم أن الحرية ممنوحة أيضا للآخرين الذين يريدون ممارسة فرائض ديانتهم. ومما يتفق مع الهدوء الشامل في أيماننا أن يكون لكل واحد حرية اختيار وعبادة أي إله يريد. وقد فعلنا هذا لكي لا يُظَنَّ بأي شكل من الأشكال أننا متحاملون على أية طبقة أو ديانة».

(٩) «وعلاوة على ذلك، نأمر من جهة أماكن المسيحيين التي اعتادوا الاجتماع فيها سابقا، والتي سبق أن صدر عنها أمر مخالف لهذا في رسالتنا السابق إرسالها إلى فطنتكم، إذا ظهر أن أحدا اشتراها إما من خزائنتنا أو من أي شخص آخر، وجب ردها لهؤلاء المسيحيين من غير إبطاء أو تردد، دون مطالبتهم بشمن عوضا، وإن كان أحد قد قبل تلك الأماكن كهبة، وَجَبَ عليه ردها لهؤلاء المسيحيين بأسرع ما يمكن».

(١٠) «وليكن معلوما بأنه إن كان الذين اشتروا هذه الأماكن، أو الذين قبلوها كهدية، يطلبون شيئا من هباتنا، فليذهبوا إلى قاضي الناحية لكي يُعْطَوْا شيئا من قِبَلِ رَأْفَتِنَا. ولتُمنَح كل هذه برعايتكم لجماعة المسيحيين في الحال وبدون إبطاء».

(١١) «ونظرا لأنه معروف بأن هؤلاء المسيحيين لم يملكوا فقط هذه الأماكن التي اعتادوا الاجتماع فيها، بل أماكن أخرى أيضا، لم تكن ملكا للأفراد بل للجماعة كمجموعة، أي لجماعة المسيحيين، فأصدرنا الأوامر برد هذه أيضا من دون إبطاء، وفقا للأمر السابق ذكره، إلى هؤلاء المسيحيين، أي إلى جماعتهم وهيئتهم، مع مراعاة الاحتياط السابق ذكره بطبيعة الحال، أي أن الذين يردونها بدون ثمن، كما قدمنا، يصح أن يطالبوا بتعويض من هباتنا».

(١٢) «وفى كل هذه الأمور، ومراعاة لمصلحة جماعة المسيحيين السابق ذكرهم، ابذلوا أقصى جهدكم لإتمام أوامرنا بسرعة، ولكي يتوفر الهدوء والسلام في هذا أيضا».

(١٣) «لأنه بهذه الطريقة، كما قدمنا، تستمر رحمة الله معنا دواما، الأمر الذي اختبرناه في كثير من الأمور».

(١٤) «ولكي يعرف الجميع تفاصيل أوامرنا الرحيمة هذه، أرجو أن تنشروا مكتوبنا هذا في كل مكان، وتعلنوه للجميع، حتى لا تبقى أوامرنا الرحيمة هذه مجهولة عند أي امرئ».

صورة أمر إمبراطوري آخر أصدره معلنًا بأن هذه المنحة أعطيت للكنيسة الجامعة فقط

(١٥) «تحية لك يا عزيزي أنولينس - من عادة محبتنا أيها العزيز أنولينس أننا نريد ليس فقط أن تبقى حقوق الآخرين دون مساس، بل أيضا أن ترد إليهم» [١]

(١٦) «لذلك نريد بأنه حالما تصلك هذه الرسالة إن كانت هناك أشياء كهذه ملك للكنيسة المسيحية الجامعة في أية مدينة أو مكان آخر، ولكنها الآن في حوزة المواطنين أو غيرهم وجب أن تأمر بردها حالا إلى الكنائس المذكورة - لأننا قررنا فعلا بأنه يجب أن ترد لهذه الكنائس تلك الأشياء التي كانت تملكها سابقا -

(١٧) «ونظرا لأن فطنتك تدرك أن أمرنا هذا واضح كل الوضوح، فعجل بأن ترد إلى تلك الكنائس، بأسرع ما يمكن، كل ما كانت تملكه سابقا، سواء كانت حدائق أو مبان أو أى شيء آخر، حتى نعلم أنك قد أطعت أمرنا هذا بكل حرص - السلام لك يا عزيزي أنولينس المحبوب جدا» -

صورة الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور بعقد مجمع للأساقفة في روما من أجل وحدة الكنائس وائتلافها

(١٨) «من قسطنطين أوغسطس إلى ملبادس [٢] أسقف روما وإلى مرقس [٣] نظرا لأن أنولينس وإلى أفريقيا العظيم قد أرسل إلى عدة رسائل قيل فيها إن سيسيليانوس أسقف مدينة قرطاجنة وجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائه في أفريقيا، ونظرا لأنه يبدو لي أنه لامر خطير جدا أن يسلك الشعب - في تلك الأقطار التي عهدت إلى العناية الإلهية رعايتها، والتي يقطنها عدد وافر من السكان - طريقا خاطئا، وأن يكونوا منقسمين إلى حزبين، وأن يكون الأساقفة مختلفين -

(١٩) «فأراه من المناسب أن يحضر سيسيليانوس نفسه إلى روما ومعه عشرة من الأساقفة الذين يتهمونه وعشرة آخرون ممن يراهم لازمين للدفاع عنه، لكي تسمع أقواله هناك بوجودكما ووجود

(١) أن ترد إليهم أن كانت قد سلبت منهم -

(٢) كان اسقفا لروما من ٢ يولية سنة ٣١٠ إلى ١٠ يناير سنة ٣١٤ -

(٣) لعله كان قسا في روما، ولعله هو الذي أقيم اسقفا عليها مدة ثمانية شهور سنة ٣٣٦ -

رتسيوس [٤] وماترنوس [٥] ومارينوس [٦] زملائكما الذين طلبت منهم الإسراع إلى روما لهذا الغرض .
وبذلك تعرف أن الحقيقة وفق للشرائع المقدسة .

(٢٠) «ولكى تكون لديكما معرفة كاملة عن هذه الأمور ارفقت برسالتى صور كل المستندات إلى أرسلها إلى أنولينس، كما أرسلتها أيضا إلى زملائكما المشار إليهم . وإذا ما اطلعتما عليها استطعتما بحث هذه القضية بدقة وحكمتهما فيها بعدل . لأنه لا يغيب على فطنتكما أننى أحترم الكنيسة الجامعة القانونية احتراماً تاماً، حتى إننى لا أريدكما أن تدعا أى مجال للانشقاق أو الإنقسام فى أى مكان .
ليحفظكما لاهوت الله العظيم سنينا عديدة يا سيدى الموقرين» .

صورة رسالة يأمر فيها الإمبراطور بعقد مجمع آخر لإزالة كل المنازعات من بين الأساقفة

(٢١) «قسطنطين أوغسطس إلى كرسستوس [٧] أسقف سيراكوزا، لما بدأ البعض يختلفون فيما بينهما بخبث فيما يتعلق بالعبادة الطاهرة، والقوة السماوية، والعقيدة الجامعة، رأيت أن أضع حدا لهذه المنازعات التى بينهم، فأصدرت الأوامر بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال، وأن يستدعى من اقريقيا الطرفان المتخاصمان، اللذان كانا يتنازعان مع بعضهما البعض بعناد وبصفة مستمرة، لكى يفحص بكل دقة موضوع النزاع بحضورهم وحضور أسقف روما .

(٢٢) «ولكن نظرا لأن البعض إذ تناسوا خلاصهم، والتوقير الخلق بديانتنا المقدسة، لم يضعوا حدا للعداوة، ولم يخضعوا للحكم السابق صدوره، مدعين بأن الذين أعطوا رأيهم وقرارهم كانوا قليلي العدد، أو أنهم تعجلوا وتهوروا فى اعطاء حكمهم قبل فحص كل الأمور التى كان يتطلب الموقف فحصها بدقة - من أجل كل هذه حدث أن الذين كان يجب أن يحتفظوا بعلاقات الاخوة والمودة بين بعضهم البعض انقسموا فيما بينهم، الأمر الذى يدعو إلى الحزى والعار، وأعطوا فرصة للغرباء عن هذه الديانة الطاهرة للاستهزاء . لذلك رأيت ضرورة أن يوضع الآن حد، إن أمكن، وبوجود الكثيرين، لهذه المنازعات التى كان يجب أن تتلاشى بعد الحكم الصادر بموافقتهم .

(٥) كان أسقفا فى كولون .

• Chrestus (٧)

(٤) كان أسقفا فى بلاد الغال .

(٦) كان أسقفا فى ارلس .

(٢٣) «ونظرا لأننا من أجل هذا قد أمرنا بأن يجتمع عدد وافر من الأساقفة من أماكن مختلفة في مدينة أرل[٨] قبل أول شهر أوغسطس فقد رأينا أنه من المناسب أن نكتب لك أيضا لكي تحصل من لاكترونيانوس العظيم وإلى صقلية عربية عامة، وتأخذ معك اثنين آخرين من الرتبة الكهنوتية الثانية[٩] تختارهما أنت، وثلاثة خدام لخدمتك في الطريق، وترتب أن تكون في المكان المذكور قبل الموعد المحدد.

(٢٤) «لكي بحكمتك واتفاق ووحدة الباقين الموجودين يحسم هذا الانقسام الذي استمر حتى الآن بكيفية مخجلة بسبب بعض المنازعات المخزية، بعد أن يسمع كل ما يدلى به الطرفان المتنازعان، وبعد أن يسمع كل من أمرناهم أيضا بالحضور، فيستقر كل شيء وفق الإيمان السليم، وتعود الوحدة الأخوية ولو تدريجيا. ليحفظك الله القدير في صحة كاملة سنين عديدة».

الفصل السادس

صورة رسالة إمبراطورية أرسلت بمقتضاها أموال إلى الكنائس

(١) قسطنطين أوغسطس إلى سيسيليانوس أسقف قرطاجنة. يسرنا أن تمنح بعض المنح في كل أقطار إفريقيا ونوميديا وموريتانيا لبعض خدام الديانة الطاهرة الجامعة لتغطية نفقاتهم، لذا كتبت إلى أوريوس وزير مالية إفريقيا العظيم، وأمرته بأن يدفع إلى فطتكم ثلاثة آلاف فولي[١]:

(٢) «ومتى استلمت المبلغ المشار إليه أأمر بأن يوزع على جميع المذكورين أعلاه وفقا للمختصر المرسل إليك من هوسيوس.

(٣) «وإن وجدت أنه ينقصك أي شيء لاقام غرضنا نحو الجميع فاطلب بدون أي تردد من هراكلدس أمين خزانتنا كل ما تراه ضروريا. لأنني أمرته لما كان هنا بأن يدفع إليك في الحال كل ما تطلبه منه.

(٩) أي قيسين.

(٨) Arles مدينة في جنوب فرنسا بقرب مصب نهر الرون.

(١) عملة غير معروفة قيمتها بالضبط.

(٤) «ونظرا لأننى علمت أن بعض ذوى العقول النسيمة يريدون أن يحولوا الشعب عن الكنيسة المقدسة الجامعة بطريقة دنسة مخزية، فاعلم بأننى أمرت أنولينس الوالى، وباتريشس نائب المقاطعة، لما كانا هنا، بأن يبذلا عناية فائقة ليس فقط نحو الشئون الأخرى بل أيضا نحو هذا الأمر قبل كل شيء، وأن لا يغض الطرف عنه أن حصل».

(٥) «وإن رأيت أشخاصا كهؤلاء مستمرين فى هذا الجنون فإذهب فى الحال إلى القاضين المذكورين وشرح لهما الأمر لكى يؤدباهم كما أمرتهما لما كانا هنا، ليحفظك لاهوت الله العظيم سنينا طويلة».

الفصل السابع

إعفاء الإكليروس

صورة الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور بإعفاء رؤساء الكنائس من الواجبات السياسية

(١) «السلام لك يا عزيزنا أنولينس . نظرا لما اتضح من ظروف كثيرة بأنه عندما تحقر تلك الديانة الى توفر الإكرام العظيم للقوة السماوية المقدسة تتعرض المصالح العامة لأخطار شديد، ولكن عندما تتبع وتمازس حسنا فإنها تعود بالخير العميم والتقدم العظيم على الإسم الرومانى والسعادة لكل مصالح البشر برحمة الله - فقد رأيت من المناسب أيها العزيز أنولينس بأن الذين يقدمون خدماتهم، بالقداسة الواجة وبمراعاة هذا القانون، متبعين هذه الديانة الإلهية، يجب أن يتالوا تعويضا عن أتعابهم».

(٢) «فيسرنى أن المقيمين فى المقاطعة التى أوكل إليك أمرها، أعضاء الكنيسة الجامعة، التى يرأسها سيسيليانوس، الذين يقدمون خدماتهم لهذه الديانة الطاهرة، والذين يدعون اكليروسا يجب أن يعفوا اعفاء تاما من الواجبات العامة لكى لا يتحولوا - بسبب أى خطأ أو تدنيس الأشياء المقدسة أو اهمال - عن الخدمة الواجة لله، بل يكرسوا أنفسهم لشرائعهم دون أى عائق . فالأمر ظاهر أنهم عندما يقدمون الإكرام العظيم لله يشمل الدولة الخير العظيم . دم فى سلام أيها العزيز أنولينوس المحبوب».

الفصل الثامن

شر ليسينيوس الثانى ، وموته

(١) هذه هى البركات التى أغدقتها علينا النعمة الإلهية السماوية بظهور مخلصنا، وهكذا كانت الخيرات العميقة التى شملت كل الناس نتيجة للسلام الذى تمتعنا به . وهكذا توجت شئوننا بالأفراح والولائم .

(٢) على أن الحسد الخبيث والشيطان محب الشر لم يطبقا رؤية هذه الأمور . وفضلا عن ذلك فإن الحوادث التى حلت بالطغاة السابق ذكرهم لم تكن بكافية لرد ليسينيوس إلى صوابه .

(٣) «لأن هذا الأخير، بالزغم من تقدم حكومته وتشرفه باحتلال الرتبة الثانية بعد الإمبراطور قسطنطين العظيم، وارتباطه معه بأوثق ربط المصاهرة، قد ترك الاقتداء بالأعمال الصالحة، واقتدى بشرور الطغاة الظالمين الذين رأى نهايتهم بعينيه، وفضل اتباع مبادئهم عن الاستمرار فى علاقة الصداقة مع من هو أفضل منهم . وإذا حسد ذلك الرجل الصالح العظيم أشهر عليه حربا شنيعة، دون مراعاة للنواميس الطبيعية، ولا المعاهدات، ولا القرابة الجسدية، دون مبالاة بالعهود .

(٤) فإن قسطنطين، كإمبراطور كلى الصلاح، إذ قدم إليه أدلة المحبة الصادقة، لم يرفض التحالف معه، ولم يرفض أن يزوجه بأخته، بل أكرمه بجعله شريكا فى الأجداد والدم الإمبراطورى القديم، ومنحه حق الاشتراك فى الحكم على الكل كأخ وزميل، مانحا إياه حق حكم وإدارة جزء من الأقطار الرومانية لا يقل عن نصيبه .

(٥) أما ليسينيوس فإنه بالعكس سلك طريقا ضد هذا على خط مستقيم . ففى كل يوم كان يحيك كل أنواع المؤامرات ضد رئيسه، ويفكر فى كل أنواع الشرور . لكى يكافىء المحسن إليه بالشر . وقد حاول فى بداية الأمر إخفاء تدابير، وادعى الصداقة، ولكنه طالما كان يرتكب الكثير من الغدر والخيانة، مؤملا أنه سوف يستطيع بسهولة اتمام غايته المرجوة .

(٦) على أن الله كان حبيب قسطنطين وحاميه وحارسه . وإذا كشف المؤامرات التى كان يدبرها فى السر والظلام أحبطها . وهكذا يستطيع سلاح التقوى العظيم أن يصد الأعداء ويضمن لنا السلامة . وإذا تسلم إمبراطورنا العظيم المحبوب بهذا السلاح نجا من المؤامرات العديدة التى دبرها ذلك الرجل الخائن .

(٧) ولكن لما رأى ليسينيوس أن تراييره السرية لم تنجح مطلقا كما أراد (لأن الله كشف للإمبراطور محبوب الله كل مؤامرة وكل خبث) ولما لم يستطع اخفاء نفسه بعد، أشهر الحرب علانية.

(٨) وفي نفس الوقت الذى عزم فيه على اشهار الحرب ضد قسطنطين عزم أيضا على محاربة إله الكون الذى كان يعرف أن قسطنطين يعبد، وبدأ يهاجم رعاياه الاتقياء الذين لم يسبوا أى ضرر لحكومته، وكان هجومه فى بداية الأمر خفيفا. وقد فعل هذا تحت ضغط خبثه الغريزى الذى دفعه إلى عمى مروع.

(٩) لذلك لم يضع نصب عينيه ذكريات الذين اضطهدوا المسيحيين قبله، ولا ذكريات الذين أقيم هو نفسه لآبادتهم بسبب الشرور التى ارتكبوها. ولكنه إذ فقد صوابه، بسبب ما تملك عليه من جنون، عزم على اشهار الحرب ضد الله نفسه حليف قسطنطين بدلا من اشهار الحرب على من كان يساعده.

(١٠) وفى بداية الأمر طرد من بيته كل مسيحي، وهكذا حرم ذلك التعس نفسه من الصلوات التى كانوا يرفعونها إلى الله من أجله، والتى اعتادوا رفعها من أجل جميع الناس حسب تعاليم آبائهم. ثم أمر بطرد الجند الذين فى المدن من مناصبهم وتجريدهم من رتبهم إن لم يذبحوا للشياطين. ومع ذلك فهذه أمور بسيطة بالنسبة للامور الأخطر التى تلتها.

(١١) وهل هنالك ضرورة لوصف كل ما فعله بالتفصيل ذلك الرجل المبغض لله، وكيف اخترع الرجل الشرير قوانين شريرة؟ فقد أصدر أمرا بأنه لا يجوز لأى واحد اظهار الشفقة نحو المسجونين باعطائهم طعاما، ولا يجوز لأى واحد اظهار الرحمة نحو الذين يتضورون جوعا فى القيود، ولا يجوز لأى واحد اظهار الرحمة بأى حال من الأحوال أو فعل أى عمل من أعمال الخير حتى ولو حركته الطبيعة نفسها للعطف على قريبه. وهذا كان فى الواقع قانونا مخزيا وقاسيا، إذ كان يتنافى مع كل عطف طبيعى. وعلاوة على هذا فقد صدر أمر آخر بمعاقبة من يظهرون العطف وذلك باشراكهم فى آلام من يعطفون عليهم، وأن الذين خدموا المتألمين يجب وضعهم فى القيود، وطرحهم فى السجون، واشراكهم فى نفس قصاص المتألمين. هكذا كانت أوامر ليسينيوس.

(١٢) ولماذا نعدد بدعه نحو الزواج أو نحو الموتى - تلك البدع التى بمقتضاها تجاسر على الغاء القوانين الرومانية القديمة التى ربت بحكمة، وادخال قوانين وحشية قاسية كانت فى الواقع فاجرة

وماجئة. ومن باب العبث بمصالح الأقطار التي كانت خاضعة له اخترع تدايير لا جصر لها، وكل أنواع الوسائل لابتزاز الذهب والفضة ومقاييس جديدة للأرض، واغتصابات مجحفة من أهل البلاد الذين لم يكونوا بعد أحياء بل ماتوا منذ وقت طويل.

(١٣) وهل هنالك ضرورة للتحدث بتوسع عن حالات النفي التي أجراها - علاوة على هذه - هذا الرجل عدو البشرية بمن لم يرتكبوا أى خطأ، لابعاد الرجال ذوى المحتد الطيب والسمعة الحسنة، الذين خطف زوجاتهم الشابات من أحضانهم وسلمهن إلى بعض رجاله المنحطين للاساءة إليهن بكيفية مخجلة، والنساء المتزوجات والعذارى الكثيرات اللاتي أشبع شهوته معهن بالرغم من تقدمه فى السن - أقول هل هنالك ضرورة للتحدث بتوسع عن هذه الأمور مع أن شروره الأخيرة تبين أن الأولى أمور تافهة وقليلة الأهمية؟

(١٤) وأخيرا وصل إلى هوة من الجنون حتى هاجم الأساقفة، مفترضا بأنهم سوف ينقمون على اجراءاته، على أساس أنهم خدام إله الكل. على أنه لم يبدأ بمهاجمتهم علنا خوفا من رئيسه، بل سرا وبمكر كما فعل أولا، مستخدما خيانة الحكام لاهلاك البارزين منهم (أى من الأساقفة). وقد كانت طريقة قتلهم غريبة لم يسمع عنها قط من قبل.

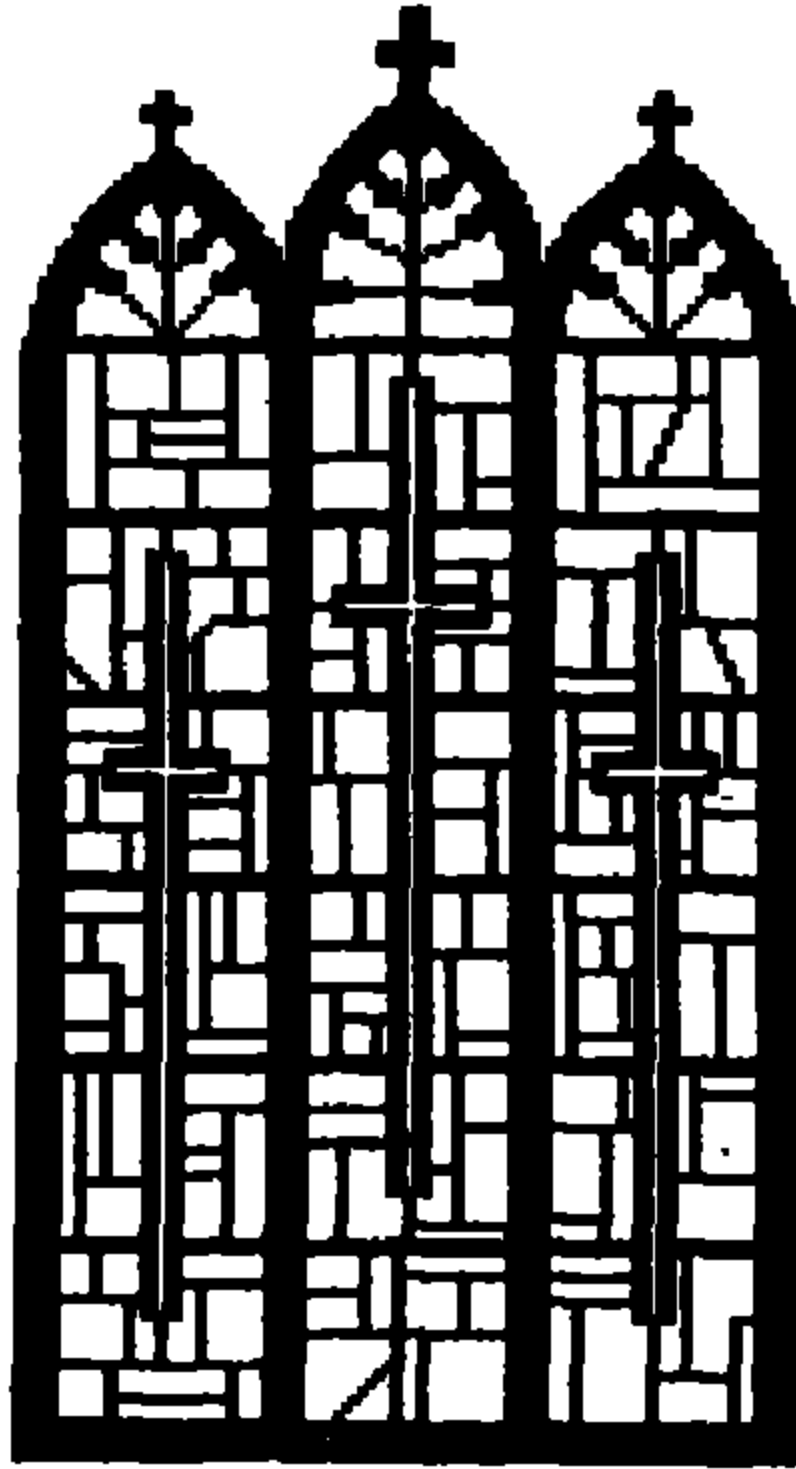
(١٥) أما الأعمال التي علمها فى أماسيا، وباقى مدن بنطس، فقد فاقت كل حدود القسوة. إذ هدمت ثانية بعض كنائس الله حتى الأساس، وأغلقت الأخرى، حتى لم يعد أحد عن اعتادوا التردد عليها قادرا على دخولها وتقديم العبادة لله.

(١٦) لأن ضميره الشرير أوحى إليه بأن الصلوات لا تقدم عنه، واقتنع بأننا نفعل كل شئ لمصلحة الامبراطور محبوب الله، وأنا نتضرع إلى الله من أجله. لذلك أسرع يصب جامات غضبه علينا.

(١٧) وإذا أدرك الولاة الذين أرادوا أن يتملقوا ذلك الطاغية أنهم بهذه الأمور يرضونه وقعوا على الأساقفة تلك العقوبات المعتاد توقيعها على المجرمين، وعاقبوا الذين لم يرتكبوا أى خطأ كأنهم قتلة، دون اعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم. والبعض قتلوا بنوع جديد من الموت بتقطيع أجسامهم بالسيف قطعا صغيرة وطرحها فى أعماق البحر طعما للسماك، بعده التمثيل بها بهذه الكيفية الوحشية البالغة فى القسوة.

(١٨) ونتيجة لهذا هرب متقو الله مرة أخرى، وغضت الحقول والصحارى والغابات والجبال بخدام المسيح. وعندما لقي الطاغية الفاجر هذا النجاح فى إجراءاته هذه، دبر أخيراً تجديد الاضطهاد نحو الجميع.

(١٩) وكان من الممكن أن ينجح فى تدييره، وأن لا يجد أى عائق له فى عمله، لو لم يتدارك الأمر الله المدافع عن حياة شعبه، ويدرك مقدما وبسرعة ما كان على وشك الحصول، ويبرق بنور عظيم وسط الليل الحالك الظلام، ويقم منفذا للكل، وهو عبده قسطنطين الذى قاد تلك الأقطار بذراع رفيعة.



الفصل التاسع

انتصار قسطنطين

والبركات التي أُعِدَّتْ على يديه على رعايا الإمبراطورية الرومانية

(١) لذلك منح الله قسطنطين، من السماء من فوق، ثمار التقوى الخليقة به، وعلامات الانتصار على ذلك الفاجر، وأخضعه تحت قدميه مع كل مستشاريه وأصدقائه .

(٢) لأنه عندما بلغ الجنون بليسينيوس إلى أقصى حدوده رأى الامبراطور حبيب الله أنه لا يليق التسامح معه بعد، فتصرف في الأمر تصرفاً سليماً، ومزج مبادئ العدل بالإنسانية، وقرر أن يخرج لحماية أولئك الذين اضطهدهم ذلك الطاغية، وتعهّد بانتقاذ أغلبية البشر، وذلك بتطهير الطريق من بعض الظالمين .

(٣) لأنه عندما طبق مبادئ الإنسانية وحدها من قبل وأظهر الرحمة نحو من لا يستحق الرحمة لم يتم شيء، إذ أن ليسينيوس لم يكف عن شره، بل بالعكس ازداد حنقه على الشعوب الخاضعة له، ولم يعد أمام المضطهدين أي أمل في النجاة، إذ كانوا منسحقين أمام وحش ضار .

(٤) وإذا مزج حامى الأتقياء مبادئ بغض الشر مع محبة الخير خرج مع ابنه كريستس، وهو أمير رحيم، ومد يمين الانتقاذ لجميع الذين كانوا على وشك الفناء . وهكذا رأينا كليهما، الأب وابنه، تحت رعاية الله ملك الكل، وابن الله مخلص الكل، كقائد وحليف لهما، يجردان قواتها في كل جانب ضد أعداء الله، ويحرزان الانتصار بسهولة . لأن الله ساعدهما في القتال من جميع الوجوه حسب رغبتهما .

(٥) وهكذا رأينا بغتة، وبأسرع مما كان يظن، إن الذين كانوا بالأمس ينفثون تهديداً وقتلاً لم يبق لهم وجود، ولم تعد حتى أسماؤهم تذكر، ونالت ذكرياتهم كل خزي تستحقه، وحلت بليسينيوس نفس تلك البلايا التي حلت بالطغاة الفجار السابقين والتي رآها بعينه، لأنه لم يتعظ ولا تعلم الحكمة من التآديبات التي حلت بغيره بل اتبع نفس طريق الشر الذي سلكوه، وانحدر إلى نفس الهاوية التي استحقها بعدل .

(٦) وهكذا انكفأ على وجهه .

على أن قسطنطين، البطل الظافر، المتحلى بكل فضيلة التقوى، وابنه كريستس الأمير محبوب الله، والمماثل لأبيه من كل الوجوه، واستردا الشرق الذى كان تابعا لهما، وأسسا امبراطورية رومانية واحدة موحدة كما كان الحال فى القديم، مخضعين لحكمهما الرحيم كل العالم من شروق الشمس إلى مغربها، شمالا وجنوبا، حتى أطراف كل الأرض .

(٧) وهكذا انتزع من البشر كل خوف سبق أن تملكهم، وأولموا الولائم الفاخرة واحتفلوا بالأعياد العظيمة . وامتلا كل شيء بالنور . وأولئك الذين كانوا أذلاء تطلعون كل واحد إلى أخيه بثغور باسمه وعيون لامعة . وفى المدن والقرى مجدوا أولا الله ملك الكل بالرقص والتساييح، لأنهم هكذا تعلموا، ثم مجدوا الامبراطور التقى مع أبنائه محبوبى الله .

(٨) واسدل الستار على الشرور الماضية، وتنوسيت كل الأعمال الشريرة، وصار فرح بالخيرات الحاضرة ورجاء بالعتيدة . وأصدر الامبراطور الظافر منشورات فى كل مكان مليئة بالرحمة، وقوانين تحمل علامات المحبة والتقوى الحقيقية .

(٩) وإذا تطهرت الامبراطورية من كل مظاهر الظلم تثبتت لقسطنطين وأنجاله وحدهم من دون أن منازع . وبعد أن أزالا كل شرور سابقيهما أظهروا حبهما للفضيلة، ومحبتهما لله، وتقواهما نحوه، واعترافهما بجميله، وذلك بالأعمال التى تمامها أمام أعين جميع الناس، إذ كانا شاعرين بالخير العميم الذى أغدقه الله عليهما .

انتهى بمعونة الله الكتاب العاشر من تاريخ الكنيسة

ليوسابيوس بفسيلي



فهرست

صفحة

فصل

٥ مقدمة العرب

الكتاب الأول

- ٩ الغاية من الكتابة ١
- ١١ خلاصة لفكرة لاهوتية مخلصنا وربنا يسوع المسيح وأزليته ٢
- ٣ كان الاسم «يسوع» ، والاسم «المسيح» معروفين من البدء ، ومكرمين من الأنبياء ٣
- ١٧ الملهمين ٤
- ٢١ لم تكن الديانة التي نادى بها لكل الأمم جديدة أو غريبة ٥
- ٢٤ وقت ظهوره بين البشر ٦
- ٦ حوالى عصر المسيح بطل عهد الحكام الذين حكموا الأمة اليهودية بالتتابع منذ القدم ، وذلك وفقا للنبوة . وملك هيرودس ، وهو أول أجنبي ٧
- ٢٩ التناقض المزعوم فى الاناجيل بصدد نسب المسيح ٨
- ٣٣ قسوة هيرودس نحو الاطفال ، وكيفية موته ٩
- ٣٧ عصر يلاطس ١٠
- ٣٩ رؤساء كهنة اليهود الذين عاصروا المسيح ١١
- ٤١ شهادات عن يوحنا المعمدان والمسيح ١٢
- ٤٣ تلاميذ مخلصنا ١٣
- ٤٥ رواية عن ملك الإديسين ١٤
- ٤٦ صورة رسالة كتبها أبجارا الحاكم إلى يسوع وأرسلها إليه فى اورشليم على يد حنانيا الساعى الخفيف الحركة ١٥
- ٤٧ إجابة يسوع على الحاكم أبجارا على يد الساعى حنانيا ١٦

الكتاب الثانى

٥١	مقدمة
٥١	١ الطريق الذى سلكه الرسل بعد صعود المسيح
٥٤	٢ كيف تأثر طيباريوس لما أعلمه يلاطس عن المسيح
٥٦	٣ لقد انتشر تعليم المسيح بسرعة فى كل العالم
	٤ بعد موت طيباريوس عين كايوس أغريباس ملكا على اليهود بعد أن عاقب
٥٧	هيرودس بنفى مؤيد
٥٨	٥ إرسالية فيلو إلى كايوس نيابة عن اليهود
٦٠	٦ المصائب التى حلت باليهود بعد وقاحتهم على المسيح
٦٢	٧ انتحار يلاطس
٦٢	٨ المجاعة التى حدثت فى عصر كلوديوس
٦٣	٩ استشهاد يعقوب الرسول
	١٠ إذ اضطهد أغريباس - الذى يدعى أيضا هيرودس - الرسل حل به الانتقام الإلهى
٦٤	فى الحال
٦٦	١١ ثوداس المحتال وأتباعه
٦٧	١٢ هيلانة ملكة الأوسرايينيين
٦٨	١٣ سيمون الساحر
٧٠	١٤ كرازة بطرس الرسول فى روما
٧٢	١٥ إنجيل مرقس
٧٣	١٦ لقد نادى مرقس بالمسيحية أولا لسكان مصر
٧٤	١٧ وصف فيلو لنسك مصر
٧٨	١٨ كتابات فيلو التى وصلت إلينا
٨٠	١٩ المصيبة التى حلت باليهود فى أورشليم يوم الفصح
٨١	٢٠ الحوادث التى حدثت فى أورشليم أثناء حكم نيرون

فصل	صفحة
٢١	المصرى الذى ذُكِرَ أيضا فى سفر أعمال الرسل ٨٢
٢٢	لما أُرْسِلَ بولس موثقا من اليهودية إلى روما قَدِمَ دفاعه وِجْهًا من كل تهمة ٨٣
٢٣	استشهاد يعقوب الذى كان يدعى أخا الرب ٨٥
٢٤	أول أسقف لكنيسة الإسكندرية بعد مرقس الرسول ٨٨
٢٥	الاضطهاد الذى تم فى حكم نيرون والذى أكرم فيه بولس ويطرس بالاستشهاد فى روما من أجل المسيحية ٨٨
٢٦	بعد أن حلت على اليهود شرور لا تحصى شنوا الحرب الأخيرة على الرومانيين ٩١

الكتاب الثالث

١	أرجاء العالم التى بشر فيها الرسل بالمسيح ٩٥
٢	أول رئيس على كنيسة روما ٩٥
٣	رسائل الرسل ٩٦
٤	خلفاء الرسل الأولون ٩٨
٥	حصار اليهود الأخير بعد المسيح ١٠٠
٦	المجاعة التى نكبوا بها ١٠٢
٧	نبوات المسيح ١٠٧
٨	العلامات التى سبقت الحرب ١٠٩
٩	يوسيفوس والمؤلفات التى تركها ١١١
١٠	الطريقة التى يذكر بها يوسيفوس الأسفار الإلهية ١١٢
١١	سمعان يتولى إدارة كنيسة أورشليم بعد يعقوب ١١٥
١٢	فاسبسيان يأمر بالبحث عن نسل داود ١١٥
١٣	إنكليتس ثانى أسقف على روما ١١٦
١٤	أيليرس ثانى أسقف على الإسكندرية ١١٦
١٥	أكليمنضس ثالث أسقف على روما ١١٦
١٦	رسالة أكليمنضس ١١٧

فصل	صفحة
١٧	الاضطهاد الذى حدث أيام دومتيانوس ١١٧
١٨	الرسول يوحنا وسفر الرؤيا ١١٨
١٩	دومتيانوس يصدر أمرا بقتل ذرية داود ١١٨
٢٠	أقرباء مخلصنا ١١٩
٢١	كردونوس ثالث من يتولى إدارة كنيسة الإسكندرية ١٢٠
٢٢	أغناطيوس ثانى أسقف على أنطاكية ١٢٠
٢٣	بعض أنباء عن يوحنا الرسول ١٢١
٢٤	ترتيب الأناجيل ١٢٤
٢٥	الأسفار الإلهية المقبولة والأسفار غير المقبولة ١٢٧
٢٦	ميناندر العراف ١٢٩
٢٧	هرطقة الأيونيين ١٣٠
٢٨	كيرثوس زعيم الهرطقة ١٣١
٢٩	نيقولاوس والشيعية المسماة باسمه ١٣٢
٣٠	الرسل الذين تزوجوا ١٣٣
٣١	موت يوحنا وفيلبس ١٣٤
٣٢	استشهاد سمعان أسقف أورشليم ١٣٥
٣٣	تراجان يأمر بعدم البحث عن المسيحيين ١٣٧
٣٤	إيفارستوس رابع أسقف على كنيسة روما ١٣٨
٣٥	يوستوس ثالث أسقف على أورشليم ١٣٨
٣٦	أغناطيوس ورسائله ١٣٨
٣٧	المبشرون الذين كانوا لا يزالون بارزين وقتئذ ١٤٢
٣٨	رسالة أكليمنضس والكتابات المنسوبة إليه زورا ١٤٣
٣٩	كتابات بايياس ١٤٤



الكتاب الرابع

١٤٩	أساقفة روما والإسكندرية أثناء حكم تراجان	١
١٥٠	المصائب التي حلت باليهود أثناء حكم تراجان	٢
١٥١	المدافعون عن المسيحية الذين كتبوا دفاعا عن الإيمان أثناء حكم أدريان	٣
١٥٢	أساقفة روما والإسكندرية في عهد نفس الإمبراطور	٤
١٥٣	أساقفة أورشليم من عصر مخلصنا إلى العصر موضوع تأملنا	٥
١٥٤	آخر حصار لليهود في عهد الإمبراطور أذريان	٦
١٥٥	الأشخاص الذين أصبحوا في ذلك الوقت قادة العلم الكاذب الاسم	٧
١٥٨	الكتاب الكنسيون	٨
١٦٠	رسالة أدريان التي أمر فيها أن لا يوقع علينا قصاص دون محاكمة	٩
١٦١	أساقفة روما والإسكندرية مدة حكم أنطونينس	١٠
١٦٢	زعماء الهرطقة في ذلك العصر	١١
١٦٤	دفاع يوستينوس الموجه إلى أنطونينوس	١٢
١٦٥	رسالة أنطونينوس إلى الجمعية العامة في آسيا بصدد تعاليمنا	١٣
١٦٧	الظروف التي رُوِيَتْ عن بوليكايريوس صديق الرسل	١٤
١٦٩	استشهاد بوليكايريوس وآخرين في أزمير في عهد فيروس	١٥
١٧٦	كرازة يوستينوس الفيلسوف بكلمة المسيح في روما ، واستشهاده	١٦
١٧٨	الشهداء الذين كرمهم يوستينوس في كتاباته	١٧
١٨٠	مؤلفات يوستينوس التي وصلت إلينا	١٨
١٨١	قادة كنيسة روما والإسكندرية أثناء حكم فيروس	١٩
١٨٢	قادة كنيسة أنطاكية	٢٠
١٨٢	كتاب الكنيسة الذين ازدهروا في تلك الأيام	٢١
١٨٢	هيجيسبوس والحوادث التي ذكرها	٢٢
١٨٤	ديونيسيوس أسقف كورنثوس ، والرسائل التي كتبها	٢٣
١٨٦	ثيوفيلس أسقف أنطاكية	٢٤

فصل	صفحة
٢٥	فيلبس وموديستوس
٢٦	ميليتو والظروف التي دونها
٢٧	أبوليناريوس أسقف كنيسة هيرابوليس
٢٨	موسانوس وكتاباتة
٢٩	هرطقة تاتيان
٣:	بارديسانس السورى وكتبه التى لا تزال باقية

الكتاب الخامس

١٩٥	مقدمة
١	عدد من حاربوا من أجل الديانة فى بلاد الغال تحت حكم فيروس وطبيعة صراعهم
١٩٦	٢
٢٠٦	خدمة الشهداء محبوبى الله لمن حل بهم الاضطهاد
٢٠٨	٣
٢٠٩	الرؤيا التى ظهرت فى حلم للشاهد أتالوس
٢١٠	٤
٢١٢	مدح الشهود لإيريناوس فى إحدى الرسائل
٢١٣	٥
٢١٤	إرسال الله المطر من السماء إلى القيصر مرقس أوريليوس استجابة لصلوات شعبنا
٢١٧	٦
٢١٧	قائمة بأسماء أساقفة روما
٢١٨	٧
٢١٩	وحتى ذلك الوقت كانت المعجزات تجرى على أيدي المؤمنين
٢٢٠	٨
٢٢١	أقوال إيريناوس عن الأسفار الإلهية
٢٢١	٩
٢٢١	الأساقفة فى عهد كومودس
٢٢١	١٠
٢٢١	بتيونس الفيلسوف
٢٢١	١١
٢٢١	أكليمنضس الإسكندري
٢٢١	١٢
٢٢١	الأساقفة فى أورشليم
٢٢١	١٣
٢٢١	رودو ووصفه لفتنة مركيون
٢٢١	١٤
٢٢١	الأنبياء الكذبة فى فريجية
٢٢١	١٥
٢٢١	انشقاق بلاستوس فى روما

فصل	صفحة
١٦	الظروف التي رُوِيَتْ عن مونتanos وأنبيائه الكذبة ٢٢٢
١٧	مليادس وأعماله ٢٢٦
١٨	الطريقة التي دحض بها أبولونيوس أهل فريجية والأشخاص الذين ذكرهم ٢٢٧
١٩	سرايون وكتابات عن بدعة أهل فريجية ٢٣٠
٢٠	كتابات إيريناوس ضد المنشقين في روما ٢٣١
٢١	كيف استشهد أبولونيوس في روما ٢٣٣
٢٢	الأساقفة الذين اشتهروا وقتل ٢٣٤
٢٣	المسألة التي أثرت وقتل بخصوص الفصح ٢٣٥
٢٤	التزاع في آسيا ٢٣٦
٢٥	كيف وصل الجميع إلى اتفاق بخصوص الفصح ٢٣٩
٢٦	مؤلفات إيريناوس الرائعة التي وصلت إلينا ٢٣٩
٢٧	مؤلفات الآخرين التي ازدهرت في ذلك الوقت ٢٤٠
٢٨	أول من أذاعوا بدعة أرتيمون : طريقة حياتهم ، وكيف تجاسروا على إفساد ٢٤٠
	الأسفار المقدسة ٢٤٠

الكتاب السادس

١	الاضطهاد الذي حصل في عهد ساويرس ٢٤٧
٢	تهذيب أوريجانوس منذ الطفولة ٢٤٧
٣	مناداته باجتهاد بكلمة الله رغم أنه كان لا يزال صغيرا جدا ٢٥١
٤	تلاميذ أوريجانوس الذين استشهدوا ٢٥٢
٥	بوتامينا ٢٥٣
٦	أكليمنضس الإسكندري ٢٥٤
٧	يهوذا الكاتب ٢٥٤
٨	جراة أوريجانوس ٢٥٥
٩	معجزات نركيسوس ٢٥٦

فصل	صفحة
١٠	أساقفة اورشليم ٢٥٧
١١	الإسكندر ٢٥٨
١٢	سرايون ومؤلفاته التي لا تزال باقية ٢٥٩
١٣	كتابات أكليمنضس ٢٦٠
١٤	الأسفار المقدسة التي ذكرها ٢٦١
١٥	هراكلاس ٢٦٣
١٦	دراسة أوريجانوس العميقة للأسفار الإلهية ٢٦٣
١٧	سيماخوس المترجم ٢٦٤
١٨	أمبروسيوس ٢٦٥
١٩	بعض الظروف المتصلة بأوريجانوس ٢٦٥
٢٠	مؤلفات كتبه ذلك العصر التي لا تزال باقية للآن ٢٧٠
٢١	الأساقفة الذين اشتهروا في ذلك الوقت ٢٧١
٢٢	مؤلفات هينوليتس التي وصلت إلينا ٢٧١
٢٣	غيرة أوريجانوس ، وارتقاؤه إلى درجة القسوسية ٢٧٢
٢٤	التفسير التي أعدها في الإسكندرية ٢٧٣
٢٥	مراجعة للأسفار القانونية ٢٧٣
٢٦	إقامة هراكلاس أسقفا للإسكندرية ٢٧٦
٢٧	احترام الأساقفة لأوريجانوس ٢٧٧
٢٨	الاضطهاد الذي حصل في عهد مكسيمينوس ٢٧٧
٢٩	فايانوس الذي عينه الله أسقفا لروما بكيفية عجيبة ٢٧٨
٣٠	تلاميذ أوريجانوس ٢٧٩
٣١	أفريكانوس ٢٨٠
٣٢	التفسير التي ألفها أوريجانوس في قيصرية فلسطين ٢٨١
٣٣	ضلالة بيريلوس ٢٨٢
٣٤	فيليب قيصر ٢٨٣
٣٥	ديونيسيوس يخلف هيراكلاس في الأسقفية ٢٨٣

فصل	صفحة
٣٦	مؤلفات أخرى لأوريغانوس
٣٧	انشقاق العرب
٣٨	بدعة الألكسيين
٣٩	الاضطهاد الذى حدث فى عهد ديسيوس والآلام التى تكبدها أوريغانوس
٤٠	الحوادث التى حلت بديونيسيوس
٤١	شهداء الإسكندرية
٤٢	أشخاص آخرون تحدث عنهم ديونيسيوس
٤٣	نوفاتوس ، طريقة حياته ، وهرطقته
٤٤	رواية ديونيسيوس عن سراييون
٤٥	رسالة من ديونيسيوس إلى نوفاتوس
٤٦	رسائل أخرى لديونيسيوس

الكتاب السابع

٣٠٣	مقدمة
٣٠٣	خبث ديسيوس وجالوس
٣٠٤	أساقفة روما فى ذلك الوقت
٣	كيف نادى كبرياتوس ومن معه من الأساقفة أولا بأن الراجعين من الهرطقة يجب أن يطهروا بالمعمودية
٣٠٤	الرسائل التى كتبها ديونيسيوس عن هذا الموضوع
٣٠٥	الهدوء الذى جاء عقب الاضطهاد
٣٠٦	هرطقة سايليوس
٧	سقطه الهرطقة الشنيعة . الرؤيا الإلهية التى رآها ديونيسيوس والقانون الكنسى الذى قبله
٣٠٨	هرطقة نوفاتوس
٩	معمودية الهرطقة الخاطئة

فصل	صفحة
١٠	فاليريان والاضطهاد الذى حلّ فى عهده ٣٠٩
١١	الحوادث التى حدثت وقتئذ لديونيسيوس والذين فى مصر ٣١١
١٢	الشهداء فى قيصرية فلسطين ٣١٦
١٣	السلام الذى ساد فى عهد جالينوس ٣١٦
١٤	الأساقفة الذين ازدهروا وقتئذ ٣١٧
١٥	استشهاد مارينوس فى قيصرية ٣١٨
١٦	رواية عن استيريوس ٣١٩
١٧	العلامات التى تمت فى بانياس عن قدرة مخلصنا العظيمة ٣١٩
١٨	التمثال الذى أقامته المرأة نازقة الدم ٣٢٠
١٩	كرسى الأسقفية الذى ليعقوب ٣٢١
٢٠	رسائل ديونيسيوس الفصحية التى فيها يقدم أيضا قانونا فصحيا ٣٢١
٢١	الحوادث التى تمت فى الإسكندرية ٣٢٢
٢٢	الوبأ الذى حلّ بهم : ٣٢٤
٢٣	حكم جالينوس ٣٢٦
٢٤	نيوس وبدعته ٣٢٧
٢٥	رؤيا يوحنا ٣٢٩
٢٦	رسائل ديونيسيوس ٣٣٣
٢٧	بولس السميساطى والبدعة التى أدخلها فى أنطاكية ٣٣٤
٢٨	أساقفة ذلك العصر البارزون ٣٣٥
٢٩	وبعد أن دحض ملخيون - أحد القسوس الفلاسفة - آراء بولس ، صدر الحكم بحرمة ٣٣٦
٣٠	رسالة الأساقفة ضد بولس ٣٣٦
٣١	هرطقة المانيكيين المضلة التى بدأت وقتئذ ٣٤٠
٣٢	رجال الكنيسة البارزون فى عصرنا ومن منهم بقى حيا حتى هدم الكنائس .. . ٣٤١
	بعض قوانين أناتول الفصحية ٣٤٣

الكتاب الثامن

٣٥١	مقدمة	
٣٥١	الحوادث السابقة للاضطهاد الذى تم فى عصرنا	١
٣٥٣	هدم الكنائس	٢
٣٥٤	طبيعة المعارك التى تحملوها فى الاضطهاد	٣
		شهداء الله المشهورون الذين ملأوا كل مكان بذكرياتهم ونالوا أكاليل مختلفة	٤
٣٥٥	دفاعا عن المسيحية	
٣٥٦	الذين فى نيكوميديا	٥
٣٥٦	الذين فى القصر	٦
٣٥٨	المصريون فى فينيقية	٧
٣٦٠	الذين فى مصر	٨
٣٦٠	الذين فى طيبة	٩
٣٦٢	كتابات فيلياس الشهيد فى وصف حوادث الاسكندرية	١٠
٣٦٤	الذين فى فريجية	١١
٣٦٤	آخرون كثيرون - رجالا ونساء - تحملوا الآلام بطرق مختلفة	١٢
٣٦٦	أساقفة الكنيسة الذين برهنوا بدمائهم على نقاء الديانة التى كرزوا بها	١٣
٣٦٩	صفات أعداء المسيحية	١٤
٣٧٢	الحوادث التى حلت بالوثنيين	١٥
٣٧٣	تغير الأمور إلى أفضل	١٦
٣٧٤	إلغاء الحكام لأوامرهم السابقة	١٧
٣٧٥	ملحق الكتاب الثامن	



شهداء فلسطين

٣٧٩	١
٣٨٠	٢
٣٨١	٣
٣٨٣	٤
٣٨٥	٥
٣٨٦	٦
٣٨٧	٧
٣٨٩	٨
٣٩١	٩
٣٩٣	١٠
٣٩٤	١١
٣٩٩	١٢
٣٩٩	١٣

الكتاب التاسع

٤٠٥ الهدنة المزعومة	١
٤٠٧ رد الفعل الذى حدث عقب ذلك	٢
٤٠٧ التمثال الذى أقيم حديثا فى أنطاكية	٣
٤٠٨ التذكارات التى أقيمت ضدنا	٤
٤٠٨ سفر الأعمال المزور	٥
٤٠٩ أولئك الذين استشهدوا فى ذلك الوقت	٦
٤١٠ الأمر الملكى الذى صدر ضدنا ونُقش على الأعمدة	٧

فصل	صفحة
٨	النكبات التى حلت فى مجاعات وأوبئة وحروب ، بمناسبة هذه الأمور ٤١٢
٩	انتصار الأباطرة محبوبى الله ٤١٥
	ترجمة رسالة الطاغية مكسيمينوس ٤١٧
١٠	انقلاب الطغاة ، والكلمات التى نطقوا بها قبل موتهم ٤١٩
	صورة الأمر الملكى الذى أصدره الطاغية فى مصلحة المسيحيين ، مترجما عن اللغة الرومانية ٤٢٠
١١	الهلاك النهائى لأعداء المسيحية ٤٢٢

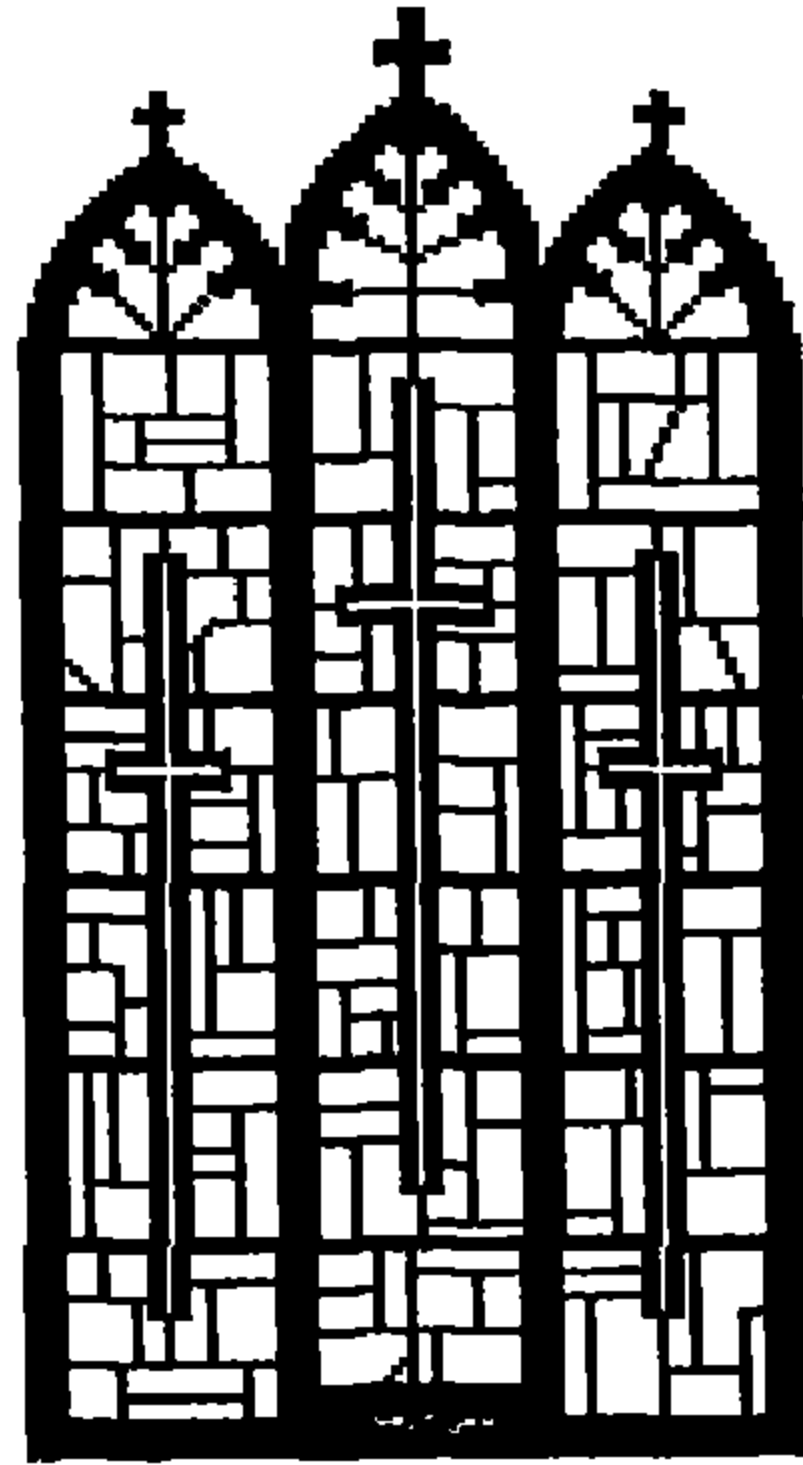
الكتاب العاشر

١	السلام الذى منحنا الله إياه ٤٢٧
٢	إعادة بناء الكنائس ٤٢٨
٣	صلوات التكريس فى كل مكان ٤٢٩
٤	خطاب تهليلى من أجل عظمة وفخامة الأمور ٤٣٠
	خطاب تهليلى من أجل بناء الكنائس موجه إلى بوليس أسقف صور ٤٣٠
٥	صور القوانين الإمبراطورية ٤٤٤
	صور الأوامر الإمبراطورية مترجمة من اللغة الرومانية ٤٤٤
	صورة أمر إمبراطورى آخر أصدره معلننا بأن هذه المنحة أعطيت للكنيسة الجامعة فقط ٤٤٦
	صورة الرسالة التى يأمر فيها الإمبراطور بعقد مجمع للأساقفة فى روما من أجل وحدة الكنائس واتلافها ٤٤٦
	صورة رسالة يأمر فيها الإمبراطور بعقد مجمع آخر لإزالة كل المنازعات من بين الأساقفة ٤٤٧
٦	صورة رسالة إمبراطورية أرسلت بمقتضاها أموال إلى الكنائس ٤٤٨
٧	إعفاء الإكليروس ٤٤٩

صفحة

فصل

٤٤٩	صورة الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور بإعفاء رؤساء الكنائس من الواجبات السياسية	
٤٥٠	شر ليسينيوس الثاني ، وموته	٨
		انتصار قسطنطين والبركات التي أُغِدِّقَتْ على يديه على رعايا الإمبراطورية الرومانية	٩
٤٥٤		



٢٨٣٤
تشغيلة رقم
قروش جنيه
١٥,٠٠٠

مكتبة المحبة

Bibliotheca Alexandrina



0628048

٢ شارع شبرا - القاهرة ت وفاكس : ٧٧٧٤٤٨ / ٤
ت : ٥٧٥٨٩٣٢